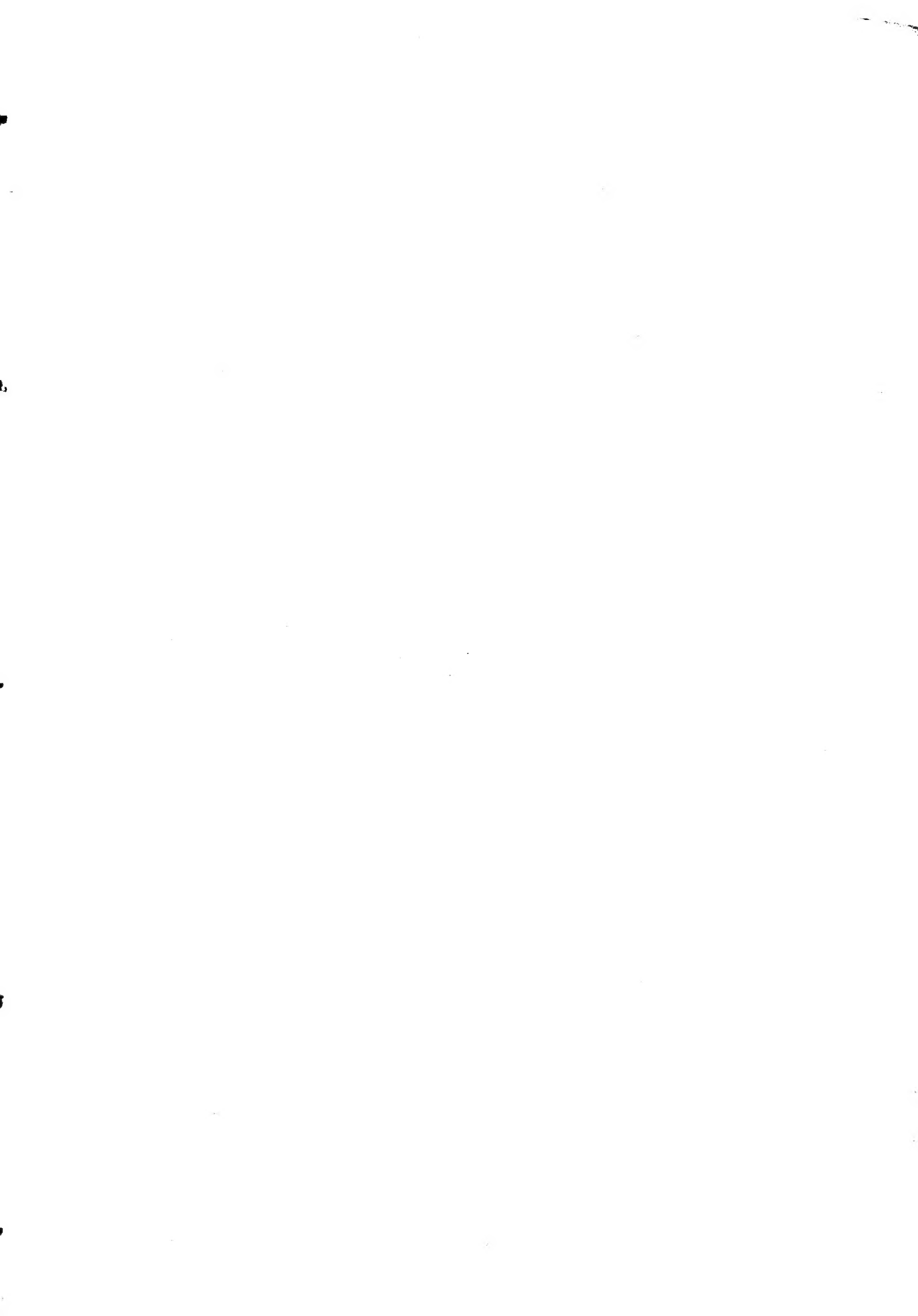
ديوان

الأمير الصنعـــانى



بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد من أحكم نظام العالم بحكمته . وأقام دلائل وجوده ببديع صنعته . وأطلع بمخلوقاته شموس وحدانيته ، فى سماء معرفته ، فنطقت الموجودات بالإقرار بربوبيته ، وتجاهل العارف إذ لم ينزهه عن المشاكل فى ألوهيته ، فخاب وخسر إذ بنى على الشك مع اليقين فى عقيدته ، المنزه عن المماثل والمشارك فى مملكته ، المتفرد بالتصرف فى الوجود بإرادته ، على طويل إفضاله وكامل نعمته ووافر إحسانه وبسيط منته .

وأشهد أن لا إله إلا الله الذى جلّ عن التشبيه بالأجسام .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله واسطة عقد النظام . صلى الله عليه وسلم فى كل آن من الزمان ، وعلى آله الذين أعان بمدحهم القرآن ، وجعل محبتهم من فروض الأعيان ، ورضى الله عن أصحابه المتحلين بحلية الإيمان ، من ألبسهم الله فى كتابه حلة الرضوان .

أما بعد: فإنى أردت فى هذه الأوراق ، أن أجمع ممارقّ من الأشعار وراق ، وكان له فى سوق الأدب نفاق وأى نفاق ، إذهو من درر أصداف البحر الدفاق، والبدر الساطع نوره فى الآفاق ، وبقية المجتهدين على الإطلاق ، شيخ الإسلام والمسلمين وناصر سنة سيد المرسلين ، محيى مآثر الشريعة المحمدية ، ومقوم معوج الملة الحنفية مجدد المائة الثانية بعد الألف على التحقيق ، والقائم فى نصر الحق على قدم الصدق والتصديق[1] .

ماذا يقول الواصفـــون له وصفاته جلت عن الحصر

---

(١) هذه الأبيات مدح بها شيخ الإسلام ابن تيمية ، فلتراجع فى ترجمته .

هو حجة لله قاهــرة هو بيننا أعجوبة الدهر

هو آية فى الخلق ظاهرة أنوارها أربت على الفجر

العلامة الْعَلَم الشهير، و بدر العلوم المنير، محمد بن إسماعيل الأمير قدس الله روحه الطاهرة فى أعلى عليين ، ورفع درجته مع النبيين والصديقين ، ورضى عنه وأرضاه، وجعل فى جنة الفردوس مأواه .

فجمعت من بعض فضائله التى لا تحصى ، وفوائده التى لا تستقصى ، ما قاله من النظام ، وما حرره من رقيق الـكلام ، إذ هو فى باب الأدب السحر الحلال، وفى بلاغته فى أعلى درجات الـكمال لاشتماله على فنون جمة وفوائد من العلوم مهمة ، فيشتاق إليه الأديب ليكسو ذهنه حلل معانيه المخترعة ، والعالم ليرد بحر فوائده المتنوعة ، فهو روضة الآداب والعلوم ، وسقط زند القريض وجلاء الفهوم ، مجمع بحار المعانى ، ونهاية سلالة الألفاظ والمبانى :

هذا هو السحر الحلال فبينوا مع فعله هــذا أدلة حَـله

إن كان حِلاً فالمدام أجل مِنْ قطر الغمام لشاربيـــه ووبْلِهِ

وكنت فى هذا الجمع السالم أقدم رجلاً وأؤخر أخرى ، علماً منى بأن غيرى لمثل هذا الشأن أولى وأحرى ، إذ أنا عار عن حلة ما يحتاج إليه من معرفة القوافى فى الترتيب فإن وقع خلل فليعذر الناظر فليس منى بعجيب :

تعجبين من سَـقَمِى صحـــتى هى العجب

وقد بالغت فى جمعه من متفرق الأوراق ، ولم آل جهدا فى استقصائه بحسب الإمكان والاتفاق ، ورتبته على حروف المعجم ليـكون أسهل للطالب ، وأقرب تناولاً لنيل المـآرب .

وكنت قد عرضت أوائل ما جمعته عليه ، وألقيت زمام الإقـــدام والإحجام إليه .

فأسمعنى أوائل المجموع ، وقطع عنى علائق الممنوع ورحل إلى دار السلام، قبل التمام ، رفعه الله تعالى فى أعلى مقام ، و بسط على سحائب الإنعام .

* * *

قافية الهمزة

قال قدس الله روحه فى مدح بارى البرية وضمنها من شعر أبى الطيب المتنبى

القلب أعلم يا عذول بدائه	ما غير داء الذنب من أدوائه
والذنب أولى ما بكاه أخو التقى	وأحق منك بجفنه وبمائه
فوَمَنْ أحب لأعصيَن عواذلى	قسماً به فى أرضه وسمائه
من ذا يلوم أخا الذنوب إذا بكى	إن الملامة فيه من أعدائه
فوَحقٍّ من خاف الفؤادُ وعيدَه	ورجا مثوبته وحسن جزائه
ما كنتُ ممن يرتضى حسنَ الثنا	ببديع نظمى فى مديح سوائه
من ذا الذى بسط البسيطة للورى	فرشا وتوَّجها بسقف سمائه
من ذا الذى جعل النجوم ثواقباً	يهدى بها السارين فى ظلمائه
من ذا أتى بالشمس فى أفق السما	تجرى بتقدير على أرجائه
أسواه سوَّاها ضياءً نافعا	لا والذى رفع السما ببنائه
من أطلع القمر المنير إذا دجى	ليلٌ فشابه صبحه بضيائه
من طوَّل الأيامَ عند مصيفها	وأتت قصاراً عند فصل شتائه
من ذا الذى خلق الخلائق كلها	وكفى الجميع ببِرِّه وعطائه
وأدرَّ للطفل الرضيع معاشه	من أمه يمتص طيب غذائه
ياويح من يعصى الإله وقد رأى	إحسانه بنواله وندائه
ورأى مساكن من عصى ممن خلا	خِلْواً تصيح البومُ فى أرجائه

ودع الجبابرة الأكاسرة الأُلَى　　وانظر لمن شاهدت فى علوائه
كم شاهدت عيناك من مَلِك غدا　　يختال بين جيوشه ولوائه
ملأت له الدنيا كؤوسا حلوة　　وسقته مُرَّ السم فى حلوائه
ما طلق الدنيا اختياراً إنما　　هى طلقته ومتعته بدائه
جعلت له الأكفان كسوة عدة　　واللحد سكناه وبيت بلائه
ويضمه لا مشفقا فى ضمه　　حتى تكون حشاه فى أحشائه
وهناك يغلق لحده عن أهله　　بجاره وبطينه وبمائه
ويزوره الملكان قصد سؤاله　　عن دينه لا عن سؤال سوائه
فإذا أجاب بما يطيب فحبذا　　ما بعده من رَوْحِهِ وجزائه
وإذا أجاب بـ «لستُ» أدرى أقبلا　　ضرباً له فى وجهه وقفائه
ويرى منازله بقعر جهنم　　ويُقيم فى ضيق لطول عنائه
يارب ثبتنا بقول ثابت　　عند امتحان العبد تحت ثرائه
أنا مؤمن بالله ثم برسْلِهِ　　وبكُتْبه وبعثه ولقائه
ثم الصلاة على الرسول محمد　　والآل أهل البيت أهل كسائه

* * *

وقال رضى الله عنه :

أسِوَاك إن حلت بنا اللاوآء　　يُدْعَى لها إنا إذاً جهلاء
ندعوه فى غسق الدجى ولم يكن　　عن علمه فيما نقول خفاء
لكن تَعَبَّدَ بالدعاء عبادَه　　فأحبهم فيما أتى الدعاء
يبكى الموفق حين يدعو ربه　　شوقا له ومن السرور بكاء
ويسير من أفواهنا نحو السما　　ومسيرها فى الليل وهى ذكاء
هل غير حضرتك الرفيعة مقصد　　هل من سواها يطلب استجداء
وَسعت عطاياك الخلائق كلها　　فالناس فيما فى يديك سواء

أوجدتهم فضلا وجُدْتَ عليهمُ ... وأنلتهم ما شئت مما شاءوا
فالكل يعجز عن ثنـا مانالَه ... بل شكرهم فيه لك النعماء
يثنى بجارحة وأنت وهبتَها ... وعبارة هى من لديك عطاء
لولاك ما نطق اللسان بلفظة ... ولكان أفصحنا هم البكماء
خوَّلتهم نِعما فمفردها كما ... قد قلت يحصر دونها الإحصاء
من ذا سواك أدرَّ كل سحابة ... بالماء فهى سحابة وطْفَاء
نسجت حواشيها الرياح فأصبحت ... فى الجو وهى على الثراء كساء
وحدا بها حادى الرُّعُودِ وساقها ... برقٌ فهذا النار وهى الماء
وتألف الضدين قدرةُ قادر ... إعدامه سِيَّانِ والإنشاء
وترى الثرى لم تبق فيه غبرة ... قد عاد وهى الروضة الغنّاء
بينا تراه هامداً متخشعاً ... ميتاً أتاه بالحياة حياء
فأعاده حيًّا وروضاً ناضراً ... وعليه تنسج حلة خضراء
يأتى بأرزاق العباد عجائباً ... شتَّى هما صنفان فيه سواء
متخالفات خلقةً وطبيعةً ... والطعم مُرٌّ حامض حلواء
قل للطبيعى الجهول عَلامَ ذا ... والترب أصل جميعها والماء
وكذاك أبْنَا آدمٍ هذا أنثى ... ذكراً وذا أنثى وذا خنثاء
فالكل مختلف كذاك صفاتهم ... فيهم غدا الشوهاء والحسناء
مثل اللغات يكون فيهم ألثغ ... ومُفَوَّهٌ خضعت له البلغاء
والكل من ماء مَهين صُوِّروا ... فى باطن الأرحام كيف يشاء
هذا الدليل بأن ربك واحد ... يختار لاقسْرٌ ولا إلجاء
فله الثنا والحمد منا دائماً ... يأتى به الإصباح والإمساء
وعلى الرسول صلاته وسلامه ... والآل ماضم الجميعَ كساء

☆ ☆ ☆

وقال رحمه الله :

إلهيـــة

يارجائى وهـل سواك رجائى	أنت سؤلى فى شدتى ورخائى
كل من فى الوجود يرجوك ممن	حل فى الأرض أوعلا فى السماء
كيف أرجو سواك وهو نظيرى	يترجى منى وممن سـوائى
كيف أدعو عنـد الشدائد مثلى	إن مثلى يدعوك مثل دعائى
كلنا عالة على الملك الجبـا	ر ذى المجد صاحب الـكبرياء
بل جميع الأشيـاء ملك لربى	لم يخصص شىء من الأشياء
كل من فى الوجود عبد ولوقا	د جميـع الأنام تحت اللواء
وله الناس والبلاد وما يسر	ح بين الخضراء والغــبراء
وتناهى فى كل ما يتنـاهى	فإلى اللحـد غاية الانتهـاء
انتهى هـــذه الحيـاة وإلا	فالذى بعده من الأنبـــاء
كل هول من برزخ وسؤال	ونشور من بعـــده وجزاء
خاف نوح وآدم وجميع الرسـ	ـل إلا محمداً ذا اللواء[1]
ومقام يهابه كل من فيــــ	ـه من الأتقيـــــاء والأنبياء
فإليه انتهى الخــلائق لمـا	طالبوا فى الشفاعة العظمآء
فأتى ربه وخــــر لديه	ساجداً إذ أتى شريف النداء
ارفع الرأس ثم قل يسمع القو	ل تشفع ياسيد الشفعـــاء

وقال إلى ولده إبراهيم يوماً :

ولا تحسبن أنى أرى لى مزية	على الناس فيهـا رفعة وثناء
فمـا أنا إلا تبنة حـل لبنة	بحر ظلام ليس فيه ضياء

---

(١) هو نظير قول الشاعر :

إذا خاف الخليل وخاف موسى	وآدم والمسيح وخاف نوح
ولم يتشفعوا للخلق خوفا	فمالى لا أخاف ولا أنوح

وله رحمه الله مجيبا على ولده إبراهيم وناصحاً له

أشير وإن كنت لاتقبلا   مقالى وشورى بأن تُقبِلاَ

على طلب العلم فى رغبـــة   بلا ملل لتسود المـــلا

بحفظ المتون وجمع الفنون   وإلقـــاء دَلْوِكَ بين الدلا[1]

فما بالتمنى تنـــال المنى   ولا بالترجى تنـــال العلا

ومن يزدرع فى سباخ المنى   بـ « عَلَّ » سيحصد كلا ولا

أراك حويت الذَّكَا كله   ففى أفقه أنت فينا ذُكَا

ولـكنه ليس يجدى الذكا   أرى السيف فى الغمد لن يقتلا

ومن يربط الصافنات الجيا   د فما النفع فيهـا بأن تصهلا

ولـكن بأن يعتلى ظهرها   ويغزى عليها ببطن الفـلا

يصبح قوماً على غـــرة   وقوماً يبـــاشرهم فى المسا

يحوط الذمار ويحلى الديا   ر ويسبى ذراريهم والنســا

ولا الرمح ينفـــع أربابه   إذا لم يرى فى بطون الـكلا

فخض فى الفنون وجل فى المتو   ن وكن رجلا رِجْلُه فى الثرى

وخَلِّ الأمانى لأربابهـــــا   فإن المنى رأس مالى الهبا

ومن زوج العجز أم المنى   فلا شك تنتج ابن البلا

كثير الـكلام طويل المنا   م شديد الخصام عدو العلا

خلوف الوعود نقوض العهو   د كذوب اللسان عديم الوفا

كثير العناد جبـــان الفؤا   د عريض الوساد عريض القفا

أعيذك بالله من وصفـــه   وصانك مولاه عمـــا ترى

---

(١) نظيره .

وما طلب المعالى بالتمنى   ولـكن ألق دلوك فى الدلاء

وقد كنت أرجوك طفلا بأن تسود الأنام وكل الورى
وقال الضيا جدك المعتلى بهمته فوق أفق السُّهَى
أبونا الذى نحن أبناؤه كفى الفخر أنك ابن الضيا
إمام العلوم مع رغبة وزهد به فاق أهل الدنا
ولا يبلغ النظم أوصافه وهل يحصر النظم عد الحصا
يبشرنى بك فى نظمه فياحبذا حبذا حبذا
نظام أتانى بكل المنى روافى بقُرّة عين الهدى
تفاءل فيه بما يرتجيه وأثنى على الله كل الثنا
وكان الجواب عليه بما تراه سقى تربه بالرضا
فخذها وكن عارفاً قدرها وجاوز أباك بكل الدعا
وقد كنت حافظها برهة أقول عسى ابنى عسى ابنى عسى
فصنها ولو فى سواد العيو ن وإياك تنبذها بالعرا
وقد نلت بعض الذى يرتجى وأرجو تنال جميع الرجا
فشمر فقد نلت ما ترتجى وزد فى صعود مراقى العلا
وأسَّيتَنى فى النظام البديع ومالى ياولدى والأسا
وماذا الذى نالنى منهم أما ألبسونى ثوب الجذا
غداً سترانى عند الإله وعند الرسول أنال المنى (١)
وتعلم أن الذى نالنى من الحبس أحسن مايقتنى
من الناس قد حجبوا طلعتى وماذا الذى يشتهى فى اللقا
فما القيل والقال مطلوبنا فهذا الذى عندهم لا سوى
وقل لى ما نال من يتصل بهم غير أنواع كل البلا

(١) هذا الجزم ، فيه نظر فمذهب أهل السنة أنه لايجزم لأحد بالجنة ولا بالنار إلا ما أخبر به الرسول (ص) والناظم جزم لنفسه بالنجاة .

سباب الأنام وطول الملا م وحمل الكلام إلى ذا وذا
فمن يعتزل يغتنم راحة وروحاً ويسلم من قد قلا
ويخلو بمولاه رب الأنا م وخالقهم وجزيل العطا
يجالس أعيان صحب الرسو ل وأعيان أعلام هذا الورى
أناس هم الناس لاغيرهم وقد نزلوا فى بطون الثرى
ولكن أتى كل سفر بهم فأسفر عنهم فخذ ما ترى
ترى عالما فاضلا عاملا وملكا عظيما حوى ماحوى
وتلقى وزيراً حوى بسطة وتلقى فقيراً عظيم التقى
فما العيش إلا اعتزال الورى فيا حسرتا لزمان خلا
إلهى أقل عثرتى واغتفر وقل لى عفا الله عما مضى

☆ ☆ ☆

وله — رضى الله عنه

أحب الحديث وأهل الحدي ث وإن كنت منهم بعيد المدا
وأنشره فى الورى طاقتى إذا ما وجدت له ملتقى
وقصدى إبلاغ ما جاءنى من البينات لهم والهدى
وقصد الصلاة على المصطفى وللآل والصحب بذل الدعا

☆ ☆ ☆

وقال رحمه الله : أنشد الذهبى لابن حزم فى ترجمته له فى النبلا :

أشهد الله والملائك أنى لا أرى الرأى والمقاييس دينا
حاش لله أن أقول سوى ما جاء فى النص والهدى تبيينا

☆ ☆ ☆

قال الذهبى : فقلت مجيباً عليه :

لو سلمتم من العموم الذى تع لم قطعا تخصيصه ويقينا
وترهبتم فكم قد يبستم لرأينا لكم شفوفاً مبيناً

قال مولانا البدر : فقلت أنا

ما أنصف الذهبي فيما قاله كم من عموم خصصوا فيما أتى
وانظر إلى كتب ابن حزم تلقه ما مال عن سنن الهدى ولا أبى

* * *

وقال رحمه الله – وقد اطلع على كراسة فيها من شعر ولده إبراهيم – فى مدح رب الأرباب :

صدقت فمدح الله أشرف ما يتلى وأسماؤه الحسنى أفضل ما يملى
فليس سواه للمحامد موضع وليس سواه عنده البذل والإعطا
وليس سواه يملك الأمر كله له ملك هذى الدار والنشأة الأخرى
فقف قارعاً باب الرجا بأنامل الد عاء فربى سامع للذى يدعـا
ينيلك ما ترجوه من أى مطلب فسل ماتشا من مطلب الدين والدنيا
فكم من هبات للعباد جزيلة خزاينه تبقى وما عندنا يفنى
فسله وقل يا رب ثبت قلوبنا على الصدق والإخلاص والبر والتقوى
وسامح مسيئاً طال فى سفر الهوى سراه وأضحى فى سراه كما أمسى
ولم ينهه شيب بفوديه قد غدا ولم ينهه ضعف تضاعف فى الأعضا
فما أنا عن ذنبى العظيم بتائب ولا شاكر شكراً على نعمة تترى
أتوب ولكن أنقض العزم بعدها وأندم فى نقضى وأطمع فى أخرى
وما زال ذا دأبى ولم أدر ما الذى يكون إذا وافى الرحيل إلى الأخرى
أسير أسيراً للذنوب وحملها ومن دونها أحد ولبنان معرضوى

* * *

وله رحمه الله فى عصر من حفظ القرآن فى عصر النبى صلى الله عليه وآله وسلم

ومن حفظ القرآن فى عهد أحمد فأربعة قال البخارى لا سوى
معاذ أبىّ وابن مسعود ثالث وسالم المولى فخذ عنه ما روى

وقد زيد زيد ثم قال وعمه أبو زيد المعروف عند أولى النهى

* * *

وله فى الرجا والخوف وأودعه حاشية الإيثار المسماة بالأنوار ولم يكملها

لولا الرجا ما انتهضت إرادة للدين والدنيا وأعمـال التقى
لولا رجا الإنسان أجر فعله ما قام يوماً للصـلاة أو مشى
أيضاً ولا حج ولا صام ولا أعطى زكاة ماله ولا نوى
فإنه يأتى بهـذا راجياً من ربه مثوبة كما أتى
وأن يفوز فى غد بعفوه يسلـكه فى سلك أرباب التقى
وطامعاً فيما مشى من الخطا تـكفيرها لمـا أتى من الخطا
ولا رأيت تاجراً مسافراً أو غازياً مجاهداً من اعتدى
ولا رأيت فى الفلاة حارثا يدفن بذر ماله بطن الثرى
فإن هـذا كله أساسه هو الرجا فهو أساس للبنـا
وكل رجوى فى الذى يطلبه لا ترتجى من غير خَلَّاقِ الورى
فـكيف لا ترجوه فى غفرانه لمـاَ جَنَيْتَ من قبائح الجنا
فإنه ذو رحمـة واسعة صَرَّحَ به فى كُتْبِهِ بلا مِرَا
وهو غفور غافر غفـار مـا يأتى به العبد إذا العبد عصى
فـكن لمولاك تعالى راجياً فى كل ما شئت شديد الالتجا
واحذر وخف فإنه سبحانه علق كل ما تشا بمـا يشا
وقيد الغفران للذنب بهـا فى آيتين قد أتتك فى النِّسَا(١)
فـكلما ترجوه فى الدارين لا تخليه من خوف فوات المرتجى
فلا أمان فى الذى تطلبه مهما بقيت فى منازل الفنـا

(١) إشارة إلى قوله تعالى: إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء..

فني التجارات يرجى ربحها والخوف للخسران نار في الحشا
ومرتجي الزرع له مخافة من آفة تطرقه من السما
فلا أمان لا أمان للفتى بل أنت راج خائف طول المدى
ولست تخلو عنهما في لحظة بل من رجا خاف ومن خاف رجا
ممتزجان فطرة وشرعة في كل قلب مَنْ عَلَى الأرضِ مَشَى
والذكر مملوء بهذا كلِّهِ ومثله في كلمات المصطفى
أن الأمان دُقه وجُله يخص قوماً نزلوا دار البقا
فإنها دار الأمان لا سوى به تحييهم أملاك العلا
فاعجب لمن رأى الرجا لا يَرْتَجِي من ربنا للعفو عما قد جرى
وهو عليه دائماً معتمد في الدين والدنيا وفي شرب الدوا
يارب إني أَرْتَجِي مغفرةً تَغْسِلُ بها عَنِّيَ أدران الْخَطَا
مصلياً على الذي أرشدنا ثم على أولاده أهْلِ الكِسَا

* * *

وله رضي الله عنه جواباً على المولى العلامة إسماعيل بن محمد إسحق رحمه الله أيام قراءته عليه وقد خرج إلى الروضة وأقام بها في شهر رمضان في أيام التوكل لعلها سنة ١١٣٥هـ خمس وثلاثين ومائة وألف.

أنا لا أشكو جنايات النوى فبقلبي من نأى عني ثوى
لم يَفُتْنِي منه إلا منظرٌ هو للأحباب نُورٌ لا سِوَى

* * *

إنما يشكو النوى والبعاد من وداده مقصور على تواصل الأشباح ولا يتجرم من النوى إلا من لم تتعانق منه ومن أحبابه الأرواح

ما لِلنَّوى ذنبٌ ومن أهوى مَعِي إن غاب عن إنسانِ عَيْنِي فهو في قلبي

وأما ما قال فى طلبه لرؤية أحبابه

لِأَنْ أصبحت مُرْتَحِلاً بجسمى　　فقلبى عنـدكم أبداً مُقِيمُ
ولـكن للعيان لَطِيفُ مَعْنَى　　لذا سأل المعـايَنَةَ الـكليمُ

☆ ☆ ☆

فاستدلاله بطلب الـكليم لرؤية العيان ، مبنى على أن طلب الرؤية لنفسه لا لقومه الذين توهموا أن ذلك داخل فى حيز الإمكان ، وذلك البناء رأى أشعرى لا يرتضيه من مال إلى الاعتزال ، واعتمد ما أفاده دليل المقابلة والموانع من كون ذلك فى حيز المحال ، فأقسم بمن حل وداده الفؤاد ، ونزل منه فى السويداء ، ومن العين فى السواد

إن لى من ذكركم ياجيرة　　سكنوا سُوحَ فؤادى لا اللِّوى
شغلة عن فقـد قلبى وصلـكم　　فـكأن القرب والبعد سوى
فَوِدَادِى ذلك الودُّ الذى　　منه يستجدِيَ أربابُ الهوى

☆ ☆ ☆

كيف لا ، وصفات مولاى التى هى نور لايهتدى إلا بها الـكملا ، ولا يطمع فى الاقتباس منها إلا النجبا الفضلا .

لاعجيب فالذى فى مهجتى　　قد حوى من كل فضل ما حوى
فَرْعُ ساداتٍ نَشَا فى روضهم　　فاجتنى من كل فضل وَارْتَوى

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله ، فى حصر مايلحق الميت بعد موته

يجرى لمن قد حل فى لحده [١]　　أجور عشر عدها المصطفى
الولد الصـالح ، يدعو لهُ　　وعلمه النافع بين الورى
أو صدقات قد جرت أو قضى　　مرابطاً أو مسجداً قد بنى

---

(١) قوله : لحده : أى قبره .

أو مسكناً لابن سبيل ومَنْ لمصحف ورَّث لَمَّا نوى
وغرسه النخـــل وإجرائه نهراً وبئرٌ حُفِرَتْ فى الثَّرى
وسُنَّةٌ أحْسَنَ فى بَثِّهـــا فهذه عشر أتت لاسوى(١)

✲ ✲ ✲

وله رحمه الله فى القول بالموجب ــ مع المراجعة البديعية

كم قطعوا قلبى بسيف الجفا وكم رَمَوْهُ بسهام النـوى
قالوا سلا ، قلت الْكَرَى جَفْنُه قالوا جَنَى قلت ثِمارَ الهوى

✲ ✲ ✲

قافية الباء الموحدة

وقال ــ تغشاه الله بواسع رحمته ــ وعظية فى شهر ربيع الآخر سنة ١١٧٣

خَليلىَّ هُبَّا فالنسيمُ بكم هَبَّــــا وقد هتك الإصباحُ من ليلنا الحجبا
وأيقظ من زهر الرياض عُيونَها ورَقَّص من أغصانها تِلكُمُ القُضْبَا
كأن عيونَ الزَّهر للشمس أكْؤُسٌ ترى الطلَّ خمراً فهى تشرب به شُرْبَا
كأن الدُّجىَ جيشٌ من الزنج قد أتىَ على هذه الآفاق فابتَزَّها غصبَا
فسار عليه الصبحُ فى جيش ضوئه وسَلَّ عليه الفجرُ من أُفْقِهِ عَضْبَا
ألم ترفيه من دم الليل حُمْرةً أتنـكره واللوْثُ عنه به أنبا
وقد جعل الشمسَ المنيرةَ تُرْسَه مخافةَ عوْدِ الليل فى ثأره حربا
فأدبر مهزوماً وللضوء صــولةٌ تطارده حتى إذا بلغَ الغربا
فثار ظـلامُ الليل وابتزَّ تُرْسَه فولَّى هزيماً خائباً يلمس الجنبا

---

(١) لعله عد إجراء النهر وحفر البئر واحداً ، وإلا فهى إحدى عشر ا هـ منه .

ومازال ذا دَأْبُ الجديدين دائماً ... وقد أَبْلَيَا(١) من شاب منا ومن شبا
أرى كلُّنا يهوى الحياةَ لنفسه ... حريصاً عليها مستهاماً بها صبَّا
وما هى إلا عارة بنتُ ساعةٍ ... كما يتلاقى الهدبُ فى الرقدة الهدبا
فتستلب الأرواحَ قدرةُ قادرٍ ... ومن بعده الأشباحُ تودعها التربا
ونحن جنود للظلام وللضِّيَاَ ... ففينا ترى من حربها السَّلْبَ والنهبا
صحبناهما دهراً طويلا كأنما ... قطعنا به أعوامَ أَعْمارِنا وثْبَاَ
(ومن صحب الدنيا طويلا تقلَّبَتْ ... على عينه حتى يرى صِدْقَها كِذْبَاَ)
أرى هذه الدنيا تَصيَّدُ أهلَها ... فكم نصبتْ فيهم حبائلَها نَصْبَاَ
وقد جعلتْ حب الفتى الجاهَ صقرَها ... وحُبَّ الثنا والمالَ قد جعلت كلبا
إلى أن تراهُمْ فى حبائلِ مكرِها ... فَتُعرِضُ عنهم كلما طلعتْ غِبَّا
وتسلب من أعطتْهُ منهم نعيمَها ... فيادمع ما أجرى وياقلب ما أشْبا
وقد خدعتْهم عند إسعادهم لها ... كخدع قصير عند حيلته الزَّبا
أرى كلما فيه يدال بضده ... لها فى بنيها كل آونة أنبا
فلا تثِقَنْ يوماً بشىء تناله ... فعما قريبٍ قد رأيت لها سلبا
فكم لك من خلٍ خلت عنه داره ... ومن صاحب صاحت أحبته ندبا
وكم ملكٍ ضاق الفضا بجيوشه ... عياناً رأيناه وكنا له صحبا
أتاه الذى يهواه من كل مطلب ... كما شاء لا طعناً يكون ولا ضربا
فما رامه من أى شىء يناله ... فلو قال للسحب امطرى أسكبت سكبا
بنى غرفاً مرفوعةً ومنازلا ... يكاد سُمواً يرجم السبعةَ الشُّهبا
أقام بها فى خفض عيش ورِفْعَةٍ ... إذا ما دعا شيئا لدعوته لَبَّى
ولما قضى من كل شىء مرامه ... وزاد له حباً قضى عنده نحْبا

(١) أبليا : أفنيا .

وفارق ماقد شاد كرْهًا فأصبحت   وكورَ طيور لايجدن بها الحَبّا

فتغدوا خماصا منه تلتمس الغـذا   وتأوى بطانا حيث تلقى به الحبا

يمر بها من كان يهواه قائلا   (فديناك من ربع وإن زدتنا كربا)

فيا عجباً هذا قصارى نعيمها   فتبت يداه من نعيم بها تَبّا

ونبهنا ياعمرُو من غفلة بنا   لقد مازجت قلبا وقد خالطت لُبّا

وقد أكسبت هذى القلوب قساوةً   وقد غُرِست فى كل جارحة ذنبا

وقد أذهلت عن كل مافيه نفعنا   وقد جابت ماضرنا فيه فى العقبى

فلا [illegible] القلب المريض إلا بتوبة   محققة منا ونستغفر الربا

ونلبس هذا القلب ثوبَ ندامة   على ماأتانا من جناياته كسبا

وأرجو به حسن الختام مقدّما   صلاة على المختار والآل ذى القربى

* * *

وقال رضى الله عنه : وصل إلينا جماعة من الأعراب الصالحين السائحين .
مثل الشيخ مربد بن أحمد التميمي رجل من نجد له معرفة حنبلي المذهب قد هاجر في دمشق ثلاث سنين ومنهم السيد محمد المغربي العباسي من أهل تلمسان مالكي المذهب له معرفة جيدة في فقه المالكية ومنهم الشيخ أحمد بن صالح الرومي وهو حنفي وهؤلاء وغيرهم أقاموا لدينا وقرءوا علينا وكلهم قد ساح في الآفاق من بلاد الهند والشام وبلاد حلب ومصر ومنهم الشيخ عمر التركي من حفاظ كتاب الله وأخبرونا بعجائب من البدع الدينية وطمس الطريقة النبوية أمور لا تتسع لها الصدور ومن جملة ذلك أن جماعة في مصر يمشون عراة كاشفي عوراتهم بين الأمة ويعتقد فيهم عوام مصر والإسكندرية [illegible] كثيرة تلتمس العامة منهم الأدعية وذكروا [illegible] عجائب البدع التي [illegible] الكفر .

فقلت هذه الأبيات [illegible]

أما آنَ عما أنت فيه متاب   وهل لك من بَعْدِ البعاد إياب

تقضّت بك الأعمار فى غير طاعة ... سوى عمل ترضاه وهو سراب

إذا لم يكن لله فعلك خالصاً ... فكل بناء قد بنيت خراب

فللعمل الإخلاصُ شرطٌ إذا أتى ... وقد وافقته سنةٌ وكتاب

وقد صين عن كل ابتداع وكيف ذا ... وقد طيف الآفاق منه عباب

طغى الماء من بحر ابتداع على الورى ... ولم ينج منه مركب وركاب

وطوفان نوح كان فى الفلك أهله ... فنجّاهمُ والكافرون تباب

فأنّى لنا فُلكٌ يُنجّى وليته ... يطير بنا عما نراه غراب

وأين إلى أين المطار وكلما ... على ظهرها يأتيك عنه عجاب

نسائل مَنْ دار الأراضى سياحةً ... عسى بلدة فيها هدى وصواب

فيخبر كلٌّ عن قبائح مارأى ... وليس لأهليها يكون متاب

لأنهمُ عَدُّوا قبائحَ فعلهم ... محاسن يرجى عندهن ثواب

كقوم عُراةٍ فى ذرى مصر ماعلا ... على عورة منهم هناك ثياب

يدورون فيها كاشفى عوراتهم ... تواتر هذا لايقال كذاب

يعدونهم فى مصرها فضلاءهم ... دعاؤهُمُ فيما يرون مُجَاب

وفيها وفيها كلما لا تعده ... لسانٌ ولا يدنو إليه خطاب

وفى كل مصر مثلُ مصر وإنما ... لكل مسمى والجميع ذئاب

ترى الدين مثل الشاة قد وثبت لها ... ذئاب وما عنه لهن ذهاب

فقد مزقته بعد كل ممزق ... فلم يبق منه جثة وإهاب

وليس اغتراب الدين إلا كما ترى ... فهل بعد هذا الاغتراب إياب

فياغربة هل يُرتجى منك أوبةٌ ... فيجبر من هذا البعاد مصاب

فلم يبق للراجى سلامةُ دينهِ ... سوى عزلة فيها الجليسُ كتاب

كتاب حوى كلّ العلوم وكلُّ ما ... حواه من العلم الشريف صواب

فإن رمت تاريخا رأيت عجائبا ... ترى آدمًا إذ كان وهو تراب

ولاقيت هابيلا قتيل شقيقه يواريه لما أن رآه غراب
وتنظر نوحاً وهو فى الفلك قد طغى على الأرض من ماء السماء عباب
وإن شئت كل الأنبياء وقومهم وما قال كل منهمُ وأجابوا
ترى كلما تهوى فنى القوم مؤمن وأكثرهم قد كذبوه وخابوا
وجنات عدن حورها ونعيمها وناراً بها للمشركين عذاب
فتلك لأرباب التُّقاء وهذه لكل شقى قد حواه عقاب
فإن ترد الوعظ الذى إن عقلته فإن دموع العين عنه جواب
تجده وما تهواه من كل مشرب فللروح منه مطعم وشراب
وإن رمت إبراز الأدلة فى الذى تريد فما تدعو إليه تجاب
تدل على التوحيد فيه قواطع بها قُطِّعتْ للملحدين رقاب
وما مطلبٌ إلا وفيه دليلُه وليس عليه للذكىِّ حجاب
وفيه الدوا من كل داء فَثِقْ به فوالله ما عنه ينوب كتاب
وفى رُقْيةِ الصحب اللديغ قضيةٌ وقررها المختارُ حين أصابوا
ولكنَّ سكان البسيطة أصبحوا كأنهمُ عما حواه غِضاب
فلا يطلبون الحقَّ منه وإنما يقولون من يتلوه فهو مشاب
وإن جاءهم فيه الدليل موافقاً لما كان للآبا إليه ذهاب
رضوه وإلا قيل هذا مؤول ويركب فى التأويل فيه صعاب
تراه أسيراً كلُّ حبر يقوده إلى مذهب قد قررته صحاب
أتعرض عنه عن رياض أريضة ويعتاض جهلا بالرياض هضاب
يريك صراطا مستقيما وغيره مفاوز جهل كلها وشعاب
يزيد على مرِّ الجديدين جِدَّةً فألفاظه مهما تلوتَ عِذَاب
وآياته فى كل حين طَرِيَّةٌ وتبلغ أقصى العمر وهى كعاب
وفيه هدى للعالمين ورحمة وفيه علوم جمة وثواب

فكل كلام غيره القشرُ لا سوى ... وذا كله عند اللبيب لباب
دعوا كل قول غيره ماسوى الذى ... أتى عن رسول الله فهو صواب[١]
وعضوا عليه بالنواجذ واصبروا ... عليه ولو لم يبق فى الفم ناب
تروا كلما ترجون من كل مطلب ... إذا كان فيكم همة وطلاب
أَطِيلوا على السبع الطوال وقوفكم ... تَدِرُّ عليكم بالعلوم سحاب
وكم من ألوف فى المئين وكم بها ... ألوفاً تجد ما ضاق عنه حساب
وفى طىٍّ أثناء المثانى نفائسٌ ... يطيب لها نَشْرٌ ويفتح باب
وكم من فصول فى المُفَصَّلِ قدحوت ... أصولا إليها للذكى مآب
وما كان فى عصر الرسول وصحبِهِ ... سواه لِهدْيِ العالمين كتاب
تلا فصلت لما أتاه مجادلٌ ... فأُبلِسَ حتى لا يكون جواب
أَقرَّ بأن القول فيه طلاوةٌ ... ويعلو ولا يعلو عليه خطاب
وأدبر عنه هايماً فى ضلاله ... يدبر ماذا فى الأنام يعاب
وقال وصِىُّ المصطفى ليس عندنا ... سواه وإلا ما حواه قِراب
وإلا الذى أعطاه فهما إلٰهُهُ ... بآياته فاسأل عساك تجاب
فما الفهم إلا من عطاياه لا سوى ... بل الخير كل الخير منه يصاب
سليمان قد أعطاه فهما فناده ... يجبك سريعا ما عليه حجاب[٢]
وسل منه توفيقاً ولطفاً ورحمة ... فتلك إلى حسن الختام مآب

* * *

(١) وخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أعطيت مكان التوراة ، السبع الطوال والمائدة كل سورة بلغت مائة فصاعدا ، والمثانى كل سورة دون المائة فوق المفصل .

(٢) قال تعالى « ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما » منه :

وقال رضى الله عنه لمجروس جدة سنة ١١٣٥ هـ خمس وثلاثين ومائة وألف

آه ياقلبُ إلى كم ذا التَّصابى وإلى كم ذا التَّعامى والتغابى
لك فى كل صباح سكرةٌ من يد الآمال فى كأس السراب
ووساويس من الشيطان قد جعلتها النفس جمهور الخطاب
كن معدياً وكن مخشوشنا لا تكن ظرف طعام وشراب[(١)]
راقت الدنيا لعينيك وما هى إلا جيفة بين كلاب
فاصْحُ عن سكرك هذا وانتبه واقرع السمع بآيات الكتاب
واتله فى خلوة مَعْ فكرة سافحا دمعا من خوف العذاب
واهجر النوم سوى تعريسة واقرع السنَّ على عصر الشباب
وانفق الساعات فى العلم وكن آخذاً للعلم عن بحر عباب
سنة المختار فى تحصيلها قم بجد واجتهاد وا كتساب
لا تقل قد درست آثارها فادرس الآثار تظفر بالصواب
صدق المختار فيما قاله كم خطَّا نبه عنه بالخطاب
قد بدا الإسلام فى غربته ولقد عاد بذاك الاغتراب
فلقد مات على غربته وقضى نحبا لجودوا بانتحاب

✡ ✡ ✡

(١) أخرج أبو الشيخ وابن حبان والطبرانى وابن شاهين وغيرهم مرفوعاً « تمعددوا وخشوشنوا واحلولقوا وأصلو وامشوا حفاة » من المقاصد الحسنة
منه .

وقال رضى الله عنه لما تطاول معى عارض الإسهال وجاوز العام : بت ليلة الجمعة تاسع شهر ربيع الأول سنة ١١٧٣ هـ مهموماً فرأيت وقت السحر رجلا من تلاميذى جاءنى بكسوة عظيمة وقال : هذه من ناجى فانتبهت وقد اطمأن خاطرى وقد علمت أنها بشرى النجاة ، فدعوت الله أن يعمم النجاة فى الثلاث الدور ، دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار الآخرة ، وقلت :

بشرتنى بالنجاة يامَلَكُ له الثنا من جميعنا يجب

ياصادقَ الوعدِ فى بشارته والله ماحام حولها الكذب

عمم نجاتى مما أخاف بدنيـ ـاى ومما إليه أنقلب

من برزخ بعدها ومن فِتَنٍ من بعده كلٌّ شأنها عجب

بعث وحشر وموقف وبه صحف بها ماجنيت مكتتب

فَعُمَّ فى الدور بالنجاة وفى قبيح فعل تضمه الكتب

ولاتخص البشرى بعافية من وصب مَسَّنِى به النصب

بل عُمَّه فى الجميع لابرحت سحائبُ الجود منك تنسكب

تغسل سقماً وتجتبى نعما توزعنا شكرها وتحتسب

من شكرنا بذلنا الصلاة على المختـار والآل من له نسبوا

☆ ☆ ☆

وكتب — أسبل الله عليه سحائب الرضوان — إلى والده الزاهد العابد العلامة الفهامة العامل الفاضل إسماعيل بن صلاح الأمير رحمه الله ملتمساً منه دعوة فى شهر صفر سنة ١١٣٤ هـ أربع وثلاثين ومائة وألف .

عساه يرضى المغضب إن استقال المذنب

أم ليس لى من توبة يقبلهـا المؤنِّب

ياعجبا وكلمـا عشت يزيد العجب

من جيرة من حبهم قلب المُعنَّى ينهب
مارُمْتُ منهم مطلبا إلا وعـــزَّ المطلب
كم يبعدون كلمـــا أريد منهم أقْرُب
وكلمـــــا طلبتهم فى الشرق يوماً غرَّبوا
ناشدتهم فى مهجتى رفقاً بها لاتذهب
فأرسلوا من الجفو ن أسهماً تنسكب
لولا نحولى فى الهوى لـكان فيها العطب
لـكنه لم يبق فىّ ما يصيب الصُّيَّب
يابرق زُرْسُوحَ الحمى وسقـــه ياسحب
وأنت ياريح الصبا إن صافحتك العذب
وابتسمت زهورها فيها ودار الشنب
فقبلى منه الثرى فذاك حقاً يجب
واهدى إلىّ نشْرَها فهو الأريج الأطيب
عسى عسى بِرَوْحِه يذهب عنى الوصب
خياله من منزل لمثـــــله يشبب
لبست أثواب الصبا فيه وهن قشب
وكنت فى أيامه ألهو به وألعب
والآن كاد طيفه عن مقلتى يحتجب
لم يبق إلا طمع منه يغار أشعب
فى أن أرى تلك الربى ترقص فيها القُضُبُ
من فوقها حمائم بكل لحن تُطرِب
تـكاد تهتز لها وجداً هناك الـكثب

والنهر فى تصفيقه كأنه مشبب

ويح العذول قال لى فى وصفه كم تُطنب

فقلت من يعرفه لفقده ينتحب

فقال مهلا كم فتى فارقه لاينـــدب

فقلت ما كل فتى من الرجال يُحْبَبُ

قال ألم يجمعهم فى الأصل أم أو أب

قلت بلى لـكنه ليس يفيد النسب

فخـــاتم ومازن يجمع ذين يَعْرُبُ

وذا سحاب وَاكِفٌ وذا جماد خشب

وليس مثل باقلٍ سحبانُ حين يخطب

فذاك عىٌّ أبـكم عن نفسه لايُعرِب

وذا بليغ نحوه طوعاً تساق الخطب

ما كل سُحْبٍ ماطِرٌ ما كل برق يسكب

ما كل بدر دحية ما كل خُودٍ زينب

ما كل ماء كالعذيـــب كل حين يعذب

ما كل أرض طَيِّبَةٌ ما كل مصر حَلَبُ

ما كل ما يعلو الشرا ب فى الـكؤوس حَبَبُ

ما كل شخص كالضيا و إن تساوى الحسب

قطب وَلِىٌّ زاهد تسمو إليه الرتب

يستنزل القطرَ به قومٌ إذا ما أجدبوا

وإن دعا للمبتلى فهو الدوا المجرب

وفى العلوم شأوه لسنا إليه نثب

بفطنة وَقادة أخاف لاتلتهب
مع وقار كامل والله هــذا العجب
وشعره من رقة من الطروس يشرب
والزهد فى هذى الدنا لغــيره لا ينسب
لقد تساوى عنــده ترابها والذهب
ومؤثراً خمــوله على ظهور يطلب
آثر خـــدمة الذى إليه يُنْهَى المطلب
على ملوك مالهم فى الدين إلا اللقب
فــلا تراه سائلا هل قعدوا أو ركبوا
ولا تراه شاكياً منهم إذا ما احتجبوا
لذاك وجهت إلى علياه ما لا يكتتب
من كَلِمٍ أَفَقْتُه من كل معنى يجلب
أطلب منه دعوةً بها تُزَال النُّوَب
وأرتجى ممن إلى جنــابه ننقلب
يلحقنـا به ومن رجاه لايُخَيَّب
قد قال ألحقنا بهم وقوله لا يكذب
ثم سلام نَشْرُه من كل نشر أطيب
من طيبه أرجاؤكم لابرحت تختضب

* * *

وله ــ رحمه الله ــ إلى المولى العلامة ، السيد ضياء الدين ، هاشم بن يحيي الشامي ، رحمه الله :

هل جرى مني لذا الهجر ذنوب   لا لعمري بل هو الحظ الكئيب
أم وشي واش بأمر مفترى   ليت شعري أنت للواشي تجيب
أم هي الأيام في أفعالها   إنما الواشي منها والرقيب
أم جرى مني ماعَنِّى خفا   فمتاب الخِلِّ للخِل يطيب
أم أرى طبعك حاشاك به   مَلَلٌ عن غير شيء[1] يستريب
أين بشراك إذا لاقيتني   أين تفتيشك عني إذ أغيب
أين إطنابك إن خاطبتني   أين إدلالك قل لي ياحبيب
أين وجه باسم غيبته   لا لوجه ماله وجه قطوب
كن كما شئت فعهدي صادق   ووادي ثوبه ثوب قشيب
إن ذوى غصن ودادي عندكم   فودادي غصنه غصن رطيب
هب بأني مذنب ياسيدي   مثل ذنبي يسع الصدر الرحيب
إن أكن أذنبت في حبي لكم   فأنا والله عنه لا أتوب
ولقد أذهبت وعدي فكرة   ليت شعري ما الذي منه تعيب
لم أميز ما الذي أنكرته   حالكم في جفوتي حال عجيب
وسلام الله يغشى ربعكم   ما أقيلت عثرات وذنوب

* * *

وكتب إليه رحمه الله من « شهاره » أيام إقامته فيها :

حي الحمى ومنازل الحب   وأسأل به الأحباب عن قلبي
وانزل إزال فإنهم نزلوا   منها بسفح الجانب الغربي

---

(١) في نسخة « واش » بدل « شيء » .

نزلوا بها غرفاً قد اعترفت بسموهن منازل الشهب
فسقى منازلهم دموع فتى أغنت مدامعه عن السحب
صب إذا هبت بنشرهمو ريح الصبا فلقلبه تصبي
والبرق أدرك من إشارته معنى أفوز به على صحبي
وأراه مبتسماً فأحسبه سراً يُسِرُّ إلىَّ عن سربي
وأخال أن الْوُرْقَ إذ هتفت في الروض عن وجدي به تنبي
ياصاحبي أعندكم مقـــل تهب الدموع لمقلة الصب
قد كان يبذل دمعَ مقلته هبةً ويسعد كل ذي حب
أيام ماملك الغرام بهــا عقلي ولا أخـــذ الهوى لُبِّي
فدعا به داعي الغرام ومن شأن الغـــرام إذا دعا لبي
والآن أوجب لى الغرام أسى إن طال أفضى بي إلى سلبي
قد رق لى كل سوى زمني فأراه يسعد في الجفا حبي
لاتسمع الشكوى لديه ولا يرثى ولا يصغى إلى عتبي
إن كان ذنبي فرط حبهمُ فأنا المصر إذاً على ذنبي
حبي لهم فرض كمدحي للمـــولى الإمام الفاضل الندب
بحر النـــدى والعلم أفضل من أقرى فَرِدْ من بحره العذب
عَلَمُ الذكا والحفظ فطنته أنست بسعد الدين والشعبي
كالقطب في علم وفي عمل لا بل سما قدراً على القطب
وتراه عيناً في العلوم فمـــا يأتي له الكعبي إلى الكعب
علامة الدنيـــا وزاهدها فلديه تبر المـــال كالتُّرب
وخـــلائق ما الروض يشبهها فبلطفها لذوى النُّهَى تسبي
ووفاؤه طبــــع وكل فتى فوفاؤه إن كان بالكسب
أشكو إليك نوًى تطاول بي وأطال في همي وفي كَرْبِي

تَرِبت يدا دهرى يعاملنى بالبعد عن وطنى وعن تِرْبى
فكأننى كرة تقاذف بى. كفــاه فى شرق وفى غرب
قسراً بهذا البين قد رضيت نفسى لخوف الذل فى القرب
ولها إذا اشتـــد الأسى ثقة بالله فهو على الأسى حسبى
منه أُرجِّى الوصل عن كَثَبٍ بالدار والأحباب والصحب
وبدعوة منـكم تحـل بنا ما حل من عقد ومن خطب
لا زلتَ يارب العلوم على رغم العـدا فى الفضل من ربى

* * *

وله ـ رحمه الله ـ إلى شيخه القاضى ، العلامة على بن محمد العنسى رحمه الله

بالله ياريح الصبا مُرِّى بها تيك الربى
معاهداً عهدى بها منذ الشباب والصبا
معاهداً كم حَنَّ قلـ ـبى نحوهن وصبا
معاهداً بها الأسو د خاضعات للظبا
فكم بها من أغيد عن العيون حجبا
إذا بدا حسبته بدراً يشق الحجبا
وخده قد جمع المـ ـاء به واللهبا
وقـــده كأنه غصن النقا مقتضبا
ما اهتز لينا قَدُّه إلا اهتززت طربا
وكم أبيت فى الدجى لطيفـــه مرتقبا
أيطرق الطيف فتى منامـــه قد غصبا
ولا يزال دمعـــه فى خده منسكبا
لا لفراق غادة تُرِيك ثغراً أشنبا
بل لفراق ماجد حاز العلى والأدبا
من طاب أصلا وسما فرعاً وابناً وأبا

أخلاقه تحكى نسيماً صافحت زَهْرَ الربى

✡ ✡ ✡

إمام معقول . . . .

قال فى الأم لم أجد بقيتها :

وله ــ رضى الله عنه ــ إلى السيد علامة الإسلام ، القاسم بن أحمد العيانى رحمه الله ، كتبها إليه من صنعا ، إلى المواهب

خليلىّ سيرا بى إلى ذلك السرب فثمة ظباء فيه نهبت لبى
وإلا فعوجا واسألا عن أحبتى وقولا لهم لِمْ بالجفا قطعوا قلبى
ولا تسألا عن مهجتى فأنا الذى سمحتُ بها لكن سلاهم عن الذنب
على أنه ما كان ذنبى سوى الهوى فياعجباً إن كان ذنبى من الحب
وحق الهوى ما لذَّلى بعد بُعْدِكم سوى ذكر ذاك الوصل فى ذلك القرب
فما بالهم لم يذكروا عهد وُدِّنا ولم ينصفونا بالجواب عن الكتب
ألم يعلموا أنى على حفظ وُدِّهم مقيم ولو غُيِّبْتُ فى باطن الترب
ألم يعلموا أن ادِّكار ودادهم ألذ على قلبى من البارد العذب
ألم يعلموا أنى أكاد لذكرهم أطير ولكن لا جناح لذى جنب
ألم يعلموا أنا اتحدنا عقيدة فما أنا جهمىٌّ ولا أنا بالكسب
وقد طالما فتشتُ كل دقيقة وساءلت عنها كل ذى فكرة ندب
وأنفقت ريعان الشبيبة والصبا أفتش عن دُرِّ الفوائد فى الكتب
ولكنّ طبع الدهر خفض ذوى العلى ورفع ذوى جهل وتعظيم ذى نَصْب
فإن كان ما بينى وبينك عامر فلست أبالى بالجفاء من الصحب
لأنك أعلى الناس عندى مكانةً عليك سلام ما سرى البرق فى السحب
ولا زلت فى مجد وعز ورفعة يساق إليك الخير فى المنزل الرحب
ولا زلت فى أفق الكمال مُصدَّراً كتصدير اسم الله فى أول الكتب

✡ ✡ ✡

كتب السيد العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله من السجن إلى مولانا البدر رضى الله عنه وهو فى بئر العزب مع السيد الضيا إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله وضمنها سؤالا فى أنه كيف طاب لأولئك الخروج إلى الرياض وإخوانهم فى السجن وكيف لاق ذلك للسيد إسماعيل بن محمد ووالده فى السجن فأجاب عليه مولانا البدر

إلام أرى عاذلى فى تعب ... ألم يدر أن الهوى قد وجب
وإن العتاب على حب مَنْ ... سبانى وللروح منى سلب
جنون فـدعنى ياعاذلى ... فشعبان أنت وسمعى رجب
فلم يخلق الله غصن القوا ... م وورد الخدود ودر الشنب
وتلك العيون وتفتيرهـا ... وتلك المحاسن ألا تحب
فما للعذول يطيل الفضو ... ل له الويل مما جنى والحرب
فلو نظرت عينه مهجتى ... ونار الغـــرام عليها تشب
لأجرى الدموع لهـا رقة ... وكان إلى الوصل أقوى سبب
ولكن لإفـــراط تغفيله ... وغفلته عن شروط الأدب
يصب إلى السمع مُرَّ الملا ... م وقد شاهد الدمع منى يصب
وأقسم ما الخمر فى كأسها ... تدار متـــوجة بالحبب
ولا الوصل من بعد طول الجفا ... يكون بـلا موعد يرتقب
ولا الأمن من بعد خوف أتى ... وحلو الرضا بعد مُرِّ الغضب
ولا الروض رقَّصَ منه الغصـون نسيمُ الصبا سَحَراً حين هب
ولا فرج عاجـل منقذ ... لقلب غدا فى بحار الْكُرَب
ألذ وأحلى إلى القلب من ... نظام سليل الملوك النخب
نظـام تراه إذا ما أدير ... يُرَقِّصُ سـامعه بالطرب
ويُزرى بقُسٍّ ومَن بعـده ... ومَن قبل مِن فصحاء العرب
فيا ملكا شاد رَبْعَ العلى ... وأحياه من بعد ما قد ذهب
بعثت بنظم غدا مزريا ... بأزهار روضات بـئر العزب

فأغصانها راقصـــات به ... كما رقَّص الصبَّ بنتُ العنب
وأنصت الورق لما أتى ... وكانت تغرد فوق العـذب
وظلت عيون زهــور الريا ... ض إلى رقه شاخصات عجب
وقال أفتنا فى فَتًى ماجـدٍ ... كريم السجايا شريف النسب
صبًّا لنسيم الصبا إذ سرى ... وملَّاك مقوده من جـــذب
وأمسى وأصبح فى راحـة ... ووالده فى أشــد التعب
فقلت استمع لجواب السؤا ... ل فذلك حق علينا وجب
وقل ذا دليل بأن الفتى ... شديد الوفا بشروط الصحب
لطيف الطباع صبور لما ... قضاه الإله وما قد كتب
عليم بأن اصــطبار الفتى ... سيعقبه الرَّوْحُ بعد النصب
وأما أبوه إمام العـــلى ... وما مسه من رهيج التعب
وما مسه من يد النـــائبا ... ت وتبًّا لها من يد ثم تب
وما مس إخوانه الراكبـ ... ين من المجد كل أغرّ أقب
فذلك عارضُ سحبٍ أتى ... ليعرف مقدار من قد حجب
فإن السحاب تغطى الشمو ... س ويعلو الدخان شبا اللهب
وعما قريب تجـلى السحا ... ب وتجلى عن القلب تلك النُّوَب
فـكم من فتى بات فى سجنه ... وليس له فرج يرتقب
كيوسف صِدِّيقِ رب السما ... به قـد أقام لوهم الريب
ومن بعده صار أهل الدُّنا ... تُقبِّل نعليه قبل الرُّكَب
وملك حقاً رقاب الرجا ... ل وذاق حلاوة عقبى الـكرب
وخر له ساجداً مَن غـدا ... يشب له قبل نار العطب
وهذا الذى مسَّ منه الجفا ... علا كم أقام به واكتأب
وكابد ضـيق مكانٍ به ... وضيق المعاش وقبح الرتب

وعاد إلى ما تُرى ليتــه أقام لنا شرعه المنتخب
وأحيا رسوم الهدى والتقى وجدد ما عمــه قد خرب
ولـكن من مال نحو الهوى سيلقى غداً كل ماقد كسب
فصبراً على نائبات الزمان إذا شئت تشرب كأس الضَّرَب
فلو علم العبد عقبى الجفا سعى فى اكتساب الجفا واجتلب
ستطلع شمس جزا الاعتقال ونجم حسودكم قد غرب
وسامح فنظمى قريب النتاج سريع ولادته مقتضب
فأنت بنظمك أعجلتنى وأخجلتنى يارفيع الرتب
بعثتم لنا عقــــد در النظام فـكان الجزا سبحة من خشب
ولازلت بدراً لعين العلا وروحاً لجسم علوم الأدب

* * *

وله رحمه الله جواباً على السيد شرف الإسلام رحمه الله وقد وصل منه من سجن صنعا فى شهر صفر سنة ١١٤١ هـ إلى حصن شهارة ورقة وريقة وعبارات رشيقه فعجب لمسراها وأنى تخلصت إليه وباب السجن دونه مغلق؟ فـكتب فى صدر جوابه .

أتى من أسير للغريب خطاب وقد حال بَيْنٌ بيننا وحجاب
أتاه فأحياه وقد كان ميتاً يكاد عليه أن يهال تراب
فـكل شراب ليس فى الذوق سائغ وكل طعام فهو عندِىَ صاب
ولِمْ لا وفى بطن السجون أحبة لديهم فؤادى فى السجون مصاب

* * *

وله ـ رضى الله عنه ، ووجهها إلى أحد إخوانه

هو الهوى فاصطبر فيه لما يجب من حر نار على الأحشاء تلتهب
ومن غرام ومن وجد ومن أرق ومن دموع على الخدين تنسكب
ومن نحول لجسم كان فى دعة ترى السقام به يسرى وينسحب
ومن عتاب عذول كله سَفَهٌ ومن فؤاد على أحبابه يجب

إن كان تعذيب قلبي فى محبتهم ... يرضيهمو فلهم فيه الذى طلبوا
لقد تقرر فى الأحشاء حبهم ... سيان عندى إن شطوا و إن قربوا
هم منيتى وأحبائى ومُطَّلبى ... عن حبهم ليس قلب الصب ينقلب
ياجيرة كلما زدناهم شغفاً ... زادوا بعاداً فأنَّى يدرك الأرب
هل فى خيامكم من مهجتى خبر ... فإنها بعدكم فى الأرض تضطرب
رِقُّوا لها فهى فى آثاركم رحلت ... ومالها غيركم فى الأرض مُطَّلب
ويارياضاً تنزهنا بساحتها ... أغصانها كل قَدٍّ هزه الطرب
قد أثمرت كل بدر لانظير له ... من نوره تستمد الشمس والشهب
قاس على كل من رقت مدامعه ... مصدق كل واش قوله كذب
لا والهوى وليال بالنقا سلفت ... ماغير حبكم للقلب يجتلب
قد كنت أحسب أن الصبر يسعدنى ... فخاننى بعدكم ما كنت أحتسب
لم يبق لى غير آمال تشوقنى ... إن المنى رقية تشفى بها الكرب

* * *

وله رضى الله عنه إلى السيد العلامة الضيا إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله :

أترى يعود من الحمى قلبى ... أم لا فهل عنه الصبا تنبى
عهدى به مذ ودّعوا سحراً ... ونأوا عن الأجفان بالحب
تالله ما ارتحلوا مطيهم ... إلا وأرواح مقدم الركب
فبقيت آونة أعض يدى ... وأخط آونة على الترب
متعرضاً للبرق أنشده ... يابرق حيِّ منازل السرب
واشكر يد الأنوا فما برحت ... تدنيك أدنى الصب للصب
فلقد حسدتك ماترى أبداً ... إلا وأنت معانق السحب
مازلت مبتسما فهل فرح ... ذاك التبسم منك بالقرب

وأنا حليف ضنى يؤرقنى ذكراهم وأغص بالشرب
ماغير أصداء تجاوبنى صوتى وتندب فى الهوى ندبى
إن قلت واكربى سمعت لها رداً علىّ تقول واكربى
فاغترت أحسبها تشاركنى فى حب من ملكتهم قلبى
والصبر أجدب بعد بعدهم وبقربهم قد كان فى خصب
وانهل طوفان الدموع نخذ ماشئت من خدى بالغَرْبِ
وسقى مكان الصبّ منهملا لما رآه روى من الجدب
واقد شجانى صوت صادحة غنت على الأغصان بالشعب
لله ماأحلى مواقعه فى السمع عند تضايق الكرب
باتت تطارحنى فهل عرفت مثلى بقدر مواقع الحب
ومعنِّف وافى يعنفنى ويطيل فى التبكيت والعذب
متشبثا بالنصح يزعمه كتشبث الجبرى بالكسب
فطفقت أهزل فى الحديث به وأقابل الإيجاب بالسلب
لله ماأحلى مغالطتى إذ قال ماتخشى من الذنب
قلت النظام كتبت أحرفه نحو امرىء بصفاته يسبى
نحو الضيا صدرت أسطره وإلى رفيع جنابه كتبى
لم أرض جيداً غيره أبداً لعقود هذا النظم من صحبى
أنّى وليس فتى يشابهه وابحث وسائل كل ذى لب
مازال مذ شعرت مشاعره نحو العلى والمجد فى وثب
حتى أناف على معاصره وحوى العلى بالإرث والكسب
فالمكرمات عليه عاكفة كعكوفه بدقائق الكتب
قد صار عيناً فى العلوم فلا تعدل إلى التشبيه بالكعب

والنظم إن أجرى البراع به أنساك لطف رقائق الهبِ
وله من الأوصاف أعذبها فاحذره من التشبيه بالعذب
لا يستطيع حسابها قلمى بمداده فإلى هنا حسبى

✲ ✲ ✲

كتب السيد ضياء الإسلام إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله إلى السيد العلامة الزاهد ضياء الدين إسماعيل بن صلاح الأمير رضى الله عنه أبياتا من هجرة شاطب بائيه موصولة بكاف الخطاب وأجاب عليه فلما اطلع مولانا البدر رضى الله عنه عليهما قال مقرضا لهما بنثر لم يكتبه ونظم هو قوله مخاطباً صاحب الابتدا .

ياضياء الدين يامن مجده من نضار المجد والعليا سُبِكْ
قرع السمع نظام منكم هو عندى نخبة من نخبك
رام فكرى ضلة من عقلة أن يدانى رتبة من رتبك
ويجارى إذ يجاريك وقد عجز الماهر أن يلحق بك
قلت دعنى من تجاريك وقف وأرحنى واسترح من تعبك
واستمع نظم جواب خلته بالمنيرات من الشهب حُبِكْ
أيها النظم الذى أدهشنى إن فكرى قد غدا من سلبك
قل لمن رام عراضاً لكما هذه أمنية من أشعبك

✲ ✲ ✲

وله رضى الله عنه مهنئاً للسيد العلامة بن محمد بن إسحق رحمه الله بالقدوم إلى صنعا من شاطب بعد طول الغيبة عنها لعل ذلك فى رجب سنة ١١٤٩هـ ولعله رجب سنة ١١٣٩هـ .

لك البشارة هذا منتهى أربى من الزمان وهذا كل مَطْلَبى
وذا نهاية آمالى وجملة ما أرجوه من زمنى فى سالف الحقب

فليت شعرى أصدق ما يقال لنا ... من اللقا واجتماع الشمل عن كثب
أفق أفق أيها القلب الذى عبثت ... به الصبابة بين اللهو واللعب
واعلم بأن الذى مازلت تطلبه ... قد نلته فاتئد من بعد فى الطلب
وقل لدهرك لاعتب عليك وإن ... روعت بالبين قبل اليوم والتعب
فاذهب فإنا عفونا عنك ما كسبت ... كفاك من ألم التشتيت والنصب
فسيئات الهوى بالوصل قد محيت ... والذنب يغفر بالآتى من القرب
كسوتنى حلل البشرى مطرزة ... بمنية القلب لا بالخز والذهب
فالحمد لله ماعينى بدامعة ... من الفراق ولا قلبى بمضطرب
أحييت لى روض أنس طال ماعبثت ... ريح الندى بالأغصان والعذب
هبت فأحرقت الروض النضير به ... وصيرت غصنه المخضر كالخشب
فالآن أغصان روض الوصل مائلة ... وللبلابل تغريد على القضب
فهن صنعاء مانالت وسام بها ... مصرا و بغداد والمعمور من حلب
بمقدم الملك البحر الذى شرقت ... به المعالى إمام العلم والأدب
من حاز بالاجتهاد الجد مكتسبا ... وحازه بالتلقى عن أب فأب
فإنه فرع أبآء سمــوا شرفا ... واستوطنوا ذروة العليا من الرتب
حوى العــلوم بتحقيق وحافظة ... إذا روى قات هذا الحافظ الذهبى
أربى على السعد فى عـلم البيان كما ... نال الذى لم ينله الفاضل الشلبى
أما المـكارم فانسبها إليـه فما ... لغيره نسبة فيها من النسب
هب أن عندك شـكا فى مواهبه ... فسله ماشئت من معروفه يهب
يجود بالنفس فى يوم الـكفاح وسل ... عنه الرماح تحدث عنه بالعجب
كأنه الجبل الراسى إذا اشتجرت ... سمر العوالى وجدّ الناس فى الهرب
وكم عسى أنا أملى من محاسنه ... ومن يرم حصرها فى النظم فهو غبى
فقابل النزر فضلاً بالقبول ولا ... تـكشف معانيه واسترها ولا تعب

وخذ من النظم مالا أرتضيه ولو ... قـدرت زينته بالدر والشهب
فإن حقك عنـدى لا يفى به ... نظمى ولو كان معدودًا من النخب
بقيت فينا جمالاً للزمان به ... تحيى العلا ورياض العلم والأدب

* * *

وله تغشاه الله برحمته جوابا على السيد العلامة ضياء الدين إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله كتبها إليه من هجرة شاطب ولعله عاتب شيخه البدر فيها وجعل فى الكتاب تربه جمرا على عادة الخلفاء من بنى القاسم فى اليمن :

نحوى قد وجهتها كتائباً ... مملوءة ألفاظها مقانبـــا
فى كل لفظ أسد يخاله ... سامعها للافتراس واثبـا
كأنمـا ألفاظها آجامها ... فعدّ عنها حـــذراً مجانبا
كأنها جيش أجش مغضب ... سلّ على أقرانه القواضبا
كأنها صواعق محـــرقة ... قرطاسها تحسبه سحائبا
ظننته من قبل فض ختمه ... قد جاءنى معاهـداً مكاتبا
فراعنى لمـا رأيت شكله ... ملطخاً بجمرة جوابنـــا
أشعـرنى بأنه ماجاءنى ... مسالمـاً بل جاءنى محاربا
رفقا بنا رفقا بنا فإننا ... نميل عن سفك الدماء جانبا
لا فَرَقاً منها ولا تهيُّباً ... فليس مثـلى للمنايا هائبا
فإننى من عصبة تخالهم ... من فوق هامات العلى عصائبا
كم قطَّروا من بطل وكم وكم ... قادوا على أعدائهم مواكبا
سل عنهم حصن ظفار ثم سل ... مشارق الأقطار والمغاربا
كم حرروا للعلماء من كتب ... وللعدى كم وجهوا كتائبا
لو كان لى مثلهم عصابة ... لم يبق ربع الدين فينا خاربا
لكن أبى الدهر الخؤون أن يرى ... فيه لأهل الحق سهماً صائباً

أظن فيه كل ظن حسن   فلا يعود الظن إلا خائبا

وكلما صادقته مصادقاً   عاد عدواً خائنا مكاذبا

محاسنى يعدها مساوياً   مما دحى يردها مثالبا

والى أناساً قد غدوا على الهدى   وأهله بما أتوا مصائبا

فيا ابن ودى قف تجد عجائباً   واستقرو من أخبارهم عجائبا

وابك على الدين الحنيف راثياً   مما جنوا فقد ثوى ونادبا

حاشا فريقا فارقونا خفية   واستوطنوا بعد أزال شاطبا

لو كانت الدنيا سماً لأصبحوا   وهم على أرجائها كواكبا

راحوا يردون الهدى إلى الصبا   من بعد أن قد صار شيخا شائبا

فمالت الأقدار عن إسعادهم   ولم تقد نحوهم المطالبا

والحكم للأقدار فاصبر قائلا   سبحان من قدرها مواهبا

لكنهم لم يتركوا سجية   بها عليهم لا أزال عاتبا

وهى أساليب ذويهم ليتهم   لا يعرفون لهم أقاربا

وانظرا إلى نظم آتى منادياً   إن القرابات غدوا عقاربا

أطال فيه شاكيا منهم كما   أطال إذ خاطبنى معاتبا

يا راكباً يطوى الفلا إليهم   مجاوزاً فى سيره السباسبا

قبل ألفاً للندى قد ألفت   تحسبها قد خلقت سحائبا

واخصص ضياء الدين من بينهم   لأنه قد خصنى مكاتبا

وقل له وافى النظام شاكيا   وشاكراً ومادحاً وعاتبا

يلوم لم نصحته مخشنا   وما بذا يهدنى مخاطبا

خشنت نصحى تارة وتارة   يكاد من لين يكون ذائبا

ولم أزل فى نصحهم مبالغاً   مشافها حيناً وحيناً كاتبا

وقد قبلتم بعضه بقولكم   والفعل للقول أرى مجانبا

ولم تخص فرقة نصيحتى   فكم أناس قمت فيهم خاطبا
والنصح فرض لازم إن لم تطق   أن تعمل الأرماح والقواضبا
هذا وقد شوقتنى إلى ربى   منازل كم لى بها مآربا
وقلت لى من ذا أراه مسعداً   يحث نحو مكة النجائبا
من لى بها من لى بها ياليتنى   ضربت فى أكنافها المضاربا
أرض إذا سرت بها ريح الصبا   ضمخ منها تربها الترائبا
تكاد أفلاك السما تلثمها   وجداً وتلقى نحوها الكواكبا
سقياً لدهر سرنى بقربها   وساق لى ما كنت منه طالبا
يخدمنى بالعين فيما أشتهى   فلا أرى عما أروم حاجبا
أقمت فيها مقرئاً وقارئاً   مطارحاً لأهلها مصاحبا
مطالعاً مؤلفاً وطائفاً   حول الفناء من ذنوبى تائبا
لو ساعدتنى النفس مافارقتها   ولا ارتحلت عن رباها غائباً
وإنما حب الفتى أوطانه   بالطبع للقلب يكون غالباً
ما خطرت بقلبه إلا انثنى   شوقا إليها للدموع ساكباً
يذكر أيام الصبا وعيشه   بطيبه مضمخاً ذوائبا
عسى الضيا يعيد لى سكونها   مصفيا فيها لنا المشاربا
من حاز مجداً ماحواه غيره   فلم يدع لغيره مناقبا
لا زلت عيناً للعلوم والعلى   تحيي لنا ما كان منها ذاهباً

* * *

وله رضى الله عنه إلى والده رحمه الله بعد أن وصل منه تعريف وكان عند بعض الأصدقاء يتضمن أنه قد وصل إليه تعريف من بعض القضاة من أجل دعوة فأجاب بالإسعاد .

قد أصبتم ياسيدى بالجواب   ورميتم والله عين الصواب
غير أنا فى دعوة الفاضل الندب   إمام الكمال فى كل باب

وأراه لا يسعد اليوم هذا	لقضا حق أصدق الأصحاب
فاعتذر لى وإن يكن ذا وفاء	جاءنا بالعشا إلى أحبابى
و إذا خاف شؤم حبس وقصر	ودفاعا عنـا من الحجّاب
فالفلوس الفلوس أنفع شىء	فهى أقصى مطالب الطلاب
يبذل المال من أراد اتصالا	أو يوافى على جناح الغراب
أو يؤخر عشاءه فهو أولى	إن أحب الضياء ترك عتابى
وسلام عليـكم وعلى من	جاءكم فى العشى من أصحابى
فاعذرونا وإن جنينا فإنا	قد جنينـا محاسن الآداب
وأجب سيدى علينا بنظم	رائق دونها كؤوس الشراب

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله إلى السيد العلامة الضيا إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله .

هل ينـال القلب ما طلبا منكم ياجيرة نقبا ورد الدهر ما سلبـا
فيؤدى بعض مايجب

فجفونى بعدكم سفحت عبرة فى الخد قد عبرت لوإليكم وجهت لسقت
أرضكم واخضرت الكثب

ليت شعرى هل هم و علموا أن نار الوجد تضطرم ودموع العين تنسجم
وفؤاد الصب يلتهب

ليت شعرى والحديث شجون هل إذا طال البعاد يهون ما بقلبى منكم و يكون
هجركم فيه هو السبب

قسمًا بالحجر والحجر و بكتب الله والسور وحديث الرسل والأثر
مالنا فى غيركم أرب

أنتم سُؤْلى ومُطَّلبى و إليـكم منتهى طلبى حاضر فى القلب لم يغب
ذكركم والقلب ينقلب

عاذلى خل الملام ولا تكثر التفنيد والعذلا لو عرفت الحال كنت إلى
وصل من أهواه لى سبب

يامطيل الخوض فى عذلى طامعاً أن سوف تحدث لى سلوة عمن هُم أملى
خوضكم عندى هو اللعب

أترانى سالياً لهوى رشإٍ كل الصفات حوى فلذا عنه الجمال روى
أن منه صار يجتلب

رب برق بالعقيق شرى فجرى من مقلتى وشرى من جفون الصب لهيب كرى
مثله ماباع مكتئب

عبرت عنا النسيم وقد ضمخت من نشرهم فوقد لهب لايصطليه أحد
فى فؤاد مسه النصب

سائلى عمن بهم شغفى وبهم إن أعرضوا تلفى أصخ لى سمعاً هنا وقف
إن شأنى كله عجب

الذى أهواه منفرد بصفات المجد متحد مثله فى الناس لا تجد
فإليه ينتهى الطلب

الضيا بخل الكرام ومن حدثت عنه الرماح وعن علمه سراً لنا وعلن
كم تفاجينا به الكتب

ماجد قد أعجز الكبرا أن يدانوه فلست ترى فى بنى الدنيا له نظرا
ليس فيما قلته كذب

فهو فى علم اللسان إمام فاق فى تحقيقه ابن هشام وله فيما سواه مقام
دونه فى الرفعة الشهب

بحر جود رده مغرفا جوده ينسيك من سلفا من كرام الناس والخلفا
فإليه الجود ينتسب

✲ ✲ ✲

وله رضى الله عنه جوابا على السيد العلامة فخر الدين عبد الله بن إسحق رحمه الله عن أبيات وصلت منه إلى مولانا البدر إلى شهارة من قصر صنعاء وهو مسجون به فى شهر المحرم سنة ١١٤٤ هـ .

مرحبًا يامرحبًا يامرحبا بنسيم هب من تلك الربى
أرّج الأرجا نشر دلنى إنه من نشر سكان قبا
ذكّر الصب بأيام الصبا فصبا وازداد منه وصبا
هات هل عندكم منهم خبر شنف الأسماع عنهم بنبا
ليت شعرى ذكروا عهد فتى مايرى غير هواهم مذهبا
كان من قبل الهوى مجتهداً فارتضى فى الحب تقليد الظبا
مالها مرعى سوى قلبى ولم ترض إلا دمع عينى مشربا
أرتضى تعذيب قلبى فى الهوى ليس قلبى عنكم منقلبا
قسماً لو قطعونى إرباً ثم لم أقض لديهم أربا
لم أزد إلا غرامًا وجوى وفؤادا خافقا مضطربا
إنما أرجو وحسبى شرفا أننى فيمن هواكم أحسبا
كأن قلبى وحده يهواكم فسرى حبكم وانسحبا
فغدا كلى لقلبى فى الهوى كل عضو بكم قد شببا
آه من ليلة وصل سلفت ليتنى راقبت فيها الرقبا
أنا أشكو وصل من تيمنى عكس ما يشكو منه الأدبا
وأذم الدهر إذ ساعدنى بسعاد فرشفت الشنبا
فزمان الوصل لاسقياً له كان فى تعذيب قلبى سببا
ليتنى لم أر منه حاجبًا لسلوّ القلب منه حجبا
وعيونًا ماضيات لا أرى غير قلبى لظباها مضربا
وإذا هزت قوامًا مائلاً فله أهتز كلى طربا

أرسلت ليلا من الشعر غدتْ　　فيه أقراط حلاها الشهبا
نغم الأوتار من منطقها　　فإذا ماشئت لحنا أعربا
ساعة قد أسعدتنى باللقا　　وجفتنى بعد هذا حقبا
أزمان الوصل سحقاً لك من　　زمن ماكنت إلا نصبا
أسفى ما كان أغنانى عن　　ذورتى ليلى ووصلى زينبا
حزناً ياقلب قد أورثتنى　　وملأت القلب منى كربا
إنما ألهبت نيران الهوى　　ثم وليت تشب اللهبا
وملأْت القلب أطاعا بما　　لم يداخل قبل هذا أشعبا
أسأل الريح وأرتاح إلى　　رؤية البرق إذا ما التهبا
وأخال الورق فى أوراقها　　هتفت شوقاً إلى أهل قبا
وأنا ذا وهذا هل لكم　　فى فتى عن أهله مغتربا
كان فى أرغد عيش ناعم　　لا يرى بين الورى مكتئبا
بين إخوان هم أهل الوفا　　وإليهم لاسوى قد نسبا
ما حسبت البين يدنو بيننا　　فأتى مالم أكن محتسبا
فاجتمعنا برهةً فى نعمةٍ　　ثم صرنا بعدها أيدى سبا
سكن الأحباب قصراً شامخاً　　قصَّروا عن كل خل مجتبى
بل من الريح به قد قصروا　　فإذا وافى إليهم أدَّبا
يفزع الطير إذا مر بهم　　فيولى عن هواهم[1] هربا
هم عيون الناس لاغرو إذا　　حاجب عنهم لهم قد حجبا
وسكنا بعدهم سامى الذرى　　قد لمسنا من سناه الشهبا
ينشر البرق على أكتافه　　حين يعتم هناك السحبا

---

(١) وفى نسخة « رباهم » .

تحسب الجوزاء قنديلا به | بأعالى سقفه قد نصبا
قد فقدنا كل شىء حسن | غير ما أهدى إلينا الأدبا
مثل ما أهداه لى فخر الهدى | زينة الدنيا وتاج النجبا
فخر دين الله من أوصافه | أعجزت فى عهدها من حسبا
ملك وابن مليك لم يكن | مجده بين الورى مكتسبا
بحر جود من أتى ساحله | عرف الدر به والذهبا
يشترى بالمال أنواع الثنا | فإليه كل مدح جلبا
بطل أبطل من صولته | فى الوغى كل شجاع جرّبا
يعقد الطير على راياته | إن عدى للحرب منه عصبا
فهو يقريهن من لحم العدا | كل قرم روحه قد سلبا
وسباع الوحش تعدو خلفه | لتطفى من عداه السغبا
فتعود الطير والوحش وقد | نال كل منهما ما طلبا
وإذا هزّ يراعًا وجرى | منه بالخط رأيت العجبا
ينثر اللؤلؤ من أنبوبة | بنظام معجز للأدبا
ولقد أهدى إلينا كلما | كاد من رقته أن يشربا
سال من رقته فى رق | خلته خمراً أتى أو ضربا
غير أن الرق مما ضمه | من شكاه جاءنى ملتهبا
من زمان قد تناهى قبحه | لا أرى فيه لعينى معجبا
وأسدّ الأذن عن أخباره | فهى لا تتحف سمعا بنبا
وشكا من جفوتى عمداً له | فأذاب القلب لما عتبا
أتناسى أننى حزت الوفا | لا أرى فيه لغيرى نشبا
أم نسى أنى فى حبهم | راكب كل مهول صَعْبا
لا تعاتبنى على طول الجفا | لست تدرى كيف حال الغربا

يا أحبــائى رفقــاً إننا	مثلما أنتم منحنــا النوبا
لو عرفتم لعذرتم من غدا	لأبيه خيفــــة مجتنبا
كنت لا أصبر عنه ساعة	فتصبرت برغمى حقبا
ثم كلَّ الصبر إذ طال النوى	وانتهى إذ بلغ السيل الزُّبا
فعسى الشــدة تأتى بالرخا	وعسى من فرج قد قربا
وعسى من دعوة قد رفعت	فلـكم قمت بها منتصبا
فابشروا لازلتم فى نعمة	كلما زال الصبا زهر الربا

* * *

وله رضى الله عنه جواباً على الفقيه العلامة الزاهد إسماعيل بن محمد العبدى رحمه الله عن أبيات كتبها من صعدة وأرسلها إلى شهارة سنة ١١٤٢ اثنتين وأربعين :

أهلا بها فهى عندى غاية الأرب	يهتز شوقاً إليها الـكل من أدبى
وافت على ظمأ منى فمازجها	روحى كما مازج المـاء ابنة العنب
إن كان يسكر قوما من كؤوسهم	خمر المدام فسكرى خمرة الأدب
كم بت سهران أشكو طول فرقة من	جعلت منزله فى القلب مثل أبى
سَمِيُّهُ من سما فى المجـد مرتبة	تسمو على الفلك الأعلى من الشهب
عين الـكمال الذى أنسى ابن مقلتها	يراعه إن جرى بالخط فى الـكتب
كما بآدابه أنسى بأحمد من	له أقرت جميع العجم والعرب
يا رافلا فى ثياب الزهد من صغر	ما اغتر بالفضة البيضاء والذهب
وافى النظام ونار الشوق ملتهب	فى القلب مثل التهاب النار بالحطب
وشخصكم فى سواد العين مرتسم	مشاهد لى فى بُعْــدٍ ومقترب
وذكركم فى فؤادى كل آونة	ذكر الشحيح لما يحوى من النشب
سقى بصعدة أياماً لنـا سلفت	فيها ندير كؤوس العلم والأدب

يا ليت شعرى هل أحظى بقربكم ... يوماً فقربك عند الله من قربى
عسى عسى والترجى روح كل فتى ... أن يجمع الله هذا الشمل عن كثب
و بالضيائيين أرجو الله يجمعنى ... أبى ومن كأبى فى الحب والنسب
و إن تباعدت الأقطار بينهما ... بالشام شخص وفى صنعا مقام أبى
فهو القدير بتقريب البعيد و إن ... يخلو النوى بتخلى هذه النوب
وحسن ظنى فيه لايخيب وكم ... طلبت منه الذى أهوى فلم أخب
فابشر ضياء الهدى لازلت فى نِعَمٍ ... ماغنت الورق أسحارا على القضب
ثم السلام عليكم من أبى ومن ... من عنه أكنى بطيب الاسم واللقب

✡ ✡ ✡

وله رضوان الله عليه إلى الفقيه إسماعيل أيضاً كتبها إليه من حصن شهارة أيام إقامته فيها فى شهر المحرم سنة ١١٤١ هـ إحدى وأربعين

يامن إليه صبوتى تنسب ... مالى عن مذهبكم مذهب
إن قرر الناس هواى غيركم ... فلست أرضاه وإن ذهبوا
إن عبرت لى الروض ريح الصبا ... فإنها عن صبوتى تعرب
إن غنت الورقاء فى غصنها ... فلحنهـا عن وَلَهِى معرب
إن طمع العاذل فى سلوتى ... فإنمـا أستاذه أشعب
إن خضت فى دمعى فدعنى وَقُلْ ... هـذا الذى فى خوضه يلعب
إن حدث البارق عن صبوتى ... فصـدقوه فهو لا يكذب
فإنه وافى إلى مهجتى ... مستجديا من نارها يطلب
فراعه ضـوء لهيب بها ... ففر عنها فزعا يرعب
ضرائبا لى فى الهوى قد أتت ... فصارت الأمثال بى تضرب
فياخليـلىّ أما منكما ... من يسعد الصب بما يطلب

يسأل إن جاوز وادى النقا ... عن جيرة فى سوحه طنبوا

محاذرا أعين عين بهـا ... تنفذ فى القلب ولا تحجب

حشاشة القلب حشيش لها ... ومدمع العين لهـا مشرب

قـد مر لى دهر بها حالياً ... والبين عنا نائم مغرب

ونحن فى روض وصال فلا ... نخشى من البين ولا نرهب

كنا على حال يسر الهوى ... والدهر فيما نشتهى يدأب

فهب ريح للنوى عاصف ... من بعـده روض اللقا مجدب

فليت شعرى والمنى ضلة ... هل بعدنا روض اللقا مخصب

ماللنوى عندى إلا يد ... بها جزيل الشكر يستوجب

فـكم به لاقيت من فاضل ... إلى معاليه العلى تنسب

من عالم بحر ومن ناظم ... وناثر للدر إذ يكتب

ولا كإسماعيل بن أصحب ... صفاته كالشمس لا تحجب

من خصنى بالود إذ عمنى ... إحسانه المتصل الأطيب

يامفرداً ضجت لسان الثنا ... فى جامع الفضل له تخطب(1)

تحسبنى أنسى أخاك الذى ... بالعـلم والأداب يستجلب

وأنتسى الأيام فى صعـدة ... سقى رباها مطر صيِّب

إذ كنت أجنى من ثمارها اللقا ... من روض أدابك مايعجب

دونك نظماً فى قصور غدت ... أبياته مامثلها يكتب

ماذا به غير ثنائى لـكم ... فهو به لاغير يستعذب

واعذر فتى صارت سهام النوى ... ترميه ماعنها له مهرب

وادع له فى كل حال عسى ... بفضلـكم يقضى له المأرب

---

(1) استعارة بالـكناية ، وذكر اللسان تخييل وقوله يخطب ترشيح له ــ منه .

لابرحت مرفوعة نحوكم تحيتى وهى به تعرب
وابق ودم فى نعمة سالماً ينيلك الرحمن ماتطلب

✡ ✡ ✡

وله رضوان الله عليه جوابا على القاضى على بن إسماعيل بن محمد العبدى عن أبيات كتبها إليه وتقاضى جوابها عند قدومه إلى شهاره أيام بقاء مولانا البدر رحمه الله فيها وهى :

إلى الله أشكو من زمان محارب معاد لأمجاد كرام أطايب
عفونا عن الأيام كل النوائب فلا تخش منا بعدها عتب عاتب
فقد حان لى منها الذى كنت أبتغى ووافى ربانا خير خل وصاحب
فإن كان هذا الدهر قد جاء تائباً قبلنا قبلنا منه توبة تائب
وأتحفنى من صعدة بأحبتى وأنسنى فى غربتى بالأطائب
رأى أنه قد حال بينى أحبتى بصنعا وبينى بالنوى والنوائب
فأبدلنى لما رثى لى ورق لى بخل كريم الأصل زاكى المناصب
سلوت به عن ذكر صنعا وأهلها وعديتها للدهر إحدى المناقب
نظامك وافانى فكان لمهجتى ألذ وأحلى من لقاء الكواعب
وصفت به حال الزمان وأهله ولا عجب فالدهر جم العجائب
وما هذه الأيام إلا مناهل مكدرة هيهات تصفو لشارب
إذا ماصفت يوماً تكدر صفوها شهوراً وأعواماً بهذى الشوائب
فصبراً على فقد الأحبة والنوى ستحمد عقبى الصبر من كل غائب
فعما قريب تطلع الشمس بالهنا وتكشف عناغيم هذى السحائب

✡ ✡ ✡

وله رحمه الله جوابا على القاضى على أيضا رحمه الله

نظم أرق من الشراب وألذ من زمن التصابى
قد كاد من لطف المعانى أن يسيل من الكتاب
كالخمر إلا أنه حِلٌّ أراه بلا ارتياب
لا بل هو السحر الحلال أتى بأنواع العجاب
لا بل هو الدر النفيـ ـس أتى من البحر العباب
بحر التحافة واللطا فة والبلاغة فى الخطاب
نجل الضياء ولا عجيـ ـب فالنجيب من النجاب
من سرنى بقدومه وأزال اقيساه اكتئابى
لله خطرتك التى ما كان تخطر فى حسابى
إنى بسفح شهارة أحظى بوصل واقتراب
ويعود لى زمن المسرة فى بلاد الاغتراب
فَلَأَنْشُرَنَّ له الثنا وَلَأَطْوِيَنْ عنه عتابى
ولأغفرن له الذُّنو ب السالفات إلى جنابى
من غربتى عن سفح صنـ ـعا وابتعادى عن صحابى
من أرتجى من بعدهم ظفراً قريباً بالإياب
وخذ الجواب وإنه ينبى الجواب عن الجوى بى
وبلا حساب خذ تحيـ ـتنا إلى يوم الحساب

• • •

وله تغشاه الله برحمته راثياً لوالده العلامة الزاهد ضياء الإسلام إسماعيل بن صلاح الأمير بلّ الله بوابل الرحمة ثراه .

لك الله هذا غاية الخلق ياقلبي ... فدع عنك طول الغم والحزن والكرب
ألم تدر بأنا لاحقون بمن مضى ... قريباً وأنا صائرون إلى الترب
وما هـذه الأيام إلا منـازل ... فمن منزل ضنك إلى منزل رحب
ولا حظ فيها للسرور وإنمـا ... يلوح ويخفى كالبروق مع السحب
وماهى إلا دار حزن وفتنـة ... وإن سالمت فالسلم يؤذن بالحرب
لقد سالمتنـا برهة ثم آذنت ... بحرب بلا طعن هناك ولا ضرب
ولـكن بجيش للهموم وللأسى ... وقوس من الأحزان أصمت به قلبي
فلا تحسبن الدهر فى السلم ساكناً ... ولـكنه فى جمع جيش إلى الوثب
ومن صحب الأيام[1] أيقن أنها ... بأفعالها فى الخلق من أخبث الصحب
لها كل يوم غارة بعـد غارة ... تفرق مابين المحبين والحب
وقد فرقت بينى وبين أعز من ... على ظهرها عندى من العجم والعرب
أبى خير[2] من أمسى نزيلا لربه ... يقابل بالتعظيم والبشر ولرحب
إمام التقى والزهد من نال فى العلا ... بما ناله فى الدين مرتبة القطب
له صبر أيوب وطول مقـامه ... ولم يشتك الأسقام إلا إلى الرب
تقضت له من نحو عشرين حجة ... سقيما فلم يرقد مناماً على جنب
ويصبح فينـا كالمعافى بِخُلْقِه ... وفى خَلْقِه عمـا يلاقيـه ماينبى
وعلامة لم يجعل العـلم مكسباً ... ولاعاش إلا بالحلال من الـكسب
ولا وطئت رجـلاه منزل ظالم ... ولا مال يوماً للمناصب والنصب
له الأدب الحلو الذى فاق ذوقه ... حبيب بن أوس والتهامى والهبى

---

(١) الأيام لاتفعل شيئاً والفاعل هو الله وحده .
(٢) هذا فيه غلو ، فمن أين علمت ذلك .

ويكفيه فخراً أنه لم يقـله في　　مليك لجدواه فيطرب بالـكذب

فما شعره إلا جواب لفاضـل　　أو الوعظ أو ما بين ندب إلى خطب

إلى خلق منـه النسيم تعلمت　　وأنى لها حسن البشاشة للصحب

على خبرة والله لم أر مثـــله　　ولا سمعت أذناى فى الشرق والغرب

على مثله تجرى لدموع وتاهب القـــلوب بلا إثم يخاف ولا عتب

كذا قد غدا نومى لفقدك أدمعاً　　لعل منامى صار جارك فى الترب

فليلى نهار فى السهاد وغيره الـــنهار كئيب فى سواد من الـكرب

ومثلك لاينسى ومن حل فى الثرى　　فشخصك فى إنسان عينى وفى لبى

تمثلك الذكرى فـأنت محادثى

وإن كنت فى الجنات والمنزل الرحب

نزلت بها ضيفاً لمن خلق الورى　　عظيم القرى سبحانه غافر الذنب

هنيئاً مريئـاً ماقدمت من الجزا　　إليه بما قدمت من صالح الـكسب

عسى ولعـل الله يجمـع بيننـا　　هنالك فى دار النعيم على قرب

لبعدك لا أهوى الحيـاة للـذة　　وهل لذة للطعم بعدك والشرب

ولم يبق لى إلا احتساب لأجر ما　　أصبت به أن احتسابى به حسبى

سلام على مثواك مسك وعنبر　　يطيب به ماحول قبرك من كثب

* * *

ووصل من السيد العلامة إسحق بن يوسف بن المتوكل رحمه الله كتاب إلى المولى البدر رضى الله عنه سنة ١١٥٧هـ يطلب منه شيئاً من مؤلفاته فأرسل إليه بمجموع فيه رسائل ومسائل علمية وكتب إليه .

يا خاطبًا لمؤلفـاتى راغبـاً　　لأجل كُفْوٍ أنت فى الخطاب

زفت إليـك رسائل مامثلها　　ممـا يزف إلى رفيـع جنـاب

لكن كرهت بأن تراني عاضلا　　فأرد خُطَّاباً أتوا لخطابي
فاستجلها فى عنفوان شبابها　　لم تبتذل بتداول الأحقاب
ولها كرائم إن أردت وصالها　　سرحتها نحوى بحسن إياب
جمع الكرائم فى نكاح محرم　　لو جاز أرسلنا بكل كتاب
واسبل عليها الستر فهى صناعتى　　لاصنعة الهروى والخطاب

✡ ✡ ✡

وله رضى الله عنه إلى بعض من عاتبه من بعض إخوانه على انقطاع المكاتبة وهو المبتدى بقطع كتبه .

أصدود منكم ثم عتاب　　إن هذا فى الهوى شيء عجاب
ما سمعنا أن جان عاتب　　أو بأن مُجْنًى عليه يستتاب
بالجفا أنتم بدأتم والنوى　　ما أتانا مثل ما كان خطابه
أين أوراق إلينا خُتِمَتْ　　ففضضنا فإذا بكر كعاب
وحروف ككئوس زوقت　　نقطها فى شكلها منها حباب
كنت أجنى كل حين كَلِماً　　لفؤادى منه روض مستطاب
هجرتنى برهة أقلامه　　ثم جاءت فإذا بحر عباب
لطمت أمواجه ذهن فَتًى　　فيه من أحداث أيامى حراب
فتجنوا كيف شئتم واجتنوا　　أدباً منى وقولا لايعاب
لستم أول جان إنه　　قد جفانا قبلكم قوم صحاب
قد أنسنا بالجفا من كل مَنْ　　قد عرفناه وقد لان الجناب
ما عرفنا للوفا إلا اسمه　　ليت شعرى هل له منى يصاب
هذه نفثة مسطور فقف　　ياىراعى إنما هذا التهاب

✡ ✡ ✡

وله رحمه الله إلى السيد صفي الدين أحمد بن القاسم بن المتوكل إلى جبلة في شهر المحرم سنة ١١٧٠ هـ

وحرمة مابيني وبينك من حب — وإن طال عهدي بالعهاد وبالكتب
لأنت أدل الناس عندي محبة — فشخصك في عيني وحبك في قلبي
أتحسبني أنسى المودة والإخا — وطيب اللقا دهراً لمنزلك الرحب
أبى الله أن أنسى الذي كان بيننا — فودي ذاك الود في البعد والقرب
ولا زال ذكرى للقاء بجبلة
سقى سوحها الهطالُ من وابل السُّحْب
وإكرامكم إياي في كل ساعة — ولقياكم لي بالبشاشة والرحب
سلام على تلك الديار فذكرها — ألذ إلى قلبي من البارد العذب
سلام على أخلاقك الغر إنها — خلائق يسبي لُطْفُها كُلَّ ذي لب
خلائق طابت فهي إرث لأحمد — من المصطفى خير الورى صفوة الرب
ولا غرو للأبناء إرث أبيهمُ — فياحبذا مانلت من ذلك القرب
بفرض وَرَدٍّ كان إرث محمد — لأحمد نجل القاسم العلم الندب
ومن خلق خير الرسل غفرانه لمن — أتى مذنباً فاغفر فإنِّيَ ذو ذنب
جفائي لأحبابي وتركي عهادهم — كبائر يمحوها المتاب إلى الحب
وإني مما قد جنيت لتائب — فهل غافر قبح الذي كان من كسبي
عفا الله عنا أجمعين ذنوبنا — وأسكننا دار المقامة والقرب
وصل على خير الخلائق أحمد — وصل على الآل الميامين والصحب
ولا تنسني بالله يوماً من الدعا — سوى كنت حياً أو رحلت إلى ربي
فأنيَ لا أنساك يوماً من الدعا — وذلك في حفظي لعهدكم حسبي

* * *

وله رضى الله عنه إلى صنوه الزاهد الورع صفى الإسلام أحمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله .

لما عزم للحج هو وولده إسماعيل بن أحمد وتأخر عن الوصول بعد وصول الحجاج فكتب إليه رحمه الله :

طـال التأخر منكم أيها النجب	فسارعوا سارعوا الامَسَّـكُمْ نَصَبُ
شغلتمُ القلب بالأفـكار بعدكمُ	فالقلب لازال فى الأفـكار ينقلبُ
حيناً نقول أقمتم بالمقـام ولا	غَزو وحيناً نقول البحرُ مضطَرِبُ
نسلى النفس والأشواقُ تقلقنا	ونارها فى صميم القلب تلتهب
وكلما مر أسبوع نقول عسى	من بعده تبعث البشرى لنا الـكتب
نسائل الركب عنـكم كل آونة	فلم نجد خبراً يشفى به الوصب
إن كان ألهاكم البيت الحرام فقل	(يا مطلبًا ليس لى فى غيره أرب)
فإنه كل مطلوب لمرتحل	(إليه آل التقصى وانتهى الطلب)
وما إلى البيت والأستار مرتحلى	لـكن لمعنى إلى علياك ينتسب
إلى صلاة بأضعاف مضاعفة	فى أجرها وطواف نوعه يجب
وقد أخذتم بحفظ منه متسع	والأجر فى البيت بعد البيت مرتقب
تؤنسون به من طال شوقهم	فالقلب ملتهب والدمع منسكب
ما بين طفل ومثغـور ومحتلم	وكم عجوز من الأرحام تنتحب
وشيبة[1] لا يرجى غير قربكم	فقربكم ولقاه كله قرب
يا حبذا حبذا قول البشير لنا	استبشروا قد أتاكم هذه الـكتب
أهلاً وسهلاً لقد تم السرور لنا	وهزنا كلنا من قربكم طرب
وقرت العين باللقيا ووصلـكم	فالحمد لله حمداً دائماً يجب

---

(١) يريد نفسه .

وله رحمه الله وقد اطلع على سفينة لبعضهم فيها مراثى لجماعة فى كلب مات لبعض الشادة فأمرنى أن أكتب فيها هذه الأبيات فكتبتها فيها بأمره وهى :

كان السفائن سابقاً تأتى بأنواع الخطاب
وصف القدود والخدو د أو الثغور أوالرضاب
أو مدح ملك قد سما ورقى على هام السحاب
أو مدح من حاز العلو م وصار كالبحر العباب
أو ذكر أيام الوصا ل مع الأحبة والشباب
هذى المقاصد للقصيد وروضهن المستطاب
وسفينة لولد النجيب أتت بمرثاة الكلاب
فالشعر أولى بالرثا ء وبالبكاء والانتحاب
إذ صار طوقا للكلا ب الميتات على الرقاب
هذا هو الخسف الذى وردت به آى الكتاب
خسف لشمس الشعر والقمر المنيرة والشهاب
صلوا صلاة كسوفها إن كان يشرع فى كتاب
فليحتسب أهل القريض لما أتاهم من مصاب

* * *

وقال رضى الله عنه ينشد الناس كثيراً هذا البيت :

(ذهب الذين يعاش فى أكنافهم)

فقلت مضمنا له :

من كان غير إلهه مطلوبه ويرى سؤآل سواه أسنى مطلب
ويلوم سكان البسيطة منشدا فى ذمهم بيتاً بغير تأدب
ذهب الذين يعاش فى أكنافهم وبقيت فى خَلَفٍ كجلد الأجرب
فأنا الذى أرجو إلهى وحده فى دفع ماأخشى ونيلى مأربى
فأكف عن كل الأنام ملامتى إن شئت تقليدى فهذا مذهبى

وقال رضوان الله عليه قال الشاعر يخاطب ممدوحه :

فاصبر لعادتك التى عودتنا ... أولا فأرشدنا إلى من نذهب

☆ ☆ ☆

فقلت مخاطبا لرب العزة الغنى المغنى عز وجل :

فأدم علينا عادة عودتنا ... أأقول أرشدنا إلى من نذهب

هيهات أين وليس أين وما لنا ... والله يوماً عن جنابك مذهب

☆ ☆ ☆

وقال رحمه الله قال نشوان بن سعيد الحميرى العلامة مؤلف شمس العلوم :

آل النبى هم أتباع ملته ... من الأعاجم والسودان والعرب

لو لم يكن آله إلا قرابته ... صلى المصلى على الطاغى أبى لهب

☆ ☆ ☆

فأجبت عليه بقولى :

إن الصلاة من الرحمن واجبة ... للآل من آمنوا بالله والكتب

فإن ترى الشرط مفقوداً فلست ترى ... إلزام يلزم بالطاغى أبى لهب

لقد تجاهلت شرطاً للصلاة وما ... جهلت إذ أنت بحر العلم والأدب

☆ ☆ ☆

وقال رحمه الله وهو فى السجن :

إذا كان حُبِّى أحمداً وحديثه ... يعدونه ذنباً فلا زلت ذا ذنبى

فلى أسوة بالمصطفى ووصيه ... فقد حبسا من قبل فى ذلك الشِّعْبِ

ولست أبالى أن جفتنى عشيرتى ... وربِّىَ راض فهو من دونهم حسبى

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه جواباً على السؤال الوارد فى مدلول المذهب وهو الثانى من جوابيه وسيأتى السؤال والجواب الأول فى حرف اللام :

وقفت على السؤال وما حواه وقوف محاول فهم الخطاب
فلما ذقت فحوى ما حواه وقفت على الجوابات العذاب
فيا لله ما أحلى معان وألفاظ أرق من الشراب
حلت لكن خلت عن كل معنى
يسوغ أن يسمى بالجواب
أتسقون الفتى الظمآن منكم إذا استسقى بكأس من سراب
خذوا عنى خذوا عنى جواباً وذبا عن بنى أبى تراب
ودونك أيها الحيران فاسمع جواباً لم يكن لك فى حساب
فمذهبنا إذا ما أطلقوه وقرره النجوم من الصحاب
وأطلقه المحقق فى الفتاوى وعنونه بعنوان الصواب
وأضحى فى يد الحكام سيفاً تشق به القضايا كالرقاب
وقيده الرؤوس لدى دروس بلفظة مذهب طى الكتاب
وللتمييز يكتبها بحسن فقيه فى المدارس لايحابى
فذلك مذهب يدعى ليحيى إمام القطر والبحر العباب
هو المتبوع وهو لذاك أهل إلى المحراب يغدو والحراب
له عند التقا الأبطال وجدٌ وشغل بالطعان وبالضراب
وعند السلم أقلام تبارى بأقوال تؤيد بالكتاب
وسنة أحمد مهما رواها جهابذة الأئمة والصحاب
كذلك مايسلسله ثقات إلى المولى الوصى أبى تراب
فإن فقدت أبيح له رجوع لتحصيل القياس بالاكتساب

فهذى[1] حجة الأقوال مهما | أتت فاشكر لما أهدى خطابى
وخرج بعد ذاك له أناس | من النظار فاطَّرِح التغابى
وقد جعلوا المخرج شبه نص | ليحيى داعى الحق المجاب
فإن يتعارض القولان نصاً | وتخريجاً نخاف فى الصحاب
فبعضهم يرجح نص يحيى | وبعضهم مفاهيم الخطاب
فمن هذا يذهب ذاك قولا | وذاك إلى سواه فى ذهاب
وكم خدمت مقالته أناس | هم مثل المؤيد والشهاب
فهذا صنف التجريد قصداً | لإظهار الأدلة والصواب
وهذا باقتصار واختصار | أتى فى ذاك بالبحر العباب
تعجب إذا ما خالفاه | وتحسب أن ذاك من الخراب
لما قد أسساه لأصل يحيى | سقى مثواه هطَّالُ السحاب
فما المقصود إلا أن هذا | قوى للمقلد فى حساب
ومختارى يخالفه لأنى | عرفت الحق فيه فلا أحابى
فهذا أصل مذهبنا ولكن
ذوو التدريس فى الكتب الصعاب
أجلهم ذوو التقصير فيما | رأوه أو رووه فى كتاب
فلم يدروا بمذهبنا يقيناً | وقد خلطوا الخطاء مع الصواب
وذهَّبوا الضعيف وقرروه | وما خافوا مناقشة الحساب
وأوقعوا الذى ينشى لديهم | كإيقاع الفراشة فى الشهاب
وإن أصغى لفطرته قليلا | رأى الأقوال فى موج اضطراب
كسائلنا الذى وافى برشد | مريداً للنجاة من العذاب

---

(١) الإمام المهدى أحمد بن يحيى عليه السلام .

فخذ هذا جوابك عن سؤال　　غدا منه فؤادك فى التهاب
وإن ترد النصيحة بعد هذا　　فألق دلاك فى البحر العباب
علوم الاجتهاد إلى رباها　　تسامى واقتطف منها الروابى
وخص محمداً خير البرايا　　كذاك الآل طراً والصحاب
بتصلية وتسليم كثيراً　　تزورهم إلى يوم الحساب

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله وقد حمل العصا فى بعض برارى الروضة لعل ذلك سنة ١١٧٠هـ .

ما حملت العصا اضعف ولـكـ　　ـنى رأيت الرحيل منى قريبا
فحملت العصا لتذكير نفسى　　أننى صرت فى الأنام غريبا

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه ملغزا فى سوق .

أى شىء يحتاج كل إليه　　وهو لا يعرف الخطا والصوابا
إسمـــــــه مفرد ويأتيك جمعا
جاء فى الذكر حين تتلو الكتابا
وإذا ما عكسته فهو شىء　　سكن الأرض والسما والسحابا
وبه حرف علة فإذا زا　　ل فأمر فافهم هديت الصوابا

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه وأرضاه :

اه من دهر له حال عجيب　　ما له قط من الخير نصيب
خابت الآمال فيما نشتهى　　والذى نكره فيه لا يخيب

كل يوم وله أحبولة ... تشغل الأفكار عما يستطيب

كلما أملت صرفاً للجفا ... قال لى ثوب الجفا ثوب قشيب

وإذا أملت قرباً منكم ... قال إن البعد منهم لقريب

نقطع الأيام تسويفاً وإن ... مر يوم فإلينا لا يؤوب

نحن فى الدنيا كَرَكْبٍ كلما ... قطعوا أرضاً تَلَقَّاهُمْ كثيب

وكذا الدنيا على من قبلنا ... ليس فيها أبداً عيش خصيب

فالزم الأشغال إن كنت ترى ... أن هجر الخل للخل يطيب

أو فدعها ثم زرنا تارة ... إن لداعى شوقنا أنت تجيب

لا تراقب لفراغ مقبل ... ففراغ المرء فى الدنيا غريب

وسلام من أخ فى الله قد ... أوثقته سيئات وذنوب

فأمدوا بالدعا فى غيبة ... فمساه لدعاكم يستجيب

* * *

وله رحمه الله وقد أضاف بعض أصدقائه لصبوح العنب والغدا فتراخوا عن الوصول فكتب إليهم :

قد قلقنا من تأخركم ... أيها الإخوان لا لسبب

وانتظرنا بالصبوح لكم ... واعترانا منه بعض سغب

عنب إن ذقته عسل ... وإذا أبصرت قلت ذهب

يدرك الراءون نشوته ... فإذا ذاقوه صار ضَرَب

والغدا قد أهبوه لكم ... وأتوا فيه بكل عجب

* * *

وله رحمه الله جواباً على كتاب وصل إليه من الحاج الأفضل سعد الدين بن على الولى رحمه الله وذلك فى شهر ذى القعدة سنة ١١٨١هـ

مرحباً يامرحبا يامرحبا بكتاب من صديق مجتبى
فاض دمعى عند فَضِّ ختمه إشتياقاً للذى قد كتبا
ونشرناه لحاننا نشره كان مسكا بل أراه أطيباً
شرحت أسطاره صدرى فهل هو بلقيس أتتنا من سبا
أم هو الهدهد وافى سوحنا وأتانا من سباء بنبا
نبأ من أطيب الأنباء يا حبذاه نبأ ما أعذبا
خبر عن قرة العين ومن هو فى القلب مقيم عجبا
من قريب بعدت أوطانه وهو عندى لا أخاف الرقبا
إنما يخشاهم من حبه منه ناء ويرى مقتربا
وعذولا يعذل الصب إذا صار من نار الهوى ملتهبا
كلما هبت له ريح الصبا زال عنه وصبا ثم صبا
مذطوى قلبى على حبكم نشر الفم ثناء طيباً
لأخى سعد العلى والدين من هو أنس القربا والغربا
من أتى منزله نال به كلما يرجو ونال المطلبا
يتلقاه بوجه باسم قائلا أهلا وسهلا مرحباً
دام فى عافية فى نعمة فى سرور يترقى الرُّتَبا
رتب المجد بجود هاطل من يديه دائماً منسكبا
بهبات صيرت ما وهبت كل كف غير كفيه هبا
دام فى خفض من العيش يرى قدره مرتفعا منتصبا
وسلام الله يغشى سوحه كلما هبت جنوب وصبا

وصلاة الله تغشى أحـدا ... وبنيـه العظماء النجبـا
وصحابات له قـد هاجروا ... ثم أنصـاراً بأوطان قبـا

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه أيام ظهر أبو علامة وذلك فى شهر رجب سنة ١١٦٣ هـ وأطاعه أكثر الناس وأخرب حصون حاشد وبكيل لعلها تبلغ أربعين حصناً أو تزيد قالها قبل أن تتبين حقيقة حاله ه

أديرت على حمى بكيل وحاشد ... رحى الويل والإدبار من كل جانب
وصب عليهم سوط ذل ونقمـة ... فتى ماجد يعزى إلى آل غالب
وخرب ماشادوه من كل معقل ... فلست ترى حصناً لهم غير خارب
وقد ضربت فى كل سوق عليهم ... صوائح ذل صار ضربة لازب
وأنفـذ سكان المغارب منهم ... وكانوا عليهم من أشد المصائب
يسومونهم سوء العذاب كأنهم ... عبيد لهم قد سخروا فى المطالب
عجائب أبدتها المقادير بعدها ... عجائب تتركها أخف العجائب
يسير بها السُّفَّار فى كل بلدة ... ويحدو بها الركبان تحت الكواكب
واخذ خفاش وهو أرفع رتبة ... وأعلى منالا من حصون المغارب
ومن بعده الحصن الذى سار ذكره ... عمائمه فى الجو غر السحائب

☆ ☆ ☆

وقال رضى الله عنه أخرج ابن السنى وأبو نعيم فى الطب وبيض له الديلمى من حديث أنس « إذا رأيتم الرجل أصفر الوجه من غير مرض ولا علة فذلك من غش الإسلام فى قلبه » فقلت فى معناه

جـآء عن المختار خير الورى ... كما حكاه الثُّبَّت فى كتبه
إن من اصفر بلا عـلة ... فهو لغش الدين فى قلبـه

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه فى الجناس المركب

وكم من صحيح الجسم يحسب أنه معافى وقد أمحى على القلب ذنبه
سلامات قلب المرء فى حب ربه فعظه وقل مهما سلامات قلبه

☆ ☆ ☆

وله تغشاه الله برضوانه راثياً للسيد العلامة الفاضل جمال الدين على بن الحسن الديلمى الذمارى رحمه الله توفى فى شهر ذى القعدة سنة ١١٣٠ ، ثلاثين ومائة وألف

ماذا أتتنا به الأخبار والكتب ماذا الذى منه دمع العين ينسكب
ماذا أتتنا به الركبان من خبر يكاد تخسف منه الشمس والشهب
هذا الذى كنت أخشاه وأحذره ياليتها غيبتنى قبله الكثب
ففى الجوارح ضعف كاد يقعدنى وفى الجوانح منه النار تلتهب
ياناعياً عالم الدنيا وفاضلها تأنَّ حسبك قد أوهانىَ النَّصَبُ
ندبت ندباً فريداً فى محاسنه رفقاً فمن ندبه قلبى إذاً يجب
ندبت من حلل التقوى ملابسه وقلت لم بدمع العين أختضب
لهفى عليك جمال الدين من عَلَمٍ قضيت نحباً لهذا نحن ننتحب
قضيت عمرك فى التدريس مجتهداً فليبكك العلم والتدريس والكتب
من للمدارس التدريس بعدك بل من للمحاريب فى الأسحار ينتدب
من للسؤالات إن وافت محيرة من للتلاميذ للتدريس إن طلبوا
من للعلوم علوم الآل ينشرها من بعد طيِّك هذا الحادث الكئب
طوبى لقبرك ماذا ضم من كرم ومن علوم ومن زهد هو العجب
وافيت ربك فى أثواب طاعته يهنيك أنك بالرضوان تنقلب
يلقاك روح وريحان ومغفرة هذا النعيم الذى ينسى به التعب
صبراً ذويه فإن الموت غايتنا وكلنا تحت حكم الموت ننسحب

صبراً أولى العلم فالدنيا حقيقتها عند الإله تعالى اللهو واللعب
مافاز منها سوى من كان همته تقديم زاد فإن السير مقترب
ثم السلام على السادات كلهم لا نابهم بعد هذا الحادث النوب

وقال رحمه الله ملغزا

ما اسم يرى ممتنعــاً وماله من سـبب
وقـد أتى منصرفاً عنـد جميع العرب

* * *

وله رحمه الله فى مليح لابس شالا أزرق وهو يصلى صلاة غير مستكملة وفيه تورية

يا قمراً فى قبـاء أزرق يغنى عن الطالع والغارب
ما ارتـكب المحظور فى عمره لـكنـه يعبث بالواجب

* * *

وقال رضى الله عنه لما وقف على كتاب « عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين » تأليف الشيخ العالم الأجل محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية رحمه الله فنظم هذه الأبيات وأودعها صدر مختصره منه المسمى

بـ « السيف الباتر فى عين الصابر والشاكر » وهى :

عدة الصابرين إن ناب خطب وزمان الفتى كثير الخطوب
جمعت فى غصونها كل معنى فهو نعم الجليس للمكروب
كم بها من فوائد فاغتنمها فنكات العلوم كنز القلوب
فارتشفها ثم اقتطف من رباها وتضمَّخْ بعطرها والطيب
ثم سرح أجفان فكرك إن كنـ ـت فتى ناظراً بفكر اللبيب
تلق فيها دواء جهلك بالصـ ـبر وبالشكر من حكيم طبيب
واضعاً للنهى فى موضع النقـ ـب مزيلا لِلَّبْسِ والتنقيب
جالبا للتحقيق من كل فن فتنعم من ذلك المجلوب

يا له من مؤلف حاز علماً وأتانا بكل معنى غريب
فاللبيب اللبيب من أشعر القلب من الصبر كل ثوب قشيب
حاملا للدثار أثواب شكر نسجت بالترغيب والترهيب
ولعمرى لم أختصره لحشو قد حواه ولا لأمر مريب
ولئن كان بعض ذلك فيه كان لى حاملاً على التهذيب
غير أنى طالعته ورحيلى هاتف بالنوى لقلبى الحبيب
والعصا ترحم اليراع بكفى وتنادى قم يامطيل المغيب
فالتقطت الجواهر التى قد حواها وتتبعت كل معنى عجيب
آخذاً زبدة الحقائق منه ولبا اللباب المطلوب
فهو لاشك سلوة لحزين ولذى الروح فيه أوفى نصيب
فتمسك به إذ شئت تلقى كل خطب بكل سيف ضروب

* * *

وله قدس الله روحه هذه الأبيات قالها بعد الواقعة الغريبة من الاعتراض الذى تمهق به جهال جبل برط كما سيأتى شرحه(١) :

هذا بلا ريب لكل أريب عين الجهاد لمعتد ومريب
هذى سهام قد أصابت كل من أخطا الصواب فكان غير مصيب
زوراً وبهتاناً أتوا وتهددوا وجهالة بالرب والمربوب
أو ليس ربى كافياً لعباده من كيد أهل الريب والكذب

---

(١) فى حرف الذال وكتب هذه الأبيات بعد اطلاعه على أبيات لبعض أهل العصر فى هذه الواقعة .

لقد شابهوا الكفار فى أقوالهم ... للرسل بالتهديد والترهيب
ولنخرجنك ياشعيب ومثله ... قالوا للوط وهو غير مريب
فلنا برسل الله أحسن أسوة ... ولهم بأهل الشرك شر نصيب

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله لما اطلع على التشبيه الذى ابتكره المولى العلامة محمد بن إسحق رحمه الله للمصطكى عند علوة على القهوة وما يتبعه :

شبهت مادارت به ... بقهوة مثل الضَّرَب[1]
فنجانها بالمصطكى ... إذ جاء فى لون عجب
بوردة قد فتحت ... رُشَّتْ بمحلول الذهب

☆ ☆ ☆

وله فيه أيضاً :

قهوتنا رقت وقد[2] ... راقت لكل شارب
فنجانها بالمصطكى ... جاء بلون عاجب
مثل زباد نفشت ... به خدود الكاعب

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه فيه أيضاً :

بمصطكى القهوة فى ... فنجانها المذهب
سطور لاذ فوقها ... بَرَادة من ذهب

☆ ☆ ☆

---

(١) من المنظومات لآل إسحاق وغيرهم .
(٢) قوله : و « قد » وفى نسخة « لذا » .

وله رحمه الله ولعلها جواب على للولى العلامة إسمعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله :

عجباً يعاتبنى بلا ذنب ... من سار عن عينى إلى قلبى
بحر الندى والعلم من ظهرت ... أوصافه فى الشرق والغرب
رفقاً فماذا عسى ... إن لم تزر أوطانكم كتبى
فلقد نزلتم فى الفؤاد وهل ... كتب الفتى يوماً إلى القلب
شرط العهاد كما عرفت به ... عدم اتحاد الحب بالحب
وأنا الذى أهوى وأنت أنا ... فعتاب نفسك عده عتبى
فإذا أجبت عليك كنت إذاً ... غيرى وهذا غاية الذنب
ولقد عجبت لطول عتبك لى ... أجهلت أنك ساكن القلب
أظننت أنك صرت منفصلا ... لما نأيت كسائر الصحب
قد ساء ظنى فى مودتكم ... لما أطلتَ علىّ فى العتب
أوهمتنى أنى سواك به ... وبمثل هذا كتبكم تُنْبِى
هذا يدل بأن ودكمُ ... خلق ترقع خرقه كتبى
كن كيف شئت فأنت أنت أنا ... وأنا وأنت أنا فما ذنبى
أوجب واسلب أيَّما صفة ... أنا أنت فى الإيجاب والسلب
أجهلت ماقد كنت تعلمه ... أيام سربك فى الهوى سربى
أيام تجنى كل فائدة ... من يانع التحقيق والرطب
وأنا أبثك كل شاردة ... وأريد أن ترقى على القطب
فاذكر فدتك النفس مجلسنا ... فى الدرس تذكر كنه ما أنبى
واجعل مكافاتى دعاوك لى ... إن سرت منفرداً إلى ربى
ورحلت عن وطنى وعن سكنى ... وحللت فى الأكفان والترب

فهناك تحقيقي يضيع ولا   يجدي إذا نوقشت في ذنبي
وعساه يغفرلي ويرحمني   حسبي به دون الورى حسبي

* * *

وله بل الله ثراه بوابل رحمته :

قسماً بآيات الكتاب   وبربنا منشى السحاب
أن العزيز هو أنه   وعذابه في الاغتراب

* * *

وله رضى الله مجيباً على المولى العلامة شرف الآل الحسن بن إسحق بن المهدى أحمد بن الحسين رضى الله عنهم .

يا عاتباً لي ما الذي   إلى عتابي ندبك
وأي شيء قد جرى   مني حتى ألهبك
إن كان حبي لكم   ذنباً فقل ما أذنبك
فيا فؤادي هل سوى   هواهم قد غلبك
ويامنام ناظري   بالله قل من سلبك
وأنت ياجسمي من   ثوب السقام ألبسك
وأنت يالبي أبن   من بالغرام خلبك
نخذ شهود الحب من   جوارح لن تلد بك
واستقص منها كلما   ترى لديها عجبك
ودع خيالا كاذباً   ولا تصدق ريبك
إني على عهد الوفا   يطربني ما أطربك
وما أرى لي مشرباً   أرضاه إلا مشربك
وما تركت كتبي   ولا كرهت كتبك
ملامة مني فلا   تلزمني تعتُّبك

لـكن كل حـاسد بعينـه قـد رَقَبـكْ
يسعى ليسعى بيَ كى يكسبنى ما أكسبك
فيازمانى هـل قضيـ ـت من جفائى أربك
كم ذا لـمال اشتهى تمشى فيـه خببك
إذا اصطيفت صاحباً أنشبت فيـه مخلبك
تعتقل البعض على رغمى كأن قد أحربك
والبعض قـد شردته لقـد أسأت أدبك
أسأت فى عصـابة كنـا نراهم قوبك
عسى تنيب بعد ذا فيشتفى من أنبكْ
ثم يعـود مثنياً عليك من قد تربك
مولاى خذ نظمى وقل للفظـه ما أعذبك
وخـذ سلامى قائلا لنشره ما أطيبك

☆ ☆ ☆

قافية التاء

وله رضى الله عنه وعظية قالها فى يوم الأحد رابع ربيع الآخر سنة ١١٧٣ هـ ثلاث وسبعين ومائة بعد الألف .

عسى توبة تمحى بها كل زلة وتغسل أدران القلوب المريضة
عسى أوبة من سفرة الجهل والهوى فقد طال فى أقطارها تين غربتى
رحلت صغيراً نحوها فأنا بها إلى أن ألَمَّ الشيب فيها بلمَّتى
ولم أر فيها ما يروق بلى بهـا تريق دم الأعمار أسياف غفلة
ونسقيك خمراً عتقت من غباوة فياشربة غطَّتْ على كل فكرة
تنادمه فيهـا الندامة بعدها إذا حصلت منه إفاقة صحوة

وهيهات لا يصحو وفى كل ساعة ... تدار عليه شربة بعد شربة
فلست تراه الدهر إلا معربداً ... إلى أن يرى فى الكف كاس المنية
أفق أيها القلب الذى قاده الهوى ... وليس له غير المنى من أزمة
شربت الأمانى بالحقائق ضلة ... وبعت نفيسا ناجزاً بالنسيئة
أجدك ما لدنيا وماذا نعيمها ... وهل هى إلا دار بؤس وحسرة
إذا أدركت فيها مسرة ساعة ... أتتك إساءات تنسيك بالتى
وإن عطفت فالعطف عطف توهم ... فإياك أن تغتر منهـا بعطفة
رأينا أناساً قد أناخت بسوحهم ... وقالت خذوا من زهرتى كل منية
فغرتهم حتى استباحوا حريمها ... وحطوا بها الأثقال من كل شهوة
فما هى إلا أن أرتهم نعيمها ... ومدوا أعناقاً إلى كل لذة
أتتهم فأجلت عنهمُ كل شهوة ... أرادوا وأخلت عنهمُ كل غرفة
فصاروا أحاديثاً لكل محادث ... وهم سمر السمار فى كل سمرة
وللعين كانوا قرة ثم أصبحوا ... وهم عبرة تجرى بها كل عبرة
تبدل منها كل شىء بضده ... فإياك أن تغتر منهـا برتبة
فصحتها والعز والمال بعدها ... سقـام وذل وافتقار بقلة
كذا عكس ذا فارفق بنفسك إنما ... لها ما قضاه الله رب البرية
وامح نقوش الجاه عن لوح خاطر ... يرى الجاه عند الناس خير مزية
فما هو إلا مثل مقلوب اسمه ... يهيج قليلا ثم يطفى بسرعة
أرى هذه الأعمار أحلام نائم ... ولذتهـا طيفاً ألمّ بمقلتى
وكنا نظن الطيف مازار بالكرى ... فصرنا نراه ما نراه بيقظة
خليلىّ هُبّا كيف طاب كرا كما ... وقد هب فى الأرواح روح المنية
تطير بأرواح العباد فتنتهى ... إلى دار إسعاد ومنزل شقوة

ألست ترى الأتراب قد رحلوا إلى الـ | تراب وحلوا فى منازل وحشة
مقيمين فيها ينظرون متى متى | تروح إليهم فى عشيٍّ وبكرة
وتقبل فى جيش قصارى مرامهم | نزولك فرداً حفرة أى حفرة
ويحثو عليك الترب كلُّ مشيِّع | ثلاثاً وهـذا من فعال الأحبة
فتنزل دارًا لا أنيس بهـا ولا | خليل بهـا تفضى إليه بخلة
سوى رحمة الرحمن يا خير راحم | أسأنا فقابلنا بعفو ورحمـة
نزلنا ضيوفاً للكريم ومن يكن | مضافا له يلقـاه كل عطية
لحاشاه من تضييق لحدى وضمه | لجسم ضعيف لا يطيق لضغطة
لك المثل الأعلى فلو نزل امرؤ | على بشر لقـاه أحسن ضيفة
فـكيف بمن يأوى إلى خير منزل | وخير كريم بعد أشرف دعوة[1]
أيدعو وحاشاه ولا يكرم الذى | دعاه بغفران وعفو ومنـة
بلى إنه يلقاه بالروح والرضا | يقال له ادخل فى عبادى وجنتى
يجاور فيها المصطفى سيد الورى | فياحبذا فى جنة الخلد جيرتى
وصل على المختـار والآل أنها | لحسن ختام فى نظام القصيدة

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله جواباً على السيد العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله عن أبيات وجهها إليه وإلى عمه المولى الحسن بن إسحق وأرشده أن يستنيب مولانا البدر فى الجواب .

كل أخبار الهوى قد رويت | عن غرامى وإليه عزيت
نخذوها عنه لا عن غيره | فإليه فى الهوى قد أنهيت
وعليه نشرت أعـــلامه | وأحاديث سـواه طويت
وإليـــه ملـكه منتقل | ومقـاليد الهوى قد ألقيت

(١) إشارة إلى قوله تعالى « والله يدعو إلى دار السلام » .

قد رقى مرتبة فى فنــه ما أراها قبــله قد رقيت
وعليـــه أنزلت آياته وبمحراب هـــواه تليت
لا تلومونى على حمل الهوى فوساد اللهوِ بى قد ثُنيتْ
فاقتدوا بى فى الهوى إن شئتم تدركوا ما فيه نفسى فنيت
واقتفوا آثارها فهى التى بهدى أهل التُّقى قد هديت
كما دعا داعى الهوى أربابه لم يجبه غيرهـــا إذْ دعيت
بايعت داعى الهوى حين دعا أنَّها رقٌّ له مـــا بقيت
ليت شعرى هل لأهل المنحنى خبر عن مهجتى مالقيت
إنهـــا من بعد أن جد النوى بلظى هجرهم قـــد صليت
وقفت فى الدار من بعدهم تندب الأطلال حتى عميت
ألصقت حر حشاها بالثرى علَّها تطفى لظى مـــا صليت
نلثم الأقــدام للريح إذا قيلَ من نشرهم قد عديت
كم رعت عهداً لهم ياليتهـا مثلمـا ترعاهم قد رعيت
إن جفوها أو رعوا فهى التى لهم فى كل حـال هويت
عجباً من منهل الحب إذا شربت نفسى منـه ظميت
أين أيام اللقـا ياليتهـا بفؤادى وبروحى فديت
أم جفاها المُزْنُ بعدى مثلما قد جفانى زمنى لا جفيت
يا أحِبَّـایَ بسفح المنحنى هل غصون البان بعدى رويت
إن جفـاها فـكفاها عبرتى فبها تلك الربى قد سقيت
وأظن المزن إذ شاهدهـــا قال هذى مؤنة قد كفيت
فاسألو البارق عنى إن شرى فأحاديثى إليـــه نميت
فهو يرويها لـكم عن خبرة فعليــــــه قصتى قد قريت
والهوى إن حل فى نفس فتى علة ما عنه نفس بريت

ليس يجدى فيه تعليق الرُّقَى أى نفس من هواها رقيت
ليس يشفيها سوى وصل الذى بمناها فى هواها رضيت
ملك العليا ضياء الدين من يكشف الظلما إذا ما غشيت
ملك وابن مليك فإلى بيته كل المعانى حديت
فهو بحر وابن بحر فلذا بثناهم أبحر قد عليت
لا أطيل النظم فى أوصافه فهى شمس فى الورى قد جليت
إنما الوصف وتطويل الثنا للذى أوصافه قد خفيت
كيف يخفى وصف من جدَّد مِنْ حلل العليا بروداً بليت
وأعاد النظم روضاً ناضراً بعد ما قيل رباه ذويت
وإلينا منه نظم قد أتى منه أزهار المعانى جنيت
مادحاً للملك الفرد الذى بمعاليه المعالى حَلِيَتْ
طالباً منه جواباً وأرى صنعة الشعر لديه قليت
أوعرا فطنته من دهره جيش شغل فمليه سبيت
فهو فى بحر اشتغال عنكم سفن الشعر لديه أرسيت
والذى تذكر من آدابه بعد أن جد نواكم نسيت
ثم قلتم واستتب بدر الهدى فأجابت فطنتى إذْ دُعِيَتْ
بنظام لم يدعنى زمنى أصطفى أبياته إذ بنيت
كيف يرتاح إلى النظم فتى فى زمان عينه قد عميت
فلهذا حلل الفضل على لابسيها عنده ما رويت
إن جلبنا حلية الفضل إلى سوقه نبتاعها ما شريت
فاكس أبياتى ثياب السمتر إن خلتها عن كل حسن عَرِيَتْ

✲ ✲ ✲

وله رضى الله عنه ـ قالها فى السجن وقد خرج الذميون إلى بيوتهم للسبت وكان مكانه الذى هو مسجون فيه قريباً من دار الضرب :

وجاورت دار الضرب كرها و بئس ذا ... جوار يهود مالهم فى الهدى ثبت
مطارقهم هن الطوارق للفتى ... فما لمنام العين فى قربهم بخت
فأنشدت بيتاً قد تقادم عهده ... ولا عوج فيه لمثلى ولا أمت
ومن أعجب الأشياء أنِّىَ مسلمٌ ... حنيف ولكن فى خير أيَّامِىَ السبت

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله :

طعمت حلاوة الأشياء طراً ... فلا شىء ألذ من السكوت
وخير مجالس الدنيا جميعاً ... مجالسة الدفاتر فى البيوت

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه وأودعها رسالة فى الاستعاذة :

لو الثقلان الإنس والجن أجمعوا ... يريدون إيلاماً لأصغر نملة
وكان لها رب السموات ناصراً ... لما ظفروا منها بأدنى مضرة

☆ ☆ ☆

وقع فى ليلة الثلاثاء وصبحه وهى ليلة ١٩ شهر شعبان سنة ١١٨٠ﻫ ثمانين ومائة وألف ـ ثلج فى صنعا وماحولها لم يعهد مثله فى الكثرة فأصبحت الأرض والسطوح ممتلئة منه مترا كماً بعضه على بعض وقد كان تقدمه برد شديد من أول شهر رجب. فقال رحمه الله تعالى فى ذلك :

كسا الله وجه الأرض حلة زاهد ... وألبسها الآفاق أحسن لبسة
وعما قريب يكسها ثوب خضرة ... يعيد بقاع الأرض روضة جنة
تبارك ربى ثم جل جلاله ... يرينا من الآيات فى كل لحظة

عجائب دلت أنه الواحد الذى له وحده فى الـكون أعظم قدرة

* * *

وله رضى الله عنه راثياً لوالده العلامة الفهامة الزاهد الورع إسمعيل بن صلاح الأمير رحمه الله قال مولانا البدر رحمه الله كانت وفاته يعنى والده الضيا ضحوة الجمعة ثالث شهر ذى الحجة الحرام سنة ١١٤٦ هـ بصنعا ودفن بجربة الروض وشيعه أمم لا تحصى ووصل إلينا كتاب وفاته هجرة شهارة بعد العصر من يوم عرفة واتفق لوفاته من المواقع ما أراق دموع الأعيان وألهب فى كل قلب نيران الأحزان انتهى كلامه .

أحقا جرى ما يسبل العبرات ويجرى دماء العين لا الدمعات
وحق له شق القلوب تأسفا إذا شقت الأثواب بالنـكبات
وأن ينحر السلوان فى كل مقلة ويجرى دم السلوان فى الوجنات
لقد كادروحى أن يفيض من الأسى ويسلبنى حزنى ثياب حياتى
فيا عين قد أسعدت بالدمع فارفقى ولا تحرقى الأكوان بالزفرات
وهل نافع دمع يسيل ومهجة تذوب وعضى حسرة لشفاتى
وأقسم لو كانت جميع جوارحى عيونا وجاد الـكل بالعبرات
لما بررت من نار حربى جذوة ولو غرفت من دجلة وفرات
بلى فى مقام الصبر لو كان ممـكنا غنى عن دموع العين والحسرات
ولـكنه قد عيل كل تصبرى وما كل صبر فى الخطوب مؤاتى
لقدضاق ثوب الصبرعن شرماجرى وكان قديماً ساتر النـكبات
ولـكن لى فى المصطفى ووصيه وسبطيه والزهر أوذى الثفنات(١)
مجال لترويد التأسى وسـلوة فإن التأسى مرهم العثرات

(١) لعله يريد « زين العابدين » و « الثفنات » أثر السجود فى جبهته ــ منه .

أتى خبر أجرى الدموع وألهب الـ ... قلوب عقيب العصر من عرفات

فكذبته من هوله ثم ردنى ... رسائل أعلام أتت وثقات

رسائل مثل الشهد لفظا وفعلها ... بقلبى فعل السم واللسعات

رقوم كأمثال الأراقم سُمُّها ... ورب قتيل كان باللفظات

أتى من أزال قاصم الظهر ليتها ... أتت قبل أن يأتى إلىَّ وفاتى

بأن قد توى من لا يقاس به الورى ... وقد حمل التقوى إلى الحفرات

فيا عجبا هل يدفن الزهد والتقى ... يهال عليه الترب بالحثوات

ضياء الهدى من قد سما بفعاله ... إلى الملأ الأعلى ذوى الدرجات

به تكشف البلوى و يندفع البلى ... وتستنزل الأمطار فى الأزمات

عليم حكيم حافظ للسانه ... وأفعاله إلا عن القربات

أليف التقى خدن الهدى صاحب العلى ... حليف كتاب الله فى الخلوات

سيبكى عليه كل محراب مسجد ... و يلبس سر بالاً من الظلمات

فقد كان قنديل المساجد فى الدجى ... ينورها بالذكر والصلوات

وَصُولٌ لأرحام قطوع المظالم ... لطيف السجايا طيب الحركات

وأزهد خلق الله فى زينة الدنا ... وأطمعهم فى الخير والحسنات

ذكى يحل المشكلات بذهنه ... وَقُوَرٌ وُقُورَ الصخر فى الفلوات

مضى طاهر الأثواب مثر من التُّقَى ... فقير من الزلاَّت والهفوات

صفات علاه الشمس فى رونق الضحى ... وهل منكم للشمس فى الضحوات

ووالله ما بلغت فيها وصفته ... بلى ما بلغت العشر فى كلماتى

وكل على ظهر البسيطة شاهد ... بصدق الذى فاهت به نفثاتى

وخير الرثا ما كان حقاً وشره ... كلام أتى بالزور والكذبات

وما كل من يرثى حقيق بوصفه ... ولا كل راث صادق اللفظات

إلى الله أشكوا فقده وفراقه ... شتات أنى من بعد طول شتات

وموت أتى من بعد بَيْنٍ وغربة ... تَقضَّت بها سبعٌ من السنوات

وقد كنت أشكو فقده فى حياته ... وأرجو لقاه قبل حين وفاتى

فما راعنى إلا الرحيل بذاته ... إلى منزل كل إليه سيأتى

رحلت إلى جنات عدن مكرما ... وخلفتنى للحزن والزفرات

فوالله لا أنساك حتى يضمنا ... وإياك رب العرش فى الغرفات

وإنى لأرجو الله يلحقنى به ... سليما من الزلات والتبعات

وبعدك لا آسى على فقد فائت ... أبعدك شىء موجع بفوات

وخفف حزنى أننى مذ عرفته ... مطيع له فيما يقول ويأتى

وما الفضل لى فى بره بل أعاننى ... على بره بالعفو عن هفواتى

فياقبره حيـــا وابل رحمة ... تزورك فى الآصال والغدوات

وجادك هطّال من الرّوْح والرضا ... يبـــل ثراه طيب النفحـــات

وطوباك قد ضميت فى بطنك العلى ... وواريت كل الخير والبركات

فزارك منى كل حين تحية ... تصير بها أحجاره عطرات

وصل على المختار والآل أسوة ال ... مصابين فى ماضى الزمان وآتى

* * *

وله رضى الله عنه جواباً على السيد العلامة محمد بن أحمد الجلال رحمه الله .

أتانى فأحيانى وحيا أحبتى ... نظام أخ إن غاب حلَّ بمهجتى

أراه بعين القلب إن غيب النوى ... محياه عنى فهو عندى بحضرتى

أحب إلى قلبى من الناس كلهم ... صحبت هواه من زمان طفولتى

وصاحبته شاباً وكهلا ولم تزل ... مودته تنمو إلى آن شيبتى

سليل الأولى حَلُّوا من المجد والعلى ... محلا سما فوق السماء برتبة

هم آل يحيى بن يحيى وحبذا　　أناس هم فى الناس صفوة صفوتى
وقد أنجبوا عين الأنام محمداً　　فياحبذا فرع الأصول الزكية
وفاء وخلق كالرياض وهمة　　تناطح آفاق السماء العلية
أتانى نظام منك لا زلتَ ناظماً　　لشمل المعالى خصلة بعد خصلة
فإنك قد حزت الكمال جميعه　　وصرت إماماً فى الوفا والمروءة
ومازال ذكرى كل يوم وليلة　　سجاياك لما نلت كل فضيلة
فسامح أخاً لا يخلق الدهر وده　　وهل تخلق الأيام ثوب مودتى
على أنه قد مازج القلب حبكم　　فأنت غذا روحى وغاية منيتى
وحبكم فى القرب والبعد واحد　　ولكننى أهوى أراك بمقلتى
وهنأتنى بالعيد لا زلت عائداً　　على الكل فى خير وأكمل صحة
وعذرك مقبول وحاشاك لم تكن　　تعاملنى ما عشت يوماً بجفوة
فإن الوفا طبع لذاتك خلقة　　وخلق وهذا لم يكن فى الخليقة
بقيت بقاء الدهر ياطيب الإخا　　ودمت قرير العين فى خير نعمة

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه ملغزاً فى « إلا »

أى حرف تراه وصفا لجمع　　لم يوافق موصوفه فى الصفات
لم يكن مفرداً ولا هو جمع　　لم يعرَّف وليس فى النكرات
وهب الإعراب جوداً سواه　　واكتفى بالبنا عن الحركات
إن تلوت القرآن لا فيته فيـ　　ـه مقيماً فى معجز الآيات

☆ ☆ ☆

وكتب المولى العلامة إسمعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله إلى مولانا البدر رحمه الله هذه الأبيات ملغزاً فى «باب» .

يامن له الذهن الشريف والذكا   فَسِّرْ لنا اسماً أتاك نعته
أحكامه الفتح لدى المضاف هل   تحكم بالفتح إذا أضفته
وليس ممنوعاً من الجر بلا   شك فإن أردت ذا جررته
يرفعه ينصبه يجره   يكسره الفعل إذا أردته
والجاهل الصرف يرى جنس الذى   ألغزت فى الوصف الذى وصفته
ليس له قلب ولا عين على   أن له رجلين إن شاهدته
وحرفه الأول ثلثاه وإن   حذفته يبقى الذى أحببته
ومن عجيب شأنه أراه إن   قطعته تعمداً واصلته
فى جوفه النار ، وإن أخرجتها   من جوفه ياسيدى أحرقته
يصلحه البرد ولا ينفع من   برد شديد هاك ما أضمرته

* * *

فأجاب مولانا البدر رحمه الله

مولاى خذ نشر الذى طويته   ودونك الباب الذى أغلقته
بفتح للمضاف إكراما له   وفتحه بالجر إن أردته
ملازم للرفع حقاً والبنا   وقابل للفتح إن فتحته
يحفظ ما فى الدار حفظ حاذق   وجنسه صرف كما ذكرته
أصم لكن إن أتاك طارق   ناداك إن أجبته أدخلته
تنام إن أحببت وهو قائم   يدفع عنك كل أمر خفته
وهو ثلاثى خماسى وإن   طردته فهو كلو عكسته
وصدره البا كما آخره   أب إذا أحببته أكرمته
قلتم لنا ومن عجيب شأنه   أن إذا قطعته واصلته

أعجب من هذا بأن خِلَّهُ ... أقرب شيء منه إن نظرته
وليس يدنو للعناق جزؤه ... إليه لكن إن تشا ضممته
فما أظن النار في ضلوعه ... إلا من الوجد الذي عرفته
إن يصلح المبرد منه عوجاً ... فقبله بالنشر قد أحييته
فهل نشرنا ماله طويتُمُ ... وهل فتحنا الباب إذا أَرْتَجْتَه

✲ ✲ ✲

وله رضي الله عنه جواباً على المولى العلامة إسمعيل بن محمد بن إسحق رحمهم الله لعلها أرسلها إليه عند أن أرسل إليه الأبيات التي في تشبيه المصطكى عند طفوه على القهوة .

وافت هداياك التي مثلها ... ما سمعتْ أذني ولا قد رأيت
حار بها خِرِّيت فكريَ الذي ... كان قديماً داخلا كل بيت
وأسكتتني ثانيا بعد أن ... كنت المجلِّي قد غدوت الكميت
نظم كمثل الراح أصحبته ... كأساً لقد ألطفت فيما أتيت
وشجت بالفعل لتشبيهه ... وهكذا كل كمال حويت
هل قفة أو كرة قد أتتْ ... من صدف فيها الذي قد هويت
فضضت عنها ختمها بعد أن ... قضيت من تعظيمها ما قضيت
فأبرزتْ كأسين قد خِلْتُهَا ... مزابداً قد طُليتْ بالكميت
أو حفة من باغة قد طبقت ... تناشد الناظر هلاَّ اجتليت
أو فم ولهان على خَدِّمَنْ ... يقول خذ من قُبَلِي ما اشتهيت
قد كتب اللهو بخط الهوى ... في باطن الفنجان هلا انتشيت
أدرت فيها قهوة حلوة ... أحييت من النشوة لي كل ميت
فأبرزت تلك الصفات التي ... تضمن التشبيه في كل بيت
فصدقت عيني ما كذبت ... إذ ذكرت من لونها مانسيت

أسائل السلوان من فوقها قد نشرت من نشوتى ماطويت
شبهت سلطان الهوى فوقها من قومه يأمر خذ ما رأيت
فأمنت حين رأت فكرتى وقالت الآن بهذه اكتفيت
وامتثلت منشور ملك الهوى قائلة من بعد ذا لاعصيت
واعذر ففكرى يا جبريل الندى مشتت ما فيه للشعر بيت
دمت قرير العين فى نعمة تخدمك الأيام فيما ارتضيت

✡ ✡ ✡

وله رضى الله عنه خادماً للجناب الإلهى جل وعلا .

كل ما فى الأكوان من آياتك ودليل على كمال صفاتك
كله صادر عن العلم والحكـ ـمة من قال غيره من عداتك
قلت للخل حين أعجزنى الفكـ ـر عن الباهرات من آياتك
سرح الطرف طرف فكرك وانظر وتأمل إلى عجائب ذاتك
كنت من قبل نطفة ذات أمشا ج فمن ذا سواك فى ظلماتك
صرت عظماً من بعد هذا ولحماً سامعاً ناظراً إلى مبصراتك
ذا لسان معبر عن فؤاد مظهر المراد من كلماتك
طاعماً ذائقاً لكل لذيذ وكريه أتاك من أقواتك
جعل السن مطحناً لك فى الفم وغطى حافاته بشفاتك
وجمالاً إذا ابتسمت أو رمـ ـت كلاما أعان فى لفظاتك
جعل الجفن للعيون غطاء يدفع الواردات من آفاتك
من غبار يغشاها ودخان ويغطى العيون من حرماتك
جعل الأنف زينة لك فى الوجـ ـه بها تهتدى لمشموماتك
من أياديه إن حباك بأيد وهداها إلى منافع ذاتك
فبها تدخل الطعام إلى فيـ ـك وهذا من بعض حسن صفاتك

ثم نفع اليدين يقصر عنه كل عدّ تراه فى كلماتك
وتأمل إلى الأصابع وانظر نفعها فى الجميع من حركاتك
آه من غفلة أقامت على القلـ ـب فأضحى فى التيه من غفلاتك
يا فؤادى أفق وقف وتأمل فيك لا فى سواك فى أوقاتك
لو تأملت طول عمرك لم تحـ ـصر نفعاً حواه عضو بذاتك
فأطل شكر نعمة الواحد الفر د جزيل الهبات طول حياتك

* * *

وله رحمه الله مجيباً على السؤال المشهور الذى أورده بعض الذميين ذكره المقبلى رحمه الله فى «العلم الشامخ» وقد أجاب عنه عدة من العلماء رحمهم الله .

نعم قد قضى ربى بما هو كائن بهذا أقام الله جل الأدلة
وكفرك مما قد قضاه كما قضى بأفعاله فى خلقه للبرية
وما سد عنك الباب كلا وإنما آتاك اختياراً وهو أعظم حجة
فأنت سددت الباب جهلاً وضلةً كما صنع الضُّلاَّلُ فى باب حِطَّة
كذبت بأن الله قال ارض بالقضاء أيأمر أن ترضى بكفر وضلة
بلى قال لا تكفر بأمر بالذى نهى عنه هذا منك أعظم فِرْيَةَ
وصرّح فى الذكر المبين بِنَفْيِه رضاه به فانظره فى خير سورة
وسبق القضا[1] لا يقتضى الجبر هل ترى إلٰهك مجبوراً لسبق القضية
فإن قضاه سابق كل كائن لأفعاله قطعاً وفعل البرية
وما أحد ينفى اختيار مكلف سوى جَهْمٍ الآتى بكل عجيبة
ومن قال فعل العبد كسب فقد نجا وإن كان هذا الكسب فى بطن خفية

---

(١) وفى نسخة : لسوق القضا .

ولـكنهم فارقوا جهماً الذى يقول بأن العبد كالشجر التى
تُمَيِّلُهَا ريح تهب بِدَوْحِها تميل بها الأغصان فى كل هَبَّة
فلا تدعهم جبرية بعد هذه وأنصف وجانب كل ذى عصبية
ولو كان هذا السبق عذراً لـكافر إذًا عذَرَ الـكفَّارَ بارى البرية
وماشاء منك الـكفر قط وإن قضى به فالقضا ليس اختيار المشيئة
فما هو إلا العلم أنك ترتضى الضـ ـلالة اختياراً منك أقبح فعلة
وما العلم إلا سابق غير سائق
كذاك القضا فاعرف أصول الشريعة
قضى ثم آتاك اختياراً وقد هدى الـ ـعباد إلى نَجْدَىْ رشادٍ وشقوة
فأنت الذى اخترت الشقاء على الهدى فخذ شؤم ما قدمت من كل زلة
وعِلْمُ وصىٍّ المصطفى فى جوابه على سائل وافى بهذى البلية
بما هو كل الحق فانظر جوابه تجده شفاء الداء من كل علة
ومن لم يكن بالله والرسل مؤمنا فقد فاز بالخسران فى كل ملة
وصل على المختار والآل إنها ختام بمسك فى تمام القصيدة

وله رضى الله عنه ملغزاً

أى صلاة بطلت من أجل ستر العورة
وهى أيضاً لا تصـ ـح إلا بستر العورة

قافية الثاء المثلثة

ورد إليه رحمه الله سؤال لفظه

وَبِى حَزَنٍ كالزوج ديناً ومذهباً فمات فلم تلحق صداقاً ولا إرثاً
وليست بذى قتل ولا ذى جناية فأنعم لنا ياصاح عن هذه الأنثى

فأجابه رضى الله عنه

هذه مملوكة زوجها مالك حاز صداقاً وتراثاً
وهى لم تحو سوى الحزن الذى أورث القلب انكساراً واقتراثاً
فعليها الحمد والشكر لمن جعل المملوك لا يحوى أثاثاً

قافية الجيم

وله رضى الله عنه جواباً على المولى العلامة ضياء الدين إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمهم الله عن أبيات أرسلها إليه من السجن من قصر صنعا لعلها فى سنة ١١٥٥ هـ خمس وخمسين ومائة وألف .

وافت على وفق احتياجى لتجس نبضى للعلاج
جسَّتْ فلم تر ما يدل به على سوء المـزاج
ففدت تأمل أى سقـم لا يكون مع اختلاج
ظنت به داء الغـرا م واسعة المقل السواج
ففدت ترجيـه اللقا ء وليس للقيا برَاجِ
جهلت دواء الدافوا ت لاتراجع فى الحجاج
أنا بالذى قد حل بى أدرى وأعرف مامزاجى
قـد كان قانون الشفـا عندى وتحقيق الخفاجى
ونجوم نضحى تهدى الـ حيران فى ظلم الدياجى
حتى عرفت بنى الزما ن بالاختلاط والامتزاج
خالتهم جهـلا بهم لا لافتقـار واحتيـاج
فشربت كأس السم من أيديهمُ من خير حَاجِ
مـن لى بتنـكير المعا رف خائف منهم وراج
كم خِلْتُ خِلاًّ صـادقا فـوجدته عين المداج

دهـــــر بنوه تراهم … خُشُباً فمن ساج وعاج

مـافى المدارس والمجـا … لس والمنـازل والفجـاج

غير الذئـاب مع الشيـا … ه أو الثعـالب والدجاج

قد كان لُذْناً بالحصو … ن نسيم برق الأنفراج

ونُدِيرُ من كأس المعـا … رف كل صافية الزجاج

فعـــدى الزمـان بخبثه … حسداً على طيب ابتهاج

فالأرض صارت كلها … ذات اضطراب وانزعاج

وتغـير المـآء الفـرا … ت فطعمه دون الأجاج

ضربت على هذى القلو … ب همومها ضرب الخراج

فى كل يوم غـــارة … لِلْهَمِّ تدعو للهياج

ياقلب ويحك كل هـ … مٍّ مؤذن بالانفراج

فَتَسَلَّ عن أهـل البسيـ … طة مـادح منهم وهاج

واقنع بما قال الإمـا … م أبو العلى من لايداجى

شمس العلوم ومـن لد … يه البدر من دون السراج

وصـف الزمان وأهـله … وصف الشران من الزجاج

وفتحت من باب الملو … ك معائباً ذات ارتياج

وعلى الخبير سقطت عنـ … دى من معائبهم بواجى

سلنى أُبَيِّنْ حـالهم … من دون عَىٍّ وارتياج

القـــح ببحثك عنهمُ … تجد القطيع من النتاج

قد كنت منهم ناجياً … من عين أعيان النواجى

ومضى الشباب ولم أقبـ … لْ كف ذى ملك وتاج

دار الخـــلافة لم أقف … بالباب منه ولا الدراج

ولـكل شىء آفـة … تأتيـه بالأمر المفاجى

قف عن تفاصيل الحديـ ث إذا عجزت عن التناجى
واثن العنان إلى الثنا ء على بديع الاندماج
عقد على جيد المعـا لى للزفاف وللزواج
قد حدثت أن المعا لى هيئت للازدواج
جلّت قصيدتك التى جلت على نظم السراجى
أمّت فقمت مصلياً فعثرت فى أثر العجاج
أبيات شعرى فى معا نيها سراب فى فجاج
مثل الزجاج وهل ير جّى جبر منكسر الزجاج
فاستر بفضلك ما ترا ه من اختباط واعوجاج

* * *

وله رضى الله عنه مجيباً على الفقيه النبيه الكامل الأديب عبد الوهاب بن محمد سداد رحمه الله عن أبيات وصلت منه فى شهر صفر سنة ١١٨١ هـ .

عَذْلُ العذول لباب السمع ما ولجا لَبَابُ سمعىَ عن عذل العذول حجا
كأنه خاف من نار الغرام وما درى بأن لنا مما يخاف رجا
لا تنكرن على أهل الغرام ولا تخاف إن وردوا من بحره لججا
يرون عَذْباً عذاب العشق أنهمُ لا يطلبون لهم من ضيقه فرجا
شأن المحبين فيما نالهم عجب فظلمة الهجر أضحت عندهم سرجا
قد سافروا فى مفازات الهوى طرقا فما يرون بها أمتاً ولا عوجا
ذق ياعذول الذى ذاقوه تَدْرِ بما جهلته وترى مدح السُّلُوِّ هِجَا
لا تسل لا تسل عمن قد شغفت به فما سلا حبه إلا عديم حجا
أتحسب العذل شعراً قد أتى وإلى مسامع القلب قد وافى بغير حجا
شعر لطيف يكاد السمع يرشفه كأنه الراح بالأرواح قد مزجا

رأيته الدر منظوماً فصرت أرى ... من بعده كل منظوم غدا سبجا
إن ينكر الأدبا فضلا خصصت به ... فقد أقمت بما أهديته الحججا
فإن نظمك قد أزْرَى بنظمهمِ ... فكل نظم سوى ما قلته سمجا
بالفضل أنت عرفت الفضل ممتدحاً ... لى فانشرحت بما أهديت مبتهجا
ومن شنانا كما قلتم فلا عجب ... هل فاضل من لسان الحاسدين نجا
إن العرانين نلقاها مُحسَّدةً ... فى كل عصر فسل من دبَّ أو درجا
وغيرهم ماله فى الناس تذكره ... كأنه ما رأى الدنيا ولا حرجا
فالحمد لله حمداً دائماً أبداً ... إذ نحن فى حاق كل الحاسدين شجا
خدام لى ولهم مابى وما بهمُ ... ومات أكثرهم بالقهر معتلجا
واسلم ودم طالباً للعلم مجتهداً ... تنل بذهنك فى التحقيق كل رجا
لا زلت لا زلت بدراً ترتقى رُتَباً ... من المعالى إليها الكلُّ ما عرجا

* * *

وله رضى الله عنه جواباً على المولى العلامة إسمعيل بن محمد إسحق رحمه الله على أبيات معاتبة لعل ذلك فى شهر ذى الحجة سنة ١١٤٦ هـ سنة وفاة والده .

أراك الدهر ترى المموجة ... أهدى السبيلين من الحجة
أما عرفت أننى فى الحجة ... فى قلق لا جئتنى بحجة
تسمع لى من البكاء رجَّة ... تحسبه بحراً أتى بالموجة
فليت من شجّ الزمان شجَّة ... فى رأسه حتى يعيد نهجة
فلا تساعده على ما وجَّه ... فما له فيما أتاه حجة
وأنصف فدت ذاتك كل مهجة ... وخذ من النظم الذى توجة

قافيه الحاء المهملة

وله ـ بل الله ثراه بوابل الرحمة والغفران .

كم قد بذلنا النصح لكننا ... لم نر فى الإخوان منتصحا

بل منهم مبتدع قد غدا سكران من بدعته ما صحا
ومنهم مستكبر لا يرى لنفسه أن يتبع الأصلحا
يقول مثلي لا يُرَى تابعاً لغيره لست إذًا مفلحا
ومنهُم القائل لـكنه ينكر من عرَّفه الأرجحا
فلا تراه شاكراً ذاكرا يوما لمن صيَّره مفلحا
بل ليته يترك ذماً له فضلا بأن تسمعه مادحاً

✡ ✡ ✡

وقال رحمه الله : اتفق لنا خروج إلى بئر العزب إلى بيت سيدى العلامة عبد الله ابن أحمد بن إسحاق رحمه الله فلم يخرج معنا فـكتبت إليه ارتجالا أستدعيه سنة ١١٧٠ هـ إحدى وسبعين ومائة وألف هجرية .

قد نزلنا في سُوحِكَ الرَّحب لـكن هو جسم وأنت لا شك روحه
أي روح لنا بجسم بلا رو ح فعجل بالوصل يُشْرِقْ سُوحُهُ

وله تغمده الله برحمته

قلب بداء ذنوبه مجروح يغدو بما لا أرتضي ويروح
أعمى بصيرته وسد مسامعا منه أليس به النصيح يصيح
شيب وضعف في القوى مَعْ غُرْبَةٍ بُعْدٌ أصاب أحبَّتِي ونزوح
قد ضم أحبابي وأترابي ومن عاشرته بعد الممات ضريح
كانوا هم الأعيان يشرح قربهم قلبي فلا شرح ولا مشروح
والقلب مات وصار صدري قبره فعسى يعود له هنالك روح
وليس الحيا يحييه لـكن مقلة يسقيه منها دمعها المسفوح
لـكن أصاب القحط دمع محاجري فالدمع من سفح العيون شحيح
يارب عجل غارة تشفي الجوى بجنود عفو للذنوب تريح
هزمت جيوش السيِّئات فأسْدُها كل بسيف جيوشه مذبوح

لو تعلم الأحجار أن بمهجتى ... حجراً لعادت كالحمام تنوح

لا بل أشد من الحجارة قسوة ... والنص فيما أدَّعِيه صريح

ماذا الذى يحييك ياقلبى وهل ... غير المسيح إذا طلعت يسيح

ما غير من يحيي العظام من الثرى ... ولذاته التقديس والتسبيح

رب العباد وخالق السبع الشدا ... د بفضله يغدو الورى ويروحوا

يارب ياعَلاَّمَ كلِ خفية ... ما الجهر ما الأسرار ما التصريح

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه فى المغايرة

مذ سمعوا مدحى لدهر أهله ... يستبدلون ذمه عن مدحه

قالوا وَلِمْ تمدح ما نذمه ... فقلت قد غايرتكم فى قبحه

لأن من يحقر فهو ظافر ... عما قريب ظافر بنجحه

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله فى الموازنة

قال خليلى إن لى جيرة ... عَدَوْا على جار لنا يصلح

قد رجموا عمداً إلى داره ... فقلت من يرجمه لا يفلح

☆ ☆ ☆

قال المعرى

أَخَفْتُمُ السابح فى لُجَّةِ ... ورُعْتُمُ فى الجو ذات الجناح

هذا وأنتم عرض للردى ... فكيف لو خلدتمُ يا قباح

☆ ☆ ☆

فقال مولانا البدر رحمه الله

يابرهمى[١] الشرع رَبِّيَ الذى لصيد بر ولبحر أباح
لو كنت تقر الذكر والسنة الغراء ما قلت لهم ياقباح
فما على من صاد حوتاً ولا ذات جَنَاحٍ ما عليه جُناح

☆ ☆ ☆

وأجابه أيضا بقوله

حرمت أكل اللحم يا جاهلا ولُذْتَ من جهلك أهل الصلاح
وربنا مَنَّ علينا بما نصيد من حوت وذات الجناح
تفضُّلاً يامنكراً فضله فما علينا فى مباح جناح
قلدت أهل الكفر لكننا نتبع آيات الكتاب الصحاح

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه فى القول بالموجب

وشادنٍ وافَى إلى مَنْهلٍ فلم يزل مبتهجاً يمزح
وقال هل تسبح يامالكى قلت نعم فى أدمعى أسبح

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله كتبها فى آخر إجازة الفقيه العلامة أحمد بن يحي الشامى رحمه الله

فارْوِ عَنِّى ياصفىّ الدين ما أنا أرويه على الوجه الصحيح
من علوم المصطفى خير الورى خاتم الرسل وذى القول الرجيح
من أتانا بالهدى من ربنا وأرانا الحق بالنص الصريح

---

(١) البراهمة فرقة لا تأكل اللحم ولا تجيز ذبح الحيوان ، وكان المعرى لا يأكل اللحم ولا يبيح ذبح الحيوان ولذا قال من رثاه بعد موته .

إن كنت لم ترق الدماء زهادة فلقد أرقت عليك من دمعى دما

فالهدى فيما أتى عن أحمد | خَلِّنَا من قول ذى قول جريح
فاتَّبِعْ وجهاً صحيحاً وجهه | واطَّرح ماجاء بالوجه القبيح
دع متوناً وشروحًا جُلُّها | عند ذى التحقيق أمثال القروح
خَلِّ أقوال رجال أصبحت | عنـدنا بين قتيل وطريح
وتمسك يا ابن يحيي بالتُّقَى | إن ترد تظفر بالأمر الربيح
واخلص النيـة فيما تبتغى | إنمـا النية للفعل كروح
واصطبر للحق فالأعدا له | أمم تدعو إلى غير الصحيح
واترك الدنيا ولا تحفل بها | إنما الراحة فى زهد المسيح
واطلب الفتح من الله فما | غيره يأتى بأنواع الفتوح
سلْه من إفضاله ما رُمْتَهُ | كلَّ حين فى غبوق وصبوح
وَاقْرَ فِي « فَاطِرٍ » ما يفتح من | وتأمل قِصَّتَىْ هود ونوح
وادع يا أحمد لى فى مدتى | وإذا صرت إلى بطن الضريح
قد نصحنا كل من تعرفه | قل جزاه الله خيراً من نصيح
وابذل العلم ولا تبخل به | ما الثنا والأجر إلا للسميح
يلجم البـــاخل بالعلم غداً | بلجام النار فافبح بالشحيح
وصلاة الله تغشى أحمدا | وذويه ما سَرَتْ ريحٌ بروح

[قافية الخاء المعجمة لم أجد فيها شيئاً]

✡ ✡ ✡

قافية الدال المهملة

وقال رضى الله عنه لما نزغ الشيطان وسول لجماعة أن يقتلوه وتجمعوا لذلك وحال الله ـ وله الحمد كثيراً ـ بينهم وبين ما يرومون وحبسوا وأعاد الله كيدهم فى نحورهم فقلت .

شكراً لربى دائما أبداً وحمــــدا
شكراً لما لا أستطيع لعشره حصراً وعـدا
جاء العــدا وتجمعوا لأذيتى بغياً وحسدا
وأرادوا الأمر العظيم جهالة منهم وحقدا
سفك الدم المعصوم بالـ ـإيمان عدواناً وعمــدا
فكفى إلهى شرهم فله الثنا ما عشت يُهْدَى
يا أيها الإخوان إنى لم أجىء إمراً وإدَّا
لم آنه إلا عن مخا لفة النبى ممن تَعَدَّا
المصطفى خير الأنا م وآله العالين جـدًّا
فَهُمُ النجوم لمهتدٍ وهم الرجوم لمن تعدَّى
ونهيت عن جمع الصلا ة بخارج الأوقات عمدا
ونهيت عن بدع القبو ر عَنْ نِدَا من حلَّ لحدا
وعن النجوم وأن فيـ ـها عندهم نحساً وسعدا
قل المنجم ما الذى تُجْدِى النجوم إذا تردَّى
عرَّفتكم سنن الهدى وأبنتها رسماً وحـــداً
وعلى المنابر والكرا سى لم أدع للنصح جهدا
أَمْلِى الكتاب وسنة الـ ـمختار تفصيلاً وسردا
ومفسراً لكتاب ربى من به البلغا تحـــدا
أبرزت فيـه نفائساً أوضحتها حـلاً وعقدا

ومزجته بالوعظ حـ ـتى لان قلبٌ كان صَلْداً
ومبلغاً عن أحمد خير الورى علماً وزهـدا
حتى مـلأت بسنة الـ مختار أغواراً ونجـدا
تبع السعيد طريقتى فنجا ونال هُدًى ورشدا
كان الحديث بأرضكم مستغرباً والله جدا
حتى نشرت فنونه وجلوت منه ما تصدى
ولدرسه ولأخـــذه من بعدنا كلٍ تصدى
وتنافس العلماء فى كُتْبِ الحديث هَوًى ووجدًا
هـــذا بتنسخ وذا بشرائها بالمـال نقـدا
ما قلت ذا فخراً ولا أرجو بنشر العـلم جَدًّا
بل قلته متحدثا بنعيم من أعطى وأجدى
رب السموات العلى من كلنا آيته عبدا
بالله قل لى يا عذو لى علام تعذلنى مُجِـدًّا
أعلى الرسول وحبه وهدايتى حراً وعبدا
أم لِمْ نشرت حديثه وعلى سواه طويت بردا
أم لِمْ نهيت عن القبا ئح من بها جهلاً تردَّى
أم لِمْ أُزَهِّد فى الدُّنَا وأصد عنها الناس صدا
أم لِمْ نهيت عن ابتدا ع هَدَّ ركنَ الدين هدًّا
قل ما تشاء فقد سَدَدْ تُ مسامعى عن فِيكَ سَدًّا
كانوا بـــترك مذمتى إن لم تـكن شـكراً وحمدا
من لامنى من بعد ذا كافيته عكساً وطرداً
بينى وبين عواذلى إتيَانِىَ الرحمنَ وَفْـدًا
ويساق من هو مجرم لجهنم والله وِرْدا

فلديه يجتمع الخصو م وكل خاف منه يبدى
وهناك ألقى أحمد الـ مختار أو فى الخلق عهدا
فأبث شكوى ما لقيـ ـت لأجله ممن تعدى
صلى الإله على الرسو ل وآله الزاكين جدا
ما صافحت نسمات نجـ ـد فى الرُّبَى وَرْداً ونَرْدا

☆ ☆ ☆

وللشيخ العلامة عبد الله بن محيي الدين العراسى رحمه الله إلى مولانا البدر رضى الله عنه

ما قول مولانا الإمام البدر مَنْ بعلومه شهد العدوُّ الحاسدُ
فيما يقال يجوز تأمين لذى الـ إشراك وهو لمن براه جاحد
كالبانيان ونحوهم من عابد غير المهيمن بئس ذاك العابد
هل سنة دلت عليه وآية فى الذكر أنزلها الإله الواحد
أم هل قياس يستدل به وإن كان الكتاب على سواه شاهد
فالأمر فى الذكر المبين بقتلهم نصٌ جلىٌ للقياس معاند
فسوى الكتابى ليس يقبل منه غيـ ـر القتل والقرآن فيه وارد
أو أن يتوب ومن يتب عن شركه فإلهنا بالعفو عنه واعد
وإليه قد ذهب الكثير وإنه بالذكر معتضد ونعم العاضد
إن القياس إذا أتاك مصادماً لكلام بارينا قياس بارد
بل فى جزيرتنا أتانا النَّهْىُ عن إبقاء من هو للشريعة جاحد
من ذى كتاب أو سواه فليتهم عملوا بما قال الحميد الحامد
فأبن لنا ما ذاك عندك راجح يا أيها المولى الأمير الماجد

صلى عليك الله بعد المصطفى والآل ما مال القضيب المائد

* * *

فأجاب مولانا البدر رحمه الله :

يا فخر دين الله يا من نظمه بكماله فى كل فن شاهد
وافى السؤال وفيه منك نفائس ومسائل وشوارد وفوائد
عن حكم أهل الشرك فى أقطارنا كالبانيان ومن سواهم جاحد
أيجوز بين المسلمين بقاؤهم أبداً فأين دليل ذا والشاهد
فاعلم ظفرت من المعارف بالذى غيظاً يموت بما ظفرت الحاسد
إن الألى قد صنَّفوا أنواعهم بثلاثة ماثَمَّ صنف زائد
أهل الكتاب وحكمهم أن يسكنوا خططاً لهم عن أرضنا تتباعد
ثم المجوس وحكمهم فى حكمهم فالكل فى التحقيق قسم واحد
ثانيهمُ العربىِ وهذا حكمه أمران بالتخيير فيه وارد
السيف أو إسلامه ياحبذا إن كان للتوفيق منه مساعد
والثالث العجمى كبِشْرَامٍ ومَنْ للعجل والشمس المنيرة عابد
قالوا يجوز لنا بها تأمينه أبداً بجزيته إذا ما ساعدوا
هذا الذى قد صنفوه وبعد ذا قلنا هنا بحث يراه الناقد
قلنا لهم هاتوا لنا برهانكم إن كان للإنصاف فيكم قاصد
قالوا القياس على الكتابىِّ الذى تَأْمِينُهُ أبداً عليه شواهد
قلنا لهم شرف الكتاب أجارَّهُمْ عن قتلهم إلا إذا ما عاندوا
قلنا ويلزمكم بغير تردد إلحاق من هو للشريعة جاحد
فَلْتَجْعَلُوا الأقسام قسما واحداً فقياسهم فى ذا وهذا واحد

قالوا إذا لم ترض ماقد صنفوا ... هات الصواب وأنت فيه مساعد
قلنا أتانا فى براءة حكم من ... جحد الإله وبئس ذاك الجاحد
فبراءة ببراءة قد آذنت ... منه لـكل مُعاهَدٍ قد عاهدوا
منحوا بذلك أشهراً معلومة ... فإذا انقضت فالسيف فيكم وارد
إلا الذين وفوا بعهد منكم ... فإلى انقضاء العهد منكم ساعدوا
أو جاءكم رجل يريد سماعه ... لـكلام خالقه ونعم القاصد
أن يهتدى مالم فإن أمانه ... حتم كما فى الذكر قال الواحد
حتى تبلغه محــل أمانه ... واسمع هُدِيتَ وأنت شخص راشد
إن الـكتابيين حكمهمُ الذى ... قد مر لـكن ثَمَّ شىء زائد
إخراجهم حتما بغــير تردد ... عن أرضنا فالنص فيه وارد
ما ثَمَّ شىء للنصوص معارض ... إلا اعتذار وهـــو شىء بارد
بمصـالح وفوائد وعــوائد ... والكل إن حققتهن مفاسد
هذا وتأبيد الأمان لـكافر ... لم يأت فيه من الأدلة واحد
ما فى براءة غــير ما قد سقته ... قسمين ليس سوى وأنت مشاهد
تأبيد تأمين الـكتابى الذى ... وافى بجزيته وليس يعاند
أو ضرب عهدٍ مدة معلومة ... من بعدها لا عهد فيما عاهدوا
ويجوز صلح محارب فى قوة ... إن كان للإسلام ضعف زائد
عشراً من السنوات إذْ خير الورى ... لبنى أبيه لمثل ذاك مساعد
نخذ الجواب كما تراه محبَّراً ... فيه مصادر للهدى وموارد
والنظم مفتقر إلى توضيحه ... نثراً ففيه فوائد وفرائد
ثم الصلاة على الذى بعلومه ... يهدى إلى نهج الرشاد القاصد
والآل من بعلومهم وبهَدْيِهِمْ ... هُدِىَ الأنام وضل عنه الحاسد

وله ـ رضى الله عنه ـ جواباً على والده رحمه الله عن أبيات كتبها إليه من «صنعاء» وكان البدر ـ رحمه الله ـ مقيما بـ «كحلان» لقراءة «الأزهار» وشرحه يحرضه على العود إلى صنعاء وذكر شيخه العلامة زيد بن محمد بن الحسن رحمه الله .

قال مولانا البدر : أظن ذلك فى سنه ١١٢٨ هـ ثمان وعشرين ـ بل ذلك سنة ١١٢٢ هـ اثنين وعشرين ومائة بعد الألف .

بروق بأكناف الحمى تتردد ... تُقيم فؤاداً المُعنَّى وتُقْعِدُ

تُناجِى فؤادى أن شرْعة الهوى ... تـكاليفَ منها إن نومك يُفْقَدُ

وإنك تُضْحِى سائلَ الدمع سائلاً ... عن الرَّبْع هل فيه الذى كنتُ أعهد

فهل آخِذٌ عنِّى حديثَ هو أمُّهُمُ ... فذلك مرفوع إليهم ومُسنَدُ

رَوَتْ مهجتى عن مقلتى عن جفونهم ... بأن لهم سهماً إلى القلب يورَدُ

وإن النوَّى قدفل جَيْشُ اجتماعنا ... فأتْهَمَ عنهم تارةً ثم أنجد

وخفف ما بى من غرام وغربة ... نظام هو الدر النفيس المنضَّد

ترشَّف ذهنى من رحيق بديعة ... كؤوساً فأضحى وهو منها معربدُ

خرائد فـكرٍ فى حُلِيِّ بلاغة ... مشتْ فى رياض الطرس وهى تَأَوَّدُ

يحرضنى فيه على العلم والتُّقَى ... ويدعو إلى العليا ويهوى ويُرْشدُ

لعمرى لقد أيقظتنى وهديتنى ... فلا زلت بالقول السديد تُسَدَّدُ

على أننى بالعـلم صب متيم ... وذهنى إلى روضـاته يتردد

وأطنبت فى صنعا وطيب سكونها ... وأن ربوع العـلم فيها تُشَيَّد

صدقتْ هى الدار التى ليس لمثلها ... إلى سُوحِها من رام ما شاء يقصد

ففيها شيوخ للعـلوم وللهدى ... وكل ذَكِىّ ذهنـه يتوقد

كفاها افتخاراً أن زيداً بربعها ... تتيه به الدنيا وتزهو وتسعد

إمامٌ لِرَبْعِ العلم أضحى مجـدداً ... فلا عجب فهو الإمام المجـدد

وقد جمعت فيها الـكمالات كلها ومن جمعت فيه غدا وهو مفرد
كسا ذهنه ذهنى ثياب دقائق غدا وهو مختال بهـــا متأود
وكم لِىَ من شيخ بهـــا متبحر له فى العلى مجـد أثيل وسؤدد
فلم أغترب عنها لتفضيل غيرها وقد كان لى فيها عهاد ومعهد
ولـكن أرى للاغتراب فضيلة تخفف نار الأشتغال وتخمــد
ومن يرتضى طول الْمُقَامِ بأهله فذلك عن نيل المعـــالى مُقَيَّدُ
لعل النوى يُدْنِى إلى رتبة العلى ويشـكر بعـد الاجتماع ويحمد
وأرجو من الرحمن نور هــداية تضىء إلى الحق القويم وتُرْشِدُ
فإنا لفى دهر تَلَفَّعَ أهـــلُه بأثواب جهل فالهدى فيه مكمد

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه جواباً على والده رحمه الله عن أبيات كتبها إلى شبام أيام إقامته فيها فتعذر الجواب لأشغال ، ثم لما انتقل رحمه الله إلى شهاره لأسباب أجاب على والده رحمه الله بقوله :

تجدد البَيْنُ فاستأنفتُ فى العدد وكان ما مرَّ عندى غايةَ الأمد
فـكيف غاية ما وصَّى لبيد[1] به يثنيه فى العد لم ينقص ولم يزد
لـكنه حين كان الْبَيْنُ فى سَفَرٍ يرضى به رَبُّنا ما فَتَّ فى عضدى
فإنه هجرة عن كل منـكرة قد أحدثتها ملوك الجور فى بلدى
مثلى يقيم بأرض لا تقام بهـا شريعة المصطفى والواحد الصمد
مثلى يقيم بأرض لايصان بهـا ما ثَمَّرَ المرء من مال ومن ولد
إن كنت أرضى بحمل الذل فى بلد [إذاً فلا رَفَعَتْ سوطى إلى يَدِ]

---

(١) يريد إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر عنه

ولا يقيم⁽¹⁾ على ذل يراد به عَيْرَ الأَذَلَّيْنِ غَيْرُ الحَيِّ والوتد
لا كنت لا كنتُ من نسل الرسول إذا أقمت بين ذوى الشحناء والحسد

الحر يرضى بحمل الصخر من جبل عال وفى جيده حَبْلٌ من المسد
وليس يرضيه حمل الذل فى بلد[2] قد فاز فيه بعيش ناعم رَغَـــدِ
الله يعلم أنى ما رحلت عن الـ أوطان إلا ونار الفقد فى كبدى
ولا سمحت بلقيا والدى وأخى لله من والدٍ بَرٍّ ومن ولد
الآخذين صفات المجد عن كمل والفائزين بخلق كالرياض نَدِ
هذا وإنى بحمــــد الله فى بلد ظفرت فيها بشخص سيد سند[3]
إمام عـــلم ومعروف ومكرمة وسابق فى المعـــالى غير مقتصد
أعنى به شرف الإسلام خير فتىً عند النوائب أضحى خير معتمد
قصــــدته فتلقَّتْنى مكارمه وصرت فى بيته المأنوس كالولد
إن غبت عنكم فروحى فى منازلكم سبحان من صيَّرَ الرُّوحَيْنِ فى جسد
ما غير فَقْدِكُمُ أشكوا تطاوُلَهُ إلى الإله ولا أشكو إلى أحد
الله أرجوه بعـد البَيْنِ يجمعنا فهو المرجَّى لنا فى حل ذى العقد
ما زلت أعرف منه اللطف متصلا مهما رَحَلْتُ ومهما كنت فى بلدى
إنى لأرجو قريباً جَمْعَ فُرْقَتِنَا والاتِّصَالَ على خــير يداً بيد
وَدُرُّ نظم أتى لم يأت من صدف ولا روى مثله فى غيثه الصفدى[4]
قابلته بالحصـــــا فاقبله مغتفراً وقل عفا الله عما جاء من ولدى

---

(١) تضمين مع تغيير يسير.
(٢) قوله: فى بلد – وفى نسخة «فى وطن»
(٣) يريد سيدى الحسن بن القاسم رحمه الله.
(٤) يريد به «الغيث المنسجم شرح لامية العجم» للعلامة الصفدى.

واستقبل العيد عيد النحر فى دَعَةٍ ونعمــةٍ وسرور دائمِ الأبدِ
دامت عليكم تحيّاتٌ مكرّرةٌ لا تنقضى بانقضاء الدهر والأمد
بعد الرسول ومن بعد الْوَصِيِّ ومَنْ بعد البتول وأهل البيت ذى الرشد

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله جواباً على والده الضيا أيضاً عن أبيات كتبها إليه بعد وصوله إلى حصن شهارة وذلك فى شهر ذى الحجة سنة ١١٤٥ هـ .

إلىَّ أحاديث الصبــا تُسْنَدُ وَعَنِّى رُوَاةُ الحب فى الوجد أسندوا
ومرسل دمعى قــدرووه لأنه لما أرسلوه من غَرَامِىَ يشهد
وكم أخذ العشاق من نار صَبْوَتِى وكم وردوا من نهر دمعى وأوردوا
ولى فى الهوى العذرىِّ أرفع رتبةٍ إلى مثلها أهل الصبابة تَقْصِدُ
هنيئاً لأحبابى تنــام جفونهم وجفنى إذا جن الظلام المسَهَّدُ
أُقلِّب أجفانى فلا الليل ينقضى ولا النوم يأتينى ولا الدمع يَنْفَدُ
فيادار أوطانى ومنزل صَبْوَتِى ومَرْبَع أُنْسِى هل بك الدهر يسعد
وهل لى بأحبابى وسكان مهجتى وقرة أجفانى وصالٌ يجــــدد
ويا نسمة الروض التى عبرت ضحى فرقّصتِ الأغصان فهى تأوَّد
قفى فاحملى عنى تحيــة وامق إلى جيرة بالبعد جاروا فأبعدوا
ويابرق خذ من نار وَجْدِىَ جَذْوَةً وَزُرْ أرض من تَهْوَى لعلك تسعد
وقف بأزال سائلا عن منازلى فقد كان لى فيها عهاد ومعهد
بعيشك قَبِّلْ كَفَّ أفضلَ عالمٍ ومن هو بحر للمعارف يوردُ
ومَنْ كأُوَيْس فى تُقاه وزهده ومثل إياس فى الذكا يتوقد
ومن هو نور فى المساجد ساطع إذا قام ليلا خاشعاً يتهجــد
فتلك بيوت الله تزهو بنوره وهــذا هو الفخر الذى يتأبَّد

كما أشرقت نوراً بِدُرٍّ نِظَامِه شهارة بل كادت لما قال تُنْشِدُ

أعاد لها عصر الشَّباب بمدحها وذكرها إذ كان فيها المؤيد

إمام الهدى من شيد العلم و الْعُلَى وخلَّف أبناء لما شاد شَيَّدُوا

قد أشرف الإسلام أحيا مآثرا بها بين أرباب الفضائل يحمد

كريم لطيف حالَفَ الجود والنَّدَى فليس له نِدٌّ من الناس يوجَد

كذا كعبة للفضل نحو فنائه يحج جميع العارفين ويقصدوا

أتيت إليه لا أريد إقامة فقيَّدَنِي إحسانه المتعدد

إلى أن تناسيتُ الرحيل وصرت فى رُبَاهُ لتدريس المعارف أَقْصِدُ

وذكَّرَنِى صنعا وما كنتُ ناسياً رباه ولكن لوعة تتجدد

أينسى الفتى أوطانه ودياره إذاً فهو من بين العوالم جَلْمَدُ

قطعتُ بها عصر الشباب مدرساً بها كل فَنٍّ والمدارس تشهد

وقد كان طرف الدهر وَسْنَانَ نائماً ونحن بروضات اللوا نتردد

وكان لنا فيما يزيد مساعداً ويا حبذا دهر بما شئت يسعد

فما باله أبدى الجفاء لمغرم أحسداً له فالدهر قد قيل يحسد

أبعد سكونى حرَّكَتْنِى عوامل وبعد اجتماعى بالأحبة أُفْرَدُ

عجبتُ لِسَعْيِ الدهر بينى وبينهم إلى مَ أراهم يُتْهِمُونَ وَأُنْجِدُ

إذا ما قربنا منهم أقبل النوى يُبَعِّدُنا عن دارهم ويشرد

فقل لاجتماع الشمل سقياً لعصره وحقٌّ له منى الثناء المخلَّدُ

ويا دَهْرِىَ الجافى أما منك عَطْفَةٌ يفوز بها الصبُّ الغريب المشرَّد

ويا دمْعِىَ الهتانَ هل أنت مقلع ويا نوم أجفانى أما لك موعد

ويا قلبى الولهانَ صبراً فإنه إذا لم يكن صبر فأين التجلُّدُ

ويا من أقاموا فى الفؤاد ترفَّقُوا بنا ولنا بالكتب منكم تعهدُّوا

ولا تتركونا من نظامكم الذى بأمثاله جيد الزمان يقلد
لقد سرنى إذ قلت فيه بأننى حويت الذى أملت لازلت ترشد
وذكرنى ما كنت من قبل قائلا بنظم له الأفواه تملى وتنشد
وإنى لأرجو أن تفوز بنيله وتدرك مجداً ذكره يتخلد
وكل الذى أدركت أو أنا مدرك بفضلك ما لى فيه فضل ولا يد
فما زلت تدعونى لكل فضيلة وما زلت تدعو لى الإله وتحمد
ودونك نظماً طال لفظاً وإنه لتقصير منشيه بذلك يشهد
عليك سلام بعد طه وآله على ربعكم فى كل حين يردد

☆ ☆ ☆

وله ـ رضى الله عنه جواباً على شيخه العلامة الفهامة الزاهد الورع صلاح الإسلام ابن الحسن الأخفش ، بل الله بوابل الرحمة ثراه ، وقد كتب إليه مولانا البدر رحمه الله اعتذاراً عن حضور قراءة فى « شرح على الكافية نثراً فأجاب شيخه نظماً فأجابه نظما بقوله:

غصن شوق علاه قلبى وغرد وتمشى فى روضة وتأود
قائلا والأكيد من حرمة الو د وعهد الوداد عهد مؤكد
ونظام وافى إلىَّ بديعٌ هو كالدر فى الطروس منضد
كل بيتٍ حوى قصوراً من الحس ن فلله من بناه وشيد
ما سلونا عن روض علم نظير فى رباه التحقيق نهر مطرد
كم تحسَّا من نهر تحقيقه الذه ن وكم انتشى ومال وعربد
كم هصرنا فيه ثمار المعانى ورفلنا فى صرح بحث ممرد
جنة أزلفت تجلت عن الوص ف فحاشا نعيمها أن يعدد
أنت رضوانها فيا ليت إنى كنت ما عشت فى رباها أخلد

كنت طيراً ممكناً من رباها ... طـائراً فى فنونها يتردد

غير أن الزمان مدَّ شِبَاكاً ... وأتتنا أشغـاله تتصيَّد

فغدونا لنا الشواغل أصفا ... د وكم بين مطلق ومقيد

يا إماماً جمعت كل كمال ... وعجيب إذ أنت فى الجمع مفرد

أنت كشاف البحث إن دقَّ معنا ... ه ومفتاحه إذا الباب موصد

لو تقدمت فى الزمان لأضحى ... من تلاميذك الخليل بن أحمد

وتلقَّى منك الإمام الْجُوَيْنِي ... ووافاك ثعلب والمـبرد

لا تخلنى أميل عن طلب العلـ ... ـم وفى مهجتى هـواه تمهد

هو والله بغيـتى ومرادى ... وفؤادى فى حبـه قد تعبد

إن سجى الليل كان خلى يراعى ... وكتابى لا ذات خـد مورد

وسميرى دفاتر طـاب فيهـا ... كل معنى يجنيه ذهنى فيسعد

واعلى أفـوز منك بوقت ... ليس فيه بالبحث من يتنكد

إن ذهنى قد كان يدرك شيئاً ... هو والله زائف ليس ينقد

غـير أنا فى دهرنا قد بُلِينا ... بأناس على الخيالات حُسَّد

كل من خلته خليلا أتتنى ... خلَّةٌ بالخيـانة تشهد

ثم أُنهِي إليك أنَّ زمانى ... ساد فيه من وجهه ميسود

كل كأس من الخلاعة والجهـ ... ـل وعار من الكمال مجرد

فولاة الأنام سود طغـاة ... أو جهول أو ظالم قد تمرد

تقبض الواجبات من فقراهم ... وعلى الأغنياء منهم تردد

عكس ما أنزله الإله من الحق ... وما قاله النبيُّ محمـد

ثم هذا تحسر ليس أخبا ... راً ولكن شواظ نار تَوَقَّد

وابق طوقاً فى جيد دهر تسمى | بمعاليه كل قَدْمٍ مبـــلد
وابق فى رفعة وعزٍ ومجد | وســلام عليـكمُ يتجدد

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه إلى شيخه صلاح الدين أيضاً يطلب منه قرأه فى الكشاف أوفى البحر سنة ١١٢٩هـ تسع وعشرين ومائة بعد الألف .

لعل زمانا بالوصال يجـــود | ودهراً مضى بالرقمتين يعـــود
تزيدون بعداً والهوى ذلك الهوى | وتبلى الليالى والغـــرام جديد
وإن نقل الواشى سُلُوِّىَ عنـكمُ | فدمعى على ما أدعيه شهيد
دوت مهجتى لـكن غصن تشوق | يطيب به ريح الغرام تميـد
على غصن شوقى حمائم ذكركم | تنوح فَتُبْـكِى القلبَ وهو عميد
سحائب بَيْنٍ أمطرت روض وَصْلِنَا | لهن بروق حــوله ورعود
فما وَدْقُهَا إلا رغاء قلائص | لهن بما يهوى الفؤاد وخيد
عسى عطفة للدهر لى تهدم النوى | فيصبح رَبْعُ الوصل وهو مَشِيدُ
إذا الدهر وافى بالسعادة خادمًا | فــكل نحوس الـكائنات سعود
وإن لم يكن للدهر عَوْنٌ على الهدى | فــكل قريب تشتهيه بعيد
ولا أنا بالباكى العقيق ولا اللوا | ولا أنا ممن هيجتْهُ زَرُود
ولـكن دياَّراً للعلى شادها الأُلَى | عَفَتْ فبكاها جازع وجليد
عليه يشق المرء حزنا ثيابه | وأولى عليها أن تُشَقَّ جلود
مدارس تدريس خلت وتعطَّلتْ | فأصبح روض العلم وهو حَصِيدُ
إذا أنت لم تبك العلوم وأهلها | وقد غيبتْها فى الـتراب لُحودُ
فأنت بهيمىُّ الطباع وإنما | قُصَاراكَ ثوبٌ ناعمٌ وثريد
ستبكى العلى قوماً تساموا لِنَيْلِهَا | كأن لهم دمع العيون هجود

يميدون منها ما تعفّتْ رسومُه　　فتضحى عليها للفخار برود
كمثل صلاح الدين أحيا رياضها　　فأورق من روض المعارف عود
إمام علوم لا يُشَقُّ غباره　　وبحرٌ إليه الطالبون وُرود
غذاني وربَّانِي صغيراً بعلمه　　وما زال يغذوني به ويفيد
ترعرع ذهني في رياض علومه　　وغذاه بالتحقيق وهو وليد
وإني لأرجو أن يتمم فضله　　فمن يسعد الملهوف فهو سعيد
أريد عبور البحر في فُلْكِ درسه　　فقد راقني دُرٌّ حواه نضيد
وكم عابرٍ في زورق فيه ما درى　　أبحر لديه أم لديه صعيد
وكشاف جار الله لي نحو أخذه　　وتحقيقه شوق إليه شديد
كنوز من التحقيق فيه وإنما　　يفوز بها من في العلوم وحيد
وذهنك قد أعطى أقاليم بحثه　　عليه لواء خافق وبنود
أفيضوا علينا من بحور علومكم　　وجودوا علينا فالكريم يجود
ودونك شكوى في فؤادك مثلها　　لها في قلوب المؤمنين وقود
رياح ضلال أفسدت روض ديننا　　وصقر لأديان الرجال يصيد
وقوم لهم في هدم شِرْعَةِ أحمد　　مآثر سوء ما لهن عديد
وداد بجسم الدين إن طال مكثه　　حوته ثياب لِلْبِلَى ولحود
كأن كتاب الله ليس بزاجر　　ولا فيه وعد صادق ووعيد
كأنْ لم يكن يوم يشيب وليده　　يقال به ذا ما لَدَيَّ عتيد
كفى غربةً للدين هذا الذي نرى　　فليس على ذا الاغتراب مزيد
ألم تبق في أهل الديانات همة　　ألم يبق شخص للطغاة يذود
ألا غاضب لله إذ ضاع دينه　　يسوق جنوداً إثْرَهُنَّ جنود
فيا حزنا هذي شريعة أحمد　　تلعب جهال بها وعبيد

نعل الليالى أن تمن بماجد ... يقيم رسوماً للهدى ويُشيد
ونفثة مسطور أتتك فلا تَلُمْ ... إذا لم تزنها بالبديع عقود
ودم وابق فى مجد أثيل ورفعةٍ ... تحفُّك من كل الجهات سعودُ

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه إلى شيخه العلامة جمال الدين على بن محمد العنسى رحمه الله كتبها إليه من كحلان بعد أن أقام فيها للقراءة وكان قبل خروجه من صنعاء يقرأ على القاضى المذكور .

لِىَ الله ما قلبى هو الحجَر الصَّلْدُ ... فحتّامَ يرمينى بأسهمه البعد
أحِبّاىَ لا صبر على الهجر والنوى ... وقد عبثتْ فينا الصبابةُ والوجد
سلبت الكرى من بعدكم وتعوضت ... جفونى دماً إذ عوضت منكم السُّهد
لقد ظلمتنى واستطالتْ يدُ النوى ... وقد تركتنى لا أقر ولا أهدو
وبالكره بُعدِى عن أزال وأهلها ... وفيها إمام العلم من لا له نِدٌّ
علىٌّ علا مجداً وعلماً وسؤدداً ... وكل أديب عند آدابه عبد
أخذن العلى أشكو الزمان وفعله ... يقابلنى منه التجافىَ والصد
يشردنى عن دار لهوى وصبوتى ... إلى بلد أهل الذكاء بها بُلْدُ
إلى بلد لا يرتضى فيه منظر ... ولا ماؤها عذب ولا عيشها رغد
أقمت بها كرهاً وللدهر حكمة ... وحكم الليالى لا يطاق له رَدُّ
ولا زلت فى الدنيا جمالاً لأهلها ... فأنت إمام العلم والعالِمُ الفرد
بقيت إماماً للعلوم وللعلى ... تُشَيِّدُ ركنا شاده قبلك السَّعْدُ

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله مكاتباً للسيد العلامة عز الإسلام محمد بن إسحق ابن أمير المؤمنين المهدى أحمد بن الحسن بعد وصول أبياته التى أجازبها قصيدة مولانا البدر رحمه الله تعالى التى أولها .

* شـكت بلسان الحال طوله جفاها *

وأول أبيات السيد محمد بن إسحق :

* أتبلغ نفسى من سعاد مناها *

فقال البدر رضى الله عنه :

صبابة حلت وفرط وجد | فى مهجتى قبل حلولى مهدى
فيها أقاما وبها قد كمنا | والنار تخفى فى غصون الرند
فاقدح إذا ما شئت منها قبساً | من الغرام تدرِ كُنْهَ وجدى
شبَّا فشبا النـار فى جوانحى | وشيَّبا بعـد فؤادى فودى
ونسمه مذ عبرت بى سحراً | أهدت أريج عنبر ونـدٍّ
دلت بمـا قد ضمخت أن لها | بساكنى نعمان قرب عهد
يا ساكنى نعمان فى ربعكم | ظُبَىٌّ له فينا فعال الأُسْدِ
أقطعته قلبى على تحريمه | وللغرام شرعة لاتهدى
فسامه سوء العـذاب طاعناً | وضارباً بـكفه والنـهد
يثمر الصـبر وقد أحصده | بمنجل الهجر وطول البعد
فهو هشيم ورياح هجره | تذروه فى الأرض بكل نجد
ويصرف الدمع إلى محاجرى | وقد حشاهـا مبلَّة بالشُّهد
وإن أتيت قال هذا نوبتى | فاضرب بها إن شئت تحظى عندى
أحكامه جارت كما حكامنا | لا غَرْوَ فى ذا فالملوك تعدى
كم بينه وبين خود سمحت | بوصلها عفواً بغير وعـد

لله ما أحلى زمانَ وصلهـــا ماهو إلا قطعةٌ من شهد

كأنها من الرياض خُلِقَتْ لا بل أتتنا من جنان الخلد

فثغرها من كوثر وطرفهـا من نرجس وخدها من ورد

وعند ما أهويت أجنى خدها أهوى لقطع الوصل كَفُّ الصَّدِّ

فقلت يا نفس اثبتى تجلداً ولا تبينى جزعاً عن جلدى

وَلْتَصعَدِى بالنظم نحو ماجد فنى قصيدى هو بيت القصد

بدر بأفلاك العلى منـازل لذاته وهـــالة من مجد

فنى العلوم قد سما فى رتبة ما اليمنىُّ حازهـا والهندى

كم مشكلٍ قــد حَلَّه بذهنه ورب نثر زانه بالعِقْـدِ

فذاك أهل الحل والعقد بلا ريب وسائل هل له من ندِّ

وإن أدير نظمه فى موقف قلت نجومٌ سُبِكَتْ فى عِقْدِ

وكم أُعُدُّ من صفات مجده هيهات لا أسطيع عد العد

دونك يا بدر المعـالى كَلِماً ما هو نظمى بلا نظام ودى

أرسلته مؤكداً مـــودة مؤسساً عذرى فيما أبدى

وقد أتى المرجوح فيه راجحاً والنظم للمعنى الظريف يهدى

وطامعاً فى دُرَر من عندكم فهـذه حِبَالَةٌ لصيدى

ملَّح إذ لَمَّحَ فى تشبيهه إلى أمور بذويها تردى

على مغانيك سـلام طيِّبٌ تُقَبِّل الأقدام بعد الأيدى

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله تعالى إلى المولى عز الإسلام أيضاً على منوال قصائد دارت بين سيدى إسمعيل بن محمد بن إسحق وأخيه الحسن والمولى الزاهد إسمعيل بن صلاح الأمير والمولى عبد الله بن إسحق رحمهم الله .

قلب المتيم كم يذوده ... عمن تملكه صدوده
وإلى متى لهب الفؤا ... د بهجره يقوى وقوده
ما آن أن يرثى لطر ... ف من نواه ناىء هجوده
وأتى السهاد كأنه ... ظمآن من دمعى وروده
أعمى الهوى قلبى المُعَنَّى ... والغرام أتى يقوده
والسُّقم وافى زائراً ... سُحقاً له ولمن يريده
وارحمتا لمتيم ... وافت عواذله تعوده
فرأوه حِلْفَ ضَنًى بضيـ ... ق عن الخطاب بما يفيده
لا يستطيع تأوهاً ... لكن تَئِنُّ له بروده
جسَّ الطبيب فلم يجد ... من نبضه ما يستفيده
فرثى وقال أرى الفتى ... ما فيه من ألم يؤوده
هذى جنايات الغرا ... م عليه قد قامت شهوده
ترياقه وَصَلَ الذى ... فى الحب أسقمه صدودُه
أو طيفه إن زاره ... فالطيف قد يجدى وروده
قالوا وإنى بالمنا ... م وما يواصله رقوده
قال التناسى للهوى ... قالوا وهل ينسى شديده
قال التذكر لِلبِلَى ... قالوا وهل يَبْلَى جديدُه
قال التسلِّى بالصِّبَا ... قالوا وذا مما يزيده
قال الرياض يزورها ... قالوا وهل إلا خدوده
قال التشاغل بالمديـ ... ح لماجدٍ قد فاق جوده[1]

(١) وفى نسخة « فاض » بدل « فاق » .

يزداد وجداً بالندى   والبذل إن زادت وقوده
قالوا عسى عز الأنا   م أردت قال فمن أريده
إنسان عين زمانه   فى كل مكرمة فريده
درَّاكُ كل خفيـة   لم يبق شىء يستزيده
أما العلوم فإنه   فى كل تأليف وحيده
مفتاح بحث مغلق   كشاف مشكلة مفيده
برصانة ورزانة   والذهن ملتهب وقوده
بحر الندى والعلم قد   ظفرت بما تهوى وروده
ذو الرأى فى كل الأمو   ر فعنده يُلْفَى سديدُه
قد طاب آباء وأبـ   ـناء كما طابتْ جدودُه
فالفرع مثل الأصل يأ   بَى أن يرى شخصاً يسودُه
قد أحرزوا كل الكما   ل فَمِنْ علاهم نستفيده
والنظم أضحو ما الكيـ   ـه وفيهمُ يَحْلو قصيدُه
وإليك أبيات النظا   م أتت لخدمة من يجيده
رقت لرقة خُلْقِ مَنْ   فى مدحه نُظِمَتْ عقودُه
فيكاد يرقص رقَّها   من رقه ويهز جيده
ويكاد يُدْرِك نشوة   مِنْ حمله أيضاً بريدُه
يغدو يهيم فى الطر   ق بذا الختام ويستعيده
لا زال مَنْ فى مدحه   نُظِّمت طالعةً سعودُه

✲ ✲ ✲

وله رضى الله عنه مجيباً على المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله عن أبيات كنى[1] بها عن معنى أراده متكلا على فهم المكتوب إليه للارادة .

قال مولانا البدر رحمه الله وذلك أنه وصل إلينا من الخليفة المنصور رحمه الله خط أمان إلى حصن شهارة ، وأشهد عليه الحكام ، وطلب وصولنا إلى صنعاء ،وهذا لعله كان فى شهر محرم سنة ١١٤١ هـ .

فوصل من المولى الحسن رحمه الله ، من القصر ـ وهو مسجون ـ الأبيات » يحذر من الوصول والأغترار بالأمان .

فأجبت بما ذكرناه ولم يقض الله لنا بدخول صنعاء ، فى تلك المدة .

مثلى يغر بنقش كَفِّ الغِيدِ ... هيهات أن أغتر بالتسويد

ما خِلْتُ ذاك النقش إلا حيلة ... فى الاقتناص لقلب كل عميد

مثل الشباك رأيت نقش أكفها ... أقَصَدْتَ بالتشبيه صيد الصِّيدِ

إياك إطلاق اللحاظ فإنه ... سبب لأسر القلب بالتقييد

كم من أسير فى سلاسل حُبِّها ... يعتاض طِيبَ النوم بالتسهيد

ولقد خَبَرْتُ الغانيات فما لها ... عهدٌ فَلِمْ نقضت سعاد عهودى

سحقاً وبعداً للغوانى إن غدت ... كسعاد فى إخلافها لوعودى

أنا قد أطعتك يا عذولى فى الهوى ... ورأيت رَأْىَ سواك غير سديد

قد صُنْتُ طَرْفِى أن يكون مسهداً ... وحفظت عن جرح الدموع خدودى

لو تسلك العشاق مثل طريقتى ... لم يشتكوا هجراً وقبح صدود

تابع فدتْكَ النفسُ كلَّ نصيحة ... واهد الغريب برأيِكَ المحمود

٭ ٭ ٭

(١) فى الأصل كبانيا وما أثبتناه هو الصحيح بدليل ما بعده .

وكتب رضى الله عنه إلى السيد العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله يعاتبه على تأخر المعاهدة نثراً فأجاب بأبيات عنه البدر قدس الله سره يقول .

ما طرق الطرفَ سوى سُهْدِهِ	مذ غاب من يفدى بمسوده
ولا سلا عنه فؤادى وهل	يضل بعد البعد عن رشده
وداره ذاك الوداد الذى	يقتبس العشاق من وجده
إليه ينهى أمر أهل الهوى	فى مبدأ الحب وفى عوده
قد قام فى اللهو بأعبائه	فكل من فى الكون من جنده
وكل نار للهوى أضرمت	فإنما تقدح من زنده
ما غير البين له صَبْوَةً	ولا ثناه البعد عن وُدِّه
تشابهتْ أحوالُه فى الهوى	فى قرب مَنْ يهوى وفى بعده
مضطرب القلب كثيرُ البكا	لا تقلع الأدمع عن خده
مشوَّشُ البال فلا هَزْلُه	يُعْرَفُ إن حدَّث من جِدِّه
يسائل الريح إذا ما سرت	عن نرجس الروض وعن ورده
ويسأل الباق ماذا الذى	جرَّدَهُ فى الأفق عن غمده
لا غَرْوَ فى استعذاب تعذيبه	فراحة الولهان فى كده
يستغفر الله يراعى على	تَغَزُّلِ ما كان من قصده
دعا إليه ذكر عهد الصبا	حَيَّا الحَيَا ما مر من عهده
وذكر من حاز العلى فى الصبا	بل كاد أن يكمل فى مهده
إمام أهل المجد مَنْ تَعْتَزِى	كلُّ الكمالات إلى مجده
بحر من الجود وحاشاه أن	يخاف منه الجَزْرُ من مَدِّه
يخبرنا الركبان عنه بما	يعجز مَنْ يَرْوِيه عن عده
أنسى بأهل الجود من قبله	وأعجز اللاحق من بعده
عَلاَّمةٌ كلُّ ذكيٍّ غدا	يسأله التحقيق من رِفْدِه

فاق بني الدنيا فقل صـــادقاً ... لا تقع العين على نِدِّه

تأتى القـوافى طائعات له ... تُعَدُّ فى الجملة من وفده

يعقـــد منها كل معنى كما ... يحل ما أشكل من عقده

وقد حبانى عقــــد در فيا ... لله ما أهـداه من عقـده

كالشهد والسكر فى ذوقه ... جاء من النحل ومن قنـده

مستفصلاً عتبى له فى الجفا ... وخاف ما أعهد من وده

وطول عهدى بكتاب به ... يشفى الفؤاد الصبّ من فقده

هيهات لا يشفيه إلا اللقا ... فَرُسْلُكم والكُتْبُ لم تُجْدِه

فكيف يستنكر عتباً لمن ... يراكم الغاية فى قصده

ما غير ذكراكم له راحة ... فذكركم قد صار من وِرْدِه

يتلوه سراً وعـــــلانية ... لا ينتهى بالشغل عن سرده

أقسم لولا كتبكم قد غدت ... تمائماً كالعقد فى نضده

فارقه مِنْ بُعْدِكُمْ عقله ... وصار لا يطمع فى رَدِّه

يا أيها المولى الذى نظمه ... أشرف ما يهدى إلى عبده

دونك ما لا يَرْتَضِي ناظم ... تصديره نحوك من عنده

لا يصدق النظم عليه ولا ... يدخله المنصف فى حده

أبيـاته تنهـد أرجاؤها ... إن نظر الناقد فى نقده

فسامح المملوك فى نظمه ... فإن هذا منتهى جهده

لا زلت غصناً فى رياض العلى ... ما فاح فى الروض شذى رنده

* * *

وله رضى الله عنه مجيباً على المولى الضيا أيضاً عن أبيات كتبها إليه وهو إذ ذاك معتقل فى قصر صنعا سنة ١١٥٠هـ خمسين ومائه بعد الألف .

هذا النسيم أتاك من نجد ... متفصلا من صورة الصد
وطوى المهامه لا يخاف بها ... برقًا يلوح كصفحة الهندى
والشوق أقوى ما عليه طوى ... ذو الاشتياق مسافة الْبُعْدِ
حيًّا فأحيتنى تحيته ... وتلا علىَّ صحائف الود
ولثمت أقدام النسيم ومن ... إجلاله لم ألْثِم الأيدى
وحللت من لباته عقداً ... فتساقطت بلآلىء العقد
وسألته هل ثَمَّ من خبر ... تهديه عن سعدى وعن سعدى
فتبسمت شفتاه قائلة ... أنت الغبىّ جهات ما عندى(١)
عندى عتاب لو يُصَبُّ على ... صَلْدٍ أذاب صلابة الصَّلْدِ
فالبس لديه السابغات عسى ... تنجيك أن سهامه تردى
وخذ السلاح ولا أراه وأن ... من كل آلته غدا يجدى
سهم العتاب يكون موقعه ... فى القلب لا فى اللحم والجلد
فأدار كأساً قد تجاذبها ... لين الخطاب وقسوة الجد
مزجتْ حلاوته مرارته ... كالْمُرِّ مازج مالى الشهد
وطوى عتاباً فى بلاغته ... كالوشْيِ فوق معاطف الْبُرْدِ
أهدى إلىَّ عتابه فحكى ... أُطفَ الرياض ونشرها النَّدِّ
مازادنى ذاك العتاب سوى ... وجد يضاعفه على وجد
كالعشق يستحليه صاحبه ... وبه دواعى السقم والسُّهْدِ
والخمر يشربها مقارنة ... لصداعها والإثم والحد
أظننتم دهرى بجفوته ... لطباع مثلى مثله يعدى
إن الوفا بالطبع يصحبنى ... للصحب من مَهْدِى إلى لَحْدى
مثلى أخوّته وصحبتهُ ... سيان فى قرب وفى بُعد

(١) وفى نسخة : جهات ما أهدى

وقـــــديم ودّى لا يغيّره دهرى بحادثة الذى يبدى
غيرى تغيره حـــــوادثه ويميل ميلة كل ذى جد
ويبيع من عثر الزمان به أن النسيئة ليس كالنقد
أنسيتَ أياماً سلفْنَ لنـا فى الحسن مثل سوالف الخدّ
وعلى تذكُّر ما مضى فلنـا بحث على الأيام لو يُجْدِى
ما بالها لم ترع حرمة من أضحى لجيد المجـد كالعقد
هو فى جبين الدهر غرّته يا دهر تطمسه على عمد
وحبسته عن كل مقتبس علماً وآدباً فمن يُجْدِى
إن كان عن لوم تحجُّبُه عنا وعن بخل وعن حقد
فـكذا طباعك غير منـكرة فى عكس ما نرجوه والطرد
إن جار دهر فى تحـكُّمِه فالصبر فيه أنفع الجند
فالبس ثياب الصبر مُعلمة بالوشى من شكر ومن حمد
وارج الذى تهواه عن كثب فالدهر لايبقى على عهـــــد
كم جيرة قد أتهموا زمناً عادوا إلى المألوف من نجد
وتعانقوا هم والسرور على رغم الزمان تعانق الزند
ضحوا بكبش النحس واتخذوا منه الشوى لضيافة السعد
شربوا كؤوس القرب حالية يستدفعون مرارة البعد
غنى على أغصان عيدهم وُرْقُ الحلى وصفوة الأيدى
وبلابل الأفراح قد أخذت أعوادها بحدائق الورد
جست بهـا الأوتار قائلة يا دهر هذا منتهى قصدى
وخذ الجواب وعُدَّهُ كرماً واستره عن بحث وعن نقد
إنا لفى زمن شواغله عدة فقد جلت عن العد
منعت صوارفه دواعِيَهُ وتعارضا فتمانعـا عندى

كل تغير عن خلائقه حتى السحاب وصادق الرعد
حسبي على زمني وجفوته لطف الإله الواحد الفرد

✲ ✲ ✲

وله رضي الله عنه مجيباً على المولى الضيا عن أبيات وصلت منه من السجن سنة ١١٤٣هـ ثلاث وأربعين ومائة بعد الألف .

إلى كم أداري عاذلي ومُفَنِّدِي أمثلي بهم في شِرْعَةِ الحب يَقْتدِي
أبى لي آبائي أن أقلد في الهوى أ بَعْدَ اجتهادي تَدْعُنِي بالمقلَّدِ
فقد طالما ضيعت في الحب مهجتي وألقيت في كف الصبابة مِقْوَدِي
وكَفَّيْتُ دمعي وهو من مقلتي دم مخافة أن أضحى نجد مورد
وكم بَشَّر السلوان قلبي مغالطا ونار الهوى تطوى بذيل تجلُّدي
وكم زارني عن غير وعد معذبي وأحلى اللقا ما كان عن غير موعد
فما لليالي لا سقى الله عهدها تطرّدني في الأرض كل مُطرّد
أعادت منامي لا يصافح مقلتي وصار سهادي يفتح العين باليد
واكسو الدجى من لون حالي حُلّةً فيزداد منها ظلمة حين يرتدى
أما آن يا صبح اللقا منك أوبةٌ ويا دهر هجري هل لليلك من غد
نعم من تباشير الصّباح إشارة أتت في نظام بالبديع منضّد
نظام كمثل الماء لطفاً ورقةً وكالنار من شكواه عند التوقد
إذا ما قرأت الشطر منه تصعدت من الصدر نار تحرق الرق في يدي
سمىّ أبي إن كان تفديك مهجتي فأحقر مبذول لأعظم من فُدى
فمثلك يفدى بالأنام جميعهم بكل مسود منهم ومُسَوَّد
فمثلك فيهم لا يكون ولم يكن طويل نجاد السَّيف رَحْبَ المقلد
يدافع عن أحسابهم بلسانه ويضرب عنهم بالحسام المهند
يعزّ علينا أن تكون مكبلا تبيت على جمر من الكرب موقد
يعز علينا أن تكون محجباً تبيت بطرف بالهموم مُسهّد

ولا غرو من حاز الكمال فإنما يكون أميراً أو أسيراً لأصيد
هم جعلوا الحراس حولك خيفة لأنك كنز من نضار وعسجد
وهوّن هذا إن عاقبة الأسى سرور به يفنى من الغيظ حُسّدى
أتطلب غوثاً من غريب وإنه كمثلك يبغى الغيث فى كل مقصد
فلا ترج إلا الله فى كل حادث فألق إليه بث شكواك تحمد
له الملك فى الأكوان لا بمؤازر ولا بنصير فى الدفاع لمعتد
قريب ولكن بالذنوب تباعدت مسائلنا عن روض إحسانه الندى
فقم قارعاً للباب والناب نادماً على ما جرى وارفع دعاءك يصعد
وقم سائلاً والدمع فى الخد سائل تجد ما تشا من لطفه وكأنْ قدِ
وقم زلفا فى الليل إن نشر الدجى جناح عذاف يلبس الكون عن يد
ورد ظلام الليل بالذكر مشرقاً فقد فاز من بالذكر يهدى ويهتدى
وأما بنو الدنيا فلا ترج نفعهم فلا منجد منهم يرجى لمجتد
فإنى تتبعت الأنام فلم أجد سوى شامت أو حاسد أو مُفنِّد
وقد رضعوا ثدى المهابة كلهم وكل بذيل الذل أصبح يرتدى
فلم أرمِ إلا بالسهام من الدُّعا إلى مقتل الأعداء من قوس مِذْوَدِى
وعما قريب يدرك السهم صيده فكم صاد سَهْمُ الليل مهجة أصيد
وأوصيك بالتقوى لربك إنه سيحمد تقواه الموفقُ فى غد
وخذ لك من دنياك زاداً فإنما أقامك فى الدنيا لأخذ التزود
فعما قريب قد أناخ ركابنا بقصر خَلىٍّ مظلم الجوِّ فَدْفَدِ
فإن الليالى كالمراكب تحتنا تروح بنا فى كل حين وتغتدى
فيا حبذا جنات عدن فإنها تحط رحال القادم المتزود
وليس لنا إلا الرجاء فإنه يبلغنا من فضله خير مقعد

وستراً[1] على هذا النظام فإنه كثير الحيا من ذهنك المتوقد
أراد لأفراط الحيا يترك اللقا فكم سامنى عذراً لخوف التفقد
ولكن أقلامى أبت أن تطيعه فسار بقلب الخائف المتوعد
فلاطفه براً واعفه عن لطائف تنل خير لطف من لطيف مؤيد
بقيت لنا بَحْرَيْنِ بحر بلاغة وبحر ندًى يروى به كل مجتد
وصلِّ على المختار ثم وَصِيِّهِ وسبطيه والزهرا وآل محمد

* * *

وله رضى الله عنه جوابا على السيد العلامة إسحق بن يوسف بن المتوكل على الله رحمهم الله عن أبيات وصلت منه عند وصوله من ذمار إلى صنعا فى سنة ١١٥١ يطلب من مولانا إعانته على أمر طلبه .

كيف لى كيف لى بنيل مرادك وبلوغ المأمول عن إمدادك
يا إمام العلوم فى النظم والنثـ ـر وكل الكمال من أجدادك
وعزيز عَلَىَّ أن الليـــالى وبنيها تأتى بغير مرادك
آه لو أنصف الزمان لكانت صادرات الأمور عن إيرادك
وسأسعى جهدى وأبذل وسعى فى الذى ترتجيه من إسعادك

* * *

وله ـ تغمده الله برحمته ـ جواباً على السيد العلامة أحمد بن الحسن بن إسحق رحمهم الله عن أبيات وصلت منه بعد وفاة والده الحسن رحمه الله ووفاه المولى العلامة إسمعيل ابن محمد بن إسحق رحمهم الله يعاتبه على عدم الرثاء لوالده الحسن رحمه الله :

سرى طيفُها والطرف منى مسهَّدُ ودمعى لِوُرَّادِ المدامع مورد
فصار غريقاً فى بحار مدامعى ولم أر طيفاً قبله وهو يلحد
تظن سليمى يا سقى الله عهدها بأنى على العهد الذى كان تعهد
وأن غرامى بعد شيب مفارقى كما عهدت والخد مِنِّىَ أجرد

(١) قوله : « وستراً » وفى نسخة « وعذراً »

وأن زمانى لارعى الله سِرْبَهُ … يوافقنى فيما أروم وأقصد
ولولا النُّهَى والنُّهَى عِز سَبَّ دهرها … لأسمعتها من ذمه ما يُخلد
أما علمت أن المنايا تواثبت … على رفقة كل بعليـاه مفرد
ثوى والدى بحر المعارف والتقى … ومن مثله فى زهده كان يوجد
فقلت لنفسى الصبر أفخر حلة … فألبسته ثوباً من الصبر يحمد
وفى حسن عنه وفى ابن شقيقه … لنا عوض فى العلم والبحث يشهد
وقد كنت غذيت الجميع معارفى … بما هو فيها فى الطروس مخلَّد
وكنت أُرجِّى نشرهم ما طويته … إذا ما طوانى بعد موتى مَلْحَدُ
فكان قضاء الله سبق أحبتى … وفيما قضـــاه الله لله أحمد
وصرت غريباً بعدهم فى حثالة … كأنى لديهم يا ابن وُدِّى أبلد
أعاشرهم بالجهل إذ ليس غيره … لهم مورد يا بئس ذلك مورد
مواقفهم بالقيل والقال شُيِّدتْ … فلا حبذا تشييدهم والمشيَّدُ
وليس خليلى غير من كان همه … علوم إلى خير البرية تسند
ومن مال نحو المال والجاه لم يكن … له خلة عندى ولا لى مقصد
أجدك ما لدنيا وماذا نعيمها … وهل هى إلا جمرة تتوقد
إذا نال منها طالب ما يرومه … وساعده المقدور والدهر يسعد
أتاه غداً من خَطْبِهَا كلُّ فادح … ويلقاه منها كل شىء ينـكد
لعمرى لقد شاهدت منها عجائباً … وصاحبنى فيهـا مسود وسيد
رأيت بها أهل المواهب مرة … يكاد لهم من طوعه الدهر يسجد
فما راعهم إلا الرزايا تواثبت … عليهم وقامت فى أذاهم تحشد
وأسقتهمُ كأساً من الذل مُتْرَعاً … وكان لهم فوق السِّماكَيْنِ مقعد
ودانت لمن ناواهمُ بعض برهة … على نـكد فى كل يوم يجدد
وقد شاهدت عيناك من كان بعده … فمالى ووصفى للذى أنت تشهد

صَفِيَّ الهدى أحرقت بالعتب مهجتى ... وأنت بها رفقاً بنفسك أحمد
عَتِبْت على تَرْكِ الرثاء لماجد ... ثوى كل مجد إذ ثوى وهو ملحد
سواى الذى ينسى العهود ويخلف الـ ... ـوعود ويسلو[1] كل ما كان يعهد
وما كان تركى للرثــاء لمثله ... سلواً ولا نسيان عهد يؤكد
أأسلو حبيباً طالما قد مدحته ... ووصِفِىَ فى عليـاه باق مخلّدُ
وكم من مديح قد كسانى كأنه ... عقود على جيد الغوانى ينضد
تركت الرثاء إذ كان يجتلب الأسى ... وجلب الأسى للعقل والدين يفسد
أُمِرْنَا بحسن الصبر فيما ينوبنـا ... وإن ضاق عنه صبرنا والتجلد
سأرثيه لا بالنظم والنثر إنمـا ... سأتلو له القرآن والناس هُجَّدُ
فهذى الصلات النافعات لمن ثوى ... وفى الندب نهى فى الأحاديث مسند
بعثت بنظم عند هجرى مقاله ... وقد نضب البحر الذى كان يُزْبِدُ
وقد نَسِيتْ منى القريحة ذكره ... فأبواب أبيـات القريض تسدد
أذلك نظم أم كؤوس بعثتها ... فإنى ممـا قد بعثت معربد
فإن كان خمراً فهو خمر معتّقٌ ... وإن كان شعراً فهو للشعر سيد
وإن كان من زهر الدرارى فحبذا ... وإن كان من زهر الربا فهو جيد
وإن كان سحراً فهو من سحر بابل ... فهل هو للأسحار فى الشعر يعبد
بعثت إلينا من نظامك جوهراً ... لجيد العلا طوق وعقد منضد
فقبّلْتُهُ ألفـاً وقابلت دُرَّه ... بشىء يسد السمع لو كان ينشد
فدونك شيئا يشبه النظم لفظه ... ومعناه دون النثر إن كان ينقد
فلا زلت يابن الأكرمين مكرماً ... تُشَيِّد أركان العــلا وتُجَدِّد

☆ ☆ ☆

---

(١) وفى نسخة « وينسى » بدل « ويسلو » .

وله رضى الله عنه مجيباً على السيد العلامة إسمعيل بن محمد بن إسحق رحمهم الله حين طلب منه أن يصف له رحلته إلى مكة المشرفة للحج فى سنة ١١٣٩هـ تسع وثلاثين ومائة بعد الألف

أتسأل عن رحيلى يابن ودى ... فخذ تفصيل جملة كل فرد
بغير رضاً رحلنا عن أزال ... وسل ماسال من دمعى نجدى
ولكن نار أشواق ووجد ... إلى بيت القصيد لكل قصد
إلى البيت العتيق أجلّ بيت ... سقى مغناه وابل كل رعد
طوينا كل عمران وقفر ... إليه وكل نجد بعد نجد
إلى أن فى رباه حططت رحلى ... على نعم خصصت بهن وحدى
فأشكر من حبانى كل فضل ... وأحمده عليه بكل حمد
خلا أن الحرارة فى هواه ... أشد حرارة من نار وجدى
ولازمنى به ضعف بجسمى ... بحيث عجزت عن حملى لِبُرْدِى
وأقعدنى عن الطاعات ضعفى ... فما فيه لنافلة نؤدّى
فلم أر نافعاً لدواء جسمى ... سوى تَرْكى له من غير قصد
خرجنا قاصدين إلى ديار(١) ... تخال بها الرياض جنان خلد
تقضّى لى بها زمن نفيس(٢) ... كحلت عليه أجفانى بسهد
ووافانا به زين(٣) المعالى ... وزينة كل ذى كرم ومجد
فتى إن حلّ أرضاً صار عيناً ... لها ولأهلها ولكل وفد
حوى علماً وآداباً وجوداً ... ولطفاً ماحكاه نسيم نجد
فكنا نجتنى روضاً نَدِيًّا ... من الآداب فى هزل وجد
وكم خضنا بحوراً من علوم ... بتحقيق تجاوز كل حد

---

(١) قوله : ديار . يريد بها « الطائف »

(٢) ٣٥ يوماً

(٣) هو الشيخ العلامة زين العابدين المتوفى رحمه الله

فلو جمعت لكانت عقد در   لجيد الدهر يفضل كل عقد
ورام بأن تزم بنا المطايا   إلى المختار خير بنى معدّ
وأن يضحى بطيبة لى قرار   يكون إلى موافاتى للحدى
ومن لى أن أسير على جفونى   وألقِى فى ثراه مصون خَدِّى
ولكن عاقنى عنه أمور   سأخفى بعضها والبعض أُبدِى
وأعظمها فؤاد طار شوقاً   إلى بلد بها عضدى وزندى
أبى وأخى هما ريحان قلبى   لكل منهما بالروح أفدى
إلى جبل الوقار وخير بر   وأفضل كل ذى علم وزهد
وصنوى فى الشباب حليف تقوى   له سَمْتُ الشيوخ وَهَدْىُ مهدى
فأقسم مايرى لهما نظير   وفتش فى تهامة ثم نجد
وإنى بالضياء أبى المعالى   ونجل أمامها لحليف وجد
إمام جامع شمل المعالى   لذلك قد وقفت عليه ودى
ذكى عالم ملك بليغ   تقاصر عن صفات علاه عدى
وبحر مكارم عذب إليه   ترى الوُفَّادَ فى صَدَرٍ وورْدِ
سليل أفاضل سادوا وشادوا   بيوت المجد فرداً بعد فرد
ضياء الدين خصك كل ودى   فهل عهد المودة مثل عهدى
أم البعد الطويل جنى علينا   فرب جناية جلبت ببعد
وكونوا كيف شئتم إن عهدى   هو العهد القديم وإن وجدى
ودونك وصف حالى فى رحيلى   تشاهده كأنك كنت عندى

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله تعالى كتبها إلى الشيخ العلامة زين العابدين بن سعيد المتوفى رحمه الله إلى طيبة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام مخاطبا أن يبلغ سيد الكونين صلوات الله وسلامه عليه الصلاة والسلام وماشكاه إليه صلى الله عليه وآله

وسلم وذلك من شهارة أيام إقامته بها فى شهر شوال سنة ١١٤١هـ وأرسلها إلى الشيخ المذكور إذ هو نزيل طيبة المنورة :

يا قرير العين فى بلده ... طيبة فى السفح من أحده
فى جوار لا يضام به ... هذه الدنيا ويوم غده
دمت فى الأنعام متصلا ... طارفاً منه وفى تلده
أبلغ المختار أحمد مَنْ ... يستمد الكل من مدده
سيد الكونين قاطبة ... من أسير الشوق مُتَّقدِهِ
عبده ترب النعال له ... وهو فى الأنساب من ولده
صلوات لانقضاء لها ... بانقضاء الدهر عن مدده
وسلاماً لا يُعَدُّ ولا ... يدخل الإمكان فى عدده
وتلطف يُعَدُّ ذاك وقل ... هل لكم أن تأخذوا بيده
فهو فى بحر الذنوب وقد ... كاد يلقيه إلى زبده
إنكم إن تأخذوا بيده ... لا يَفُتُّ الزند فى عضده
وله من بعدُ مسئلةٌ ... أنت فيها كل معتمده
مطلب ما زلت أطلبه ... أقطع الأيام فى رصده
فتشفع لى إلى ملك ... كل خير فهو من صفده
فى بلوغ النفس مطلبها ... وخلوص القلب عن كمده
تغسل الأكدار عنه عسى ... تشرق الأنوار من رشده
لست أرجو غير جاهك فى ... حل ما قد حل من عقده
يا شفيع الخلق فى وطن ... شابت الولدان من نكده
وأتوا نوحا وآدم والر ... سل الأعيان من ولده
ثم عاد الكل نحوك فى ... طلب التخليص من كبده
فكشفت الكرب وانقشعت ... سحب الأظلام من سدده

وبك الآن استغاث فتى ... أنت أنت الكل من عمده
يارسول الله كن عضداً ... لغريب الدار مبتعسده
كارهاً فارقها وأبا ... قطب أهل الأرض في بلده
وأخاً أنوار طلعته ... ترشد الغاوى إلى رشده
وصغيراً لست أعرفه ... قطعه الإنسان من كبده
وأخلاء ودادهمُ ... ليس يخشى حل منعقده
كل هذا في رضاك لما ... صح من متن ومن سنده
من أحاديث لنا رويت ... مابها نقد كمنتقده
وإليكم كفه رفعت ... من يراكم كل مستنده
فأمِدُّوه برِفْدِكمُ ... واقبلوا ماجاء من تمده
صلوات الله تغتشيك بلا ... أمد يقضى إلى أمده
وعلى صنوا الرسول ومن ... هو ليث الله في بلده
وعلى الزهرا ومن ولدت ... وعلى الأطهار من ولده
وعلى الأصحاب من بهم ... قام هذا الدين من أوده
وعلى أهل البقيع ومن ... وُسِّدوا في الشِّعب من أُحُدِهِ
حمزة والطائفين به ... من سيوف الله بل أسده
صلوات لاتزال إلى ... أن يعود الروح في جسده

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله إلى ولده صارم الإسلام إبراهيم بن محمد الأمير رحمه الله إلى مكة المشرفة عام مهاجرته بها سنة ١١٦٧ سبعة وستين ومائة وألف .

طال البعاد فهل له بعد ... أم هل لغيث وصالكم رعد
هل للنوى عهد يعرفه ... أو ماله رسم ولا حَدُّ
كنا نَعُدُّ شهور فُرْقَتِكم ... حتى تَعدَّى عامنا الْعَدُّ
ما ملت المرجان من مقلى ... عقداً يبدد شمله الفقد

حتى ارتحلت فساقطت مقلى حبـاته فشدد العقـــد
ماشمت برق الشام بعـدكم إلا سرى منى الـكرى السهد
ولبست ثوب العنبر بعـــدكم حتى تمزق ذلك الـبرد
قلت التصبر فيه لى عوض فثوى ووارى جسمه اللحد
لم يبق لى إلا الرجا سبب فرجاء آمالى به تحـــدو

٭ ٭ ٭

وله ــ رضى الله عنه ــ مجيباً على الفقيه الصالح أحمد السكرى رحمه الله، لما كتب إليه يبشره برؤيا صالحة :

صَفِىَّ الهدى ياخير هاد ومهتد ويا خير تالٍ للـكتاب الْمُمَجّدِ
أتانا نظام سُـكَّرِىٌّ فحبـذا نظام أتى من أحمد لمحمـد
يخبرنا إن نلت خيراً وإنمـا هو الخير تضميناً بغير تردد
فمنا تنال الخير من سنن الهدى وتسلك نهجـاً أحمدياً محمدى
فنحن بنـوه مالنـا غير نهجه طريق به نهدى الأنام ونهتدى
فتابعنـا فيـه سعيد موفق وخالفنـا من كان غير مسعَّـد
وأنت بحمد الله قد فزت بالهدى عليـك سلام من رشيد ومرشد
وأسأل رب العرش يجمعنا معاً لديه غـداً فى خير دار ومقعد
بمقعد صدق فى جوار محمـد نبى الهدى حاوى الفضائل عن يد
عليـه صلاة الله والآل بعده وأزكى سـلام دائم متـأبد

٭ ٭ ٭

أورد سيدى العلامة محمد بن هاشم بن يحيى الشامى رحمه الله سؤالا إلى مولانا البدر رضى الله عنه فى مفتتح سنة ١١٧٦هـ ست وسبعين ومائة بعد الألف عن ثمان مسائل وهى : الرفع والضم والتوجه بعد التـكبير ، والتورك فى جلسة التشهد ، والإشارة بالمسبحة فيه ، وقراءةالفاتحةخلف الإمام ، والدعاء فى الصلاة ، والتأمين ، هل قال بها قائل من أهل البيت عليهم السلام :

فأجاب برسالة سماها «المسائل المرضية فى اتفاق أهل السنة على سنن الصلاة والزيدية» :

ولما وصل الجواب إلى السائل رحمه الله ، كتب أبياتاً إلى مولانا البدر رحمه الله يشكره على ما أبداه من الحق الواضح ، ويشتمل على ذكر مسائل السؤال .

فأجاب مولانا البدر رضى الله عنه عليه بقوله :

سؤالكم كان مفتاح الكنوز لأبـ ... واب المعارف منه يجلب الرشد
وافى ودر علوم الآل فى صدف ... فى قعر بحر فلم يظفر به أحد
فغاص ذاك السؤال البحر ثم أتى ... بالدر وهو كمثل الشمس يتقد
عقد على عنق الأذهان فأزبه ... ذهن شريف لدر القول ينتقد
كذهن سائلنا من كان والده ... بحر العلوم فكلٌّ نَحْوَهُ يَرِد
فيا ابن هاشم لاتنسى أباك وكن ... كهاشم إذ بجمع العلم ينفرد
أنت الشريف فشمر للعلوم تنل ... مالم ينلْ قبل سعد الدين والعضد
فالعلم أشرف شىء فى الوجود وقد ... كادت شموس سماء العلم تُفْتَقَدُ
سقى رياض علوم قد ذوت وغدت ... قفراً فلا مسند فيها ولا سند
عسى عسى ولعل الله يرجعها ... روضاً أريضاً به الطلاب قد سعدوا

✲ ✲ ✲

وقال رضى الله عنه لما لم يترَكه الجهال من القيل والقال ونسبوا إليه أباطيل الأقوال :

لقد نسب الأنام إلىّ قولاً ... عليهم ربنا فيه شهيد
وقالوا قد رضينا بابن هند ... وقلنا إنه رجل رشيد
كذبتم إنه والله عندى ... لِفِسِّيقٌ وشيطان مريد
وملعون بما كسبت يداه ... كذلك نجله الطاغى يزيد

✲ ✲ ✲

وله رحمه الله لما وقف على قبر بعض أحبابه :

ياقبور الأحباب هل من مجيب ... إن دعاكم دمع الحزين ونادى
إن أقمتم تحت التراب رقوداً ... فعليكم ماذاق طرفى رقادا

وله رضى الله عنه فى المقابلة :

كيف أخاف الفقر أو عيـلة　　أو أختشى النيران ذات الوقود
وَرَبِّىَ الرزاق ذو رحمـة　　واسعـة وهو رحيم ودود

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله فى الاقتباس كتبها على نسخته التى بخطه من الهدى النبوى لابن القيم :

زاد المعاد حوى رياض معارف　　قد أينعت وأتت بهدى الهادى
فاجنوا الهداية والتقى من روضه　　وتزودوا منـه بخير الزاد

☆ ☆ ☆

وله رضوان الله عليه جواب دعوة وصلت إليه من القاضى العلامة إسمعيل بن محمد العبدى رحمه الله ، وذلك فى مدينة صعدة أيام إقامته بها بعد خروجه من مكة المشرفة:

يامن نفديه بكل ممجـــد　　ونراه روحاً للعلى والسؤدد
يانور عين المجد يامن حبـه　　قد حل فى قلبى بأشرف مقعد
رمت الوصال وكيف لى بوصالـكم　　إنى أعـد لقاك غاية مقصدى
بلقاك ألقى كل عـلم نافـع　　وأوافق الآداب عندك عن يد
أَنسِيتَ غُربَتِىَ التى قد أوحشت　　بمـكارم ومحاسن وتودد
وعلى رُبَاكَ تحيـة لاتنقضى　　يامفرداً جمع العـلى بتفرد

☆ ☆ ☆

وقال مولانا البدر رحمه الله لما طارت الأخبار بظهور عالم فى نجد يقال له محمد ابن عبد الوهاب ووصل إلينا بعض تلاميذه وأخبرنا عن حقائق أحواله وتشميره فى التقوى وفى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اشتاقت النفس إلى مكاتبته بهذه الأبيات سنة ١١٦٣ هـ وأرسلناها من طريق مكة المشرفة . وهى :

سلام على نجد ومن حلّ فى نجد　　وإن كان تسايمى على البعد لايُجْدِى

لقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا ... رُباها وحياها بقهقة الرعد
سرت من أسير ينشد الريح إن سرت ... ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
يذكرنى مسرك نجداً وأهله ... لقد زادنى مسراك وجداً على وجد
قفى واسألى عن عالم حلَّ سُوحَها ... به يهتدى من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادى لسنة أحمد ... فياحبذا الهادى و ياحبذا المهدى
لقد أنكرت كل الطوائف قوله ... بلا صَدَرٍ فى الحق منهم ولا ورد
وما كل قول بالقبول مقابَلٌ ... ولا كل قول واجب الرد والطرد
سوى ماأتى عن ربنا ورسوله ... فذلك قول جل قدراً عن الرد
وأما أقاويل الرجال فإنها ... تدور على قدر الأدلة فى النقد
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدى
و ينشر جهراً ماطوى كل جاهل ... ومبتدع منه موافق ماعندى
و يعمر أركان الشريعة هادماً ... مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى سواع ومثله ... يغوث وَوَدٌّ بئس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها ... كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم عقروا فى سُوحِها من عقيرة ... أُهِلَّتْ لغير الله جهلاً على عمد
وكم طائف حول القبور مُقبِّل ... و يلتمس الأركان منهن بالأيدى

☆ ☆ ☆

فصل فى تحريق دلائل الخيرات

وحَرَّقَ عمداً للدلائل دفتراً ... أصاب ففيها مايجل عن العد
غُلوٌّ نهى عنه الرسول وفِرْيَةٌ ... بلامرية فاتركه إن كنت تستهدى
أحاديث لاتعزى إلى عالم ولا ... تساوى فلساً إن رجعت إلى النقد

وصيرها الجهال للذكر ضُرَّةً ... يرى درسها أذكى لديهم من الحمد
لقد سرنى ماجاءنى من طريقه ... وكنت أرى هذى الطريقة لى وحدى

فصل فى ذكر بدعة المذاهب

وأقبح من كل ابتداع سمعته ... وأنكاه للقلب الموفق للرشد
مذاهب من رام الخلاف لبعضها ... يعض بأنياب الأساود والأُسْدِ
يصب عليه سوط ذم وغيبة ... ويجفوه من قد كان يهواه عن عمد
ويُعْزَى إليه كل ما لا يقوله ... لتنقيصه عند التهامى والنجدى
فيرميه أهل الرفض بالنصب فِرْيَةً ... ويرميه أهل النصب بالرفض والجحد
وليس له ذنب سوى أنه غدا ... يتابع قول الله فى الحل والعقد
ويتبع أقوال النبى محمد ... وهل غيره بالله فى الشرعى من يهدى
لئن عَدَّه الجهال ذنباً فحبذا ... به حبذا يوم انفرادِىَ فى لحدى
عَلاَمَ جعلتم أيها الناس ديننا ... لأربعة لاشك فى فضلهم عندى
هُمُ علماء الدين شرقاً ومغرباً ... ونور عيون الفضل والحق والزهد
ولكنهم كالناس ليس كلامهم ... دليلا ولا تقليدهم فى غد يُجْدِى
ولا زعموا حاشاهُمُ إن قولهم ... دليل فيستهدى به كلُّ مستهد
بلى صرحوا أنا نقابل قولهم ... إذا خالف المنصوص بالقدح والرد

فصل فى الثناء على من تمسك بالأحاديث من السلف

سلام على أهل الحديث فإننى ... نشأت عَلَى حب الأحاديث من مهدى
هم بذلوا فى حفظ سنة أحمد ... وتنقيحها من جهدهم غاية الجهد
وأعنى بهم أسلافَ أمةِ أحمد ... أولئك فى بيت القصيد هُمُ قصدى

أولئك أمثال البخارى ومسلم ... وأحمد أهل الجدّ فى العلم والجِد
بحور وحاشاهم عن الجزر إنما ... لهم مدد يأتى من الله بالمد
رووا وارتووا من بحر علم محمد ... وليست لهم تلك المذاهب من ورد
كفاهم كتاب الله والسنة التى ... كفته قبلهم صحب الرسول ذوى المجد
أأنتم بأهدى أم صحابة أحمد ... وأهل الكسا هيهات ما الشوك كالورد
أولئك أهدى فى الطريقة منكمُ ... فهم قدوتى حتى أُوسَّد فى لحدى
وشتان ما بين المقلد فى الهدى ... ومن يقتدى والضد يعرف بالضد
فمن قلّد النعمان أصبح شارباً ... نبيذاً وفيه القول للبعض بالحد
ومن يقتدى أضحى إمام معارف ... وكان أويساً فى العبادة والزهد
فمقتدياً فى الحق كن لا مقلداً ... وخل أخا التقليد فى الأسر بالقد(١)

فصل فى بدعة التصوف وطريقة ابن عربى

وأكفر أهل الأرض من قال إنه ... إله وأن الله جل عن النِّدِّ
مسماه كل الكائنات جميعها ... من الكلب والخنزير والقرد والفهد
وأن عذاب النار عذب لأهله ... سواء عذاب النار أو جنة الخلد
وعُبَّادُ عجل السامرى على هدى ... ولائمهم فى اللوم ليس على رشد
وينشدنا عنه نصوص فصوصه ... تنادى خذوا فى النظم مضمون ما عندى
وكنت امرءاً من جند إبليس فارتمى ... بى الدهر حتى صار إبليس من جندى
فلو مات قبلى كنت أدركت بعده ... دقائق كفر ليس يدركها بعدى
وكم من ضلال فى الفتوحات صدّقت ... به فرقة صاروا ألدَّ من اللد
يلوذون عند العجز بالذوق ليتهم ... يذوقون طعم الحق فالحق كالشهد

---

(١) أى الحبل.

فنسألهم ما الذوق قالوا مناله　　عزيز فلا بالرسم يدرك والحد
تسترهم بالكشف والذوق أشعرا　　بأنهمُ عن مطلب الحق فى بُعْدِ
ومن يطلب الإنصاف يُدْلِ بحجة　　ويرجع أحياناً ويهدى ويستهدى
وهيهات كلٌّ فى الديانة تابع　　أباه كأن الحق فى الأب والجد
وقد قال هذا قبلهم كل مشرك　　فهل قد حوى هذى العقيدة من رند
كذلك أصحاب الكتاب تتابعوا　　على مذهب الآباء فرداً على فرد

فصل فى اغتراب الدين

وهذا اغتراب الدين فاصبر فإننى　　غريب وأصحابى كثير بلا عد
إذا ما رأونى عظمونى وإن أغِبْ　　فكم أكلوا لحمى وكم مزقوا جلدى
هنيئاً مريئاً فى اغتيابى فوائد　　فكل فتى يغتابنى فهو لى مهدى
يصلى ولى أجر الصلاة وصومه　　ولى كل شىء من محاسنه يبدى
وكم حاسد قد أنضج الغيظ قلبه　　ولكنه غيظ الأسير على القِدِّ
ودونكها تحوى علوماً جليلة　　منزهة عن وصف قَدٍّ وعن خد
فلا مدحت وصلا لليلى وزينب　　ولا هى ذمت هجر سعدى ولا هند
إليك طوت عرض الفيافى وطولها　　فكم جاوزت غوراً ونجداً إلى نجد
أناخت بنجد واستراح ركابها　　وعاد خلياً عن رحيل وعن شد
فأحسِنْ قراها بالقراءة ناظماً　　جواباً فقد أضحت لديك من الوفد
وصل على المختار والآل إنها　　لحسن ختام النظم واسطةُ العقد

☆ ☆ ☆

ولما اطلع عليها الشيخ العلامة ناصر بن حسين المحبشى رحمه الله راجع مولانا البدر رضى الله عنه نثراً ونظما سائلا عن وجه تصويب تحريق دلائل الخيرات فأجابه نظماً .

أتانى در النظم من عالم مهدى　　إلى عالم حبر تقى من نجـــد

يقرظه فيـــه لحسن طريقة ... تحلى بها بين الأنام على قصد

لينصر شرع الله ممن أصابه ... بجهل وتقليد الأوائل عن عمد

ولـكنه قد حك فى الصدر قولـكم ... أصاب ففيها ما يحل عن العقد

أزل ما عساه أن يكون تخيلا ... مفصله فى النثر من واضح الرد

فلله ما أسديت يا عالم الورى ... ولا زلت فينا دائماً للهدى تهدى

لقد سرنى ما جاءنى منك مرشدا ... وذكّرنى أيام شافهت بالرشد

ليالِىَ قضينا من العـــلم حقه ... وأبدل فيه مسلك النحس بالسعد

فليت إلهى يجمع الشمل بيننـا ... تجدد للعـــلم الشبيبة بالعهد

أَحِنُّ لأيام الوِصَالِ وطيبهـا ... ويوهننى أن التأسف لا يجدى

وإنى على شرط المودة والإخا ... وإن كانت الأجساد منا على بُعْدِ

تَقَدُّمْ فى رضا مولاك فى كل لحظة ... وذ كّرْ فإن الذكر ينفع فى الخلد

☆ ☆ ☆

فأجاب مولانا البدر رضوان الله عليه :

يسائلنى من باهتدائى يستهدى ... وذلك هدى المصطفى خير من يهدى

علام أصوب رأى من أحرق الدلا ... ئل للخيرات من ساكنى نجد

وأحسنت باستكشاف ماهو مشكل ... لديك فخذ عنى الجواب الذى أُبْدِى

وقد قلت فى الأبيات ما أنت عارف ... له من دليل فى الذى قلته عندى

غُلُوٌّ نهى عنه الرسول وفِرْيَةٌ ... بلا مرية فاتركه إن كنت تستهدى

أحاديث لا تعزى إلى عالم ولا ... تساوى فلساً إن رجعت إلى النقد

فهذان من أقوى الأدلة عند من ... يصوِّبُ تحريق البياض مع الجلد

وأشرحها بالنثر فالنظم قاصر الـــعبارة عن ذكر الأدلة والسرد

وخير الأمور السالفات على الهدى … وشر الأمور المحدثات على عمد

وذكرتنى يا بن الحسين لياليًا … تقضَّتْ لنا بالوصل فى طالع السعد

نخوض بها فى كل فن بفطنة … وذهن يرى أمضى من الصارم الهندى

فنفتح منها كل ما كان مقفلا … ونفتضُّ أبكارَ المعانى بما نُبْدِى

كأنا إذا ما مجلس العلم ضمنا … نكون على التحقيق فى جنة الخلد

فوالله ما فى هذه الدار لذة … سوى العلم إن وافقت فى العلم من يهدى

ذكيًا تقيًا منصفًا ليس همه … سوى الحق يهدى من يشاء ويستهدى

قنوعًا من الدنيا كفاه كفافُهَا … تَسَرْبَلَ فيها بالقناعة والزهد

يناصح سُكَّانَ البسيطة طاهر الا … سان سليم الصدر خلوًا عن الحقد

فهذا الذى لو كنت يومًا وجدته … ظفرت بما أهوى وجُدْتُ بما عندى

عسى ولعل الله يجمع شملنا … فقد يجمع الله الشتيتين من بُعْدِ

فتخضرُّ روضات العلوم ونجتنى … ثمار الهدى والحق من روضها الوردى

وإلا فَصِلْنِي بالدُّعَا كُلَّ ساعة … إذا كنت حيًا أو رحلت إلى لحدى

وقل لى جزاه الله خيرًا فإنه … دعانا إلى نهج الهداية والرشد

إلى هَدْيِ خير المرسلين محمد … عليه صلاة الله تترى بلا عدِّ

وصل على الآل الكرام وصحبه الا … فخام ذوى العز المشيَّد والمجد

* * *

ثم قال مولانا البدر رضى الله عنه بعد الأبيات المتقدمة مالفظه :

لما بلغت هذه الأبيات نجداً ، وصل إلينا بعد أعوام من بلوغها إلى أهل نجد رجل عالم يسمى مربد ابن أحمد التميمي كان وصوله فى شهر صفر سنة ١١٧٠ هـ وأقام لدينا ثمانية أشهر وحصل بعض كتب ابن تيمية وابن القيم بخطه :

وفارقنا فى عشرين شوال سنة ١١٧٠ هـ راجعاً إلى وطنه ، ووصل من طريق الحجاز

مع الحجاج ، وكان من تلاميذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، الذى وجهنا إليه الأبيات فأخبرنا ببلوغها . ولم يأت بجواب عنها :

وكان قد تقدمه فى الوصول إلينا بعد بلوغها الشيخ عبد الرحمن النجدى .

ووصف من حال محمد بن عبد الوهاب أشياء أنكرناها من سفكه الدماء ونهبه الأموال وتجاريه على قتل النفوس ، ولو بالاغتيال ، وتكفيره الأمة المحمدية فى جميع الأقطار .

فبقينا نتردد فيما نقله الشيخ عبد الرحمن حتى وصل الشيخ مربد ، وله نباهة وأوصل بعض رسائل ابن عبد الوهاب التى جمعها فى وجه تكفيره أهل الإيمان وقتلهم ونهبهم ، وحقق لنا أحواله وأقواله وأفعاله .

فرأينا أحواله أحوال رجل ، عرف من الشريعة شطراً ، ولم يمعن النظر ، ولا قرأ على من يهديه نهج الهداية ، ويدله على العلوم النافعة . ويفقهه فيها .

بل طالع بعضا من مؤلفات أبى العباس ابن عمه [1] ومؤلفات تلميذه ابن القيم الجوزية وقلدهما من غير إتقان مع أنهما يحرمان التقليد .

ولما حقق لنا أحواله ، ورأينا فى الرسائل أقواله ، وذكر لنا أنه عظم شأنه بوصول الأبيات التى وجهناها إليه وأنه يتعين علينا نقض ماقدمناه ، وحل ماأبرمناه ، وكانت أبياتنا قد طارت كل مطار ، وبلغت غالب الأقطار وأتتنا فيها جوابات من مكة المشرفة ، ومن البصرة وغيرهما ، إلا أنها جوابات خالية عن الإنصاف :

ولما أخذ علينا الشيخ مربد ذلك ، تعين علينا ، لئلا يكون سبباً فى شىء من هذه الأمور التى ارتكبها ابن عبد الوهاب المذكور ، كتبت أبياتاً وشرحها وأكثرت من النقل عن ابن القيم وشيخه ابن تيمية ، لأنهما عمدة الحنابلة . انتهى كلام الوالد البدر رضى الله عنه والأبيات هى [1] :

---

(١) تنبيه : الذى يظهر أن هذه القصيدة مزورة على الأمير محمد بن إسماعيل الصنعانى ومختلفة وقد ذكر فى الذى قبلها أن ابن تيمية ابن عم للشيخ محمد بن عبد الوهاب فهل يجهل الإمام الصنعانى شيخ الإسلام ابن تيمية ونسبه ؟ ولكن قاتل الله المغرضين وكلام الإمام الصنعانى فى مؤلفه « تطهير الاعتقاد » يكفى المنصف :

(١) هذه القصيدة لم تكن من نظم الأمير محمد بن إسمعيل لأنها تخالف ماذكره فى كتبه الدالة على حسن اعتقاده مثل « تطهير الاعتقاد عن درن الإلحاد » وقد رد الشيخ سليمان بن سحمان هذه المنظومة بكتابه المعروف « بتبرئة الشيخين » وهو مشهور مطبوع .

رجعت عن النظم الذى قلت فى النجدى ... فقد صح لى عنه خلاف الذى عندى
ظننت به خيراً وقلت عسى عسى ... نجد ناصحاً يهدى الأنام ويستهدى
فقد خاب فيها الظن لا خاب نصحنا ... وما كل ظن للحقائق لى مهدى
وقد جاءنا من أرضه الشيخ مربد ... فحقق من أحواله كل ما يبدى
ومن جاءنى من تأليفه برسائل ... يكفر أهل الأرض على عمد
ولفق فى تكفيرهم كل حجة ... تراها كبيت العنكبوت لذى النقد
تجارى على إجرا دماء كل مسلم ... مُصَلٍّ مُزَكٍّ لا يحول عن العهد
وقد جاءنا عن ربنا فى براءة ... براءتهم عن كل كفر وعن جحد
وإخواننا سماهم الله فاستمع ... لقول الإله الواحد الصمد الفرد
وقد قال خير المرسلين نهيت عن ... فما باله لم ينته الرجل النجدى
وقال لهم لا ما أقاموا الصلاة فى ... أناس أتوا كل القبائح عن قصد
أبن أبن لى لِمْ سفكت دماءهم ... ولِمْ ذا نهبت المال قصداً على عمد
وقد عصموا هذا وهذا بقول لا ... إله سوى الله المهيمن ذى المجد
وقال ثلاث لا يحل بغيرها ... دم المسلم المعصوم فى الحل والعقد
وقال عَلِىٌّ فى الخوارج إنهم ... من الكفر فرّوا بعد فعلهم المُرْدِى
ولم يحفر الأخدود فى باب كندة ... ليحرقهم فافهمه إن كنت تستهدى
ولكن لقوم قد أتوا لعظيمة ... فقالوا على ربنا منتهى القصد
وهذا هو الكفر الصريح وليس ذا ... برفض ولا رأى الخوارج فى المهدى
وقد قلت فى المختار أجمع كل من ... حوى عصره من تابعى وذى الرشد
على كفره هذا يقين لأنه ... تسمى نبياً لا كما قلت فى الجعد
فذلك لم يجمع على قتله ولا ... سوى خالد ضَحَّى به وهو عن قصد
وقد أنكر الإجماع أحمد قائلا ... لمن يدعيه قد كذبت بلا جحد
كدعواك فى أن الصحابة أجمعوا ... على قتلهم والسبى والنهب والطرد

لمن لزكاة المال قد كان مانعاً وذلك من جهل بصاحبه يردى
فقد كان أصنـــاف العصاة ثلاثة كما قد رواه المسندون ذوى النقد
وقد جاهد الصديق أصنافهم ولم يكفر منهم غير من ضل عن رشد
وهذا لعمرى غير ما أنت فيه من تجاريك فى قتل لمن كان فى نجد
فإنهمُ قد تابعوك على الهـــدى ولم يجعلوا لله فى الدين من نِدِّ
وقد هجروا ما كان من بِدَعٍ ومِنْ عبادة من حـلَّ المقابر فى اللحد
فما لك فى سفك الدما قط حجة خَفِ الله واحذر ما تُسِرُّ وما تُبْدِى
وعامل عباد الله باللطف وادعهم إلى فعل ما يهدى إلى جنة الخلد
وَرُدَّ عليهـــم ماسلبت فإنه حرام ولا تغتر بالعز والجد
ولا بأناس حسنـــوا لك ماترى فما همهم إلا الأثاث مع النقد
يريدون نهب المسلمين وأخذ ما بأيديهمُ من غير خوف ولا حد
فراقب إله العرش من قبل أن تُرَى صريعاً فلا شىء يفيد ولا يجدى
نعم واعلموا أنى أرى كل بدعة ضلالاً على ما قلت فى ذلك العقد
ولا تحسبوا أنى رجعت عن الذى تضمنه نظمى القديم إلى نجـــد
بلى كل مافيه هو الحق إنمـــا تجاريك فى سفك الدما ليس من قصدى
وتكفير أهل الأرض لست أقوله كما قلته لا عن دليل به تهدى
وها أنا أبْرَا من فعالك فى الورى فأنت فى هذا مصيب ولا مهدى
ودونكـــها منى نصيحة مشفق عليك عسى تهدى بهذا وتستهدى
وتغلق أبواب الغـــلو جميعـــه وتأتى الأمور الصالحات على قصد
وهـــذا نظامى جاء والله حجة عليك فقابل بالقبول الذى أهدى

☆ ☆ ☆

أنواع الـكفر

نعم ثم إن الـكفر قسمان فاعلموا وكل من القسمين أحـــكامه أبدى

الأول :

فكفر اعتقاد حكمه السفك للدما وسبي الذراري وانتهاب ذوى الجحد
إلى أن يقروا بالشهادة للذى له الخلق والأمر الإله الذى يهدى
وأن يشهدوا أن الرسول محمداً نبي أتى بالحق والنور والرشد
وأن يشهدوا أن المعاد حقيقة يعيدهم رب العباد الذى يبدى
خلا من له منهم كتاب فإنه الـ معاهد والإيفاء حتم لذى العهد

الثانى :

وكفر كمن يأتى الكبائر لاسوى وليس ككفر بالمعيد وبالمبدى
كتارك فرض للصلاة تعمداً وتارك حكم الله فى الحل والعقد
ومن صدق الكهان أو كان آتياً لامرأة فى حُشِّهَا غير مستهد
ومن لأخيه قال يا كافر فقد بها باء هذا أو بها باء من يبدى
وليس بهذا الكفر يصبح خارجاً عن الدين فافهم ما أقرره عندى
وهذا به جمع الأحاديث والذى أتى فى كتاب الله ذى العز والمجد
بلى بعض هذا الكفر يخرج فاعلا له إن يكن للشرع والدين كالضد
كمن هو للأصنام يصبح ساجداً وسابٍّ رسول الله فهو أخو الجحد
وهذا الذى فصلته الحق فاتبع طريق الهدى إن كنت للحق تستجدى
وجاء مثل هذا فى النفاق وغيره من الفسق والكفر الذى كله يُرْدِى
فإن قلت قد كفرت من قال إنه إله وأن الله جل عن النِّدِّ
مسماه كل الكائنات جميعها من الكلب والخنزير والقرد والفهد
مع أنه صلى وصام وجانب الـ وسع فى الدنيا ومال إلى الزهد
فقلت استمع منى الجواب ولا تكن غبياً جهولا للحقائق كاللد
فإن الذى عنه سألت مجاهر بنفى الإله الواحد الصمد الفرد

ونفى نبوءات النبيئين كلهم ... فما أحمد الهادى لدى ذاك بالمهدى
وتصويب أهل الشرك فى شركهم فما ... أبو لهب إلا كحمزة فى الجد[1]
وهرون أخطا حين لام جماعة ... عكوفاً على عجل يخور ولا يهدى
فإن لم يكن هذا هو الكفر كله ... فعقلك عقل الطفل زُمِّلَ فى المهد
فقد كفر الشيخ ابن تيمية ومن ... سواه من الأعلام فى السهل والنجد
أولئك إذ قالوا الوجود بأسره ... هو الله لارب يُمَيَّزُ عن عبد
وهذا مقال الفلاسفة الأُلَى ... إلى النار مسراهم يقيناً بلا رَدِّ
وألف فى هذا ابن سبعين كتبه ... وتابعه الجيلىُّ ويابئس ما يبدى
ولكن أرى الطائى[2] أطولهم يداً ... أتى بفصوص لاتزان بها الأيدى
وجاء منهم ابن الفارض الشاعر الذى ... أتى بعظيم الكفر فى روضة الوردى
أجاد نظاماً مثل ما جاد كفره ... فسبحان ذى العرش الصبور على العبد
أنزهه عن كل قول يقوله ... ذوو الكفر والتعطيل من كل ذى جحد
وأثنى عليه وهو والله بالثنا ... حقيق فقل ما شئت فى الواحد الفرد
بديع السموات العلى خالق الملا ... ورازقهم من غير كَدٍّ ولا جهد
بدا خلقنا من أرضه ويردنا ... إليها ويخرجنا معيداً كما يبدى
فريقين هذا فى جهنم نازل ... وذلك مزفوف إلى جنة الخلد
ألا ليت شعرى أى دار أزورها ... فقد طال فكرى فى الوعيد وفى الوعد
إذا ماذكرت الذنب خفت جهنما ... فقال الرجا بل غير هذا ترى عندى
أليس رحيما بالعباد وغافراً ... لما ليس شركا قاله الرب ذو المجد
فقلت نعم لكن أتانا مقيداً ... بما شاءه فافهم وعَضَّ هنا الأيدى
فهل أنا ممن شاء غفران ذنبه ... فياحبذا أم لست من ذلك الورد
هنا قطع الخوف القلوب وأسبل الـ ... ـدموع من الأبرار فى ساحة الخلد

---

(١) أى : الحظ .　　(٢) ابن العربى .

فأسأله حسن الختـــام فإنه إليه انقلابى فى الرحيل إلى اللحد
ومغفرة منه ولطفاً ورحمـــة إذا مانزلت القبر منفرداً وحـــدى
وأرجوه يعفو كل ذنب أتيته ويغفر لى ما كان فى الهزل والجـــد
ويلحقنا بالمصطفى وبآله الـ ـكرام كراماً والصحاب أولى الرشد
قصدت بهذا النظم نصح أحبتى وأختمه بالشكر لله والحمـــــــد
وصل على خير الأنام وآله صلاة وتسليما يدوما بلا حـد
ورَضٍّ على الأصحاب أصحاب أحمد أولى الجد فى نصر الشريعة والحد

قال رحمه الله : انتهت فى شهر رجب سنة ١١٧٠ هـ سبعين ومائة وألف .

* * *

أرسل السيد العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله بهذه الأبيات وجوابها والسائل المولى العلامة إسمعيل بن محمد بن إسحق قدس الله أرواحهم إلى والدنا البدر قدس الله روحه .

كيف حكم الإطلاق يا عالم العصـ ـــر وماذا فيـه مع التقييد
والعموم العموم إن شابه التخـ صيص فى الحـكم فهو غير مفيد
قد سمعنا الخلاف فى هذه الأحـ ـكام والاختلاف غير رشيد
وبحثنا فى غاية السؤل بحثاً قد نفينا لديه طيب المجود
ورأينـــــا الحسين مال مع القو م وذاك الـكلام غير سد يد
فهو رأى لا يرفع القيد والقو ل بهذا يلجى إلى التشريد
ثم ترك التقييد لايرفع التحـ ـريج فالأمر قد أتى بالوعيد
فأبن لى ماذا لديك من التحـ ـقيق واترك طريقـة التقليد

* * *

جواب للمولى العلامة الحسن بن إسحاق رحمه الله :

الجواب الذى وفـق الله تعـالى حقـاً أقل العبيد

عن سؤال الإطلاق ماحكمه إذ يتراخى عن مطلق التقييـــد
إنه ثابت بغير امــتراء بدليل من الـكتاب المجيد
صرحوا بالوجوب فيه فراجع بحثه فى نهاية ابن رشيد
وادَّعَوْا أن فى القيود خلافـاً طولوه وذاك غير ســديد
كل قول يكون فيه اختلاف رُدَّهُ لاتَمِــلْ إلى المردود
وخصوص العموم لابد منـه فهو قبل الخصوص غير مفيد
ثم فى الجمع المحلى كلام ما استفدنا منه سوى التعقيد
قال فى مطلق الدليل احتمال صالح للتأ كيـد والتجريد
حمـلوه على المقيـد فاعجب كيف تحميـل مثقل بقيود
واطِّراح الشروط كالدفع فى مدحه نصوص للشارع المحمود
والصحيح الذى اطمأن له القلـ ب وأغنى عن كثرة الترديد
قول أهل الرجاء فارج مع القو م تنـله من عند رب حميـد
وابذل الوسع فى اجتهادٍ وخُذْهُ عن دليـل لا تُفْتِ بالتقليد

☆ ☆ ☆

فأجاب المولى البدر رضى الله عنه

قـد نظرنا الأبحاث فى غاية السؤ ل وما فى نهاية ابن رشيـد
ونظرنا فى المنتهى والحواشى فرأيت الجميع غير مفيـــد
غير قول الحسين فهو إلى الحـ ق قريب مافيـه من تبعيـد
قال لم يشرطوا فى الإطلاق إلا حمـله إن أتى على التقييـد
والذى عندنا وصـح لدينـا بعـد طول التفتيش والترديد
ماوراه التلويح نصاً عن الجمـ هور فيـه وصاحب التجريد
إن بحث العموم باق ولا تخـ صيص فيه فالحـكم للتقييـــد
وأتى فى التخصيص بعض حديث حَسَنٍ قيل وهو غير مفيد

لتراخيه والتراخى مُخِـــلٌّ فاطَّرحْنَا الحديث للتشديد
ورأينا الرجاء أولى صوابـاً إن سمحتم بهجر طيب الهجود
ثم سَـــدَّدْتُمُ سهام دعاء خُضِبَتْ بالدموع للمعبود
وجعلتم قِسِيَّهَا نهـــداتٍ صادرات عن حَرِّ كَرْبٍ شديد

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله أرسلها إلى الحاج سعد الدين بن عبد الولى صاحب العدين رحمه الله :

فؤادى على ماتعهدون من الود وعهدى فى حفظى مودتكم عهدى
أرا كم بعين القلب إن بعد اللقا فإن غبتمُ عنى فإنـكُمُ عنـدى
سواى الذى ينسى المودة والإخا و يفرق بين الحب فى القرب و البعد
وأما أنا فالبعد عندى زيادة بحبى من أهوى فهذا الذى أبدى
يزيد الهوى مهما تطاولت النوى وإن حل حِبِّي فى تهامة أو نجد
أحب أناساً فى دمشق وجيرة ببغدادا أو من حل فى السند والهند
إذا كان فى حب الحديث طريقه طريقى فيهدى بالحديث و يستهدى
أحبك سعد الدين لا حب واحد يحبك لى والقلب يشهد بالود
سلوا عن مودات الرجال قلوبكم فتلك شهود لا تقابَلُ بالرد
وحب نداك أم الوفود فحبذا تلقيِّك للوُفَّادِ بالرحب والرفد

☆ ☆ ☆

ولما طلب الفقيه الفاضل النبيل ضياء الدين سعيد بن حسن العنسى رحمه الله من مولانا الوالد البدر رضى الله عنه إجازة كتب له إجازة أبيات لامية ستأتى فى حرف اللام فعاود الطلب لإجازة خاصة فى مؤلفات البدر رضى الله عنه وتسميتها فكتب له ما لفظه :

وافى نظامك يا سعيد فكأنه عقد فريد

مثل الدرادى خِلْتَهُ أو أنه درٌّ نضيد
أو أنه الروض النضـــير ولا نظير له أريد
وطلبت منى أن أجيـــز مؤلفاتى لا أزيد
وأعد أسماء لهـــا لتنال منها ما تريد
فلقد أجزتك فاستمع أسماء بعضٍ يا سعيد
سبل السلام مؤلف جزءان يعشقه الرشيد
وبمنحة الغفـــار ما ضوء النهار بها يزيد
جزءان فى القطع الكبـــير بها فوائد لا تبيد
ولعمدة الأحــكام حا شية بها بحث مفيد
ولنا على التنقيح شر ح لا يدعه المستفيد
ولجامع الشرح الصغــــير مؤلف شرح سديد
وحوته أربعة من الا أجزاء فيها ما تريد
ولنا نظام فى الوصى وشرحه در نضيد
ونظام كافلنا الأصـ لى شرحه شرح مفيد
ولنا على نظم الإما م محمد شرح مجيد
رب العواصم من غدا أهل الذكاء له ورود
وكذا لنا جمع الشتيـ ت وياله جمع عديد
وبمكة الأحراز أُلِّـ ف والمقام له شهيد
وبها كتاب السيف وهـ و مؤلف حلو فريد
ولنا على التيسير تحـ بير به مَنَّ الحميد
ولنا المسائل والرسا ئل عَدُّها أمر بعيد
والكل من فضل الإلـ ه له الثناء كما يريد

والله لولا فضله — أَنِّى فَتًى فَدْمٌ بَلِيدٌ
للعلم أهَّلني فلا — أهوى سواه ولا أريد
حُبِّب إلىَّ من الصبا — فأنابه كَلَفٌ عميد
وكفانىَ الدنيا فعيـ — شى فى الورى عيش رغيد
وعن المناصب صاننى — فأنا لرتبتها زهيد
عُرِضتْ علىَّ فأعرضت — عن تلك نفسٌ لى شرود
لاترتضى إلا المعا — رف والعلوم هى السعود
والآن قد قرب الرحـ — يل وقد مضى عمر مديدُ
قد مات أترابى وأحـ — بابى وضمهم الصعيد
نزلوا اللحود فأشرقت — بنزولهم تلك اللحود
والله أبقانى ومتـ — ـع بالحواس كما أريد
فله المحامد كلها — وهو الغنى وهو الحميد
أُوصِى سعيداً بالتُّقَى — إن التَّقِىَّ هو السعيد
واحذر من الدنيا فما — يغتر بالدنيا رشيد
دار تدور بمكرها — يلهو بها الرجل البليد
وتراه يجمعها حلا — لاً أو حراماً يستزيد
أيريد فى الدنيا الخلو — د وليس فى الدنيا خلود
اغتر قوم بالحظو — ظ وزُيِّنَت لهم الجدود
ماالملك إلا الزهد ما — فيه الجنود ولا البنود
فازهد تكن ملكا عزيـ — ـزاً لاتقاد ولا تقود
والعلم أفخر ملبس — فالبس هو الثوب الجديد
تَبْلَىَ ولا يبلى وإن — ضمت جوارحك اللحود

كم قد تقضّى قبلنا عَلَمٌ وجبار عنيد

فأخو العلوم كأنه مابيننا حيٌّ شهيد

يملى علينا علمه فَنُفِيدُ منه ونستفيد

ويزوره منا الدعا والمدح والقول الحميد

وأخو التجبر ماله ذِكْرٌ ولا حق أكيد

وكذاك من جعل العلو م حبالة وبها يصيد

ماهمُّهُ إلا الحرا م يصيد منه ويستصيد

كم جامعٍ للعلم أضـ حى وهو شيطان مريد

فالجهل أولى من علو م للمعاصى لا تذود

والله يرحمنا فيلـ قانا بها كرم وجود

ويجيرنا من حر نا ر والعباد لها وَقُودُ

م والحجارة كلما نضجت تبدّلتِ الجلود

عجباً تطيب لنا الحيا ةُ وبعدها هذا الوعيد

ياليت شعرى هل قلو ب فى الصدور أم الحديد

ثم الصلاة على الذى بوجوده افتخر الوجود

والآل من أضحى لهم قصر من العليا مشيد

مَنْ حُبُّهمْ فرض على الـ أعيان ليس به جحود

هو فرض عين والأدلـ ـة بالذى قلنا شهود

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه كتبها آخر إجازة للمولى العلامة الفهامة فخر الدين عبد الله ابن أحمد بن إسحق بن إبراهيم رحمهم الله فى شهر ربيع الأول سنة ١١٨٢ هـ اثنين وثمانين ومائة بعد الألف .

أجزتك ياابن وُدِّى ماتريد بما فيه تفيـــــــد وتستفيد

أجزتك إذ طلبت وأنت بحر | يحق لمثلنا فيه الورود
أجزت الأمهات وهن ستٌّ | إليها كل ذى علم يعود
لأن بناء أحكام البرايا | بها دارت وهن لها عمود
أضاع الخمسة الأحكام من لم | يحب الست وهو بها عميد
فيالله كم علم حوته | فليس على معارفها مزيد
ولى فيها سماعات على مَنْ | تَزَيَّنَ من وجودهم الوجود
وغير الست مما قد أُجِزْنَا | أجزتُكَ أيها الفخر الفريد
وكل مؤلف لى ياحبيبى | أجزتك فاروِ منها ماتريد
ولازم سُنَّةَ المختار درساً | وتدريساً وإن رغم الحسود
ولا تشغل بغير العلم وقتاً | وهل بسواه يشتغل السعيد
فأهل العلم أملاك البرايا | وكل سواهم لهم جنود
وصِلْنى بالدعا فى كل حين | خصوصاً إذ منازلنا اللحود
وعذراً فى الذى منى تراه | فليس كما تريد ولا أريد
فذا جهد المقل فلا تلمنى | وعفواً أيها المولى المفيد
أمِنْ بعد الثمانين اللواتى | قطعت يكون لى عقد فريد
أراها صيرتْ فكرى بليدًا | وما هو قبل مقدمها بليد
وأسأله الرضا فى كل حين | وتوفيقاً إلى التقوى يقود
وينزلنا به جنات عدن | تكون بها الإقامة والخلود
وصلِّ على النبى والآل طراً | فهم شمس أنار بها الوجود

☆ ☆ ☆

وقال رضى الله عنه جواباً على أبيات وصلت إليه من المولى العلامة عبد القادر بن أحمد رحمه الله من كوكبان فى جمادى الآخرة سنة ١١٨٢ هـ اثنتين وثمانين ومائة بعد الألف .

مارحلتم عن مقلتى وسوادى | بل نزلتم فى مهجتى وفؤادى

أنت عندى فى كل حين مقيم   عند إصدار القول والإيراد
وجليسى إن كنت بين أناسى   ثم أولى فى حالة الانفراد
فعجيب ذكر الوداع ودمع الـ   عين منكم يسيل سيل الوادى
كم بعيد هو القريب إلى القلـ   ب وقريب فى غاية الابتعاد
ليس قرب الأجسام عندى قرباً   إنما القرب فى صميم الفؤاد
لست أشكو بعاد من غاب عنى   فهوعندى فى روضة من ودادى
مثل تلميذنا العزيز أبى إبرا   هيم فخر الآباء والأجداد
نور عين الذكا ونادرة الدهـ   ـر ومن نار ذهنه فى اتقّاد
لو تقدم زمانه عضد الديـ   ـن لكانت له عليه الأيادى
أو تقدم على الشريف وسعد الد   ين كانا له من القُصَّادِ
لينالوا منه الذى لم ينالوا   من علوم جلّتْ عن التعداد
قد أتانا نظامك العذب يشكو   من ثناء عن قربنا وبعاد
نحن نشكو مثل الذى أنت تشكو   مع أنا نراك فى كل ناد
غير أن العينين تطلب حقـا   صادقـاً ثابتاً من الميلاد
أن ترى من تحبه ولهذا   قال موسى الكليم هذا مرادى
وإذا لم تر الذى هى تهوى   قنعت من وصاله بالثماد
ببياض يأتى بأخبار حب   ترجمتها عنه لسان المداد
مثلما ترجمت حروف أتتنا   كخضاب فى وجنةٍ لِسُعادِ
أفهمتنا كل المراد وراقت   دُمْتَ فى نعمة بنيل المراد
وعليك السلام مِنِّىَ يترى   لا إلى غاية له بالنفـــــاد

✲ ✲ ✲

اتفقت حادثة غريبة فى شهر صفر سنة ١١٨٢ هـ اثنتين وثمانين ومائة بعد الألف وهى أنها وصلت كتب من جبل برط من القضاة بنى العنسى الساكنين فيه إلى أهل

هجرة حوث وغيرهم يذكرون فيها أنها حدثت فى « صنعا » أمور منكرة وهى أن السيد الإمام شيخ الإسلام العلامة الفهامة مجددشريعة المختار البدرالمنير محمد بن إسمعيل الأمير بل الله بوابل الغفران ثراه وأسكنه بحبوحة الجنان خالف مذهب أهل البيت عليهم السلام وصار مبالغاً فى ذلك وذكروا أموراً يضحك منها القرطاس والقلم وتخزيهم فى الحشر بين الأمم :

ما ضرّ نهر الفرات يوماً   إذ بال بعض الكلاب فيه

ولما اطلع رحمه الله على كتبهم المخزية لهم يوم القيامة ، أجاب عليهم ببديع النظام الذى يعجز كل نظام .

نظم هو السحر الحلال فبينوا   مع فعله هذا أدلّة حِلّه

فقال تجاوز الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مسكنه ومأواه :

بذكرك يارب الخلائق أبتدى   بحمد جزيل سرمدى مؤبد
وشكر كثير للإله مصلياً   على أحمد المختار والآل عن يد
رأيت كتاباً فيه كل عجيبة   ويأتيك بالأخبار من لم تزود
وسوَّدَ فيه كاتبوه مقالةً   سَيَسْوَدُّ منها وجه كل مسود
جهول بأولاد البتول وحيدر   يقول ومن ذا ابن الأمير محمد
أنا الشمس فى جوِّ السماء منيرة   بها يهتدى من شاء رنى ويقتدى
أنا هاشمى فاطمىٌّ نسبتى   إلى حَسَنٍ سِبْط الرسول محمد
ومذهِبِيَ التوحيد والعدل لاسوى   وهذا لعمرى دين كل موحد[(١)]
فنحن بنو الزهرا وأبناء حيدر   ورثنا الْعُلَى عن كل عال ممجَّد
فَجِدِّيَ خير الرسل أحمدمَنْ به اا   براق سرى ليلا إلى خير مقعد
ووالدِيَ المولى الأمير ابن حمزة   عماد الهدى حتف على كل معتد
إمام جهاد دوَّخ الأرض كلها   وأجرى دم الأعداء فى كل فَدْفَدِ

(١) من كان له معرفة بمذاهب المعتزلة وعقيدة الأمير محمد يجزم أن هذا البيت مدسوس عليه فتوحيد المعتزلة إنكار الصفات الإلهية والعدل عندهم إنكار القدر وهذان أصلان من أصولهم الخمسة .

وقد فتحت صنعا بأسياف جِدِّنَا … وأهلك فيها كل باغ ومفسد
سل المهجم المعروف[1] من ذا أباحه … وأخرب فيها كل قصر مشيَّدِ
مع صنوه المنصور أفضل قائم … من الآل واسأل كل هاد ومهتد
إمام الهدى عبد الإله ابن حمزة … ومن بظفار فاز فى خير مشهد
هو الجبل البحر الذى بعلومه … جميع الورى ما بين مُفْتٍ ومقتدى
وفى سفح كحلان غدا قبر[2] جدنا … وزُوَّارُه فيه تروح وتغتــدى
أولئك آبائى إذا كنت جاهلا … ونحن بنوهم سيداً بعد سيد
ورثناهُمُ علماً وزهداً وسؤدداً … وسل من تشا يا جاهلاً أصل محتدى
ورثت علوم الآل طراً وبعدها … حفظت بحمد الله سنة أحمد
ودرّسْتُ فى العلمين أعلام عصرنا … فــكلٌّ تلاميذى فسل و تَنَشَّدِ
كذلك تفسير الــكتاب حفظته … ودرَّسْتُ فى التفسير كل موحد
على كل كرسيٍّ وفى كل مسجد … فــكل بما قلناه يهدى ويهتدى
لِيَ الخُطَب الغُرُّ التى كل خاطب … بها خاطِبٌ فى كل أرض ومسجد
والَّفْتُ فى كل العلوم مؤلفاً … بها يهتدى أهل العلوم ويقتدى
وسارت مسير الشمس فى كل بلدة … ويجهل هذا كل فَدْمٍ مُبلَّد
ولى فى أمير المؤمنين قصائد[3] … بها اطرب الأسماعُ من كلٌّ منشد
وشرحى لها شرحٌ نفيس مهذَّبٌ … نشرت بها كل الفضائل عن يد
وأصلحت ما بين الأئمة قد جرى … وأطفأت ناراً شَبَّهَا كل مفسد
ثلاثة إصلاح ورابعهــا الذى … جرى بين مولانا الإمام وأحمد
رجوت بها لطف الإله ورحمة … أفوز بها فى يوم حشرى وفى غد
ولم أُرِدِ الدنيا الدَّنيَّة أو أُرِدْ … عمارة قصر فى أزال مشيد

---

(١) قوله : المعروف . وفى نسخة « المشهور » .
(٢) الأمير يحيى بن حمزة بن سليمان . (٣) وفى نسخة : قصيدة .

ولا قطعة اقتطعتها أو ولاية كما هو دأب الناس فى كل مورد
ولا كيلة لى من زكاة ولم أذق لها حبة يوماً ولا لمست يدى

جواب قولهم مَنْ شيوخه فى العلم

وأما شيوخى فى العلوم فإنهم أئمة أهل الأرض فى كل مشهد
أُعَدِّدُ منهم لا أعد جميعهم ومن رام عَدَّ الشُّهبِ لم تتعدد
فمنهم أبى شمس الزهادة والتقى وبحر علوم الآل أبناء أحمد
وزيد إمام العلم نجل محمد أبوه حفيد القاسم بن محمد
قرأت عليه فى العلوم ولم أزل أروح إليه كل يوم وأغتدى
ومنهم صلاح ابن الحسين وحبذا إمام بأثواب الزهادة مرتدى
له فِيَّ نظم بامتداحى وكم أتى إلى منزل لى فى زودة وتردد
وشيخِىَ فى نَحْوٍ وفقه ومنطق قريبكُمُ القاضى علىُّ بن محمد
له فى امتداحى كل نظم كأنه عقود لآل أو عقود زبرجد
وفى طيبة الفيحاء شيوخى ومكة شيوخ علومى فى الحديث المحمدى
أئمة علم ليس فى الناس مثلهم لهم سَنَدٌ عالٍ على كل مسند
فخذ بعض أشياخى إذا كنت جاهلا وربِّىَ فى كل المعارف مرشدى
وماقلت ذا فخراً ولا الفخر شيمتى ولكن جهلتم سيداً من مسود
فكان علينا واجب كشف جهلكم بنظم كدُرٍّ فى الطروس منضد
أما فيكُمُ من يستحى من إلهه أما فيكُمُ من يرهب الخزْىَ فى غد
أما فيكم من راقب الله ساعة وتاب فقد أفسدتم الأرض عن يد
لكم كل عام مخرج تخرجونه لنهب الرعايا فى إعانة مفسد
وما الله عما تعملون بغافل وربك بالمرصاد فلنترصد
لقد كان فى أسلافكم شيعة لنا يحبون أولاد النبى محمد

كمن ألّف الإرشاد والدررالتى غدت فى أصو ل الفقه خير مجلد
ومشهده فى بلدتى بين جيرتى ومسكن آبائى وموضع مولدى
وعندِىَ تأليف له فى[1] مطرف وأتباعه من كل فَدْمٍ مقلد
أبان به تصويب[2] جدى لقتلهم وتخريبه فى أرضهم كل مسجد
لعلكم لا تعرفون جدودكم وهم كنجوم فرقد بعد فرقد
كفى المرء عيباً جهلُه بجدوده وهم نخره عند التفاخر فى الندى
وقلتم بأنا مخرجون محمداً وأهليه من صنعا بغير تردد
كذبتم ويأبى الله والله غالب ولن ينصر الرحمن أفعال معتد
ويأباه مولانا الإمام الذى علا على هامة العلياء أفخر مقعد
إمام الهدى بحر الندى قاصم العدى طويل نجاد السيف رَحْب المقلد
ويأباه من أبناء أحمد عصبة هُمُ زبدة الأشراف فى كل مشهد
بنو القاسم المنصور من فى شهارة له مشهد من تربة المسك نجتدى
هُمُ قد أذاقوا كل باغ ومعتد كؤوس المنايا من شفار المهنّد
وفيهم تلاميذ لنا وهم أنا فنحن وهم من فرع دوحة أحمد
ويأباه من كان الوصىُّ نجارَه وكل تقىٍّ صالح متهجد
وفى الناس ناس يعقلون وفيهمُ حياء وخوف من عذاب مؤبد
وعندى سهام ليس تخطىء مقتلا سهام دعاء بعد كل تهجد
إذا أنا فى الأسحار أرسلت سهمها فو الله ما تُخْطِى مذابح حُسَّدِى
ويأباه من كانت بصنعاء داره هم جيرتى من سيد ومسود
بلى كل من فى الكون يأبى مقالكم وينكره من مُتْهِمين ومنجد
وقلتم بأن ابن الأمير محمداً يخالف أهل البيت من غير مسعد

---

(١) سماه التمييز بين الإسلام وبين المطرفية الطغام — منه .
(٢) الإمام المنصور بالله ، عبد الله بن حمزة .

وليس اختلاف الآل فى العلم ضائراً ... ولا هو عيب عند كل موحد
فقد خالف الهادى بنوه محمد ... وأحمد وانظر كتبهم وتفقد
وخالفه المنصور والناصر الذى ... يأمل سقياً للإمام المجـدد
وكم من خلاف بين صنوين قد جرى ... أبى طالب ثم الإمام المؤيد
وشاهدى الأزهار والغيث فانظروا ... وفى البحر للمهدى مايروى الصَّدِى
أبى جهلكم أن تعرفوا الحق والهدى ... فأنكرتم الأمرين من غير مرشد
لقد بلغ الشيطان منكم مراده ... وأقعدكم من مكره كل مرصد
أفيقوا أفيقوا من جهالتكم ولا ... تظنوا بأن الحق يدفع باليد
وتوبوا إلى الله الذى هو قادر ... على كل شيء وهو منكم بمرصد
أجاب عليكم أهل حوث وبينوا ... لكم كل بحث بالدليل المؤكد
وقد نصحوا لو تقبلون وإنما ... جوابكُمُ فى غلظة وتشدُّدِ
دليل على أن العناد مرامكم ... ومن عاند الحق القويم فمعتد
أبانوا لكم وَجْهَ الحقائق كلها ... فأعرضتم إعراض من ليس يهتدى
جزى الله عنا أهل حوث ذوى التقى ... فكم فيهمُ من عابد متهجد
بخير جزاء فى الدناء وجنة النـ ... ـعيم جزاهم بالنعيم المخـلّد
وحياهمُ منى بكل تحية ... وزادهُمُ من فضله المتجدد
ومن كوكبان قد أتتكم نصائح ... وفيها براهين بقول مجود
وأوضحوا الأمر الذى فيه خوضكم ... بكل كلام بالدليل مؤيد
ونصح صحيح لا يقول بمثله ... سوى رُكَّع من خشية الله سُجَّدِ
جزى الله خيراً كل من نصح الورى ... بكل دليل فى المقال مسدَّدِ
ومن سفح صنعا من إمام معارف[1] ... ومن باذل نصح العباد ومرشد
أتاكم بتأليف له طاب نشره ... وبيَّنَ وجه الحق فى كل مقصد

---

(١) هو السيد العلامة الحسين بن مهدى النعمى رحمه الله ألف مؤلفاً فى الرد عليهم .

فهل من فتى لله بالحق قائل ... بقول صحيح بالأدلة مسند
كذا من ذمار قد أتتكم رسائل ... وليس يرد الحق من كان يهتدى
وأنتم عسى يهديكم الله إنه ... هو الهادى الفتاح كل مسدد
فربى يهدى من يشاء إلى الهدى ... ويقبل توب النادم المتعمد
تزودوا التقوى لسيركُمُ إلى ... لحودكُمُ ياحبـــذا من تزود
يلاقيكم فيها نكير ومنكر ... ويسألكم عن ربكم ومحمد
ووالله ما يسألكم عن مذاهب ... شغفتم بها جهلاً على شر مقصد
نصحنا كم والله وصَّى بنصحكم ... فهل عاقل فيكم لنصحى يهتدى
فإن تهتدوا فالأجر بينى وبينكم ... وإلا فإن الأجر لى لتوحُّدِى
وصلِّ على الهادى إلى الخير كله ... محمد المختار أفضل مرشد
وصلِّ على الآل النجوم لمهتد ... ومن هم رجوم الجاهل المتمرد
وأسأله لطفاً وعفواً ورحمة ... أفوز بها مهما نزلت بملحدى

* * *

وله رضى الله عنه فى إرسال المثل مع الهزل الذى يراد به الجد موريا باسمه وهو مما يضحك اليراع ويهز إلى الهزل الطباع .

وأبلهٍ وافى إلى حضرتى ... ملتهباً من حـــره متقد
وقال قد أقلقنى هزلهم ... فقلت لا تهزل مع من يجد

* * *

وله رحمه الله فى اللف والنشر ثلاثة بثلاثة :

يقول حبيبى وقد زارنى ... وعندى إلى الروض وجد وُجدِ
أتهوى الرياض وأزهارها ... وعندى من الروض مالا يعد
فثغرى وقدى وخدى بها ... أقاحٍ وغصن رطيب وورد

* * *

وله رضوان الله عليه راثياً للسيد العلامة الورع التقى جمال الإسلام على بن يحيى ابن أحمد لقمان رحمه الله وكانت وفاته بعد صلاة الجمعة سابع عشر صفر الظفر سنة ١١٣٢ ﻫ وقبر بحصن الظفير .

دع اللوم إن سالت دموعى على خدى ... فقد جاءنى ما لا يقوم به وجدى
فما لليالى لاسقى الله عهدها ... تُرَوِّعُنَا فى كل ذى سؤدد فرد
خليلىَّ هل من سامح بدموعه ... فإن دموعى لا تفيد ولا تُجْدِى
فحقٌّ على الأعيان صَبُّ دموعها ... فقد مات عين الفضل بل شامة المجد
جمال الهدى حِلْفُ الدفاتر والعلى ... خليل التقى رب الديانة والزهد
تقىٌّ صبور ناسكٌ متعفف ... صفات معاليه تعالتْ عن العدّ
فيا لهف نفسى ما حياتى بعده ... ويا ليتنى من قبله ضمنى لحدى
فديناك لو أن الفدى كان نافعاً ... لكل خطير القدر مرتفع الجد
فمثلك عين مارأت فى زهادة ... وفى عمل بر أجلَّك عن نِدِّ
وفى خلق يحكى النسيم لطافةً ... ومن دونه فى النشر رائحة الند
صدعت بقول الحق فى كل موقف ... وماهِبْتَ ذا بطش سوى الواحد الفرد
فكنت على الفجار صاباً وعلقما ... وكنت إلى الأخيار أحلى من الشهد
وليت قضاء المسلمين بصولة ... تذيب بها من كان أقسى من الصلد
وجاهرت أهل الظلم بالحق معلنا ... وجاهرتهم لما تعدَّوْا على الحد
ووافاك خطب الموت فى دار هجرة ... فيا هجرة كانت إلى جنة الخلد
ليبك عليك الفقه إن كان باكياً ... فرب خفى عن غوامضه تبدى
و يبك عليك الليل إذ كنت قاطعاً ... لأسحاره بين التهجد والورد
كذلك يبكيك النَّهار بعَبْرةٍ ... يساجل فيها طالب العلم والرشد
طبيب يداوى الجاهلين بفقهه ... فكم جاهل يبرى وكم حائر يهدى
سقى الله قبراً ضم أوصالك التى ... ضممت عليها حسن فعلك والقصد
وهنئت ياحصن الظفير بقبره ... و ياقبره طوبى للحدك من لحد

لقد زدت فخراً فوق فخر حويته قديماً بيحياك العماد وبالمهدى
ولولا التقى والصبر شدا قلوبنا لطارت من الحزن المبّرح والوجد
ولولا يقينى أنه فى كرامة وفى جنة المأوى لَذُبْتُ من الفقد
عليك من الرحمن عفو ورحمة ومنا سلام لا يُقَدَّرُ بالحد
يقول له رضوان فيها مؤرخاً على ابن يحيي ابن لقمان بالخلد

* * *

قال مولانا البدر رضى الله عنه بيت التأريخ لسيدنا ضياء الإسلام زيد بن على ابن قيس الحيوانى رحمه الله من أربعة أبيات له .

وله رحمه الله إلى المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله أرسلها إليه فى شهر رمضان الكريم سنة ١١٣٢هـ اثنتين وثلاثين ومائة بعد الألف .

لا صبر لا صبر على ذا البعاد فاسلك بنا الرفق ونهج السداد
واستعمل الإنصاف إن كنت قد حزت السويداء وحللت السواد
أسقمت بالهجر فؤادا غدا فيه لكم منى صحيح الوداد
فراجع العدل وخَلِّ الجفا لا تجعلنَّ البعد عذر البعاد
واركب جواد الشوق تكف الرجا فالشوق للمشتاق نعم الجواد
فروضة التدريس مشتاقة إليك لو كانت تبث المراد
قالت ألا قوموا بنا نحوه فإنه إنسان عين الفؤاد
إنى أحب المرء ذا فطنة وأكره الفَدْمَ عريض الوساد
أهوى طويل الجد لا غيره وإن غدا فيها طويل النجاد
يا نخبة[1] القلب عَلاَم الجفا لنخبة الفكر وسفر العماد
أعضلت إذ أرسلت لى مسندا عذرك ذا المردود فى الانتقاد
علم حديث المصطفى روضة يطوفها من همه الاجتهاد
فما قرأت النحو حباً له ولا أصول الفقه منا المراد

(١) يريد بهجة المحافل العلامة يحيي بن أبى بكر العامرى رحمه الله .

وإنمـا الـكل له وصـلة فاقطع إلى لقيـاه أقصى البلاد

وما أنا ـ واللهِ ـ من أهـله وإننى أحقـر هـذا البعـاد

لـكن فقدنا من نقدنا به ومن يرينا منه سبل الرشاد

علّ الليالى أن تريني امرءاً من أهـله ألقى إليـه القيـاد

وهذه نفثـة حُبٍّ سرت تُلقِى إليكم ما أسر الفؤاد

وأبلغ المولى جمـال الهـدى كذاك صِنْوَيْهِ وبَخْلَ العماد

والشر فى بخل الجمالى ومن ترونه أهـلا لحفـظ الوداد

مِنّى سلاما طيباً نَشْرُه أحلى من النوم لأهل السُّهاد

وأبلغوا مولاى سَامِى الذُّرَى عِزّ الهدى أسنى سلام يراد

وأشركونا فى دعاكم عسى يرحمنا الرحمن يوم المعـاد

* * *

وله رضى الله عنه إلى شيخه القاضى العلامة على بن محمد العنسى رحمه الله أيام قرأته عليه متشوقاً إليه وقد خرج مخترفاً إلى بئر العزب .

ألا إن شوقى لا يحد له حد وصارم وجدى لا يَكِلُّ له حدّ

وقد حمل القلب الرقيق من النوى شدائد لا يقوى لها الحجر الصَّلْدَ

أحِبَّاىَ طال البَيْنُ بينى وبينكم فياليت شعرى هل لِبُعْدِكُمُ بعد

وهل لزمان الهجر حدٌّ وغاية فأصبر حتى ينتهى ذلك الحـد

فَسُقْيـاً لأيام بها أَلِفَ اللقـا وسحقـا لأيام بهـا ألف الصد

انتهى الذى وجدته منها ولعلها طويلة .

* * *

وله تغشاه ـ الله بواسع رحمته ـ إلى المولى أمير المؤمنين المهدى لدين الله رب العالمين رحمه الله ، وفيها نصائح فى عدم تصديق المنجمين بما يبدونه من الأكاذيب لعل ذلك فى سنة ١١٧٠ هجرية سبعين ومائة وألف .

أهنيك بالعـام الجديد وإنمـا أهنى بك العام الجديد على عمد
فأنت جمال العام والدهر كله وأنت إمام العصر فى الحل والعقد
بك الله زان الدهر ياعين أهله وخصك منه بالمهابة والجد
إذا الناس زانتهم صفات كالهم فأنت الذى زِنْتَ الصفات بما تبدى
وقارٌ وتدبير وحسنُ سياسةٍ وخلقٌ كطيب النَّدِّ من غيرما نِدِّ
ولطفٌ وبِرٌّ بالمحب وقسوةٌ بكل عَدُوٍّ من حسود ومن ضِدِّ
صفات كمال لو يفوز ببعضها فتى من بنى الدنيا لنال ذُرَى المجد
مواهب من رب الأنام ولم يكن بجد كريم فى الجدود ولا جد
مع أن الأباء الأئمة من بنوا منار المعالى بالعوالى وبالمهدى
أولئك أرباب المكارم والعلى بهم يهتدى من شاء منا ويستهدى
فلا زلتَ منصور اللواء مظفّراً بكل عدوٍّ ظافراً بذوى الجحد
وقابلك الإقبالُ بالسعد كله وعاد الذى عاداك بالعكس والطرد
تبارك من أولاك كل فضيلة وأوزعك الشكر المقابل بالرفد
فَحَصَّنَ ما أولاك من كل نعمة بحصن من الشكر للطرز بالحمد
فمن ألبس النَّعما بروداً من الثنا وأفرده للواجد الصمد الفرد
أدام عليه كل فضل ونعمة مضاعفة من غير رسم ولاحد
ولا تستمع من عابد لنجومه تقاويم زورٍ ليس تُغْنِي ولا تُجْدِي
أكاذيب يمليها لكل مغفّلٍ يصدقها من ضل عن طرق الرشد
يقولون هذا العام فيه فواضع وفيه وفيه ما يسر وما يُرْدِي
يقولونه فى عامنا الماضى الذى تقضَّى بخيرات تَجِلُّ عن العد
ووالله ما عند النجوم دلالة على نحس يوم فى الزمان ولاسعد
ووالله ما غير الإله بعالم بما فى غد مما يسر وما يبدى
فَثِقْ بالذى أولاك من كل مِنَّةٍ وولاك من حل فى السهل والنجد

وألبسهم من عدلك اليوم حُلَّةً تفز فى غد بالزجر من صادق الوعد
ولا زلت تُبْلِي كل عام وتلبس الـ جديد من الأعوام عدًّا بلا عَدٍّ
مطرزة أيامها وشهورها بخير طراز من علىٍّ ومن مَجْدِ
وهذا دعاء للبرية شامل فأنت لجيد الدهر واسطةُ العقد

* * *

قافية الراء المهملة

قال رضى الله عنه حدث مع الحقير محمد بن إسماعيل الأمير إسهال شديد من شهر ذى الحجة سنة ١١٧٢هـ ولم ينفع علاج غير الدعاء فعافانى الله ومن بالشفا فى نصف شهر صفر سنة ١١٧٣هـ وكنت قلت هذه الأبيات ومن بعدها رأيت أثر الإجابة ورأيت فى النوم ما يدل على مهلة سبع سنين والله أعلم . توفى قدس الله سره فى ثالث شعبان سنة ١١٨٢هـ فكانت مدة المهلة تسع سنين ونصف .

قال عبد مسَّه طول الضرب يأمر النفس بخير منتظر
قف على الباب إذا كان السحر وإذا جن ظلام واعتكر
واقرع المغلق منه بالدعا فالدعا مفتاح أبواب الظفر
وليكن حال سجود إنه أقرب الأحوال من رب القدر
قل على الباب فقير سائل سائل الدمع ضعيفٌ محتقَر
قلت ادعونى أستجب يا حبذا وعَدَ الخيرَ وبالخير أمَر
فمن استكبر عنه داخل داخر من بعد هذا فى سقر
وقريب ومجيب للدعا إن أسر العبد حيناً أو جهر
فالدعا مُخٌّ العبادات كما جاءنا نصٌّ بهذا فى الخبر
يغضب الرب على ترك الدعا عكس ما يعرف من طبع البشر
ومع العبد إله إن دعا ولمن يدعو ويرجوه غفر

أمر العبد بأن يطلبه ... كلما يرجوه من أى وطر

إن للداعى منه خصلة ... من ثلاث صح هذا فى الأثر (١)

نيل ما يطلب أو دفع الذى ... يختشى أو للقاه يدخر

إن ربى لكريم يستحيى ... أن يرد العبد من غير ظفر

فاسألوا عافية منه ففى ... فضلها جاء حديث ابن عمر

يا إلهى أرتجى عافيــــة ... من أياديك بها دفع الضرر

ضرر أضعف ذاتى والقوى ... وأنا قدصرت فى ضعف الكبر

ثانى الضعفين فالطف وأغث ... وارفع السوء بآيات السور

كم إغاثات وكم من دعوة ... قدأجيبت بعد يأسٍ قدحضر

كم عليلٍ صح من علته ... حمد الله تعالى وشكر

إن أيوب ينادى ربه ... مسنى الضرُّ فلم يبق الضرر

وهب الأهل وأعطى مثلهم ... رحمةً منه لمن كان صبر

ولذى النون وقد ناداه من ... ظلمات البحر إذ فيه استقر

حين نجاه من الغم فهل ... بعد ذا شكٌّ لعبد ذى نظر

كلمات قد تلقى آدمٌ ... كان فيها الفوز منه والظفر

ولنوح كان منه منّةٌ ... إذ يناديه تعالى لا تذرْ

وخليل الله لما قال لا ... تخزنى لبىّ بذبحٍ قد حضر

ولموسى كم إجاباتٍ وقد ... فجر الماء عيونا من حجر

بعصاه وبها البحر غدا ... وهو قاع صفصف لما عبر

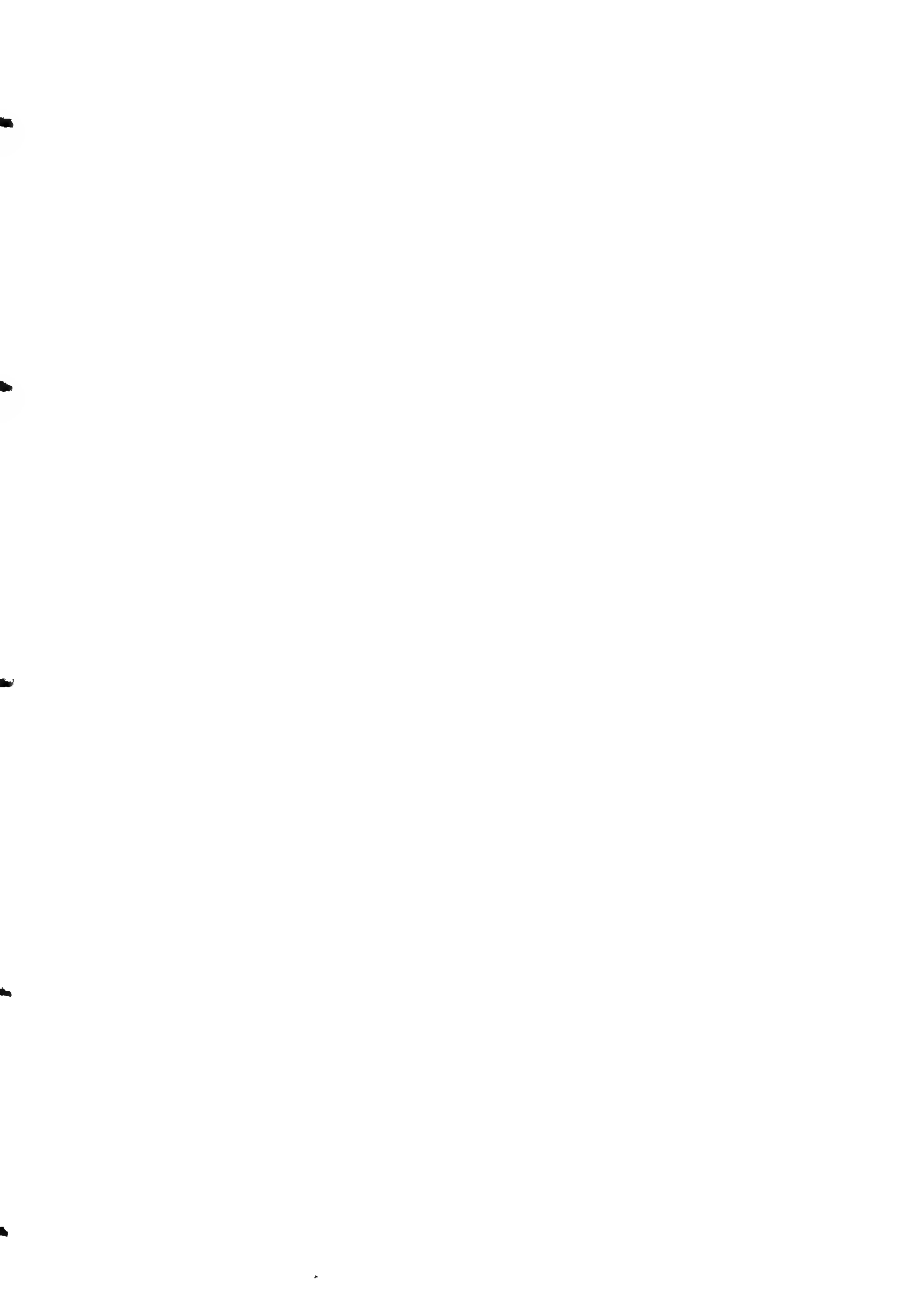
ولإسرائيل لما أن شكا ... ردٌّ من يهواه إذ ردّ البصر

---

(١) هذا نظير قول والده الضيا رحمه الله ولا بد أن يستجاب الدعاء ولكن بإحدى ثلاث المعانى .

وسليمان رجا من ربه | مُلْكَ ما لم يُعْطِهِ اللهُ بَشَر
سخّر الجن مع الإنس له | وطيور الجو من كل مقر
مَنْطِقَ الطـير لقد علّمَهُ | وله الريح مطيع إن أمر
وكذا صالح أعطى ناقة | نتجت للقوم من صم الحجر
جعل المـاء تعالى قسمة | كل يوم كل شرب محتضر
دَرُّها رِزْقاً لهم لـكنهم | قدأتوامن كفرهم إحدى الـكُبَر
قام أشقى القوم بغياً بينهم | عن تَوَاطٍ فتعاطى فعقر
أخذتهم صيحة واحدة | مالهم من بعدها من مستقر
أبرأ الأكمه عيسى وكذا | نفخ الروح بطاير من مدر
وختام الرسل كم من دعوة | قد أجيبت مثل لمح بالبصر
كلما يطلبه يسره | ووقاه ربه من كل شر
يا قديراً يا عظيما شأنه | بهر الألباب من أهل الذكر
يا مغيثاً كل من لاذ به | قد ذكرنا بعضهم ممن ظهر
وسواهم وهمُ أضعافُهُمْ | ذكرهم فى الذكر إجمالاً ذكر
يا إلهى يا مجيباً للدعا | كل خير منك عندى منتظر
عَافِنِى من علةٍ أنت بها | عالم من قبل إيجاد البشر
ليس إلا منك أرجو كشفها | يا مليكا لقوانا والقدر
دَاوِنى واشف ولاطف وأغث | وادفع الشر إذا الشر حضر
لا تخيبنى وحاشاك الرجا | وأقلنى يا مُقيلاً مَنْ عثر
صلوات الله تغشى أحمداً | صفوة الصفوة من آل مُضَر
وعلى الآل مصابيح الهدى | عِتْرةِ الطهر الميامين الْغُرَرْ

✡ ✡ ✡



ودونكمُ هـــــذا النظام فإنه　　خطابٌ لمن وافاه من أيِّ معشر
يُخَبِّرُكم أنى بما قـد ظننتم　　برىء وبما خالف الحق مبترى
وإنِّىَ لا أرضى سوى الآل قدوة　　أولئك آبائى وذخرى لمحشرى
بِهَدْىِ رسول الله والآل أهتدى　　فما أنا إلاّ أحمدىٌّ وحيدرى
وصلّوا على أهل الكساء محمدٍ　　وفاطمة والسيدَين وحيــدر
كذا الآل أرباب الهدى سادة الورى　　ومن ضَمَّخِتْ أوصافُهُمْ كل مِنْبَرِ

* * *

وله رضى الله عنه سؤال يفحم المجيب فى رد إلزامه وينقاد إلى تسليم ما حواه فى التزامه ويتضح بما تضمنه العالم العامل ويعرض عنها كل جاهل وغافل ونسأل الله الهداية إلى سنن الهدى والاهتدا بهدى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .

سؤالٌ فهل مُفْتٍ عليــه يُحَرِّرُ　　ويُبْرِزُ برهاناً صحيحاً ويزبرُ
ويتركنا من قول زيد وعمره　　ولـكن كتاب أو حديث محرَّرُ
رواه ثقات ليس فيهم مدلّسٌ　　ولا علة فيـه بها يتغــير
يبين ما وجه المكوس التى غدت　　على كل مالٍ فى البــلاد تصدرُ
أجاء عن المختار حرف بِحِلِّها　　فيا حبذا إن كان ذا الخبر يخبر
ويوضح لى من كان مكاّس أحمد　　بطيبــة إذ فيهـا النبى المطهر
وفى مكة من كان مِنْ بعد فتحها　　يفتح أموال الحجيج وينثر
ومن كان فى هذى السواحل قاعداً　　يباشر أموال العبـاد ويعشرُ
ويعطى أهل العلم منــه جراية　　وهذا لعمرى فى الحقيقة أنـكر
فبينا نرجّيهم الإنـكار منـكرٍ　　إذا لهم قسط من السحت أكبرُ
كفى حزناً فى الدين أن حماته　　إذا خذلوه قل لنا كيف ينصر
متى ينصر الإسـلام مما أصابهُ　　إذا كان من يُرْجَى يُخَافُ ويُحْذَرُ

وما بال إقطاع البلاد لسادةٍ ... لهم فى العُلى بيت من المجد يزهر
فيأخذها منهم غنىٌّ ومترفٌ ... ورُبَّ فقـير دمعه يتحدَّر
يغذون منهـا فى المهود صبيَّهم ... فيمشى فى مرط الهوى يتبخـتر
أليس أبوكم لاك فى فيه تمرةً ... فأخرجها المختار وهو مغيِّر
دعاها لتنفير الطباع غسالةً ... فما بالهم لم ينفروا حين نُفِّرُوا
وعرج على حكام شِرْعَةِ أحمـد ... وقل لهم حتَّى مَ بالشرع تسخروا
تحالَيْتُمُ أكْلَ الرُّشا فـكأنَّما ... يدار عليـكم فى المواقف سُكر
وساجلتم عما لـكم فى ضلالهم ... وقلتم لنا رزقٌ لديهم مقرر
إذا لم تساعدهُم على هفواتهم ... جَفَوْنَا وأقصَوْنَا وللرزق قتَّرُوا
وإن خضتم فى قصةٍ كان همكم ... تطاف محلات الشجار وتنظر
ونأخذ منكم أجرةً ثم بعدها ... نواعدكم حتى تملّوا وتضجروا
وما شأن تقبيل البلاد وإنهُ ... لِفَاقِرَةٌ فى الدين للناس تُفقِر
أفيقوا أفيقوا وانصحوا أمراءكم ... عسا كم لما أسلفتموهُ تُـكَفِّرُوا
وهُبُّوا فقد طال المنام عن الهدى ... إلى أن طفت من منكر القوم أبحُرُ
وقد كان حكم الدين فيـكم معرّفا ... فها هو من هذى المنا كر أنـكرُ
وأقسم لو كنتم على الدين والهدى ... وناصحتموهم ما طغوا وتجبروا
ولـكن أضعتم نُصْحَهُمْ وأطعتُمْ ... أوامرهم فأستأثروا وتكبروا
ألم تسمعوا ما جاءنا فى كتابنـا ... فـكم فيه من وعظ لمن يتدبر
وكم قصّ فيه الله من خَبَرِ الأُلَى ... عَصوهُ فأبقاهم قليلاً ودمروا
ودونـكم هذا السؤال الذى على ... غضون معانيه النصيحـة تخطر
فإن تقبلوها فالرجوع إلى الهدى ... بأهل النهى والدين أجدى وأجدر
وإن تهملوها فالوبال عليـكم ... ويلقا كم موت وقبرٌ ومحشر
وموقف فصل فيه أعدل حا كمٍ ... سواء لديه من يُسِرُّ ويجهرُ

وله رضى الله عنه فى آخر إجازة أجاز بها السيد العلامة جمال الدين على بن محمد لقمان رحمه الله أحد علماء مدينة زمار فى شهر ذى القعدة سنة ١١٧٦ هـ ست وسبعين بعد المائة والألف توفى رحمه الله في شهر جمادى الآخرة سنة ١١٨٦ هـ .

أجزتك يا علىُّ وأنت عندى ... كأولادى الصغار مع الكبار
أحبك حبهم ولنا اتصالٌ ... بآباء لكم عُلماً كبار
هُمُ أخوالنا ولهم علينا ... حقوق لا يقوم بها اقتدارى
سقى أجداثهم غيث مغيثٌ ... من الرضوان فى كل الديار
أجزتك ما سمعنا عن شيوخ ... من العلماء أعلام بحار
من الحرمين بعضهمُ وبعض ... بـ « صنما » خير أوطانى ودارى
سمعنا علم خير الرسل منهم ... وعلم الآل من خير الخيار
فأسند ما تريد إلىّ مما ... سترويه على علماء ذمار
فأوصيكم بتقوى الله حقاً ... تفوز بما تريد بكلّ دار
ففى الدنيا تكون بها عزيزاً ... وفى الأخرى ستنزل خير دار
تجاور خير رسل الله طرّا ... فيا لله من دار وجار
وصلنى بالدعا ما دمت حيًّا ... وميتاً كى تقالَ به عِثارى
وصل على الرسول وخير آلٍ ... وسلم فى مساك وفى النهار

* * *

وله رضى الله عنه راثياً لشيخه الزاهد السيد العلامة الورع صلاح بن الحسين الأخفش رضى الله تعالى عنه .

أجابت دموع العين وامتنع الصبرُ ... وهيهات أين الصبر إن عظم الأمرُ
أتى فادح ليس الرواسى تقلّهُ ... يضيق به بحر البسيطة والبرُّ
وحادث خطبٍ والحوادث جمّة ... تمور به العليا وتنطمس الزهر
أناعى المعالى والمعارف والهدى ... تأن فما قلت ينقصم الظهر

أتدرى بمن تنعى وما أنت قائل ... فيا ليت سمعى من نداك به وقر
فما للنجوم الساريات مضيئة ... إذا كان حقاً ما به أخبر السفر
مصابُ عرا الدينَ الحنيفَ وأهله ... وخص به علم الشريعة والذكر
ثوى فى الثرى من لا يقاس به الورى ... فيا عجباً منْ ذا الذى ضمه القبر
فيا قبره حياك وابل رحمة ... وبلّ ثراك الدمع إن فاته القطر
أتدرى بمن قد حل سُوحك أنه ... إمام به والله يفتخر الفخر
إمام علوم الآل أحفظ من روى ... يضيق عن الأسفار ما وسع الصدر
نشا فى التُّقَى من قبل شدّ إزاره ... فشد به من شرعة المصطفى الأزر
يُقضى ساعات النهار عبادة ... ودرساً وتدريساً إلى أن قضى العمر
وإن ابس الليل الظلام رأيته ... وقد لبس المحراب وهو له وكر
يردد آيات الكتاب تلاوة ... يلين لها لو كان يستمع الصخر
سيبكى عليه الليل والشمس والضحى ... و يبكى عليه الفجر والعصر والظهر
وتبكى بيوت الله إذ كان نورها ... فأرجاؤها من بعد مظلمة قفر
وما شربت أجفانه لذة الكرى ... كأن لذيذ النوم فى حكمه سكر
فيا ليت شعرى هل تهجده غدا ... مجوداً له أم نومه طعمه مر
وليس ينام الليل من همه التقى ... وإن نعست عيناه أيقظه الفكر
وما نظر الدنيا بعين عناية ... فسيان فيها عنده العسر واليسر
وصام عن الدنيا وعن كل لذة ... وأفطر فى الفردوس يا حبذا الفطر
وكان صلاح الدين للدين كاسمه ... ولا غرو إن مس الهدى بعده الضر
يصول على العاصين غير مراقب ... سوى الله لا من عنده النهىُ والأمر
رسائله أهوى من السيف موقعاً ... ففى كل قلب ظالم يلهب الجمر
فيا جبل التحقيق والزهد والتُّقى ... و يا من به قد كان يفتخر الدهر
هنيئاً مريئاً جنة الخلد إنها ... محط رجال للذى ذخره الذخر

فعزى إذا فهو إنسان عينها لقد أصبحت عمياء قد مسّها الضر
لئن كان تعرونى لذكراه هزة كما انتفض العصفور بلله القطر
فقد صار تعرونى لمثواه عـبرة تسيل بها من مقلتى أدمع حمر
وجادت عليه بالدموع محاجرى وعهدى بدمعى وهو من مقلتى نزر
وقد كان يحشو الدر سمعى فهل ترى استحال بجفنى إذ جرى وهو محمر
رحلت وقد أبقيت فى القلب حسرة تدوم إلى أن بيننا يجمع الحشر
فيا لهف نفسى بل ولهف ذوى التقى عليك وهل يغنى التلهف والذكر
أإخواننا فى الدين إن مصابنا عظيم به ضاق التصبُّرُ والصبر
فلولا التأسى أن كلا إلى الفنا وكل من الأحيا غايته القبر
لـكان حقيقاً أن تفيض نفوسنا وحق لها لو جاش حزناً به الصدر
وطيب ثناه لا يفى لى بنشره نظام ولا يدنو إلى حصره النثر
ولولا الرثا من سنة الناس لم أقل نظاماً فعن أوصافه يقصر الشعر
ولـكن حساناً رثى سيد الورى عليه صلاة الله ما تلى الذكر
وحيدرة والآل من طيب ذكرهم يطيب به طى المقالات والنشر

* * *

وله رضى الله عنه راثياً للسيد العلامة قطب الدين وعماد الزهادة الورع يحيى ابن محمد الحوثى رحمه الله كانت وفاته فى حوث ليلة الجمعة ٣ رمضان سنة ١١٥٢ هـ اثنتين وخمسين ومائة وألف.

خطبٌ عظيم فمنه الدمع ينحدر وحادث كاد منه القلب ينفطر
وفادح يظلم الآفاق موقعـــهُ تـكاد تخسف منه الشمس والقمر
صك المسامع لما جاءنا خبر يا ليته ما أتانا ذلك الخـبر
فإن جزعنا فمثل الخطب يُجزعنا وإن صبرنا فإنا معشر صُـبر

وافى كتاب فليت الكف ماحملت ... ذاك الكتاب ولا وافى به بشر
وأسطر أشعلت فى القلب نار أسًى ... فالدمع منحدر والقلب مستعر
يا موت لم تبق من أخيارنا أحداً ... كأنما أنت بالأخيار مختبر
فجعتنا بعماد الدين خير فتى ... من آل طه فما تُبقى ولا تذر
علامةٌ عاملٌ والعلم زينته ... تقوى الإله وإلا فهو محتقر
وزاهد فى زمان قلّ زاهده ... وراغب فى أجور منه تدخرُ
قد علّم الناس طاعات الإله فكم ... قد تابع الحق من آثاره زمر
وكم أزال طواغيتاً بهمته ... لم تبق عينٌ لها فى حوث أو أثر[1]
أعلى منار الهدى فالشرع مرتفع ... والمنع بالمنع أضحى وهو منكسر
وكم يناصح أقواماً لموعظة ... تكاد تنشق من ألفاظه الحجر
وكان أُنساً لأهل الفضل قاطبة ... فليته مد فى أيامه العمر
لو كان يفدى فديناه بكل فتى ... زاكى النجارِ له فى قومه خطر
لكنه الموت لايبقى على أحدٍ ... فليس ينجى الفدى منه ولا الحذر
سقى وحيا ثراه كل آونة ... دمعُ العيون إذا ما فاته المطر
ورحمة الله تغشاه ولا برحت ... تتلَى على قبره الآيات والسُّورُ

* * *

---

(١) كان قبائل حاشد يدخلون « حوث » لأحكام الطاغوت ، ففى بعض الأيام جاءوا على عادتهم لحكم الطاغوت فجمع السيد يحيي رحمه الله السادة والفقهاء وقال لهم : الآن وجب الجهاد وخرجوا جمعوا للقائهم إلى خارج حوث ، فوقعت بينهم مناوشة بالأحجار ورجع القبائل منهزمين ، وانقطع الحكم فى «حوث» إلى الآن . جزاءه الله خيراً .

وله ـ رحمه الله ـ راثياً لولد بعض الأعيان درج قبل التكليف وكان يسبح الليل رحمه الله (١).

جرى القضا بشمول الموت للبشر ... فالحمد لله حمداً غير منحصر
لا تمنع الملك المرهوب أهبته ... ولا الغوانى حسان الدلِّ والحورِ
هى المنية لا تبقِى على أحد ... فليس حادثها فينا بمنتكر
وما البقاء بدار لا بقاء بها ... قد كدرت صفو من فيها من البشر
غدارةٌ ما وفتْ يوماً لصاحبها ... ولا انتهى أحدٌ منها إلى وطَر
عجبت منا نرجِّى كل آونة ... إخواننا ثم نلقيهم إلى الحفر
فكيف نصبُوا إلى الدنيا وزهرتها ... من بعدهم إن هذا غاية الغرر
ونحن من غير شك لاحقون بهم ... قطعاً فنحن على جُنحٍ من السفر
نرى كأنا قعود فى منازلنا ... ونحن نرحل فى الآصال والبكرِ
أستغفر الله هذى حكمة خفيت ... حتى كأنا رأينا النفع فى الضرر
صبراً ضياء الهدى فالموت غاية من ... على البسيطة من بدْوٍ ومن حضر
فما لسهم المنايا حين توتره ... قوس المقادير غير الصبر من وزر
فالصبر أحسن درعٍ أنت لابسه ... عند الحوادث فى وردٍ وفى صدر
وفى التأسِّى سلوانٌ وموعظة ... وعبرةٌ لصحيح الفكر تعتبر
تأس واذكر فكم من صاحب وأخ ... فارقته ومليك كان ذا خطر
ومن حبيب لقد وسدت راحته ... خديك وسدته بالترب والحجر
بالأمس فارقنا من كان يسمعنا ... بصوته الذكر والتسبيح فى السحر
مضى صغيراً ولا ذنب يعاب به ... وأىُّ ذنب على المدفون فى الصِّغرِ

---

(١) هو السيد إسماعيل بن محمد فايع رحمه الله . نشأ هذا الولد فى العبادة ومات صغيراً .

سقى وحيًا ثراه كل آونة   أجر التلاوة للآيات والسوَر
تأس بالمصطفى المختار من مضر   صلَّى الإله على المختار من مضر
وآله الغر سادات الأنام ومن   جاءت مدائحهم فى الذكر والأثر

* * *

وله رضى الله عنه إلى بعض إخوانه وقد عاتبه أنه تغير عن حاله :

عذراً إلى مولاى عذراً   من غير ذنب جئت جهراً
لكن أسأت بى الظنو   ن وخلت أنى جئت إمرا
وزعمت أنى حُلت عن   عهدى وأنى جئت نُكْرا
ألهبت فى قلبى بقو   لك يا أخى والله جمرا
والله والله العظيـــ   ـم مؤكداً قَسَمى مبرا
ما ملت عن عهدى وعن   ودى ولا أحدثت أمرا
والله ما أبدى الجفـــا   جهراً ولا أخفيه سرا
هـذا ولا أنا سيء الـ   أخـلاق ألقى مكفهر
إنى أباسط من لقيـ   ـت فلا ترانى مزوَئرّا
وأكون عبداً للجليـ   ـس وفى الفعال أكون حرا
فعجبت ثم عجبت منـ   ـك وصارت الأفكار حيْرى
هـذا وأنت إلى فؤا   دى أقرب الإخوان طرا
وتراك عينى نورهـــا   وتراك بين النـاس بدرا
إنى أعـــدُّ أحبتى   من فضة وأراك تبر
عجنت بحبـــك طينتى   فنشأت أحمل منه وقرا
صدقوا إذا ما الشيء جا   وز حده وعـــلاه قدرا
أضحى يشابه ضـــده   فلذاك خِلتَ الحلو مرا
قد كنت أحسب أن قلـ   ـبك ممتل حلماً وصبرا

فإذا جنيت حقيقـــة   لَقيتَنِي عفواً وعذرا
والله لولا أنـــنى   أهوى لقلب الخلِّ جبرا
ما جبرت كفى النظـا   م ولا كتبت بذاك سطرا
ما يلتقى الأعذار إلا   من لزند الذنب أورى
إنى إذا خلى جفـــا   أو ملنى أو مال شبرا
أعرضت عنه مجـاملاً   مالم أجد فى الوصل أجرا
فى نفس حر لا تذل   لمن لذيل الحب جرا
وشهـــــامة وترفُّع   عن لابس تيهاً وكبْرا
فلذاك ما قبلت كف   مملك نهيـــاً وأمرا
ولذاك ما أجريت فى   مدحى له فى الرق حبرا
ولذاك ما وجهت نحـ   ـو وزير ملك قط شعرا
فبكسرةٍ فى كسرِ بيـ   ـتى صار عندى ملك كسرى
لولا مخـــافة جاهل   سيظنه للنفس شكرا
لقصصت من مكنون أخبـــارى لـكم نظماً ونثرا
ونظمت منــه رقائقاً   يقذفن فى الأسماع دُرا
والافتخـــــــار مذمة   فإلى هنا قلمى سيجرا

* * *

أنشد ابن الجوزى رحمه الله فى كتابه «صيد الخاطر» أبياتاً أولها خطاباً للربه سبحانه وتعالى إلى أن قال رضى الله عنه :

لم تدع لى الذنوب عندك عذراً   طالما قد قبلت عذرى دهرا
ثم إن لم تصل فعاقب بما شئـ   ـت ولا تجعل العقوبة هجرا

* * *

فقال مولانا البدر :

لا تعاقب واجعل فى العفو سترا أنت بالعفو والمكارم أحرى
أنا عبد أتيت كل قبيح وارتكبت الذنوب سراً وجهرا
ليس لى من ذخيرة أرتجيها ما سوى عفوه أرجيه ذخراً
غافر الذنب قابل التوب فاغفر لمسىء عليه نعماك تترى

* * *

وكتب رضى الله عنه على نسخته التى بخطه من الهدى النبوى .

أتعبت نفسى فى تحصيله فعسى أفوز بالهدى فى مستقبل العمر
قدأعرض الناس عن علم الحديث وقد أضحت أئمته فى باطن الحفر
والدين عاد إلى أوطان غربته كما بدا صدق المختار فى الخبر
مذ فاتنى من أساطين الحديث لقاً سليت نفسى عن الأعيان بالأثر

* * *

وله رحمه الله فى عد غزوات المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم :

غزا المصطفى سبعاً وعشرين غزوة وقاتل فى تسع فأولها بدر
وأحد حنين والمريسيع خيبر قريظة والأحزاب فتح به النصر
وذو قرد قد جاء فى النظم تاسعاً وليس على الترتيب كان لها الذكر
وقد قتل المختار فيها بنفسه أبيًّا بِأُحُدٍ حين أردى به الكفر

* * *

وله تغشاه الله برحمته .

إذا كان عمر المرء عصر سروره فقد عاش كل الناس عمراً بلا عمر
فما أحد فى الكون يعطى مسرة على كل حال أو يعيش بلا عسر

فلابد من عسر ويسر وفرحة ... مع فرحة وهي الأقل من الدهر
فكن راضياً بالله في كل حالة ... فإن الرضا فيه السرور لمن يدري

* * *

وله رضي الله عنه إلى الشيخ الكريم محمد بن سالم وصال الأحسائي رحمه الله مجيباً عن كتب وصلت منه يخبر فيها بارتحاله إلى مكة سنة ١١٢٧ بعد إقامته في صنعا وقراءته بعض كتب النحو لديه .

أقلِّبُ قلباً بعد بعدك في الجمر ... وأسبل دمعاً في خدوديَ كالقطر
وأسأل عنكم كل غاد ورائح ... وهيهات ماالأخبار تغني عن الخبر
إذا قطعت أيدي النّوى حَبْل وصلنا ... رجعنا إلى حسن التأسِّي والصبر
عسى ولعل الدهر يجمع شملنا ... فقد ربما نيل الوصال من الهجر
سلام على أخلاقك الغر إنها ... ألذ إلى الوسنان من نومة الفجر
سلام على الأخ الكريم ابن سالم ... سمي حبيب الله في الشرف الوفر
فتى كملت أخلاقه فنظيره ... يعز إذا فتشته في بني الدهر
وحق علوم قد أدرنا كؤوسها ... تشتفها الأذهان أحلى من الخمر
وطيب اجتماع مرّ كالطيف في الكرى ... وأيام وصل لا تعد من العمر
لأنت وإن طال النوى وتباعدت ... ديارك لا ينساك قلبي من الذكر
أينساك قلب أنت فيه وإنما ... ترحلت عن عيني وخيمت في فكري
وقد وصلت منكم إلى رسائل ... (جلبن الهوى من حيث أدري ولاأدري)
فإن تجمع الأيام بيني وبينكم ... فذاك الذي أرجو وإن غيبت في القبر
فسل لي من الرحمن عفواً ورحمة ... ومغفرة والستر في الحشر والنشر
وإما بلغتم مكة في سلامة ... فلا تنسني في البيت والركن والحجر
وقل رب قد خلفت شيخي متيماً ... إلى طيبة والبيت أدمعه تجري

يتوق إلى البيت العتيق وطيبه ويعجز عن قطع المفاوز والبحر
وسلم على المختـار إن زرت قبره وقل ابنك المسكين ذو الذنب والوزر
أقام بصنعا جسمـــــه وفؤاده بطيبة فى قيد المحبـة والأسر
لعل الذى عم الأنام بفضله يبلغنا تلك المواطن فى العمر

* * *

وله رحمه الله إلى الشيخ محمد المذكور جواباً عن أبيات ضمنها قول الشاعر :

صاح إن كنت بالمدارك غراً ثم أبصرت حاذقا لا تمارى

مستحقراً لشعره والجواب هو

بنتُ فكر وافت كشمس النهار فعلت فى الفؤاد فعل العقارِ
عطرت سُوحَنا بطيب شـذاها حين وافت كالغادة المعطـار
وأضاءت أرجاءنا فحسبنـــــا الشمس قد أشرقت من الطومار
يا لها من خريدة صاغها الفكـ ـر فأزرت بسائر الأشعار
هى روض سقاه سحب المعانى فأتـانـا بطيِّب الأثمـــار
قد سمعنا فيها طيور المعانى ساجعاتٍ تغنى عن الأوتار
جنة أزلِفت وسيقت إلينا فغرفنـــــا نعيم تلك الدار
أنت أُعطيت من خصال المعالى جملا لا تعدُّ بالمقـــــدار
قـد أعلمنا أن المعالى عطـايا مابهــــــذا مخالف أو ممارى
أنت ربان كل بحر نظام جئت بالفلك حاملا للدرارى
أنت أرضاً نشأت فى سوحها الرحـ ـب لأرض الكرام والأحرار
قل لأرض الحسا افتخاراً وتزاحم مصراً وكل الديار
قـد وثقنا أن العلوم ستحيا بك فى جمـلة من الأقطار

وعلمنا أن سوف تطلع بدراً ساطعاً فى محافل الأحبار
لست ـ والله ـ بالمدارك غراً بل خبيرا عرفتها باختبار
لك ذهن به تفض المعانى وغرام بالعلم لا بالجوار
فانفق العمر فى طلابك للعلم ففى العلم غاية الأفتخار
كن بعلم اللسان صبًّا مُعنًّى وبعلم الكتاب والآثار
وتطلب علم الحديث سماعاً من شيوخ رووْهُ فى الأسفار
إن علم الحديث علم رجال أنفقوا فيه طَيِّب الأعمار
بحثوا عن صحيحه باجتهاد وقروْه على شيوخ كبار
لا تبدل عنه بعلم مدى الدهر ففيه نفائس الأخبار
أنا صبٌّ إليه ياليت شعرى هل أُبارى شيوخه وأجارى
ليت شعرى هل فى الوجود إمام حافظ مثل مسلم والبخارى
كنت أعملت فى لقاه المطايا سائراً فى مهامهٍ وقفار
وبذلت النفيس فى الأخذ عنه سامحاً بالأوطان والأوطار
وعلى سُوحك الرحيب سلامٌ دائم فى الآصال والأبكار
ثم عذراً إذ رأيت نظامى فى اختلال وركة وانكسار
فيراعى أنشأه فى حال شغل لم يعربه قط بالأفكار

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه جواباً على والده رحمه الله :

قرَّت العين ببشرى وردت سراً وجهرا
بمنامات أراها قد أتت بالوصل سرا
نلتقى فى الليل حتى أتمنى الليل شهراً

فسواد الليـــل أعلى من بياض الصبح قَدْرا
إن فى الرؤيا من الرؤ ية فى التحقيق شطرا
ولهـا نشر فقل سبـ حان من بالرُّوح أسرى
وهى من أصدق ما يهـ دى إلى الإنسان بشرا
صدق الله بها المخـــــ تار فى أحـــــدٍ وبدرا
والعـــلامات أراها بالذى نهواه تترى
من منـــــام ونظام رائق بالنظم أزرى
شرحت أسطره منى بمـا أهواه صـدرا
جاءنا باليسر والبشـ ـر فولّى العسْر قسرا
آمراً بالصـــبر والشكـ ـر فصبراً ثم شكرا
مخبراً أن سوف يحـلو ما تجرعنـــاه مرا
من بعاد طـــال حتى أعجز الحـاسب حصرا
وانتهى لمــــا تناهى ومَضَى عنـــا ومرا
ودنى الوصل فيا لله ما أهنـــــا وأمْرا
فـكأن قد جمع الشمـ ـل بمـن أهواه طُرا
وكأنى من ضيـاء الد ين قد شاهدت بدرا
ولثمنا منـــــه كفاً قد غدت للجود بحرا
ثم صـار البين أخبـا راً كما قد كان خُبرا
فترقب عن قريب ما به بشرت جهرا
دمت فى أرغد عيش لا ترى بؤساً وضرا
وصـلاة الله لا زا لت على المختار تترى

وعلى الآل جميعاً قرناء الذكر ذكرا

* * *

وله رحمه الله إلى والده رضى الله عنه وذلك لما تأثر والده فى شهر ذى الحجة سنة ١١٤١ هـ ومن الله عليه بالعافية كتب إليه هذه الأبيات من شهارة .

له الحمد حمداً لا يلم به الحصر ... على نعمة مثلها يقصر الشكر
بعافية عادت على مَنْ بمهجتى ... إذا قبلت يفدى وحق لها الفخر
ضياء الهدى وافى الكتابُ مبشراً ... وقد كان فى الأحشاء يلتهب الجمر
بُعادٌ وأشجان ألما بمهجتى ... ولو نزلا بالصخر مااحتمل الصخر
وقد كنت أشكوا البين وهو بلية ... لعمرى عن أمثالها يعجز الصبر
فأنسى به ما حلَّ فى ذاتك التى ... تدفق عنها الزهد والعلم والذكر
وَدِدْتُ وهل تغنى الودادة أنه ... يحل بجسمى ضُرُّهُ ولك الأجر
على أنه قد حلَّ بى ضعف ما بكم ... هموم وأشجان أثارها الفكر
فلو أن قلباً طار عن مستقره ... لوافاكُمُ قلب له أنتم الوكر
ولولا الذى لا تجهلون لزرتكم ... ويهدى لكم لو صح أن يوهب العمر
وما زلت فى ليل من الهم مظلم ... إخال بأن اليوم من طوله شهر
ومذوافت العشر الشهيرة لم أزل ... يساورنى همى فلا كانت العشر
وللناس فى العيد ارتياح وراحة ... ولى دونهم مالا يحيط به الشعر
فما العيد إلا يوم وافى كتابُكم ... نحرت به همى وذاك هو النحر
وفيه نشرنا للهناء مطارفاً ... يُطرِّزُهَا الحمد المكرر والشكر
وعاد لى الأنس الذى وصْفُ عُشْرِهِ ... يُقصِّر عن تفصيله النظم والنثر

له الحمد يكسو العبد ثوب سقامه ... ويخلعه عنه وقد عظم الأجر
وماهى إلا نعمة جلّ شكرها ... وإن سال من أجفان أولادك القطر
فإنا لنرجو أن تنال مثوبة ... تخفف وزراً منه ينقصم الظهر
وَصِلْنِيَ فضلا بالدعاء مكرراً ... وقل ولدى بَرٌّ وإن قصُرَ الْبِرُّ
وإنّا لنرجو أن يكون اجتماعنا ... قريباً وأن العسر يتبعه اليسر
ولى حسن ظن لا يخيب فكم وكم ... حَبانِيَ فضلا عنه قد عجز الحصر
وصَلِّ على المختار ثم وَصِيِّهِ ... وفاطمة والآل ما تُلِيَ الذكر

* * *

وله رضى الله عنه جواباً على والده رحمه الله عن أبيات وصلت منه إلى شهاره بشرى بحدوث ولده إبراهيم بن محمد رحمه الله .

تَبَسَّمَ ثغر الدهر وافتر بالبِشْرِ ... وهبَّ نسيم طيِّبُ العَرْفِ والنشر
ووافى نظام بالمسرة والهنا ... يجل عن التشبيه بالسحر والدر
أتانى وأهدانى المسرات كلها ... وزاد على ماليس يخطر فى فكرى
ضياء الهدى وافى النظام مبشرا ... بما يوجب الحمد الجزيل مع الشكر
بما مَنَّ ذو المَنِّ الجزيل لعبده ... بعبد بشير بالسعادة والبشر
سعيداً ومسعوداً يكون وقرة ... لعين الْعُلَى والعلم والفضل والبر
لقد سرّنى ما سركم من قدومه ... وأشعرنى أن سوف يثمر بالفخر
وأن يتحلى بالمكارم والعلى ... ويصبح فرداً فى المحامد والذكر
يواصله أهل القراءة والقرى ... فيقرى على كل المعالى من يقرى
وبخًا له بخًا إن جده الـ ... إمامان فى أهل المكارم والعصر
عسى يهتدى فى دينه بهداهما ... ليظفر بالذكر الجميل مع الأجر

* * *

وله رحمه الله جواباً على المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله عن أبيات وصلت منه من محل اعتقاله بقصر « صنعا » المحمية .

عبر الصبا سحراً بكيرة حاجر ... فأتت إلى المضنى بنشر عاطر
فوجدت منه ريح من أحبته ... فطمعت فى عدل الحبيب الجائر
فالريح قد وافت إلى يعقوب مِنْ ... قِبَلِ البشير بوصل حب هاجر
إن كان مرتداً بصيراً بعدما ... وافى القميص وزال ضُرُّ الناظر
فأنا الذى من نشرهم قد عاد لى ... روحى وكادت أن تقر نواظرى
تالله لو بعثوا بشير قدومهم ... لدفعت فى بشراه كل ذخائر
شَبِّبْ بسكان العقيق فإنه ... ما زال منهملا بصحن محاجرى
ودَعِ الأحبة باللِّوَى فلعلهم ... مَلُّوكَ إذا نَزَّلْتَهُمْ فى الخاطر
وتوهموا لما رأوا نار الجْوَى ... تهدى السُراة لدى الظلام السائر
إنى لغيرهم أعد ضيافة ... والنار نار قرى لأى مسافر
ورأوا دماً تُجْرِيهِ مِنِّى أدمعى ... قالوا وقد نحر الكرى للزائر
قسماً لقد جهلوا بأن هواهمُ ... غَطَّى على بصرى وسد بصائرى
وملا جميع جوانحى وجوارحى ... فجوارحى فى الهجر مثل ضمائرى
فعلى سواهم لا أبيت مسهداً ... وإلى سواهم لست أرفع ناظرى
وإذا خلوت مفكراً فبذكرهم ... هيهات يخطر غيرهم فى خاطرى
ولقد بخلت بقطرة من أدمعى ... تجرى لغير ذوى الجمال الباهر
من بعد ما قد كنت أبذل كلما ... عندى لكل مسائل ومسامر
قد كنت أُدْعَى قبل ذلك بحاتم ... والآن أُعْرَفُ فى الأنام بمادر
إن يجهلوا قَدْرِى فلستُ بعاجب ... أو يجهلوا وَجْدِى فليس بضائرى
هذا بن إسحق الذى جمع العلى ... ففدا فريداً فى الزمان الآخر
جهلت عشائره علاه وإنما ... يتجاهلون نخذ مقالة خابر

تالله ما العقلاء تنكر فى الضحى ... شمس الظهيرة فى النهار الساجر

مَلِكٌ إذا عُدّ الملوك وعالِمٌ ... إن عد أهل محابر ودفاتر

وإذا أراد من القريض كؤوسه ... أزرَى بقُسٍّ والبها والحاجرى

وتراه فى الهيجاء إن شبَّ الوغى ... نيرانه بعواسـل وبواتر

طَلْقَ المحيا مُطْلِقاً لعنانه ... نحو العدى للموت غير محاذر

أما المكارم فهو فيها مفرد ... فبجمعها لا أُنْضِبَنَّ محابرى

حاز الفضائل والفواضل كلها ... وحوى المآثر كابراً عن كابر

عَزَّ النظير له وذل مناظِرٌ ... منه فما أحد له بمناظر

فلهذه الأوصاف ناقسه فتى ... ما حاز إلا كل وصف ضائر

فحماه عن صهوات كل مطَّهمٍ ... وحماه عن رمح وسيف باتر

قسما لقد ساقوا إليك أجلَّ من ... ما يمنعونك من عُلًى ومفاخر

إذْ أفردوك لكشف كل خفية ... حجبت عن الرجل اللبيب الناظر

فأظن أن العلم قال لدهره ... أفرده ينظر فى رياض دفاترى

فلقد ذَوَتْ من كل ريح عاصف ... قد هب من ذهن البليد الحائر

فاشكر لهم ما أنت تشكر منهمُ ... شكرى لنظمٍ منك وافى فاخر

أهديتنى سِحْراً لتسلب مهجتى ... فاعجب لسحر جاء لا من ساحر

كلفتنى خوض القريض تعاطياً ... وأنا امرؤٌ بالشعر لست بشاعر

ما خُضْتُ إلا فى بحار معارف ... فيها يقل مُسَامِرى ومُسَاثِرِى

متذيماً من دُرِّها فى قعرها ... حليماً لجيد نظائرى ومعاشرى

وقصرت فكرى عن مديح سواكمُ ... فاقنع بميسور الجواب القاصر

انتهت هذه القصيدة : قلت . وهى عندى من جيد أشعاره وبديع أفكاره وكل شعره حسن بليغ فصيح ، فلله دره وقدس - في الفردوس - سره . كاتبها السيد أحمد بن محمد الشرفى .

* * *

وله رضى الله عنه كتبها فى صدر كتاب له من شهارة ولم أجد منها غير مارقم :

كم تحيات طوينها لكم ... فى جيوب الريح هل عنها انتشر
ثم قلنا زُرْهُمُ فى خفية ... فى سواد الليل أو وقت السحر
وانتظرنا عودها من سفحكم ... كانتظار العجم عصر المنتظر
ليت شعرى هل بها قد شعرت ... حرس الدار فنالتها بشر
أتراهم قيدوا ريح الصبا ... هل لها ساق كأقدام للبشر

فأجاب وهو إذ ذاك فى سجن المنصور الحسين وأبدع ماشاء بأبيات منها :

فلموع البرق قد أخبرنا ... أنهم فى ضحك وقت السمر
فاضحكوا لازلتم فى نعمة ... منكمُ البرق ومن عينى المطر

فأجاب الوالد البدر رضى الله عنه عن قوله « فلموع البرق الخ » :

آه من برق إليكم قد روى ... أننى فى ضحك وقت للسمر
لا يريد الصب أن يكذبه ... فَلَكَمْ أسند عنه من خبر
وإذا صدقه ساءكم ... فالذى عندى من العذر ظهر
إنه خاف بأن يوحشكم ... إن روى عنى لكم ماقد نظر
حين أخفتْ نارُ وجدى ضوءه ... ورمتْهُ إذ رأته بشرر
فأتاها خاضعاً مستجدياً ... طالباً من ضوئها بعض أثر
فَحَبَتْهُ جذوة من نارها ... قسماً لولا سناها ما ظهر
وأراد الصب أن يصبحه ... جذوة تحرق من ضل وضر

من وشاة شددوا ما بيننا غير أن البرق عنه ما استقر
سمع الأنةَ فارتاع لهـــا قال ذا رعد فقالوا ومطر
إنها أنةُ صَبٍّ قد قضى نحبه وجداً ولم يقض وطر
بعدها الطوفان من أدمعه فانج إن كان ينجيك الحذر
فرقاً من فرق أفق السماء لبس السحب قميصاً ثم زرّ
وغـــدا ينظرها مسترقاً ما تراه كلما لاح استتر
وأتى ريح الصبا من سفحكم قلت يا ريح لقد طال السفر
رُحْتَ مِنْ عندى نسيماً فلمَا عدت يا ريح سَمُوماً للبشر
فأجابت لا تعنفنى فقد كان فى أمرى لغيرى مزدجر
جئت محبوبك فى مجلسه قاعداً فى خُلقِهِ بعض الـكدر
لم يقم لى مِثْلَ ما أعهده لعناقى بل رآنى واكفهر
ثم أوحى لى أنِ اقْعُدْ هٰهُنَا خلف ذا الستر وللجفن كسر
فعلينا أعين ترقبنـــا ليته لم يبق للعين أثر
فإذا السَّجّانُ خلفى قائلا هل لديكم من نسيم قد عبر
فلقد أُلْزِمْتُ أن أسجنه قال ما عندِىَ من هذا خبر
قلت يا ريح وماذا الافترا حسبك الله أمَا خِفتَ سَقَر
هـــذه أشعـــاره تشعرنا أنه فى البحر يختار الدرر
أو رقى فى أفق السموات العلى فأتى بالشهب نظماً إذ شعر
أو خلا فافتض أبكار العلى وحبانا كل معنًى مبتـكَر
أو له الآداب قِيدَتْ فنهى بالذى يهواه فيها وأمر
أو له قلب صبور لا يرى فارغاً إن مسه سهم القدر

أسأل الرحمن أن يُعقِبَهُ　　راحةً تنسيه أنواع الضرر
مطلعاً شمس وصال أشرقت　　ويرينا منه وجهاً كالقمر
ويرينا راحــة نَلْثُمُهاَ　　طالما أبكَتْ من الجود المطر

* * *

وله رضى الله عنه جوابا على سيدى العلامة إسماعيل بن محمد إسحق رحمه الله .

أحلى الهوى ما كان جهرا　　وأَمَرُّهُ ما كان سِرًّا
ومحــاول كتم الهــوى　　هتك السقام عليه سترا
ووشت عليه دموعه　　ففشا له فى الناس ذكرا
ومعنِّفِى فى حب من　　أجفــانه يبعثن سِحْرًا
ويقول قول مناصح　　لن نستطيع عليه صبرا
فأقول دعنى إن نصـ　　ـحك والعتاب أراه هُجْرًا
هيهات أسلو حب من　　قاد الفؤاد هواه قسرا
رَشَــأٌ تَلَعَّبَ بالقــلو　　ب فمُغْرَمٌ منها ومُغْرًا
كالغصن إلا أنهــا　　لا تثمر الأغصان بدرا
والجفن كالهندىِّ إلا　　أنه بالفتــك أدرا
هــذا بنظرته يقــو　　د جحافلا قتلا وأسرا
وَتَلهبُ الوجنــات قد　　أَصَلَى فؤادى منه جمرا
سلب العيون رقادها　　أفلا ترى عينيه سكرى
أنفقت عمرى فى هوا　　ه وذقت منه الحلو مُرًّا
وإذا شكوت له الغرا　　م يزيدنى صداً وهجرا
عجبــاً لقسوة قلبــه　　أتراه فى أحشاه صخرا
يا قلب ويحك أنت ملـ　　ـكت القياد وكنت حُرًّا

فأفق فى نظم الضيا درر تصاغ لديه شعرا
بسليك بل ينسيك فى التـ حقيق عن رشأ وعذرا
سرحت طرفى فى ريـا ض بديعه سطراً فسطرا
فرأيت أغصاناً من الـ ألفـاظ قد أثمرن درا
وجنيت منه معانيـاً أحلى من الحـلو وأمْرَا
لله درك من فـتًى متضلعا أدبا ونخرا
جليْتَ فى مضمار أر باب الذكا نظما ونثرا
لاغرو إن حزت الـكما ل فقد حواه أبوك طُراً
وأراه خصـك بالنفيـ س سماحة منه وبِراً
وبعثت نحوى غادة وسألتنى فى ذاك مهرا
هيفاء فى حلل البـلا غة تترك الأذهان حيرى
لولا اقتراحك للجوا ب لَمَّا أرقت لذلك حبرا
أنَّى يساعدنى القريـ ض وقد هجرت الشعر دهرا
من حكم دهر جائر وكفى به للمرء عـذرا
يعطى الأراذل والأفا ضل عامدا رفعا وكسرا
وبذاك تنكسر القلو ب وعل بعد الكسر جبرا
لازلت سلطان الـكما ل مملـكا نهيـا وأمر
تحيى العـلا وتعيضُهَا من بعد هذا الطَّىِّ نشرا

* * *

وله رضى الله عنه مكاتبا له أيضا من شهارة فى شهر جمادى سنة ١١٤٧ وقد تأخرت منه الـكتب وكان مولانا البدر رحمه الله حمى وذلك بعد وفاة والده رضى الله عنه والمولى الضيا رحمه الله فى الاعتقال بقصر « صنعا » .

ياسارى الريح ساعدنى على وطرى … قف بالمناظر فى العالى من الحجر

مبلغاً لرسالاتى إلى ملك … محجّب لا كما يهوى عن النظر

ومنشداً بلسان حشوه درر … إنشاد من يتقن التحريك بالوتر

لا تترك الكتب عنى كل آونة … فإن كتبك نور السمع والبصر

ففى الإشارات هاتيك الشفاء لمن … أمسى عليلا بداء البين فى فِكَرِ

لما سعى الدهر فى تفريق أُلْفَتِنَا … قنعت قسراً عن الأعيان بالأثر

أسامر البرق لا عينى بنائمة … وليس عِنْدِيَ أعوان على السهر

إذا نظرت نجوم الليل أرقبها … رأيتهن منيخات عن السفر

كأنها شمسات فى مزرقة … من الستائر ملقاة على الجدر

أو الدنانير فى كف البخيل فما … ترجو الرحيل إلى بدو ولا حضر

أو مثل أقراط خود لا ترى أبدا … خلع الحلى ولا تهوى سوى السمر

والليل مُلْقٍ على الآفاق حُلّتَهُ … كأنها قلب جبار من البشر

أو أنها الهجر قد غطى فؤاد فتى … عُذْرِيٍّ طبع خليع غير معتذر

أو مثل دَيْنٍ على حر يطالبه … خصم ألد له قلب من الحجر

فما صباحى سوى لقيا كتابكم … عنوانه أول الإصباح فى السحر

أفضه فيرينى الفجر منتشرا … به أميز بين الترب والشجر

كأنه وصل من أهواه قد وفدت … به الأمانى بلا خوف ولا حذر

أو معسر جاء ما يهواه من سعة … أو طالب حاجة قد فاز بالظفر

قرأت منه سطورا فرجت كُرَبًا … واسوَدّ من لونها المُبْيَضّ من شَعَرِى

وعاد عصر شبابى فى كهولته … ولاحظتنى عيون الحور بالحَوَرِ

فكيف تقطع عنى ما به سعتى … حاشاك تقطع معتادا من البَدَرِ

فكتبتم بعد من قد صار فى غرف … من الجنان وفى روض وفى نهر

أعنى الضيا سقى الرضوان تربته … فى كل حين من الآصال والبكر

كـكتبه سلوة للقلب فارجة ... للـكرب دافعة للهم والضجر
بقيت فينا جمالا للوجود فقد ... زينَ الوجود بفضل منك مشتهر
علـم تطرز بالآداب حليته ... كالوشى يزهو به الغالى من الحِبَرِ
قف بالفواصل من علم الأصول تجد ... مَلْأَ المسامع والأفواه والفِـكَرِ
أنست شواردها أغنت فوائدها ... عن المطول من كتب ومختصر
ولطف طبع إذا قسنا النسيم به ... قال النسيم تقاس العين بالأثر
وجود كفٍ لو أن البحر ساجله ... لعاد يبساً بلا حاء من الحفر
هذا نظام يكاد اللطف يجعله ... طوقاً على العنق أو كُحْلاً على البصر
و يرقص الـكون إعجابا برقّتِه ... و يدرك الشيخ منه نشوة الصِّغَرِ
كتبته وفؤادى حشوه قَلَقٌ ... والجسم يدمع من حُمّاهُ كالمطر
فى كل جارحة أجفان ثاكلة ... تبكى بدمع كمثل النار مستعر
أظنها رائداً للموت يطرقنا ... يسوقنا مثل ما قد جاء فى الأثر
فبالدعاء أمِدُّونا ولا سِيَماً ... إذا نزلنا غداً فى باطن الحفر
إنى لأعجب من قرب الرحيل ومن ... فَقْدِ التزود للآتى من السفر
مالى سوى حسن ظنى إن رحمته ... تنيلنى من رضاه منتهى وَطَرِى
وإن لى من أجَلِّ الخلق مرتبة ... شفاعة تدفع المـكروهَ من حذرى
صـلى الإله على طـه وعـترته ... فإنهم صفوة البارى من البشر

* * *

وله رضى الله عنه قالها أيام بقائه فى « الطائف » بعد تمام الحج المبارك فى غرة سنة ١١٤٠ هـ وأرسلها إلى كافة السادة الأعلام الـكرماء الأمجاد الفخام وهم: المولى العلامة إسمعيل بن محمد بن إسحق رحمهم الله وكافة آل إسحق وذلك أنه لما ادعى المولى محمد بن إسحق ودعا الحسين بن المتوكل واشتعلت نار الفتنة بين الداعيين، خرج الوالد البدر رحمه الله إلى الحج، فاراً من الفتن، ثم جاءته الأخبار باستيلاء بنى إسحق على اليمن، فـكتب إليهم بهذه الأبيات، ثم قلب الدهر لهم ظهر المجن وتمت الخلافة للمنصور الحسين بن المتوكل، واتفقت عجائب، يطول شرحها .

أخبرونا تفضلا ماالذى كا ن وماذا جرت به الأقدار
هل وَلِيتُمْ أمر العباد بعــدل وأزلتم ماقد تجاروا وجاروا
وهدمتم ما شيدوا من ضلال وأشدتم ما شاده الأخيار
قَسَمًا إن فعلتم ذا وهـــذا إن أنتم فى عصرنا الأبرار
وتركتم قبض المكوس وقلتم إن أخذ المكوس عارٌ ونار
وقبضتم أعيان ماتُخْرِجُ الأر ض كما كان يفعل المختار
وصرفتم أعيانها فى أناسٍ خصَّهُمْ فى كتابه القهّار
وأتانا بصيغة الحصر فيهم أَفَهَلْ عندكم على ذا غُبَارُ
وسلكتم فى فطره القطر هذا فعليه قـــد دلت الآثار
وصنعتم فى أنصباء المواشى ماروتْهُ فيها لنا الأخيار
وجعلتم وزيركم كُلَّ بَرٍّ وعزلتم من كلهم أوزار
ثم وليتم العـــدول رعايا كم فكم قد وَلِيَهُمُ الأشرار
كل يوم يَلْقَوْنَ كل عناء وعليهم رحى الضلال تُدَارُ
تارة يأتى المثمر بالجو ر وأخرى القباض والعشّار
وانظروا كل ماحواه (سماعاً) فهو نظم فى طَيِّهِ الأسرار
قد أتى فيه كل ماقبّح العق ل ونَصُّ الكتابِ والآثار
فلهذا أحلت نصحى عليه عند أن أعجزَتْنِيَ الأشعار
كيف يقوى على النظام فؤاد شتته الهموم والأفكار
وترامت به الديار فترميـ ه ديار وتلتقيه ديار
كم طوينا من مَهْمَهٍ وجبال عجزت عن صعودها الأطيار
لو رأيتم كرا[1] لفارقتم النو م وقلتم مامثل هذا يسار

---

(١) الجبل المعروف تحت الطائف .

أوسر يتم في خبت[١] نعمان قلتم ... مابهذا يُكلِّفُ الجبار

غير أنا لما نزلنا بأرض ... قد تغشت أرجاءها الأنوار

مارأينا تلك العظائم شيئاً ... واغتفرنا وحق منا اغتفار

حبذا بلدة[٢] بها قد نزلنا ... وإليها انتهت بنا الأسفار

* * *

ومن هنا للشيخ العلامة زين العابدين بن سعيد المتوفى رحمه الله :

بلد ما أقول فيها وقد أطـ ... ـنب فيها الإله والمختار

بلد من شعارها الْعَجُّ والثَّجُّ ... يقينا وحبـذاك الشعار

بلد لم يزل بها العفو والغفـ ... ـران ينمو وتحبط الأوزار

وبها البيت والحطيم وفيها ... تنجلى من إلاهنا آثار

حين طفنا بها ننادى بِلَبَّيْـ ... ـكَ وسعديك أيها الغفار

وصعدنا لموقف الحج فى ليـ ... ـلة خير لصبحها إسفار

عَرَفَاتُ التى تعارف أروا ... ح وفيها حقا تُقَالُ العثار

وازدلفنا بهـا نَؤُمُّ جميعاً ... ثم جئنا مِنًى ونعم الديار

ونحرنا بها الضحايا سِمَاناً ... وبرمى الجمـار تطفى النار

وأقمنا بها لياليَ أُنْسٍ ... ليس فيها هَمٌّ ولا أكْدَار

ثم طفنا بها وبالسعى فزنا ... وعلى المروتين كان المدار

ورجونا القبول من خالق الخـ ... ـلق تعالى ففضله مِدْرَار

ودعونا والله يعـلم أنا ... ماسَهَوْنَا فيحسن التَّذْكار

سادة قادة كراما أجلا ... ء لهم فى القلوب منا قرار

بدعاء مشفع بابتهـال ... والتجاء قد زانه الافتقار

---

(١) خبت ينفذ منه إلى عرفات .

(٢) مكة المكرمة .

ورجعنا من مكة نقصد الطا ئف نار لحرّها إسعار
واقتطفنا لطائف الطائف وفى الروض تقطف الأنوار
حبذا هذه الديار فلولا حب من لا يقر عنهم قرار
لاتخذنا بها ديارا وأهلا وسلونا أرضاً إليها يسار
حبذا بلدة بها لذة العيـ ـش وكأسُ السرور فيها يدار
بلد أخصبت رِياضاً وأرضا وتغنَّتْ فى دَوْحِها الأطيار
بلد خصصت بما هو فيها من حبور تنفى به الأكدار
بلد لم يزل بها الرَّوْحُ للرو ح وكم قد جرت بها أنهار
بلد لم تزل بها صحة الجسـ ـم وتغشى أرجاءها الأنوار
بضيا حَبْرِها[1] الذى حل فيها وتلقتْ علومَهُ الأحبارُ
ابن عم النبى أفضل عبد ساد قوما هم سادة أخيار
خصه المصطفى بدعوة خير فتوالت من سره الأسرار

☆ ☆ ☆

وله ـ رضى الله عنه ـ جواباً على الشيخ العلامة زين العابدين بن سعيد المتوفى رحمه الله عن أبيات وصلت منه :

يازين أرباب الكمال ومَنْ غدا بحراً بل التحقيق أنك أبْحُرُ
بحر اليراع تراه يقذف دائما نظما ونثرا ذا وهـذا يبهـر
والصدر بحر فوائد وشوارد والكف بحر لِلْعفَاةِ يفجر
وافَانِىَ النظم الذى ألفاظه رَاحٌ بها الأسماع حقاً تسكر
يصف اشتياقاً فى فؤادى منه ما عن كنهه لا أستطيع أعبِّرُ
وقس الفؤاد على الفؤاد مقربا إن الذى عندى أجل وأكثر
لـكنه وافى النظام وفى القُوَى مِنِّى فتور كِدْتُ منه أدْثُرُ

(١) عبد الله بن عباس رضى الله عنهما .

فاعذر وسامح فى التخلف إنه حظى يعاملنى بما يستنكر
بلغ إلى القاضى العماد تحيةً من طيبها أرجاؤكم تتعطر
وعليك ألف تحية وبقيت فى أُفقِ المعالى والكمال تصدر

* * *

ولما استدعى سيدى المولى العلامة بدر الإسلام محمد بن زيد بن المتوكل رحمه الله من الوالد البدر رحمه الله شرحه على الجامع الصغير المسمى بالتنوير أرسل إليه بالجزء الأول منه فطالعه أشهراً ثم أرجعه وقد كتب على ظهره أبياتاً يمدحه ومؤلفه رحمه الله فلما رأى الوالد البدر ما كتب وذلك فى سنة ١١٥٨ أجاب عليه بقوله :

وافى إلى سُوحِ الأمير من ماجد مَلِكٍ خطير
نظم هو السحر الحلا ل والقلائد فى النحور
لا بل هو الروض النضـ ير بلى يجل عن النظير
كالزُّهر أو كالزَّهْرِ لا ما للزواهر والزُّهور
أو كالمُدَامِ ولا أرى ضم النظام إلى الخمور
هذى كؤوس ذوى التقى أنقيس كاسات الفجور
أبيات نظمك حيَّرتْ فكرى فدلَّ على قصورى
وأنا الخبير ولى يقا ل لقد سقطت على الخبير
حتى لقد أظهرت مع جزة لحار لها ضميرى
لا غرْوَ إن حزت القليـــل من الكمال مع الكثير
هلا تركت لنا اليسـ ير فنحن نقنع باليسير
حتى نُجارِى نظمكم للدر بالدر النثير
لله دَرُّكَ من إما م عارف بحر غزير

وَأَفَانِيَ التنـويـر يهـ ــزء بالكبير مع الصغير
يزهو بمـا خلع البرا ع عليه من وشى الحرير
فسواده وبياضــــــه ليل على صفحات نور
أضحى بنـورك زاهـرا يزهو على فتح القـدير
وأتى عليـكم شاكرا شـكرا إلى يوم النشور
دامت عليـك تحيتى تُهْدَى على مر الدُّهـور

* * *

وله رضى الله عنه جواباً على السيد الإمام العلامة الـكامل ضياء الدين عيسى ابن محمد بن عبد القادر رحمه الله عن أبيات كتبها إلى مولانا البدر من شبام فى شهر شوال سنة ١١٤٠ هـ أربعين ومائة وألف .

ما يصان الغرام بالتستير فابرز المستكن طىّ الضمير
ثم بُحْ بالهوى ونَادِ جهاراً مَن مُجيرى من الهوى من مجيرى
فى الغرام العُذرىِّ للصب عُذْرٌ فلهذا أضحى عَذولِى عَـذِيرى
كان من قبلُ ذا يجذب جهلا منه إن الإغرا من التحذير
رفع العذل إذ رآى العذر للصب صريحاً فى جفنهـا المـكسور
قد مَلَـكْتِ الفؤاد يا أُخْتَ سَعْدٍ فاعـدلى فى محبتى أو فَجورى
صرتُ رقّ الهوى ولا يبتغى الر ق كتاباً فى الرِّقّ بالتحرير
است أرضى إلا مكاتبـة المو لى إمام التحرير والتقرير
مفرد جامع لشمل المعـالى سالم جمعـه عن التـكسير
ياضياء الهـدى بَعثْتَ بِدُرٍّ مارأينـا نظيره فى البحور
والغوانى تودُّ لى حلّ منها حين تجلى قلائداً فى النحور
أَمُدَاماً أهديْتَ لى أم نِظاماً فِعله فى العقول فعلُ الخمور
أم رياضــاً بقاعهن رِقَاعٌ أثمرتْ بالمنظـوم والمنثـــور

ام أتانا من بابلٍ سحر هارو ... تَ وماروت فى بطون السطور
يا إمام العلوم عقلا ونقلا ... وعظيما مبجَّلاً فى الصدور
خذ جواباً أبياته فى قصُورٍ ... عن نظام أبياته كالقصور
ما أتى بالجناس واللف والنشـ ... ـر ولا بالتعجيز والتصدير
لست أرضى تستطيره لكن التعـ ... ـجيز منكم دعا إلى التسطير
زاد طولا لنقصه عنه فى الطو ... ل فهذا التطويل من تقصيرى
دُمْتَ فى نعمة ودامت صلاةٌ ... وسلامٌ على البشير النذير
وعلى آله الذين ثناهم ... قد أتانا فى آية التطهير

☆ ☆ ☆

وله بل الله بوابل الرضوان ثراه جواباً على الفقيه الأديب أحمد بن حسين الرقيحى رحمه الله عن بيت مفرد عتاب لما تأخر جواب مقطوع أرسله إلى مولانا البدر وهو:

عدم الجواب هو الذى ... قد دلنى بقصور شعرى

والجواب هو

أبيات شعرك لاقصور بها ... وهى القصور لكل من يدرى
ترك الإجابة ماله سبب ... غير اعتقادى الضَّعْفَ فى شعرى
أيجوز أن أعطى الحصى عوضاً ... منى على عِقْدٍ من الدُّر
لما تقاضيت الجواب قضى ... بالعفو عن نظمى وعن نثرى
فخذ الجواب ولا تؤاخذنى ... ياشمس واغفر زلة البدر

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه جواباً على الفقيه المذكور أيضاً :

إن كان من يبغضنا كارها ... لنشرنا الحقَّ على المنبر
وكلما أمليه عن أحمدٍ ... من صفة المبعث والمحشر

أو ذكرنا جنات عدن وما — فى النار من هول لمن يجترى
وَأَمْرِنَا بالعُرف إخوانَنَا — ونهيهم جهراً عن المنكر
وأن يُصَلوا الخمس فى وقتها — جماعةً فى الجامع الأزهر
وأن يُزَكُّوا وأن يصوموا وأن — يصوموا المسنون فى الأشهر (١)
أو كارهاً تفسيرنا ماأتى — عن ربنا ذى العزة الأكبر
أو دعوة الخلق إلى ربهم — جهراً على الكرسىِّ والمنبر
أو ذكرنا أحمد خير الورى — ساقيهمُ من حوضه الكوثرى
أو ذكرنا بدراً وَأُحْدًا وما — جاء من الأخبار عن خيبر
أو ذكرنا إثم الربا والزنا — والضرب بالأوتار والمسكر
أو ذكر أهل البيت أهل التقى — سلسلة تُنْمَى إلى حيدر
أو صحبة من بذلوا أنفسا — سالت على الصارم والسمهرى
إن كارهاً هذا وهذا وذا — فبيننا الموقف فى المحشر
فياصَفِىَّ الدين مَنْ نظمُه — فى رتبة تسمو على المشترى
عِقْدُ نِظَامٍ منك قد جاءنى — مفصل بالدر والجوهر
نظمٌ إذا قِيسَ به غيرُه — كان السهى قد قابل المشترى
وصفت فيه أن أهل التقى — من عالم أو فاضل خبِّرِ
يرضون مافهت به خاطباً — وليس يرضاه الجهول الجرى
فالمصطفى قام كذا خاطباً — فنهم المؤمن والممترى
فقال هذا ناصح صادق — وقال هذا كاذب (٢) مفترى
ماضر إلا نفسه من غدا — يُكَذِّبُ الحق ولم يشعر
يا أحمد جوزيت عن أحمد — وآله فى يومك الآخر

---

(١) ثلاثة أيام من كل شهر سنة أبى القاسم صلى الله عليه وآله وسلم .
(٢) فى الأصل « كاتب » والصواب ما أثبتناه لأن الكفار لم يتهموا النبي بأنه كاتب.

فأنت حسان الزمان الذى قد ساد فى الخبر والمنظر
ياواحد الآداب فى عصره ليس على الله بمستنكر[١]

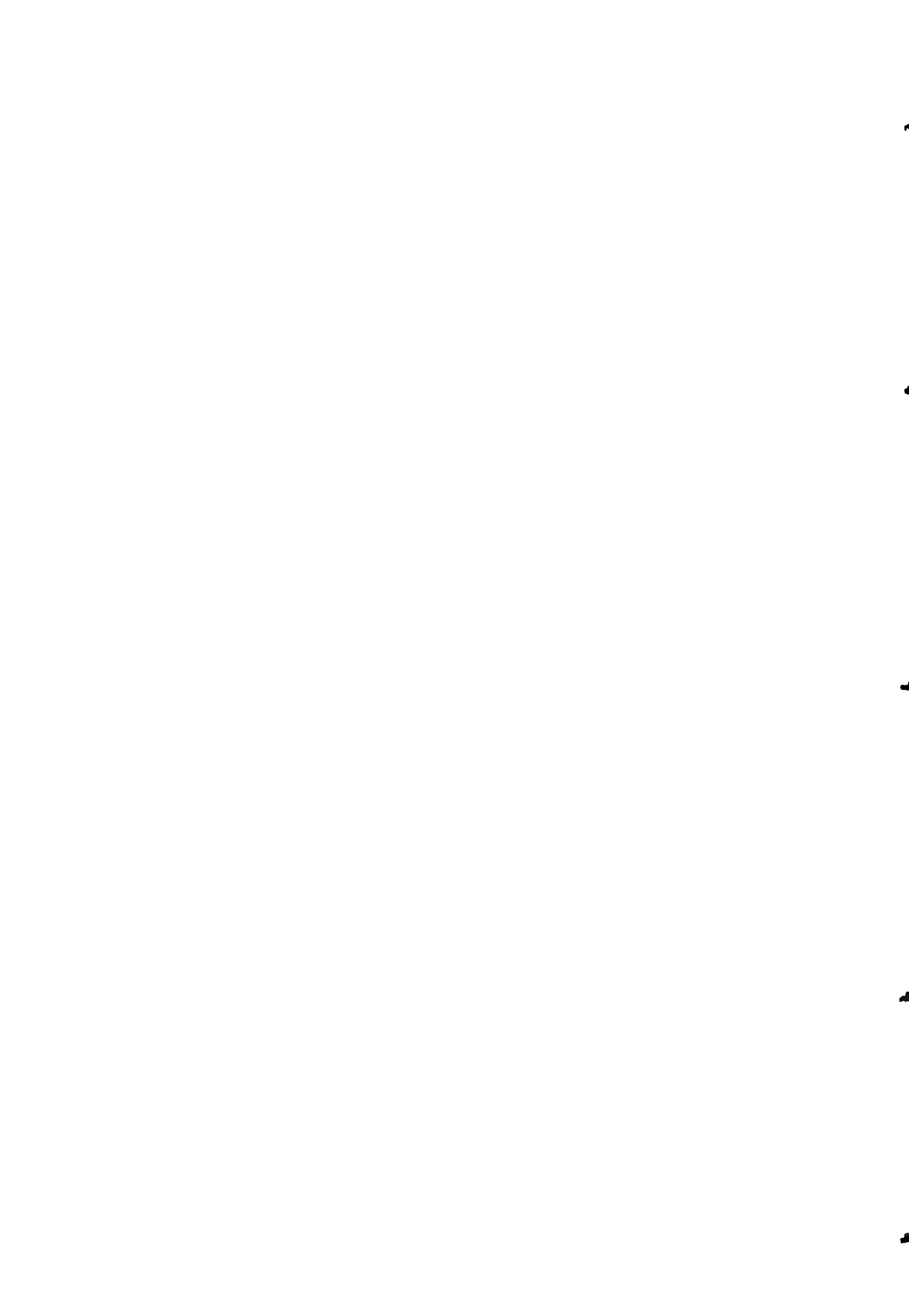
* * *

وله رحمه الله جواباً على المولى العلامة النبيه عبد الرحمن بن على بن إسحق رحمه الله عن أبيات وصلت منه فى شهر شوال سنة ١١٧٨ هـ والجواب فى غير بحر الأصل .

خلعت ردى التشبيب عن منكب الفكر فقد أخذ الشيب الشبيبة من عمرى
ولما رأيت النسر عز ابن دايرة وعشعش فى وكريه جاش له صدرى
وجاوزتها سبعاً وسبعين حجة فقد بيضت شعرى وقد سودت شعرى
فأصبح فحماً فى رماد تفكرى وأضحت أكف الذاريات له تذرى
ومن صحب الدنيا رأى كل عِبْرَةٍ وفى نفسه يلقى العُجَابَ من الأمر
سهرت ومابى علة تمنع الكرى وصرت غريباً بين أهلى وفى قطرى
إذا مالقيت الناس لم أدر من هُمُ لأنهـمُ أبناء أبناء مَنْ أدرى
وهم إن أرادوا أنكرونى كأنهم يقولون هذا جاء من هَرَمَىْ مِصرِ
وما الشعر إلا للشبيبة والصبا ومن بعد ذا ماللشيوخ وللشعر
وما الشعر إلا كالغوانى إذا رأت بشعرك شيباً لم تزرك إلى الحشر
أمن بعد نثر الشيب نظم شبيبتى أتوق إلى نظم القريض أو النثر
ولا أرتضى للشيب ذما فإنه وَقَارٌ وفيه الاعتبار لمن يدرى
سلوت به عن كل غيدا وأغْيَدٍ فلا أشتكى هجراً لشمس ولا بدر
ولـكنَّ أبياتاً سَبَتْنِى كأنها عيون المها بين الرصافة والجسْرِ
إذا ارتشفت من كأسهن مسامعى جلبْنَ الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

---

(١) صدر قول الشاعر :
ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد



ولما اطلع المولى الفهامة العلامة عبد القادر بن أحمد رحمه الله على أبيات المولى عبد الرحمن بن على رحمه الله وجواب مولانا البدر رضى الله عنه كتب إلى المولى البدر أبياتاً فى بحر جوابه وأرسلها من كوكبان فى شهر ذى القعدة سنة ١١٧٨ هـ فأجاب مولانا البدر رضى الله عنه .

على قَدَرٍ قد جاء فى ليلة القدر ... كتابُ حبيب طيّبُ النشر والبِشْر
وشِعْرٌ أتانى جل قَدرا عن السِّحرِ ... وزاد على نور الدرارى والدُّرّ
فلم أدر ما أوصافه غير أننى ... غدوت لدى أوصافه حائر الفكر
شكا من نوًى قد طال عهداً ومارَنَى ... عساه نوًى وصْلاً ينوب عن الهجر
فرب انفصال كان للوصل وصلة ... كما أن بعد العسر يسرين فى الذِّكْرِ
ترقب طلوع الشمس بالوصل والاقا ... فنظمك بشرى بالتباشير للفجر
وإن ظلام البعد قد آن أن يُرى ... بياضَ اجتماع قد شفى علة الصدر
ويخضرُّ روض الوصل بعد دوائه ... وأغصانه تختال فى الحلل الخضر
فيامن إليه ينتهى الفهم والذكا ... ويا فخر أهل العصر حسبك من فخر
جمعت كمالاتٍ ولُطفَ شمائل ... فأنت فريد العصر نادرة الدهر
تقضَّتْ لنا أعوام وصل كأنما ... يرى عامنا فى سرعة السير كالشهر
وليس لنا إلا المعارف لذةً ... وهل غيرها بالله كأس من السكر
وكنا وأنتم فى اجتماع كأننا ... خليطان من ماء الغمامة والخمر
وليس لنا شغل سوى العلم ليته ... يدوم لنا فى القبر والحشر والنشر
فوالله ماأخشى من الموت إنما ... أخاف فراق العلم والدرس والذكر
وإلا فما الدنيا وماذا نعيمها ... مصائبها فى كل ناحية تسرى
ألست ترى فيها وتسمع كلما ... كرهت وتلقى دائماً كل ذى شر
وتأتيك أحياناً بكل مغفل ... جهول على أعطافه حلل الكبر
بلى إنها دار التُّقَى لِمَنِ اتقَى ... ومزرعة الأبرار للعمل البر
وتُدَّخَرُ الطاعات فيها لوقتها ... ويا حبذا الطاعات للعبد من ذخر

وله رضى الله عنه جواباً على المولى العلامة عبد الرحمن بن على بن إسحق رحمه الله :

زارت وقد ولى الهوى العذرى … عنى وأولى غاية الهجر
أنّى يواصلنى الغرام وقد … ولِىَ المشيب سياسة العمر
من بعد أن عزل الشباب سُقِى … عصر الشباب سحائِبُ القطر
لله ما أحـــلى إمارته … متصرفا بالنَّهى والأمر
فمن التَّغزُّلِ فكرتى عُزِلَتْ … وكذا عن التشبيب فى شِعْرِى
فالشيب والتشبيب ما اجتمعا … مالِلظِّبا واصحبــة النسر
وملاعب اللذات قـد هجرت … وَصْلِى وحق لمثلها هجرى
ماذا تُرَجِّى من وصال فتى … خلع العذار عن الهوى العُذْرِى
وأرى الغوانى إن نظرن إلى … شيبى نظرن بأعين شَزْر
صارت لدىّ كأنها عـدم … وأنا لديها ساكن القبر
ورد الخدود لدى فما … للورد من طَىٍّ ولا نشر
وكذاك رُمّانُ النهود غدت … كالورم من ألم على الصدر
لا الطيف يطرق مقلتى ولا … أشكو الجفا وتطاول الهجر
وأرى الرقيب هو القريب كما ال … واشى صديق صادق السر
فعرفت حقا أنه غلط … وصف النِّسا بمحاسن الشعر
تشبيه أعينها وقامتها … بالسيف مسلولا وبالسمر
والشعر بالليل البهيم به ال … أقراط مثل الأنجم الزهر
هـذا أراه كله غلطاً … قد تُبتُ عنه توبة القَسْر
وأرى الورى طراً بتجربة … ما فيه من شمس ولا بدر
إلا الذى حلّ السما وأنى … بمنافع جلَّتْ عن الحصر
مالذّ لى بعد المشيب سِوَى … كأسِ النظام أداره الفخرى

أهى السماء أم الرياض فقد جاءت لنا بالزهر والزهر
وكأنها من بابل عصرت فأتت بأنواع من السحر
أما الحقيقة فهى معجزة ولذا تحير عندها فكرى
يافخر دين الله من فَخُرَتْ بنظامه صنعا على مِصر
بحر من الآداب قد قذفت أقــلامه بمحاسن الدر
وذكرت ماقد كان من نفر كل لعرضى منهمُ يَفْرِى
بل بالغوا وأراد كلهم أن يوردوا جسمى إلى قبرى
وتصدروا لأذيتى ولقد ملأتْ محبة مثلهم صدرى
أبناء إخوان لنا درجوا كانوا العيونَ بأوجه الدهر
كنا وهم روحانِ فى جسد ولأنت يافخر الهدى تدرى
وأنا أبو أبنائهم فِلَمَا جعلوا عقوقى عناية البر
والكل من بحرى قد اغترفوا وبه قد اعترفوا بلا نكر
أشعارهم بمدائحى ملأت سُفُنَ القريض بكل مابحر
حيا الحيا مثواهُمُ وسقىَ جَدَثًا حواهم وابلُ الأجر
وبقيت بعدهمُ تعيد لنا آثارهم بالنظم والنثر
ومكارم نشرت فلو سبقت لم يبق للطائِىّ من نشر
واسلَمْ ودم فى نعمة فلقد طَولت إذ قصرت فى الشعر
فاعذر وسامح واغتفر وأَنِلْ أبياتَ شعرى حُلةَ الستر

* * *

وله رضى الله عنه جواباً على القاضى النبيه محسن بن إسماعيل عطف الله رحمه الله عن أبيات وصلت منه من كوكبان يستدعى راقم الأحرف(١) والصنو إسماعيل بن أحمد الأمير رحمه الله وطلب الإذن من المولى البدر رحمه الله :

بعثت بشعر أم بعقد من الدر فها أنا لا أدرى وإن كنت قد أدرى

(١) أى جامع الديوان المولى العلامة الحافظ عبدالله بن محمد بن إسماعيل الأمير رضى الله عنهم .

وما كنت أدرى أن فى كوكبان ما ... يصاغ به نظم من الكوكب الدرى

سما عند أكناف السما فحصاؤه ... بتربته نوع من الأنجم الزهر

فيلتقط النَّظَّامُ منه نظامه ... فيأتى بما فيه تحير ذو الفكر

ووافى نظام للحسان مُخَبِّرٌ ... بحسن وداد منه قد حل فى الصدر

صدقت فقس وُدِّى بودك إنما ال ... وداد قياسى كما قيل فى الشعر (١)

وكنا نُرَجِّى منك وصلا مُعجلا ... فأشعر منك الشعر بالبُعْد والهجر

وما كنت إلا مُخْبراً لى إنما ... تبلغ إسماعيل (٢) من فاز بالكسر

وراح سليما ثم عاد مكسراً ... على جمل من فوق تبن به يسرى

وقد كان شيعيا فعاد مسائلا ... لذى الطب فى صنعاء عن مذهب الجبر

فيا ابن الضيا عاد الضيا لك شاكرا ... بحسن تلقيه وبالبشر وبالبر

وعدت بأن العيد عندىَ جازما ... وتحضر فى نحر الضحايا ضحى النحر

بصنعاء دار العلم والحلم والتقى ... سقى سوحها هطال سحب من القطر

ولا غرو إن آثرتَ أهلا ووالدا ... علينا وآثرت الملوك ذوى الأمر

ذوى العلم فى كل الفنون وعندهم ... تجد معدنا إن شئت للنظم والنثر

وما زلت تستدعى الضيا وابن عمه ... وتأخذ رأيى فى الضياء وفى الفخر

إلى سُوحِكَ الرَّحْبِ الرحيب الذى غدت

منازله للضيف كالبيت والحِجْـــــر

نعم قد أذنا للضيا دون صِنْوِهِ ... فإنك تدرى أنه عمدة البدر

---

(١) قال الشاعر :

قس فؤادى على فؤادك فى الود ... فإن الوداد علم قياسى

(٢) هو الطبيب إسماعيل العجمى خرج مع القاضى محسن إلى كوكبان واتفق أنه سقط فى باب مطهار فى بيت القاضى محسن فكسر رجله أو آلمها من دون كسر وعاد إلى صنعا مريضاً وكان قبل خروجه معه يقرأ على مولانا البدر رحمه الله .

إذا ما أردنا أى سفر أتى به ونجد منى فيما أريد من الأمر
أذنت لإسماعيـل يوما وثانيـا وخمســة أيام بيوميـه فى السفر
فأول يوم للصفى (١) زيارة يُقبل كفاً تبدل العسر باليسر
وثانيه ضيف عندكم وثلاثة يزور بها الأعيان فى ذلك القطر
سلام عليـكم بعد سَيِّدِىَ الصَّفِى إمام العلى لا زال فى أطيب العمر

* * *

وأنشد ابن أبى الحديد رحمه الله لنفسه مخاطبا رب العزة :

فيك يا أغلوطة الفـكر تاه عقلى وانقضى عمرى
سافرت فيك العقول فما ربحت إلاَّ عنَا السفر
رجعتْ حيرى وما وقفت لا على عـين ولا أثر
فلحى الله الألَى زعموا إنك المعروف بالنظر
كذبوا أن الذى زعموا خارج عن قـدرة البشر

* * *

فقال مولانا البدر رحمه الله ردا عليه فى إطلاقه أغلوطة على الله عز وجل وغير ذلك مما فاه به :

إطلاق أغلوطة عليه كما قد قلته لا يسوغ فى النظر
فليس فى الذكر ما ذكرت ولا روى لنا فى الصحيح فى الأثر
لو سافرت منكم العقول إلى بحر الهدى فى سفائن الفكر
بحر كتاب الإله لا نقلبت حالية من حلاه بالدرر
لـكنها سافرت على طرق قد حار خريتها عن السفر

---

(١) هو المولى العلامة أحمد بن محمد بن الحسين رحمه الله .

سار بها الجبائى وشيعته　　فما انتهوا كلهم إلى وَطرِ
فلا تلح الألى فما طلبوا　　عيناً ولا غيرهم من البشر
فإنهم أجمعين قد وقفوا　　على الذى قد نفيت من أثر
هذى السموات من مؤثرها　　والأرض فى تربها وفى الحجر
وأنت من نطفة مخلقة　　حباك بالسمع منه والبصر
والعقل حتى غدوت فى جدل　　فأنت أنت الدليل فى النظر
قال إله الجميع عز وفى　　أنفسكم فانظرن واعتبر
تعلم علم اليقين أن لنا　　رباً عليه الدليل فى النظر
فقف ولا تقف غير منهجه　　ينجيك يوم الحساب من سقر
واشدد رحال الأفكار للسفر　　إلى رياض الآيت والسوَرِ
تظفر بالحق إن ترده كما　　غيرك منها قد عاد بالظفر

* * *

وله تغشاه الله برحمته :

أدام علينا ربنا كل نعمة　　وضاعف ما أعطى ووفَّقَ للشكر
وأصلح أعمالى جميعاً وقادنى　　إلى كل خير عند خاتمة العمر

* * *

وقال رحمه الله أخبرنى الفقيه أحمد بن على النهمى رحمه الله أنه رأى فى نومه ورقة فيها كتب حفظ منه قوله . وتهدى من تشاء إلى النور . فقلت :

لك الحمد كل الفضل منك وإنما　　تخص بتوفيق ولطف وتدبير
وتجذب من أحببته بعناية　　إليك وتهدى من تشاء إلى النور

* * *

وكتب رضى الله عنه على نسخته من «إيثار الحق على الخلق» تأليف الإمام الكبير محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله ما لفظه «اتفق فى سفرنا إلى بيت الله الحرام سنة ١١٢٣ هـ ثلاث وعشرين ومائة وألف أنه أصاب هذه النسخة ونسخة أخرى من الإيثار بل وخصهما من بين كتب كثيرة ، فلما رأيت اختصاصهما بذلك ، قلت :

أنظر إلى الإيثار كيف أصابه   عين الكمال لنصرة الإيثار
فإذا نظرت إليه فلتك [(١)] مُنته   عن حملك الأسفارَ فى الأسفار

* * *

وله رضى الله عنه فى العذار فى معنى سبق إليه المولى القاسم بن حسين بن إسحق رحمه الله :

لاح عذار الحبيب يوما   فقال والدمع منه جار
أرش بالدمع صحن خدى   ويكنس الحسن بالعذار [(٢)]

* * *

وله رحمه الله آمين :

إنما سمى العذار عذاراً   لاعتذارى إذا هتكت العذارا

---

(١) على طريقة « ولو أن واش » .

(٢) قال سيدى القاسم رحمه الله ، وهو معنى غير مسبوق :

تعذر من أحب فراح يبكى   وسلب الحسن عار أى عار
وقد غسلت محاسن وجنتيه   بأدمعه ومكنه العذار

وللمولى الحسن بن إسحق فى معناه :

تعذر من أحب فقلت عنى   ترحل ياهواه بالسلامة
فقد كنس الزمان جمال خلى   وألقى فوق خديه العمامة

وقال فيه أيضاً :

فقد كنس الزمان جمال خلى   فقلنا للهوى ارحل بالسلامة
فإن الدار تترك عن قريب   إذا طرحت بساحتها العمامة

كيف لا أمتطى الغرام إليه ... وهو روض وكان قدما قفارا

* * *

وله رضى الله عنه فى الرد على المعنى الأول وحسن التعليل :

إنما هبت الريح على خـ ... ـد حبيبى فأثرت فيه غبره

فكنستاه بالعذار فأضحى ... وهو بدر قد خلص السحب أسره

* * *

ووصلت إليه أبيات من المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله وهى بشارة برؤيا صالحة فأجاب عليه فى حينه :

لله بحرٌ منك زاخره ... أعطى اللآلى والجواهر

قلَّدتَ عنقى بالمدا ... ئح والمنائح والمفاخر

ما للسلافة واليتيـ ... ـمة عنده كفؤ معاصر

ما أنت إلا آية ... فقت الأوائل والأواخر[1]

إن جئتَ بالنظم البديـ ... ـع أتيت بالدرر الفواخر

أو خضت فى بحر المعا ... رف جاء ما بهر النواظر

ولقد أتتنى منك مُعْـ ... ـجِزَةٌ بها أبداً أُفَاخِر

وبشارة من صادق ... قرت بها منا النواظر

تنزيه رب العرش لى ... بالحق فى كل المنابر

بينى وبين حواسدى ... يوم به تُبْلَى السرائر

* * *

(١) قد كتب فى الأصل رواية أخرى بدل « فقت الخ » وهو (فاق الأزاهر والزواهر).

ولما أراد الأخ العلامة الفهامة إبراهيم بن محمد الأمير رحمه الله العزم إلى بيت الله الحرام للحج واستأذن والده البدر رحمه الله فأذن له وكان عزمه فى يوم الأحد ثامن عشر شهر جمادى الآخرة سنة ١١٨٢ﻫ اثنتين وثمانين ومائة وألف كتب مولانا البدر رضى الله عنه هذه الأبيات ، وهى قوله :

ولما عرانى الضعف من كل جانب ... وجاوزت مافوق الثمانين من عمرى
عجزت عن الأسفار قصدا لمكة ... وطيبة دار المصطفى مفخر الفخر
بعثت إليها من يعز فراقه ... علينا ودمع العين منهمل يجرى
بُنَىَّ الذى بالعلم والحلم والحجى ... أحاط وأضحى وهو من ولد بكرى
يقوم مقامى فى الذى أنا طالب ... مَنَ الله ربى خالقى واسع البر
مجيب الدعا جزل العطا غافر الخطا ... ومن أترجاه ليغفر لى إصرى
ويرحمنى قبل الممات برحمة ... بها تشرق الأنوار فى اللحد والقبر
يثبتنى عند السؤال به ولا ... أقول بقبرى للمُسائِلِ لا أدرى
فذلك قول المنافق لا سوى ... وإنى بالإيمان منشرحُ الصدر
خدمت كتاب الله والسنة التى ... أتتنا عن المختار من صحبه الغُرِّ
نشرت لواها فى ديارى ولم يكن ... لواها بمنشور وسائِلْ من يدرى
وأرجو بأن يبقى الذى قد نشرته ... بها دائماً حتى يدوم إلى الحشر
ليجرىَ لمن قد سن ذلك أجره ... كما صح فى الأخبار عند ذوى القدر
فيارب أصلح لى أمورى مُطهِّراً ... لقلبىَ عن أدران ذنبِىَ والوِزْرِ
وزدنا هُدًى يهدى جوارحنا إلى ... مرادك فى سر الأمور وفى الجهر
إلهى ووفقنى لما ترتضى فقد ... تعاظم ما فرطت فى سالف العمر
أتيت الذى لا ترتضيه تجاريا ... وأعرضتُ عما فيه فوزى من الأجر
وأنت مع هذا لك الحمد مُسْبِلٌ ... علينا سرابيلا طوالا من الستر
مِدِرٌّ علينا سحب نعماك دائماً ... وكم تمتحِنَّا بالتقاصر والفقر

ولا بالغنى المطغى ولكن بحالة — هى الوسط المحمود جل عن الشكر
وهبت لِىَ الأولاد ثم جعلتهم — أفاضل فضلا منك يانافذ الأمر
فزدهم هُدًى واهْدِ الجميع إلى الذى — به ترتضى فى الجهر منا وفى السر
وأختم أقوالى بقول شهادة — هى القول منى دائماً مدة الدهر
بأنك أنت الله لا رب غيره — وليس سواه خالق منزل القطر
لِيُحْيِى به أرضاً مواتاً وهذه الـ — قلوب موات فاحيها منك بالذكر
لتثبت إيماناً يقينا وفكرة — بها فتح أسرار السرائر بالسر
تدور على الآفاق ينظر ما بها — من الحِكَمِ اللاتى تجِلُّ عن الحصر
فتزداد إيماناً على كل لحظة — كإيمان أصحاب الرسول ذوى بدر
ويا سيد الرسل الكرام شفاعةً — أفوز بها فى يوم حَشْرِىَ والنشر
فإنِّىَ قد أوذيت فيك لنصرتى — لسنتك الغراء فى البر والبحر
وكم رام أقوام وهموا بسفكهم — دمى فأبى الرحمن نَيْلِىَ بالضر
كما هَمَّ أقوام بخير الورى فلم — ينالوا سوى خزى وَوِزرٍ على وزر
وأسأله صبرا على فقد من سرى — إليك وكنا لا نحب بأن يسرى
ولكنه مذ كان فيك مسيره — إلى البيت ذى الأستار والركن والحجر
وهزته نار الاشتياق فقلبه — أشدتها كالقِدْرِ كان على الجمر
وكان إلى المختار جُلُّ اختياره — إلى روضة قد جاورت تربة القبر
سمحنا به فاسمح بكل كرامة — له وتلقى طىَّ نجواه بالنشر
وحُفَّ به الألطافَ من كل جانب — ولا يلتقى عسراً ببحر ولا بَرٍّ
بُنَىَّ وصِلْنِى بالدُّعا كلَّ لحظة — ولا تنسنى فى ساعة منك عن ذكرى
وسَلْ لى الدعا من كل شخص تخاله — تقياً ومن بر ومن عالم حبر
وصل على المختار والآل دائما — وصحب رسول الله أشياعِهِ الْغُرِّ

* * *

وقال رضى الله عنه فى التلخيص للحافظ بن حجر رحمه الله إن العبادلة إذا أطلقوا ، ثلاثة . ابن عباس ، وابن عمر ، وابن مسعود ، وجزم بهذا وكرره، وذكرهم الزمخشرى وغيره كذلك فقلت :

إن العبادلة الأخيار إن ذُكِروا   فهم كما قاله العلامة ابن حجر
الحبر البحر ثم ابن مسعود كما نقلوا   وثالث الكل عبد الله نجل عمر
والمجد[1] زاد ابن عمرو والزبير معاً   ولم يعد ابن مسعود فقيه نظر

* * *

البحر : هو عبدالله بن عباس . وفى القاموس أربعة : ابن عباس ، وابن عمر وابن الزبير، وابن عمرو ؛ وقال : وليس ابن مسعود منهم :

وله رحمه الله فى الإيهام :

وفتًى أتانى سائلا   عن كل إشكال خطير
ويقول هل لِى من نظـ   ـير قلت[2] مالك من نظير

* * *

وله رضى الله عنه :

ومليكٍ عنه ما شئت فقل   ما على ذكراه فى ذاك وزر
إذ لأموال الورى فى داره   ولأوزار له كَفٌّ ونشر

* * *

وله رحمه الله فى المراجعة ستة بستة :

وحبيبٍ طول الهجر ولم   يَجْرِ إلا مَدْمَعٌ لى مستمر
ثم وافانى وقد أتلفنى   فاتحاً باب عتاب وهو مُرّ
قلتُ أغاق قال لِمْ قلتُ جفا   قال عمداً قلت عمداً قال صبر

* * *

---

(١) صاحب القاموس المحيط .
(٢) فى الأصل « فقلت » وما أثبتناه هو الموافق للوزن .

وله رحمه الله فى الجناس المركب .

وكم غافلٍ غره مادح بخطبته راقياً مِنْبَرا
تبختر تيهـــا لإطرائه ونازع فى الكبريا من برا

* * *

وقال رضى الله عنه: وصل إلينا من سيدى العلامة زين العابدين بدين محمد الخالد رحمه الله هذا اللغز وهو قوله :

يا عالما قد شاع فينا ذكره وقد عَلاَ فى العالمين قدره
ما اسم رباعى يكون خُمُسُهُ ونصفه بغير شك عشره
فى قلبه نار وطود شامخ وقد يرى مصحفاً مقره
ورفعه حتم وجاز فتحه فى نصبه ولا يجوز جره
واللوح والقلم فيه ظاهر وقد أبيح طَيُّه ونشره
وفيه للبارى مدح وثنـا وفيه حمـده وفيه شكره
يجوز عند الشافعى نقله وعند كل مدِّه وقصره
ولا يجوز نقله فى موضع بلا خلاف قُلُّه وكثره
ليس بمخلوق ولا بخالق ومن يقل ذلك حلَّ كـفره
وليس بالقرآن فافهمه نعم كُرِّرَ فى القرآن أيضاً ذِكرُه
أجب فإنى لك قد أوضحته بنظم عقد جوهرى دره
لا زلت فى عِزٍّ وَسَعْدٍ دائماً فى ظل عيش قد حلا ممره

* * *

فقلت مجيبا عليه :

يا فاضلا وافى إلينا شعره وجاءنا ما قد أجاد فـكره
نظم حلا على اللسان لفظه كما حـلا ضميـره وستره

ما غير ذى ذهن وفكر جيد   يعلن بالتحقيق مايسره

وقد أصابت فكرتى فيا أرى   وما طويت فى نظامى نشره

وذلك القرآن فهو خمسة   فىالوزن لكن دون ذلك زبره (١)

ونصفه (٢) فى سور فى عشره   ثنتان مع خمس فهـذا كسره (٣)

تضمـه فوق عقود خمسـة   من قبل (٤) حشر والحساب حشره

فى قلبه نار صدقتم وكذا   قاف المحيط قد حواه صدره

وقد يرى مصحفاً فى لفظه   كما يرى مصحفاً مقره (٥)

ورفعه تعظيمه وفتحـه   جاز لمن يقرأ منـه كسره

وجره يحـرم إذ فيـه له   إهانة يجـل عنهـا قدره

واللوح فيـه ذكره وطيـه   يجوز للتالى كذاك نشره

والروح قد علمنا فيه الثنـا   له الثنا وهو العظيم بره

ونقله عند الجميع جائز   فكيف خص الشافعى دوره

وقلت أيضاً لا يجوز نقله   بلا خلاف قله وكثره

أراك تعنى حمله لراحل   إلى ديار من تناهى كفره

لا نقـله تلاوة لمن به   جنابة فالخلف شاع ذكره

فى كونه ليس بمخلوق ولا   بخالق من قال حلى كفره

وقلت ما القرآن تعنى فلقد   حار هنا على اللبيب فكره

تريد ليس لفظه منفرداً   عن المفاهيم فهـذا قدره

---

(١) أى : كتبه .

(٢) أى نصف عدد سوره سبع وخمسون وهو النصف الأول إلى آخر سورة الحديد ، والنصف الثانى من « قد سمع » ثلاثة أجزاء ، عشر القرآن ، باعتبار الأجزاء .

(٣) أى كسر سبع وأعشاره خمسون .

(٤) أى من « قد سمع » عشر القرآن لأنه ثلاثة أجزاء .

(٥) أى مصحفا لفظا ومعنى ، كما إذا أردت «قره» المتردد بين الحيض والطهر ، فتصحيف لفظه أن القرآن العظيم مفرد ، وهذا مثنى ، وأما معنى «فقره» الصحائف أى المرقوم فيها .

بل المراد اللفظ والمعنى كما أشعرنا بما ذكرنا شعره
فهل أصاب الفكر فيما قاله أم لا ؟ فعذراً فالقصور عذره

* * *

وله رضى الله عنه ملغزاً إلى المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله :

أىُّ ضميرٍ بارزٍ ولا يرى مستترا
وإن تشأ أعربته إعراب جمع كُسِّرا
وإن تشأ فثنِّه وجمعه قد ذُكِّرا
حيناً يرى معرفا وتارة مُنكَّرا
أين لبيب عارف يُظهِر ماقد أضمرا

* * *

فأجاب رحمه الله :

يأيها المولى الذى بعلمه فاق الورى
ألغزت فى اللفظ الذى ضميره قد ظهرا
حروفه أربعة إن كُتِبت بلا مِرا
إن عوض الأول منها ألفاً وحررا
أراه من ألقاب مَنْ أجاد فيما أضمرا
وإن حذفت لامه منه وحرف أُخرا
أنبأ عن ضم فهل كشفت ماقد سترا

وله رحمه الله فى حصر معانى الأمر ، وهى ستة عشر

رشاً[14] دمى أباح وأوجب[2] فتنتى وطوى لى التهديد[3] فى انذاره[4]
وامتَنَّ[5] بالإكرام[6] وهو يهنينى[7] فإذا ندبت[8] فَقُلْ قَتيلُ عِذارِهِ

أعجزت[٩] قلبى أنت محتقر[١٠] له سويت[١١] وقتى ليله بنهاره

صيرتنى[١٢] خبراً ليسخَرَ[١٣] بِى الْعِدَا بلغ الْعدوُّ مناهُ[١٤] فى مضماره

فلأُدعونّ[١٥] أقول يامَنْ أمرُهُ كن لا تعذب[١٦] من صليتُ بناره

* * *

وله رضى الله عنه فى تشبيه المصطكى عند طفوه على القهوة :

طفا على قهوتنا المصطـكى نخالته من لونه الأزهرِ

شَبِيهَ سلطان مَضَى حـكمه فما يرى فى كاغدٍ أحمر

* * *

وله رحمه الله مشيراً إلى ما نظمه المولى محمد بن إسحق رحمه الله فى ذلك التشبيه :

رأيت تشبيه مولانا فقلت لقد أتى بنوع من التشبيه مبتـكَر(١)

أما أنا فرأيت الـكأس راحته تجود بالتِّبْرِ أحياناً وبالدُّرر

وتارة خلعـــاً منه مطرزة تعلو على كل ذى لون من البشر

مذ جاور البحر كأساً من أنامله أبدى عجائب قد دقَّتْ عن النظر

قد قيل جاور بحراً تغن أو ملـكا ففاز إذ جاور الأمرين بالظفر

فلا تلمنى إذا شبهت راحته بالـكأس وهو عيون المال لا المطر

* * *

وله رضى الله عنه فى جمع الأسماء الحسنى ولم يكتب منها إلا مارقم هنا :

قف وقفة العبد الذليل الحقـير بباب مولاه العزيز[١] الـكبير[٢]

قف قائلا سراً وجهراً له هذا مقـام العائذ المستجير

بالملك[٣] الحـــق[٤] الإله[٥] الذى له الثنا وهو العظيم[٦] القدير[٧]

---

(١) وهو قوله : وهو أول من اخترع هذا التشبيه .

ناولنى الدُّم الأغن قهوة ردت لى النشا بعد ماذهب

طفا عليها المصطـكى فأشبهت فص عقيق فيه نقش من ذهب

وقد تبعه جماعة كثيرون من آل إسحق رحمهم الله .

الواحد[٨] القدوس[٩] سبحانه ... الخالق[١٠] الرب[١١] الكريم[١٢] الشكور[١٣]

الحكم[١٤] العدل[١٥] المجيب[١٦] الذى ... كل عسير فلديه يسير

الماجد[١٧] القهار[١٨] والواحد[١٩] التوا ... ب[٢٠] تب تلق لديه الحبور

راقبه فيما أنت آت به ... فهو عليم[٢١] وسميع[٢٢] بصير[٢٣]

وإنه الحي[٢٤] الولى[٢٥] المميت[٢٦] ... فثق به فى كل شأن خطير

ليس يخاف الفقر من ربه ... هو الغنى[٢٧] المغنى[٢٨] اللطيف[٢٩] الخبير[٣٠]

هو السلام[٣١] المؤمن[٣٢] البر[٣٣] من ... إليه لا غير يكون المصير

الأحد[٣٤] الفرد[٣٥] الرشيد[٣٦] الذى ... من وصفه النور[٣٧] ومنه الصبور[٣٨]

الهادى[٣٩] الباق[٤٠] الحليم[٤١] الذى ... من حلمه ستر جميع الأمور

الخافض[٤٢] الرافع[٤٣] من شاءه ... القابض[٤٤] الباسط[٤٥] وهو الغفور[٤٦]

الصمد[٤٧] المقصود فى كل ما ... ترجو من دفع جميع الشرور

رازقنا[٤٨] هل نختشى فاقة ... وكل مخلوق إليه فقير

المحصى[٤٩] المبدى[٥٠] المعيد[٥١] الذى ... بنفخة يبعث من فى القبور

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه فى جمع صيغ الأدا من الصحابى رضى الله عنه :

لفظ الصحابى إذا روى خبراً ... عن البشير النذير خير بشر

سمعته ثم قال ثم أمر ... ثم أمرنا وقيت كل ضرر

ثم من السنة ثم عنه وذل ... كانوا وكنا مقيداً بخبر

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه :

بالأمس تقسم لى بِأَنْ سَتَصُونُنِي ... وتصون ما أُلْقِي من الأخبار

واليوم صرت تَشِيعُه وتذيعه ... فلأنت غِرٌ بال على الأسرار

☆ ☆ ☆

وقال قدس الله روحه :

صار عند استعمال الطيب وشم رائحته يصلى من شمه على المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فسئلت هل ورد بذلك أثر ؟ فقلت : لا أعرفه ، ثم خطر لى هذان البيتان فقلت :

يقولون هل عند الطيب يذكر أحمد   فهل عندكم من سنة فيه تؤثر
فقلت لهم لا إنما الطيب أحمد   فنذكره والشيء بالشيء يذكر

* * *

وقال رضى الله عنه مجيباً على المولى العلامة محمد بن إسحق رحمه الله عن أبيات عتاب للبدر وإخوانه وأولاده من آل إسحق رحمهم الله كيف طاب لهم التنزه فى الرياض وإخوانهم في السجن :

نظامك وافانا فضاق به الصدر   وضاق علينا المنزل الرحب والْبَرُّ
وحَقِّكَ يا بَدر العلى ليس مُشرِقاً   لنا مجلس قد غاب عن أفقه البدر
ولكننا لما أُصِبنا بفقدكم   ومد عليكم ذلك العمر
فزعنا إلى الروض الذى منه خُلقكم   عسى يتسلى بالنظير لنا الفكر
فما زادنا إلا جَوًى وصَبَابَةً   ومن نار شوق كاد يحترق الزهر
على أنه لولا رجاء خَلاصِكم   سريعاً لذاب القلب مماجنى الهجر
ولكننا فى كل حين ولحظة   نُرَجِّى لكم قرباً يجود به الدهر
فتنجاب عنا ظلمةُ الهجرِ والنَّوَى   ومن خمرة اللُّقيا يَحِل لنا الشكر
ونغفر للدهر المسيء ذنوبه   ونلبس هذا الكون مانسج الشكر

* * *

مما وجد منسوباً للبدر رضى الله عنه ولم توجد فى حرف الراء فى الأم وإنما ألحقها القاضى العلامة محمد بن عبد الملك رحمه الله فى آخر الديوان لكون المحل فى الأم ضيقا وأنا نقلتها هنا :

سماعاً عباد الله أهل البصائر ... لقول له ينفى منام النواظر
فشقوا ثياب الصبر عند سماعه ... وصبوا من الأجفان دمع المحاجر
ولا تحسبوا هذا وفاء بحق مَنْ ... تقضى وأضحى فى مضيق المقابر
فقد قام ناعى الدين فيكم منادياً ... بأرفع صوت فوق أعلى المنابر
وأسمع سكان البسيطة كلها ... فما مؤمن للسامعين بعاذر
أوقر على الأسماع أم فى أكِنَّةٍ ... قلوبُ البرايا أم عَمًى فى البصائر
أيدفن فيما بينكم شَرْعُ أحمد ... ويهدم من بنيانه كلُّ عامر
ولم يُرَ محزوناً عليه كأنما ... دفنتم عدواً فقده غير ضائر
ثكلتكم أين التناصح للهدى ... وأين التسامى لِلعلى والمفاخر
أضعتم وصايا المصطفى وهجرتم ... طريقته فى نهيه والأوامر
وجئتم بأمر منه يبكى ذَوُو الهدى ... ويضحك منه كل رِجْسٍ وخاسر
وتشمت من أفعالكم كلُّ ملة ... ويصبح مسروراً بها كل كافر
فيا عصبةً ضلَّتْ عن الحق والهدى ... ومالت إلى أفعال طاغ وفاجر
بأى ملوك الأرض كان اقتداؤكم ... فما لكم فى فعلكم من مناظر
أنافَسْتُمُ الحجاج فى قُبْحِ فعله ... ففعلكُمُ فى الجور فعلُ مفاخر
يفديكم إبليس حين يراكُمُ ... يقول بكم والله قَرتْ نواظرى
نبذتم كتاب الله خلف ظهوركم ... ولم تعملوا منه بنص وظاهر
خراجيةً صَيَّرتم الأرض كلها ... وضمنتم العمال شر المعاشر
لذاك الرعايا فى البلاد تفرقت ... وفارقت الأوطان خوف العساكر
وقد رضيت بالعُشْرِ من مالها ما ... وتسعة أعشار تصير لعاشر
فلم تقنعوا حتى أخذتم جميع ما ... حوته وما قد أحرزت من ذخائر

إذا سئلت عن جوركم وفعالكم … أجابت علينا بالدموع البوادر
فقل لقضاة السؤلادَرَّ درُّهم … أمالكم فى نصحهم سهم قامر
أما أخذ الميثاق ربى عليكمُ … بأن تنصحوا بالحق أهل المناكر
قنعتم بأخذ السحتِ منهم وبالرُّشا … ودافعتم عنهم بسيف للعاذر
معاذير راجت عند إبليس لاسوَى … وما هى إلا ضحكة فى المسامر
وقلتم لمولى الأمر يأخذ مالهم … إذا ما عليهم خاف سطوة جائر
وما خاف مولاكم عليهم وإنما … غدا منفقا أموالهم فى العمائر
ويأخذ بالمنقول منهم عقارهم … ويعرض عما قد تلى فى التكاثر
ويَكْنِزُ ما فيها لِيُكْوَى جبينُه … مع الظهر منه يوم كشف السرائر
ويا عصبة من هاشم قاسمية … إلى كم ترون الجور إحدى المفاخر
ومن دون هذا أخرج الترك جَدكمُ … ولو عاش أخلاكم بِحَدِّ البواتر
وأحللتم ما حرم الله جهرة … وشر ذنوب الخلق ذَنب المجاهر
وجوزتم أخذ المكوس بأرضنا … وتوفيرها ظلماً على كل تاجر
وقلتم نرى فيها مصالح للورى … ورَبُّكمُ أدرى بكل الضمائر
تساويتم فى كل قبح فعلتمُ … أكابركم فى فعلهم كالأصاغر
أأحْلَلْتُمُ أخذ الزكاة وأكلها … كإحلال أهل السبت صَيْدَ الجزائر
ورديتم نَصَّ الكتاب بمنعكم … فقيراً وإعطا الغنى المكاثر
أتيتم بأصناف الضلالات كلها … وجئتم بأنواع الأمور المناكر
وأما الجزاءات التى كُلَّ ليلة … تسمى سياراً وهى إحدى الفواقر
ففى بردقان أنفقت وحشيشة … وخمر لخمار ولهوٍ لسامر
لقد أثِرَتْ هذى القبائح بينكم … وقد ظهرت فى كل بادٍ وحاضر
لما قد رأينا فى الحسين بن طالب … وتقطيعه مُلْقًى بجنب المقابر

وبان لكم من غير شك غريمه ... ولكن طرحتم فوقه ثوب ساتر
وحابيتم الجانى لأجل قرابةٍ ... وخشيةَ أن يُخزِيكمُ فى المحاضر
أكابركم قد مُيِّزُوا لصلاحهم ... وإغضائهم عن موجبات الأوامر
بأقطاعهم ما حرم الله أخذه ... فسحقاً وبعداً بعد ذا للأكابر
وأشنع خَطْبٍ ما يقول خطيبكم ... من الكذب المنشور فوق المنابر
منابر كانت للمواعظ والهدى ... فما بالُهَا عادت لسُخْرَةِ ساخر
ملأتم بلاد الله جوراً وجئتُم ... بما سُوِّدتْ منه وجوهُ الدفاتر
ووليتم أمر العباد شراركم ... وخَوَّلْتُم أعمالكم كل ماكر
وقد كنتم ترمون من كان قبلكم ... بظلم وجور قد جرا فى العشائر
وقلتم نرى المهدى قد بان جوره ... لكل سميع فى الأنام وناظر
صدقتم لقد كان الظلوم وإنما ... بظلمكمُ قد صار أعدل جائر
فكل فتى قد كان يشكو فعاله ... وسيرته قد صار أحسن شاكر
وما أخذ الأوقاف قط ولا اشتكت ... مساجدنا فى عصره كفَّ قادر
ولا أمر الشجنى يأخذ مالها ... فيا بئس مأمور ويا خِزْىَ آمر
فَبِالأَخْذِكم قد اغلِقَتْ من مدارس ... وكم من سبيل قد غدا غير عامر
وكم فى زَبِيدٍ أغلقت من مساجد ... وأغلق فيها مسجد للأشاعر
وفى آنس كم قريةٍ قد تعطّلتْ ... مساجدُها عن كل تالٍ وذاكر
ولو تشترى تلك المساجد باعها ... ببخس وما بالَى بصفقة خاسر
ويا وزراء السوء ياشر فرقة ... وأخبث أعوان لناهٍ وآمر
إلى أى حين فى الضلالة أنتمُ ... جهلتم بأن الله أقدر قادر
أما بالحريبى الشقى اعتبرتمُ ... فى فعله للخلق أعظمُ زاجر

هو الرأس فى كل الضلالات كلها ... وأول من شاد الضلال لآخر
ولـكنـكم جئتم بأضعاف ظلمه ... وزدتم على ماشاده من مناكر
وقلتم نرى الأجبار أموالهم لهم ... خذوها عليهم ياولاة البنادر
ولـكن دعـوا آل الخليفة كلهم ... وأعوانه من حاكم ومؤازر
ومن خفتم من شره وفساده ... كردمان وابن الحاج أهل العشائر
فما يفعل الدجال مثل صنيعكم ... فلا تشتموا من بعد هذا بكافر
فأفعالـكم لو رمت حصراً لعدها ... لأفنيت فى الدنيا مِدَادَ المحابر
وياعلماء الدين مالى أراكمُ ... تغاضيتم عن منكرات الأوامر
أماالأمر بالمعروف والنهى فرضكم ... فأعرضتمُ عن ذاك إعراض هاجر
فإنهم عَصَوْكُمْ فاهجروهم وهاجِرُوا ... تنالوا بنصر الدين أجر المهاجر
إذا كان هذا حال قاض وعالم ... وحال وزير أو أمير مظاهر
ولم تنتهوا عن غيكم فترقبوا ... صواعق قهار وسطوة قادر[1]
فـما الله عما تعملون بغافل ... ولـكنه يمـلى لطاغ وفاجر
وقـد أرسل الآيات منه مخوفاً ... ولـكن غفلتم عن سماع الزواجر
رماكم بقحط ماسمعنا بمثـله ... وحبس سحاب بالإغاثة ماطر
أجيبوا عباد الله صوت مناصح ... دعاكم[2] بصوت ماله من مناصر
وقوموا سراعاً نحو نصرة دينـكم ... إذا رمتم فى الحشر غفران غافر
وحسن ختام النظم أزكى صلاتنا ... على المصطفى والآل أهل المفاخر

* * *

(١) وفى نسخة بدل « قادر » « جائر » وما أثبتناه هو الأليق بالمقام .
(٢) دعاكم ، أى الدين .

قافية الزاى المعجمة

قال المعرى :

كم غودرت غادة كعاب وعمرت أمها العجوز
أحرزها الولدان خوفاً والقبر حرز لهـــــا حريز
يجوز أن تخطى المنايا والخلد فى الدهر لايجوز

☆ ☆ ☆

فقال مولانا البدر رضى الله عنه مجيبا على البيت الأخير :

والله ما أخطت المنايا ولا عليها الخطا يجوز
وإنما خالق البرايا الواحد القاهر العزيز
قَدَّرَ آجالهم كما شا الطفل والكهل والعجوز
فمن تعامى وكان أعمى أنَّى لِنَيل الهدى يحوز

☆ ☆ ☆

قافية السين المهملة

وكتب إليه رحمه الله المولى العلامة الكامل ضياء الدين إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله من قصر صنعا وهو فى الاعتقال عقيب وصوله أميراً من بندر المخا وذلك فى عاشر جمادى الآخرة سنة ١١٤١ ﻫ أبياتا بديعة وأرسلها إلى البدر رحمه الله إلى شهارة على خفية من العيون يصف فيها بعض ما نزل به من الدهر الخؤون ويعتذر عن المعاهدة فأجاب عليه مولانا البدر رحمه الله نظما ونثراً لا يحسن ترك مثله هنا وهو :

إن فى إلباس القلب الصبر لسلوة ؛ وإن فى النظر فى أخبار من سلف لأسوة ؛

ولولا كثرة الباكين حولى على إخوانهم لقتلت نفسى

☆ ☆ ☆

عرفتم ماقصه الله تعالى من أنباء يوسف الصديق ؛ من إلقائه فى الجب العميق ،

ومن بيعه بثمن بخس كما يباع الرقيق ، ومن كيده بالفاحشة ، وشهادة قميصه له بالبراءة بلسان التمزيق ، ومن إيداعه فى السجن بضع سنين فى نهاية الضيق ، ثم آل أمره إلى أن ملك الرقاب كلها ، وألقيت إليه مقاليد الأمور دقها وجلها ، وشرقت شمس الفرج بعد ظلمة ليلة الامتحان ، وعلل بالتقوى والصبر ذلك العظيم من الامتنان[١] فعليك أيها المكروب بالصبروالتقوى ، إذا أحببت أن ترتشف كؤوس الحلوى عند كشف هذه البلوى ، ويعظم الفرج بعظم الصبر ، والصبر يعظم بعظم البلية ، وأشد البلايا السجن للنفوس الأبية ، لذلك خصص الصديق بالذكر فى قوله ، أخرجنى من السجن تعظيماً لهذه المنة ، وفيه أى دليل على أنه من أشد ما أصيب به من المحنة ، ألا تراه لم يذكر نجاته من الجب المظلم ، ولا خلوصه من الرق المؤلم ، ليرشد إلى عظم هذه المنة ، كما أرشد سليمان إلى عظم ذلك عند تهدد الهدهد بقوله ولأسجننه[٢] ، وليس هذا منى تعظيماً للمصيبة بل استجلابا لسحائب الصبر المظلمة على ساحة القلب ، المذهبة لحرارة الكرب ، كما أنى كثيراً ماأذكر قول الصديق، «وجاء بكم من البدو» تعظيماً منه على هذه المنة ، كما عظم ماقرنها بها ، فخصص هاتين المنتين من بين المنن التى من الله عليه وعلى قرابته بها ، من رد بصر أبيه ، وقبول توبة إخوته ، وغير ذلك إرشاداً منه إلى عظم الاجتماع بالأحبة ، بعد الافتراق فأنا أوطن نفسى فى الصبر على الغربة ، طمعاً فى نيل هذه المنة ، فقد تشاركنا نحن وأنتم فى هاتين الغربتين وخص كل واحد منا بأحد الطرفين ، وعن قريب تنقشع سحابة هذا الاغتراب ، ويخرج من السجن من به من الأحبة مصاب ، ونقول كما قال :

وعاقبـــة الصبر الجميل جميلة وأحسن أخلاق الرجال التجمُّلُ

* * *

ونقول:فهذا شأن رأس أسوة المسجونين ، وكم عدد لكم من عظماء أهل البيت المطهرين ، آخر من شاهدناه ، ، والدكم العلامة البحر ، سليم القلب البر، إتفق له فى أيام ابن عمه[٣] ، ما يقال لكم فيه ، وصاحب البيت أدرى بالذى فيه. وكم من إمام صده السجان عن نظر البرق ، وحجب عنه غربها والشرق ، كمن قال :

---

(١) حيث قال «أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر الآية » فجعل التقوى والصبر علة الامتنان .

(٢) التلاوة « لأذبحنه »

(٣) هو المتوكل القاسم بن الحسين سجنه ثلاث سنين أو أقل .

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى ... برقٌ تألق موهنًا لمعــانُهُ
يبدو كحاشية الرداء ودونه ... صعب الذرى متمنعاً أركانه
فدنا لينظر كيف لاح فلم يُطِقْ ... نظراً إليه وصــــده سَجَّانُهُ
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه ... والمــاء ماسحَّتْ به أجفانه

* * *

أنشده أبو الفرج فى أغانيه لبعض من لسعته من العلويين أفاعى أعاديه على أن هذا شيخكم لم يخض مع الخائضين، ولم يضرب بسهم مع الرؤساء ولا المرءوسين، أركبه الدهر غارب الاغتراب ، وأفرده عن الديار ، والأحباب ، لم يزل تترامى به الديار، حتى كأنه كرة فى كف الليل والنهار . .

كأنما صيغ من حَلٍّ ومرتحل ... موكل بفضاء الأرض يذرعه

* * *

حتى أنهاه إلى شامخ تعتد على هامته عمائم الغيوم ، ويلتمس من ساحته ، دارى النجوم ، لايرقى إليه العقاب ، ولاينزل الأرض إلا من ذروته السحاب .

أصاحب فيه البوم والنسر والقطا ... وصحبتها للمرء أجدى وأجدر

* * *

حاشاه ماجداً أنسانا بالأوطان ، بما أسبل من محاسنه والإحسان تنشده لسان المقال ، ولايبلغ فى وصفه القول وإن طال . .

ولاعيب فيه سوى أن النزيل به ... يلهو عن الأهل والأوطان والحشم

* * *

ذلك بقية الآل . ونور حدقة الكمال ، شرف الإسلام ، الحسن بن القاسم ابن الإمام ، أطال الله أيامه ، وأدام إنعامه ، وإخواناً مؤمنين ، يرتشفون لدينا كاسات العلوم ، ويذا كروننا مذا كرة أولى الفهوم ، ويذكروننا تلك الأيام ، التى نام عنا الدهر فيها ، ثم استيقظ من نومه يحاسبنا عليها نحن وأنتم نتساقى كؤوس التحقيق ، ونستنشق أريج رياض التدقيق.

أيامَ نحن وما يُخشى تفرقنا ... واليوم نحن وما يرجى تلاقينا

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا ... بأن نغص فقال الدهر آمينا

* * *

ألا إن الله ــ وله الحمد ــ جبر ألم الفراق ، بترياق هذه الأوراق ، فلقد صارت تسلى القلوب ، وتنزل منزلة لقيا المحبوب ، ولقد وافانى رقكم الذى يسترق الأفكار ، ونظامكم الذى لا يقاس به شىء من الأشعار ، ولولا تقاضى الجواب ، لما جرى قلمى بحرف من هذا الخطاب المسوق فى قالب هيئة النظام ، وليس منه بل ولا يعد من الكلام . .

أنارُ تَشَكٍّ ألهبت طىّ قرطاس ... لقد أحرقت قلبى المعنَّى وأنفاسى

لك الله أحرقت الفؤاد تعمداً ... وأنت مقيم فيه فى ربع إيناسى

بمجالسكم فكرى ويلهو بذكركم ... إذا أنا فرد أو بساحة جلاسى

أفكر فى دهر تغير طبعه ... فجاء بأنواع تسوء وأجناس

هو الدهر هذا طبعه مذ عرفته ... يقدم أقدام الأنام على الرأس

أظن به صرعاً شديداً أصابه ... فهل من طبيب يعرف النبض جساس

وإلا فهل قيد وزند وكية ... وشد له من بعد هذا بأمراس[1]

سقى الله إذ كان الزمان بعقله ... وإن كان فيه الطيش من عصر إلياس

وكانت توافينا رقاعك روضة ... تبسم بالمنثور والورد والآس

يباكرنا عُرْفُ النسيم بنشرها ... فنعرفها من قبل لمس لقرطاس

ونرقب إتيان الرسول كأنما الن ... سيم رسول كان من جملة الناس

فما بالها عادت سموماً وعادت الر ... قاع أفاعٍ محرقات لأنفاسى

خليلىّ رفقاً إنما القلب مضغة ... أتحسبه فى مهجتى جبلاً راسى

على أنه لو كان صخراً لدكَّهُ ... نِظَامُ رِثَا الخنسا منه كمقياس

ألم يكفنى أن الزمان يظننى ... له كرة يرمى بها كل ديماس[2]

---

(١) المرس : محرك «الحبل» جمعه «مروس» وجمع الجمع «أمراس» عن القاموس .

(٢) الديماس ــ بالكسر ــ الكرة والسرب عن القاموس وجمعه دياميس .

وأن الليالى صولجـــان بكفه ... يخاذف بى عمداً على غير مقياس
فطوراً بأعلى الشامخات وتارة ... ببطن قفار بين وحش ونسناس
وحيناً يوافينا بكل مغفّلٍ ... وحيناً بإخوان كرام وأكياس
على أنه ماالعيش من بعد فقدكم ... بعيش وليس الناس عندى بالناس
ولا الشمس بالشمس المنيرة فى الضحى ... ولا البدر بالبدر المنير بأغلاس
ولا الليل بالليل الذى كنت آنفاً ... يوافى بنوم طيّبٍ مُثْقِلٍ راسى
وليس نهارى بالنهار الذى مضى ... قد التبسا من بعدكم أى إلباس
أرى الدهر عمداً حزّ مارِنَ أنفه ... وأنف العلى من غير جرم بأمواس
وألقى عن العلياء حلّةً جيدها ... وألبسها أثواب ثُكْلٍ وإبلاس
فصبراً على ماالصبر يعجز دونه ... ففى الصبر رَوْحٌ للحزين وإيناس
وما الدهر إلا غالط ولربما ... تذكر من قرب كما يذكر الناسى
فثق بالذى تهوى سريعاً معجلا ... ولا تقطعنْ حبل التَّرجِّىَ بالناس
وكم قــد رأينا بالمحاق أهلة ... تجلت بلا طَبٍّ هناك ولا آس
ولـكن بأقدار يقدرها الذى ... له الأمر فى الأكوان من غير إلباس
فنادِ به سراً وجهراً فإنه ... مجيب سيجلو كل هم ووسواس
ترقب منه غيث لطف ورحمة ... تطهر هذا القطر من كل أنجاس
ويخضر منه روض علم وحكمة ... ويصبح أمر الدين مافيه من باس
ودونك نظماً قد عرى عن تغزل ... ولطف ومن شكوى الزمان غدا كاسى

* * *

وكتب إليه رحمه الله المولى العلامة العلم القاسم بن الحسين بن إسحق رحمه الله نظماً ونثراً صحبة رسالة له فى المطلق والمقيد فأجاب رضى الله عنه فى يوم وصول المرسل منه نثراً وهو هذه مولاى أعزك الله، وصلنى مالاأستطيع أن أصفه ، ولايطيق فكرى أن يدخل غرفه ، ولا يهتدى فكرى الضئيل ، إلى ولوج ذلك الظل.

الظليل ، ولا يدخل تحت لفظى الحقير ، أن يجد عبارة تؤدى ما يستحقه ذلك القادم من التبجيل والتوقير ، وقد كنا قديماً عرفنا الآداب ، ورأينا ما يدور بين المنشئين والكتاب ، وسمعنا مطارحة الأدباء ، ووقفنا على ما انتقاه صاحب ريحانة الألبا ، وزهرة الحياة الدنيا وطالعنا ماجمعه صاحب اليتيمة ، من كل درة يتيمة ، وعرفنا مافى ذخيرة ابن بسام ، من بدائع أهل المغرب فى النثر والنظام ، وارتشفنا من سلافة ابن معصوم ، كاسات مترعة من المنثور والمنظوم ، فلا وحرمة الآداب ، وما أظن على ذهنى من ملح الكتاب ، ما قرع سمعى ، ولا دخل ربعى ، ولا رأت عينى ولا تشنفت أذنى ، بأشرف من مرقوم ، ووافانى عند الإشراق ، يتهادى بين الجزالة والسلاسة فى ذلك المهراق ، قد مزج فيه النظام ، بدر النثر ، فرأيت الروض حف فيه الأكمام ، بالزهر ولم أفز إلى الآن بعين تسريح طرفى فى سطوره ، واجتلا سواد عينى لبياض منظومه ومنثوره ، واكتحال أجفانى بأنوار ذلك الخط الباهر ، أماوأن طرفى أطاق افتضاض بكر تلك الألفاظ ، أو أحاط علماً بذلك الروض الناضر ، فلاومن جعل من البيان سحراً ، ولاأظنه يطيق الفكر الصحو من سكرتلك الألفاظ شهراً ، فأطلب من مولانا أيده الله ، كمال الإمهال عن الجواب حتى يذهب هلال ، ويبدو هلال ، والله يحرس تلك الذات الملكية ، ويديم رياض تلك الأخلاق الرضية وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ثم أجاب الوالد البدررضى اللهعنه نظماً فى غرة محرم سنة١١٥٦هـ ستوخمسين ومائة وألف وكتب رسالة جواباً على الرسالة الواصلة إليه فى ذلك البحث فقال :

شرفتنى ببديع طرسك وسقيتنى من دَنِّ دِبْسِك
أطلعت فى أفق البـــلا غة من نظامك نور شمسك
عجباً لشمس أشرقت أنوارها بظـلام نفسك
أحييت ياعَـلَمَ العـلى بيتالقريض بروح طلسك[1]
قل للنظام وقد ثوى قم نافضاً لتراب رمسك
قد عاد روحك يا قريـ ض وصار يومك فوق أمسك
أصبحت روضاً ناضراً بعد لذوا وطوال يُبْسِك

(١) الطلس ـ بالكسر ـ الصحيفة .

وغدوت فى حُلَلِ البلا غة رافلا من بعد خلسك
وحويت جوهرها الفريـ ـد وأصبحت فصلا لجنسك
أوَ لاترى ماجاء منـ ـه نخـذ صحيفته وأمسك
وافى لتقرير القـوا عد قاصداً تصحيح أُسِّك
وأتى بتسهيل الفـوا ئد شارحاً آثار قُسِّك
فيقين أرباب العلى عند المحقق دون حدسك
وكذاك أشعار الورى فنضارها فى وزن فَلْسِك
فلكم بتعليق الفوا ئد أشرقت أجياد طِرْسِك
لازال من أوراقه يُجْنَى لنا أثمار غرسك
وبقيت فى روض الهنا تفترُّ منه ثغور أنسك

* * *

يقبل الروضة التى علاها بالمعارف مورق ، والعقوة التى أسفلها بالعوارف مغدق ، روضة العلوم والآداب ، لا روضة النخيل والأعناب ، روضة الأدب الغض ، ونهر البلاغة المرفض ، وإذا عظم الشأن ، عدل عن تقبيل الأكف إلى تقبيل الحيطان .

تقبل أفواه الملوك بساطه ويكبر عنه كمه وبراجمه

* * *

بل إذا اشتد الولوع ؛ قبل ما أحاط من الربوع .

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدار

* * *

كيف تقبل السحاب الهاطلة ، كيف تقبل يداً طوقت أياديها الأجياد العاطلة ، كيف تقبيل بحر يقذف بالدرر ، كيف تدنو الشفاة من كف أخجل نداه المطر ، كف إذا رقم الأسجاع ، أتى بمالايستطاع ، أونظم القريض ، أعاد بقاع أهل الأدب إلى الحضيض ، وقذف إلى الأسماع دراً ، وحقق للناظرين أن من البيان لسحراً ، بينا أنت ترى الأوراق فى الحديقة أراق الحديقة ، فى الأوراق على الحقيقة ، يخيل

إليك أنه أعيد بديع الزمان ، وأن تلق ما يلقيه يراعيه لاقيت قسا وسحبان ، كل من حاول مجاراته عد متجارياً ، وكل من تعرض لمعارضته فقد جهل قدر نفسه وزاد فى جهله تمادياً ، ولذاوثبت إلى الدعاء لمولانا العلامة الحلاحل ، وبحر العلوم والآداب الذى ليس له ساحل ، علم الأعلام ، وصفوة أئمة الإسلام ، القاسم بن الحسين ، صان الله كمالاته عن العين ، كما صانها من كل عيب وشين وأحيا بحياته العلوم ، وأينع من أغصان أقلامه طيب كل منثور ومنظوم وأعاد بدروسه المدارس الدارسة ، وقيد بذكاه أوابد المعانى حتى تصير آهلة آنسة ، وأطلع شمس درايتـــه فى الآفاق ، ورفع راية روايته على كل لواء خفاق ، حتى يقول من لاقاه إذا اكتحل طرفه بأنوار محياه .

ولقيت كل العالمين كأنما　　رد الإله نفوسهم والأعصرا

* * *

ولازال رافلا فى حلل الكمال ، لابساً لخلع الفضل التى لاتنسج إلا من الإعظام والإجلال ، ولا برح مطلعاً علينا من أفق كماله ، شموس إحسانه وأفضاله ، فنطالـع من مطالعه بحوراً تقذف بالدرر إلى الأسماع ، وتأخذ من نغمات عباراته طرباً يحل بالإجماع ، لا يضرب بوتر ، ولا يختص بسمر ، شعراً :

قطف الرجال القول قبل نباته　　وقطفت أنت القول لما نوّرا

* * *

هذا وإن وافانا الجامع لجوامع الأنس ، والأخذ بمجامع النفس ، ماهوعلى صفحات الفؤاد من كل عذب ، أعذب ، وما هو إلى مخبآت الضمائر من كل طيب أطيب ، فأعاد لنا فى الكهولة زمن الصبا ، وأهدى لنا روح نسيم الصبا ، فلله روضه الأريض ما أطيب جناه ، ولله خطه القويم ما أجمل محياه ، ولله لفظه ما أعذبه على الأفواه وحبذا حبذا ما تضمنه معناه ، من كل معنى قد حوى أعلاه وأنهاه ، وقد شفع وتره بالأبحاث التى دقت معانيها ، ودقت ألفاظها ومبانيها ، وأدرت من كؤوس التحقيق مايسكر الأذهان ، وأوقدت من جمار الأشكال مايوقظ الوسنان جمعت بين المتقابلين جلالة ودقة ، وأوجبت لسامعها الصفتين جزالة ورقة ، لو قرعت أذهان الفحول من أئمة الأصول ، لأقروا بأن ذلك مما لايحصله صاحب الحاصل ولا المحصول ، وإنه

لا يفتض بكرها ذهن الآمدى ، وإن طال به الأمد ، ولا يقترعها القرافى وإن برز بدقة نظره على كل أحد ، وقد جرى طرف فكرى فى مقيدها والمطلق ، وطار إلى سماء تحقيقها طائر ذهنى وحلق ، حتى آنس من جانب طورها ناراً ؟ ؛ أضاءت له منها مهامها وقفارا ، فاهتدى بها إلى التوغل فى تلك المهامه الفيح ، حتى أخرج القول السقيم من الصحيح ، وحل على دعواه عقال الأشكال ، وفض من ختامه الأقفال ، وصير ليله نهاراً ، وظلمته أنواراً ، ووعره سهلا ، وعلقمه عسلا وخله خمراً ، وحشفه تمراً ، لجناه اليراع إلى أطباق الأوراق ، وقدمه إلى المولى الذى لا يعترى بدر إنصافه محاق ، راجياً من ذهنه الذى لا يخبو نار ذكاه ، أن يتصفح ما قدمه إليه لسان اليراع وأبداه ، من حل تلك المشكلات ومداواة تلك الأسئلة الواردات ، فإن رآه صحيحاً فما هى إلامن بركات مذا كرته وإن كان سقيماً فمن قصور المجيب وضعف حافظته وذا كرته، وليعذر ــ أبقاه الله ــ عن تأخير الجواب، وإتيانه من بعد ذلك ماشياً فى غير جادة الصواب ، فإنه وافق من الأشغال ، ما يعجز عنه التفصيل بل الإجمال ، والله يحرس تلك الذات المكملة ، والصفات التى هى على صفة كل كامل مفضلة ، والسلام ورحمة الله وبركاته ، على تلك الحضرة العلية ، والروضة الندية .

وله رضى الله عنه :

خبرت جل البرايا وذقت أبناء جنسى
فما رأيت وفياً (وما أبرىء نفسى)

* * *

وله رضى الله عنه جواباً على الفقيه العلامة على بن إسماعيل العبدى رحمه الله لما أنشده البيتين المتقدمين فكتب أبياتاً فى وزنها وكان قدم إلى شهارة أيام بقاء البدر فيها وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة ١١٤١هـ إحدى وأربعين ومائة وألف .

بالله هل نور شمس أطلعت فى أفق طرس
أم جئت بالسحر شعراً لقد تحير حَدْسى
فيا علىُّ أفدنى ياخير أبناء جنسى
ذكَّرْتنى بنظام قد كان عندى مَنسى

قد كان يأتى يراعى بكل نوع وجنس
إذ كان للدهر عقل وحسن فكر وحِسٍّ
وها هو اليوم عارٍ عن عقله غير مكسى
قد عاد حِنِّيَّ دهر من بَعد ما كان إنسى
فغار بحر نظامى وفلك فكرى أرسى
هذى طلائع سعد قد أذهبت كل نحس
تلوح من نور نظم مبشرات لنفسى

* * *

وله رحمه الله جواباً على المذكور أيضاً .

أعدتْ لِيَ الصبا وزمان أُنْسِي بنظم لايقاس بنظم قُس
فعدتُ به كأنى فى أزال أضاحك والدى وأخى وعِرْسِي
جمال الدين وُدُّكَ فى فؤادى وَوُدُّ أبيك حل محل نفسى
حويتم كل مَكْرُمةٍ ولطف وسدتم فى العوالم خير جنس
فنظمكُمُ وخطكُمُ عقود تزين بالمحاسن كلَّ طِرْس
نظام قد عَرَى عنه المعرِّى وخطٌّ لابن مقلة صار ينسى
وسَعْدِى قد أتانى مذ أتيتم وغاب بأنسكم لى كل نحس
وشرفتم شهارة إذ أقمتم بها فكأنها روضات قُدْسِ
وأحيا لى صفيُّ الدين فيها من التحقيق ماقد كان أنسى
فشكراً للزمان فقد حبانى بشىء لايصال إليه حدسى
أتانى بالذى أهواه عفواً ورد تفضلا أيام أُنسى
ودونك من تحياتى سلاماً يزورك فى الصباح وحين تمسى

* * *

وله رضى الله عنه مما قاله فى السجن :

جفانى من قد كنت أهوى اقترابه — وحتى منامى قد جفانى فى حبسى
إذا كان نومى سَاعَدَ الناسَ فى الجفا — فلى ثقة بالله تَقْوَى بها نفسى

* * *

ومما قاله فى السجن أيضاً :

قضيت فى الحبس الشريف لياليًا — لاتعرف الأجفان طيب نُعَاسى
فكأن نومى عن لقاء نواظرى — فى الحبس مثلى عن لقاء أقاسى
لايطرق العينين خوف مطارق — أو خوف أصوات من الحراس
عنه ولكن ليس يأخذ مقلتى — نومٌ ولا سِنَةٌ بغير قياس
يارب عجل بالنجاة وأعطنى — أجراً أفوز به غداً فى الناس

* * *

واجعل فراق النوم نوراً ساطعاً — أنجو به من ظلمة الأرماس

* * *

وله رحمه الله إلى ولده الصارم العلامة إبراهيم بن محمد الأمير رحمه الله وكان فى حدة إحدى متنزهات صنعا حماها الله :

لا زلتمُ فى نفسٍ — فى ليلكم والغلس
وفى النهار إذ غدا — كلٌّ بنور مكتس
فى حدة فحسنها — يغنى عن الأندلس
زهراؤه[1] كزهرة — فى حدةمن نرجس
أنهارها تبلبلت — تحت الغصون الميس
تحسبها راقصةً — بحركات الجرس
مثل الغوانى خلتها — أو كالجوار الكنس

---

(١) يقال إن الزهرا فى الأندلس متنزه بناه الناصر ، ليس فى الدنيا مثلها .

حميسها مـــطرد يطردهم الأنفس

سبحان من أخرجه من حجر مُنبجس

قدضربتأشجارها خيام وَشْيٍ سندسى

فالأصل منها ثابت والفرع مثل الأطلس

هُنِّئْتَ يا صارمنا ما نلتَهُ من نفس

وأذكره بما فى حدة دار النعيم لأنسى

دار أعدت للذى يحسن فعلالا ألبسى

ولا برحت تالياً منزل روح القدس

كلام رب العرش ر ب العزة المقدس

مسبحـــاً معظما ذاك الجناب الأقدس

من كل من فى الكون من

فضـــل الإله المكتس

وصلِّ ما عشت على أصل الهدى المؤسس

محمـد والآل أر باب الكساء الملبس

ألبسهم ياحبـــذا من مُلْبِسٍ ومُلْبَسٍ

ورضِّ عن من بذلوا نفوسهم للأنفس

من الثواب والجزا يا حبذا من أنفس

* * *

وله رحمه الله جواباً على الفقيه الأديب أحمد بن حسين الرقيحى رحمه الله :

صفىَّ الهدى أبدعت فيا نظمته فذاك بنو الآداب بالمال والنفس

إذا الشعراء جاءوا بقرآن شعرهم فشعرك فى أشعارهم آية الكرسى

* * *

وله رضى الله عنه وقد منع بعض إخوانه من الدخول إليه إلى السجن :

أخا الود بعد البعد قلبي ما أنسى   وصالاً لنا قد كان فى السجن من أنسى
ولا بيننا هـذا الذى كان بيننا   ولا دُرِسَ الوقت المشيَّد بالدرس
ولـكنهم أقصوك أقصى مآربى   وأدنوا أناساً صوروا صورة الإنس
وخصوك بالفضل المشتت بيننـا   لأنك فى نوع المعارف من جنسى

☆ ☆ ☆

وله رضوان الله عليه مهنئاً إمام التدقيق وحامل لواء التحقيق . ضياء الإسلام زيد بن محمد بن الحسن رحمه الله بأعراس :

ليهنك إذ زُفَّتْ إليك عروس   من الغيدفى ثوب العفاف تميس
ولاحت نجوم السعد وهى زواهر   وغابت بمن الله عنك نحُوسُ
وجاءك رأس العيد بالوصل مذعناً   لأنك فى أهـل الـكمال رئيس
فطبقت الآفاق نوراً وأشرقت   بدور كمال للهنـا وشمـوس
لقد ملئت كلُّ القلوب مسرةً   وقرت وطابت أعين ونفـوس
فـكل محب وجهـه متهلل   سروراً وبشراً والعدو عبوس
جنيت ثمار الوصل من أغصن الهنا   ووافاك أُنس كامـل وأنيس
ولا زلت فى ثوب المسرة رافلا   تدور بما تهوى عليك كؤوس

☆ ☆ ☆

قافية الضـاد المعجمة

لما ألف المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله نظم الهدى النبوى وشرحه بعد أن أشار عليه مولانا البدر أن يشرحه ، وكان قد طاب منه شرحه ، وكان مقيماً فى شهارة ، وهو أى المولى الحسن فى سجن صنعا ، فكان يرسل إلى مولانا البدر كل أسبوع بما ينظمه ويصلح فيه أشياء ، ويصوب أشياء ، ثم كذلك شرحه ، كان يرسل إليه لإصلاحه حتى كمل الجزء الأول ثم أراد تكميل باقيه وسلوك تلك الطريقة فى إمرار نظر مولانا البدر رحمه الله ، فكتب أبياتاً إلى مولانا البدر قبل الإرسال بما يريد إرساله ، وقد كانت سبقت جفوة عن المعاهدة من الجانبين ، فأجاب عليه الوالد البدر رضى الله عنه بقوله :

أتت وخيول الهم فى القلب تركض ... ورأسِيَ من نار الشواغل أبيض

وقد هيض فكرى من أمور تعاظمت ... فليس إلى شىء من المجد ينهض

وقد كان قِدْماً لا يجاريه ماجد ... ولو أنه يعلو البراق ويركض

فما زال دهرى لا رعى الله سربه ... على كل ما لا أشتهيه يُحرِّض

إذا رمت أمراً مد كفيه شُلتا ... فمالِيَ عرق بعد ذلك ينبض

وأقعدنى عن كل عز أرومه ... وعرضنى قسراً لما عنه أعرض

ويرفعنى فيما يظن وإننى ... أراه برفعى فى الحقيقة يخفض

خلا إنه أبقى لقلبِيَ راحة الـ ... رسائل عندى للأحبة تعرض

أقبلها من قبل فَضِّ ختامها ... وألصقها حينا بقلبٍ يمرض

تجاذبها عينى هناك ومسمعى ... تكاد لها عينى من الكف تقبض

ومد لها قلبى يداً من أهابه ... نخفت عليها ناره فهى ترمض

ولما دخلنا فى رياض نظامها ... رأينا الذى قد كان للعجز يفرض

وعاد إلى الإمكان ما كان قبلها ... محالا وأضحى معجزاً ليس ينقض

وسابقنى بالعذر عن طول جفوتى ... وألطف فيه إذ بقلبى يعرض

نعم أنا عين المذنبين بجفوتى ... وها أنا منكم للرضا أتعرض

عسى عطفة منكم تُكفِّر ما جرى ... فإنى بعذرى عاجز لست أنهض
فقدما عهدنا المكرمات خيامها ... عليك وأما عن سواك تقوض
وأنحلتنى بحراً من العلم زاخراً ... وخوضتنى مالم أكن أتخوض
تواضعت عن عز وأنهضت همتى ... لما أنت منى فى الحقيقة أنهض
فأهلا وسهلا إن أمرك واجب ... علينا كفرض فى الشريعة يفرض
بقيت إماماً للمعالى مملَّكاً ... أزمتها فيما تروم تفوض
سلام على علياك مسكٌ وعنبر ... تطيب به الأكوان إبَّانَ ينفض
وإنى بادٍ إن حضرت وإن أنا ... بدوت فلا أبدى ولا أتعرض

* * *

وقال قدس الله سره حضرت مسجد الأبهر للقراءة على القاضى العلامة « جمال الدين على بن محمد العنسى » رحمه الله فى « الخبيصى » فلم يصل ، وكان شخص يقال له محسن قد كدر باله بكلام فترك الخروج لذلك .

فكتبنا إليه وهى من أول شىء نظمناه فى سن ست عشرة سنة :

جمالَ الهدى أوحشت لازلت مؤنساً ... فهل منع المولى عن الرق عارضُ
وشرح الخبيصى قد حلا لى بقربكم ... وها هو لما غِبت صابٌ وحامض
فلا تظلم المملوك إن كان محسن ... أساء فإنى للمردة حافظ[1]

* * *

وتخلف المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله عن القراءة فى ضوء النهار على مولانا البدر وكان الممل والقراءة له وكان تخلفه بالبقاء فى بئر العزب فأحب من يحضر معه للقراءة أن يحرك همته بالعتاب على التخلف فكتب إليه مولانا البدر رضى الله عنه :

مثلى بهذا منك لا يرضى ... فدع التغافل واترك الإغضا
خَلِّ التنزه فى الرياض لمن ... بسوى المعالى نفسه ترضى

(١) عذراً فى القافية .

إياك تلهيك الغصون إذا ... مالت يعانق بعضها بعضا
أو تزدهيك عيون نرجسها ... فتخالها لذبولهـا مَرْضَى
ما يرتضى هذا سوى رجل ... ما حركت منه العلى نبضا
يهفو إذا مر النسيم به ... وراء حقير الماء مرفضا
قد أهمل العليا فاستَ ترى ... نَفْلاً يقوم به ولا فرضا
أما الذى أجفانـ همته ... لا تعرف الإغفاء والإغضا
فبغير هذا نفسه ألفت ... ورأت ظلال رياضها رَمْضَا
ما روضة إلا العلوم فلا ... تجنى سوى زهر العلا غَضَّا
جلساؤه فيها دفاترهـا ... فيها يلاقى كلما يرضى
جلساء لا يخشى جَلِيسهم ... عِرْضاً يمزق منه أو عرضا
فعلامَ يا من سيف فطنته ... من كل صارم فطنة أمضـا
أضربت صفحاً عن مذا كرة ... أجعلت حبك للعُلَى بُغْضَا

* * *

وله رضى الله عنه مضمناً لتشبيه المصطـكى طافياً على القهوة :

أدرت علينا قهوة أخرفية ... فتاة كغصن كاد يدنو من الأرض
وقد عطرت بالمصطكى قبل كأسها ... فشبهتها والارتشاف به يقضى
كأذيال خُودٍ أقبلت فى غلائل ... مصبغة والبعض أقصر من بعض

* * *

قافية الطاء المهملة

وله رحمه الله :

ومترفٍ يذكر أحواله ... من سعة النعمة والغبطة
وهو يشط الثوب فى غفلة ... قلت له قد زادت الشطة (١)

---

(١) تورية باعتبار المعنى العرفى .

قافية العين المهملة

وله رضى الله عنه لما كتب البيت المشهور فى الأنفاس الرحمانية فى الإفاضة المدنية جواباً على رسالة وصلت إليه من المدينة المنورة للشيخ أبى الحسن السندى رحمه الله والبيت هو :

وخير الأمور السالفات على الهدى ... وشر الأمور المحدثات البدايع

* * *

فرد عليه قوله :

لقد خلطت بالابتداع عقائدُ ... ترى كل ذى علم عليها يدافع
يدافع عما أسس الناس قبله ... ويبنى على ما أسسوا ويشايع
وتعمى على الإنصاف عين كماله ... وتنسد عنه عند ذاك المسامع
لقد فاض بحر الابتداع وأصبحت ... قلوب ذوى التقليد منه المصانع
خليلىَّ ما لى لا أرى غير منصف ... أقام على باب الهداية مانع
نعم إن أرباب المذاهب أصبحوا ... وكلٌّ على ما يرتضيه يدافع
يرد الذى لا يرتضيه برأيه ... ويحسب أن الحق للرأى تابع
إذا آيةٌ صكت مسامع قلبه ... وجاءت بما لا يرتضى من يتابع
يقوم على ساق لتأويل لفظها ... وصرف معانيها إلى ما يشايع
وكم من حديث نحوه قد توجهت ... وجوه من التأويل شوه شنائع
فمن لك بالفحل الذى لا تهوله ... سيوف ابتداع جردت وزعازع
أمات الهوى من قلبه فإذا أتى ... إليه الهدى من ربه لا ينازع
فكل مقال غير قول محمد ... عن الله أو عنه فذاك قعاقع
وكل بياض سودته محابر ... بآرائها فهو الديار بلاقع
خليلى قوما واقرعا باب فتحه ... فذلك مفتوح لمن هو قارع
فمنه تعالى فيض كل هداية ... ومنه يُرَجَّى كل ما هو نافع
إلهى وهذا جهد من هو ناصح ... عسى وعسى فى الناس للنصح سامع

وله رضى الله عنه إلى والده رحمه الله كتبها من المواهب سنة ١١٢٥هـ خمس وعشرين بعد المائة والألف وكان وصوله إليها لأجل رحم له هنالك فرأى فيها عجائب وقد دعا المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد رحمه الله كما أشار إليه بقوله قل لمن قام الخ . وقد كان حوصرت صنعا بأجناده من قبائل القبلة .

يا رفاقاً حلوا بأكناف صنعـــا ... ليت شعرى بعد التباعد رَجْعَى

حل بينى وبينـــكم ريْبُ دهر ... يُبْطِل الوصل بالقطيعة قطعــا

ولئن صرت مفرداً عن رباكم ... فَمَثـــنّى ودادكم صار جمعــا

وجفا جفنىَ المنـــام وقد صا ... ر لطـول البعـاد نومِيَ دمعا

وبلاد بها أقمت على الكر ... ه وطوعاً لحكم دهرى وسمعـا

بلدة أخصبت من الظلم والجو ... ر فضاقت بهـا الشريعـة ذرعا

حرفة الساكنين فيهـــا نفاق ... واختـلاق وبالنميمة يسعى

وإذا ما الجهـــول وافى رباها ... نال خفضاً من عيشه ثم رفعا

وإذا الفاضـــل اللبيب أتاها ... نال صرفاً عنها وأعطى منعا

ويسود السودان فيها فلا عز ... وإذا أضحت الشريعة تنعى

فهم الآمرون فيها بما شا ... ءوا ولا يعقلون عقلا ولا شرعا

فأقم مأتم الشريعــــة أو قم ... سُلَّ سيفاً تترك به القوم صرعَى

قل لمن قام حاملا راية الحق ... متى للنزال تدعـــو وتُدْعَى

يا خليلىَّ من هاشم عُجْ بنجد ... وبِسَلْعٍ دعنى ونجداً وسلعا

طال هذا المطال ياليت شعرى ... أى حين تثير دخيلك نقعا

لا تجهـــز إلا إلى مقعد الملـ ... ـك وصنعاً أحسن بها منك صنعا

بلدة العلم كم بها لك شيخاً ... هى أولى بأن تصان وترْعَى

والفتى من يذيق أعداه ضُرًّا ... ويذيق الأحباب عزا ونفعا

ولذيذ لمن أراد المعـــالى ... أن يرى للسيوف فى الحرب لمعا

وتراه عند اشتجار العوالى زائراً للعدو يسقيه صرعا
فالمعالى نتـــــائج للعوالى فازدرع أصلها لتجنى فَرْعَا
وأجرفيها الدما لتحصد مجداً قد رسا أصله وتمظر ينعا
فتدارك بقية الدين إن كنـ ـت لإحْيَا ميت الدين تسعى
آح من دهرك الخؤون لقد صا ر عدواً لذى الفضائل طبعا
آه للعلم كم يهان ذووه و إلى كم يلقون ذلا ووضعا
وسلام على جانبك منى كل حين يهدى و يعرب رفعا

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله وقد خرج إلى الروضة مع رفقة من الإخوان فكتب إليه والده رضى الله عنه أبياتاً يعاتبه فأجاب عنه بقوله :

بستان أنس به أقمنا أجاد فيه الربيع صُنْعاَ
مع رفقة كلُّهم نجومٌ ألطف أهل الزمان طبعا
وأعين الزهر شاخصاتٌ تحسب فيها الرَّذاذَ دمعا
تعثر فيه النسيم وَهْناً ولم تثر للتراب نقعا
حديثنا كله عجيب تصغى إليه الحمام سمعا
لكنَّ عقد الوصال منا منفصم إذا نأيت قطعا
أنت جمال الوجود طبعا وأنت روح الزمان وضعا
لكنها صنعة الليالى قد أقسمت لا تُتِم جمعا
تنصب للاجتماع سهماً وتبتغى للوصال رفعا
مهما رأت كعبة اجتماع طافت بها للوداع سبعا

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه مجيباً على المولى الوالد السيد النبيه الجليل جمال الدين على بن إبراهيم بن على بن الإمام الحسن رحمهم الله تعالى .

لا والغرام وما تُجِنُّ الأضلع … من مهجة بيد الهوى تتقطع
وخُفوقِ قلب لا يقر قراره … مُضنًى بغير هواكمُ لا يولع
مازادنى العذال إلا صَبْوةً … وجوًى وفرط صبابة لاتدفع
يا عاذلى كرر ملامك فيهمُ … واعجب للومٍ من عذولٍ ينفع
إقدح بذكرهمُ زِنادَ صبابتى … إن شئت تنظر نار شوقى تلمع
من لى بذكراهم ولو بملامة … إنى أراه ألذّ شىء يُسْمَع
إنى لآخذ من ملامك ذكرهم … وسواه حشو فى الكلام مضيع
فبنات سمعى قاطفاتٌ زَهْرَه … من شوك لفظ بالملامة يُزْرَع
حدث فإن جوارحى قد أنصتت … ولكل جارحة لقولك مسمع
يا جيرةً رحلوا وفى أظعانهم … شمس لها فوق الهوادج مطلع
ردوا لنا شمس الجمال فإننى … من غير شك فى هواكم يوشَع
إن تنكروا هذا فإن أدلتى … سقم يدِبُّ وعبرة لاتقلع
وصبابة وكآبة وتأوه … وتملق وتشوُّقٌ وتولُّع
لكن إذا قلت حظوظ متيم … عند الأحبة ليس شىء ينجع
لا شافع يجدى ولا طول البكا … يشفى فقل لى أى شىء يُصنع
ياقلب دع هذا الجمال فإن فى … نظم ابن إبراهيم دُرٌّ يودع
فتش صدور كتابه تنظُر بها … عقد المعانى بالبديع يرصع
يامن له الخلق التى من لطفها … كدنا وحَقِّك فى احتساها نطمع
هى مقلة فى المجد وهو ابن له … فى الخط وهو أبو العلا إذ يبدع
لله ما كتب اليراع وما أتى … طىُّ الرقاع وما لسمعى يرفع
وعلى عُلاكَ من المحب تحيةٌ … منها تعطرتِ الجهاتُ الأربع

وله رضى الله عنه إلى المولى العلامة الفهامة عز الدين محمد بن إسحاق بن أمير المؤمنين بعد وفاة أخيه المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله تعالى راثياً ومؤسياً .

أبعد اليوم تدخر الدموعا ... وقد وافاك ما ينفي الهجوعا
وبعد اليوم يبخل كل جَفْنٍ ... فجد بالدمع واجعله نجيعا
أتى خطب تَخِرُّ الشُّهب منه ... ويمنع هوله الشمس الطلوعا
فغادر كل ذى جفن قريح ... وغادر كل ذى لب صريعا
قضى البحر الذى قد كان بَرًّا ... وللعافين قد أضحى ربيعا
إمام معارف وعوارف قِفْ ... على بحريه مغترفاً سريعا
تنل ما شئت من علم وجود ... وآداب بها تنسى البديعا
ونظم إن قرأت له حروفاً ... يكاد يكلِّفَ الطيرَ الوقوعا
خلت عنه الديار فكدت أدعو ... ملث الغيث أعطشها ربوعا
ولو قبل الحمام لنا فداءاً ... فديناه بمن نهوى جميعا
وهيهات المنايا لاتحابى ... ولا تقبل فداءاً أو شفيعا
فصبراً يا شقيقَ أخى المعالى ... لِخطْبٍ ألزم القلب الصدوعا
ومثلك لا يراع لهول خَطْبٍ ... وإن صار الصبور به جَزوعا
ومهما عشت فينا لا نبالى ... أعاش الناس أم ماتوا جميعاً
فما فقد العفاة كريم قوم ... وقد وجدوا نداك لهم سميعا
كذا العلماء لم تفقد إماماً ... بمطلبهم أصولا أو فروعا
فقد وجدوك بحر نَدًى وعلمٍ ... يفيض جداً ومعروفاً وسيعا
أحاط الله من ريب الليالى ... عليك أبا الضيا سوراً منيعا

* * *

ولما أقام الوالد البدر رحمه الله بحصن شهارة فى سنة ١١٤١ هـ إحدى وأربعين بعد المائة والألف وتزوج هنالك واقتضى الحال فراق زوجته الشريفة ابنة المولى العلامة هاشم بن يحيى الشامى رحمه الله ، وكانت خرجت إلى شبام أيام بقائه بها ثم عادت إلى صنعا مع عزمه إلى شهارة ، وهى والدة الصنو العلامة إبراهيم بن محمد الأمير رحمه الله .

كتب إليه المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله ـ وكان مسجوناً بقصر صنعا ـ أبياتاً يعاتبه فيها على فراق زوجته الشريفة والتزوج ، وجعلها على لسان الشريفة رحمها الله .

فأجاب عليه مولانا البدر ، رضى الله عنه بقوله :

أَبَرْقٌ بدا أم زحزح اليومَ بُرقعٌ ... لسلمى فهـــذا نورها يتسطع
أم ابتسمت عُجْباً لما قال قائل ... بأنِّىَ للعهـد القديم مضيع
لحى الله هذا الناس أين عقولهم ... يقولون ماليست له الأذن تسمع
وقد أثّروا إذ كثّروا فى مقالهم ... وقد ساءها ماشيعوه وشنعوا
فقد أرسلت ريحُ الصبا برسالة ... وفى طيها عتْبٌ لطيف مروِّع
يكاد يسيل الدمع لو كان ممكناً ... ولـكنه لم يبق للعين مدمع
توالت عليه الحادثات فلم يزل ... عليها بقدر الحادثات يوزع
فأفنيتـه والحادثات بأسرها ... كأنىَ أسقيها بدمعى وأزرع
بروحِىَ ذاك العتب من خير عاتب ... وإن كان فيه مايهول ويفزع
أحباىَ ماعنكم تبدلت راضياً ... ولـكن لأمر ليس فى الـكتب يرفع
سأملِى عليـكم مايسر قلوبكم ... إذا ماسحاب البيْنِ عنا تقشَّعُ
لقد زادنى حباً لـكم وصْلُ غيركم ... خلاف الذى كنا له نتوقع
وعرَّفنى أن ليس فى الأرض غيركم ... فما الشمس إلا أنتمُ حين تطلع
ولو كنتُ بالشرع الشريف محاججاً ... لقلت لـكم قد حلَّ فى الشرع أربع
وقلنا لـكم خير النبيين أحمـد ... توفى عن تسع وذاك المشرع
وقلنا لـكم أصحابه لاغترابهم ... عن الأهل فى أسفارهم قد تمتَّعوا

على أنكم لو تعلمون محلكم ... بقلبي لما نزّتْ من العين أدمع
وقلتم لنا زد ما تريد فإنما ... تزيد لنا حباً بما أنت تصنع
فلست ترى في الناس ما عشت غيرنا ... ولسنا نرى يابدرُ غيرك يولع
فلا تخش من عتْبٍ إليك موجَّهٌ ... وحاشا يوافي سُوحَك اليوم تُبَّع
وإنا لفي خير إذا كنت سالماً ... وعما قريب شملنا سوف يجمع
فهنيت ما أُعْطِيتَ من كل نعمة ... عدوك مخفوض وشأنك يُرْفَعُ

* * *

وله رضى الله عنه مجيباً على الفقيه العارف محمد بن إسماعيل بن محمد العبدى رحمه الله عن أبيات وصلت منه من صعدة إلى شهارة فى شعبان سنة ١١٤٤ ﻫ أربع وأربعين ومائة وألف .

أشمس اللقا قد راقنى منك مطلع ... وإنى إلى إشراقه أتطلّع
فهٰذِى النّوَى للقلب أعظم مفزعٍ ... ولم يبق من فقد الأحبة مفزع
فإن نطاق الصبر ضاق عن النوى ... وعهدى بصبرى وهو من قبلُ أوسع
وقد كان دمع العين عونا على النوى ... ولكنه لم يبق للعين مدمع
تقضّى عليه الحول والحول بعده ... وغَرْبُ النوى من مقلة الصب ينزع
ففارقنى دمعى وصبرى وودّعا ... فلم أدر أىَّ الظاعنين أودع
أقاتلنى ظلماً بعادل قدها ... وأصل الهوى من فرعها يتفرع
فريدة حسن إن تثنّتْ بِقدِّها ... تنادى ألا هذى المحاسن أجمع
يريك نهاراً وجهها وهو مسفر ... وليلا إذا ما الشعر للوجه برقع
هى الشمس لكن ليس للشمس مقلة ... بها السحر ما سِير الرقى عنه يدفع
مراض ضعاف صح للصب أنها ... تضر قوى القلب حيناً وتنفع
مفوقة من غير قصد سِهامَها ... فتقصد عمداً كل قلب وتصدع
إذا سجدت أقراطها فوق شعرها ... فتلك نجوم الأفق فى الليل رُكَّعُ

أما لغَرامى عند قلبك موقع ... وإنى فى أسر الهوى منك موقع
سقى ليلة مرت على حلو وصلها ... على خفض عيش ماظننناه يرفع
أبث لها وجدى وأبكى صبابة ... فتضحك إعجاباً لما هى تسمع
وددْتُ بأن الليـل دام وإنه ... إلى الحشر لاشمس على الأفق تطلع
فما ضرّنا إلا بياضُ نهارنا ... فإن سواد الليل للقلب أنفع
يقود إلينا من نحب وصـاله ... ويصرف عنا من كرهنا ويمنع
فلم أنس إذ وافى الصباح كأنه ... عدو بتفريق الأحبة مولَع
فقامت لتوديعى فقامت قيامتى ... وسارت فسار القلب ساعة ودعوا
فقلت عِدِينى واخلفينى ومَا طِلِى ... فنفسى بوعدٍ من وصالك تقنع
فصبت عيوناً من عيونٍ فواتر ... وما خلت أن النرجس الغضّ يدمع
وقالت لسان الدهر إن وصالها ... عليك حرام بعد ذا ليس يرجع
فكان كما قال الزمان وساعدتْ ... وشاة وعذالا أشاعوا وشيعوا
وما نقم الأحباب فى شِرعة الهوى ... على سوى أنى حفظت وضيعوا
أصم إذا فى حبهم لام لائم ... وكلى لمن يدعو إلى الحب مسمع
حمام اللوى صبراً إذا صاح فى الرُّبَا ... غراب بتشتيت الأحبة أسفع
ويا أيها القلب الذي عبثتْ به ... أكفُّ النوى هل فيك للصبر موضع
تجلد ولا تهلِكْ أسًى وصبابة ... فـكل بعيد عن قريب سيرجع
فكم عطف الدهر الخؤون لنازح ... وأبدله مالم يكن فيـه يطمع
لئن عطلت كأس من الوصل حلوة ... فـكأس الأمانى بالملاقاة مترع
وإن أطبقتْ سحب البعاد فإنها ... سحابةُ صيف عن قريب تقشع
وعما قريب تنجلى ظلمة النوَى ... ويشرق نور البدر والشمل يجمع
أريد سميي لا الذى هو فى السما ... على أن هذا فى سما المجد يطلع
فيا بدر قد وافى النظام وإنه ... لدُرّ بلى هذا من الدر أرفع

يضيع لديه المسك إن ضاع فى الربا ... فأضوع منه النظم والمسك أضْيَع
يقود حبيباً عنده وهو مبغض ... ويعجب منه البحترى ويفزع
وأطول باعاً من نظام ذوِى النُّهَى ... فقس الأيادى قد غدا وهو أصبع
شكرتم به أيام وصلٍ تصرَّمت ... وهجراً شكوتم للقلوب يُقطع
صدقتم سقى عصر اللقا كل ديمة ... لقد كان لى فيه مصيف ومربع
تقضَّتْ وما قضيت منهـا لبانة ... وولتْ فأولتنى جوى يتنـوع
فهل عائد ذاك الزمان الذى مضى ... وهل صلة من عادة الحىِّ تنفع
عسى زمن يابدر يجمع شملنا[1] ... وشمس اللِّقا من بعد ذا البعد تطلع
فينشر ما يطوى البعاد من الجوى ... ويطوى من الأوراق هذا التوجع
بقيت لجيد الدهر أفخر زينـة ... كأنك عقد بالمعالى مرصع
مفاد مفيد سـابق كل سابق ... تنـال من الأيام مافيه تطمع
وصلِّ على المختار طه وآله ... صلاة وتسليما إلى الحشر ترفع

* * *

وله رضى الله عنه وأرضاه جواباً على الفقيه العالم أحمد بن إسماعيل القرشى رحمه الله .

كم ذا التلعب يا غزالَ الأجرع ... بفؤاد صب بالصبـابة مولَع
ما لاح برق الثغر فى أفق الثنا الـــبيض إلا انهل أحمر أدمعى
ويلاه كم أشكو جفاه فينثنى ... فيزيد بالغصن الرطيب تَولعى
وبمهجتى زمناً مضى فى قربهم ... والدهر عنا نائم لم يفـــزع
أيام تكتمنى رياض وصالهم ... فيبيت دهرى سائلا عن موضعى
والعين تلهو فى محاسن من هوت ... والدهر يختمها بغـــير تمنع
والأذن سكرى من شراب حديثهم ... فلذاك تهزأ بالعذول ولا تعى

---

(١) وفى نسخة « بيننا » بدل « شملنا » .

في روضة للوصل ليس قدودها — إلا غصون لا تلين لمولع
وزهورها مقل وسجع طيورها — صوت الحلى على ذوات البرقع
تالله لو دامت ليالي وصلهم — لم أشك من نار الغرام بأضلعي
لكنه نصب الفراق حبائلا — رفعتهم فانجرَّ قلبي الموجع
فبقيت مسلوب الفؤاد مشرداً — عني الرقاد مكابداً لتوجعي
لولا نظامٌ للصفيِّ صفا به — عيشي وأشرق منه نوراً مربعي
نظم عليه من البديع ملابس — كالوشي بين مدبَّج وموشع
أرددت شمس النظم بعد أفولها — لا شك أنك في النظام كيوشع
ما كنت أحسب قبل أن رقاعه — صدف تواتيني بدر مُبدِع
حتى أقام البينـــاتِ بأنه — سحر وأبرز حجة لم تدفع
وحوى الفضائل كلها فبذاته — حف الكمال من الجهات الأربع
علم وأخلاق وطيبُ أرومة — ورقيق نظم قد حلا في مسمعي
فقضى بأنك للبلاغة مالك — حقا وأن سواك فيها مدع
يا أحمد القرشي هذا معجز — أفني البلاغة المنبوة تدعى
وإليكما خجلاء أقعدها الحيا — عن أن تلم بسوح مجد أرفع
لكن لفرط ودادكم أرسلتهـــا — وعسى تطيب بنشرك المتضوع
واعذر صفي الدين إن حروفها — رقمت على عجل بقلب مُفزع
مما جنته يد الخطوب على الذى — قد كان طود تزهد وتورع
أعني جمال الدين والدنيا الذى[1] — بسوى الزهادة والتقى لم يولع
فاسبل عليها الستر إن ترَ نظمها — لم يحو حسن ختامها والمطلع

* * *

(١) أظنه الوالد العلامة على بن يحيى اقهان رحمه الله .

وله رحمه الله فى أيام بقائه فى السجن .

من الجهات الأربع الموانع حفت بنا فالنوم عنا شاسع
مغالق مطـــارق زواعق من حرس تحويهم الشوارع

✲ ✲ ✲

ولما اطلع رضى الله عنه على هذين البيتين قبل رحلته لطلب الحديث وسماعه :

إن علم الحديث علم رجال تركوا الابتداع للاتباع
فإذا جن ليلهم كتبوه وإذا أصبحوا غدوا للسماع

✲ ✲ ✲

قال رحمه الله :

قد أردنا السماع لـكن فقدنا من يفيد الأسماع بالأسماع
فرجعنا إلى الوجادة لما لم نجد عارفاً بها فى البقاع
فلسان الأسفار تملى ومنها يتلقى سراً لسان اليراع

✲ ✲ ✲

وله رضى الله عنه جواباً على الفقيه أحمد بن حسين الرقيحى رحمه الله :

ستطلع شمس الوصل بعد أفولها فتشرق أرجاء لنـــا وربوع
فلا تيأسن إن طال ليل بعادهم فقد حان من شمس اللقاء طلوع

✲ ✲ ✲

وله رحمه الله لما بلغ سن السبع والسبعين قالها فى رمضان سنة ١١٧٧هـ سبع وسبعين ومائة وألف .

وصديق لى صدوق فى الذى أهواه يسعى
سمع الأنة منى فامتلت عيناه دمعا
قال ما تشكو ابن لى قلت سبعين وسبعـــا

وله رضوان الله عليه من أبيات لم أجد منها غير ما رقم هنا .

إذا جاء طوفان المعارف والذكا ونادت جيوش الحق هل سامع موع
هناك ترى أطفال كل عبارة تفر من الأذهان خوفاً إلى السمع
فتدمى بها الآذان عند ازدحامها فيغسلها ما فاض منها من الدمع

* * *

وله رضى الله عنه :

وسائل يسألنى عن فتى يحسبنى فى وصفه بارعا
يقول لى حد لنا وصفه قلت له خذ جامعاً مانعا

* * *

وله رحمه الله فى القول الموجب :

يقول لِيَ الحبيب ألست تبكى فقلت بلى ولكن نزر دمعى
فقال لِيَ العذول أراك تصغى فقلت لذكركم أصغيت سمعى

* * *

وله رضى الله عنه موريا :

وشادن يقول ما قولك فى حسنى أعندى الجمال البارع
ما الطرف ما يوسف فى جماله فقلت ماض وله مضارع

* * *

وله رحمه الله فى صدر كتاب من مكة المشرفة فى شهر ذى الحجة سنة ١١٣٩هـ تسع وثلاثين ومائة وألف إلى المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله تعالى .

ولقد ذكرتك عند أن جدَّ النوى والصحب بين مودع ومشيع
ولمشفقيهم أدمع منهلة كالغيث إلا أنها لم تقلع
وذكرتكم لما ارتحلت مطيتى ورحلت عن وطنى وجدت بأدمعى
وذكرتكم فى كل أسفارى فما من منزل إلا وأنت به معى
وسل الديار العامرات وأهلها إن شئت واسئل كل أرض بلقع
وسل البروق الشاميات فإنها لا تستمد بغير نار الأضلع

أفتذكرونا مثل ذكرانا لكم ياحبذا إن كان غير مضيع
أم قد تناسيتم عهوداً بالحمى ولياليا مرت بذات الأجرع
أيام تجمعنا العلوم فبحثنا يصبو إليه كل حبر ألمعي
وإذا تجاذبنا النظام أتى لنا ما لم يمر ألذ منه بمسمع
وإليك ياعين المكارم والعلى رقمت على عجل بغير تصنع
قصداً لتذكير العهاد وإننى لم أنس ذكراكم بأشرف موضع

* * *

وله قدس روحه فى عليين :

وثقيل تقذى العيون برآه وتأبى حديثه الأسماع
قال لى ما سكنت إلا اغتصاباً قلت لا غرو إن قلتك البقاع

* * *

وله نور الله برحمته ضريحه إلى القاضى العلامة الحسن بن على البهكلى رحمه الله معاتباً لترك المعاهدة وكان بينهما ألفة أيام الطلب فكتب إليه بعد أن صار حاكماً فى أبى عريش .

سلا إن مررتم عن فؤادى على سلع وقولا له طال الوقوف بذا الربع
ولا تسمعاه فى الخطاب ملامة فلا جفونى ما تمكن من جدعى
فلوم جفون الصب أولى وإنما يرق لها لما ترقرق بالدمع
وتصرف دمعاً ثم تمنع نومها وما انتفعت يوماً بصرف ولا منع
وغانية بالجزع حلت وحليت به فهى لاستخدام قلبى تستدعى
تعاملنى بالفصل إن رمت وصلها كأنى معدود من الجمل السبع
وما علمت أن التضاد مصحح وقد عده أهل البيان من الجمع

فإنى مأسور وتلك طليقة ... فلو عطفت ما كان ذلك بالبدع
وأنصب نفسى فى هواها وإنما ... أجر بذاك النصب أنسى إلى الرفع
أفيقا فقد غالطت فى البحث مقصدى ... فوالله ما بالجزع قلبى ولا سلع
ولكن إذا عرجتما بتهامة ... فعوجا بها واستفتيا بها حاكم الشرع
وقولا له هل جاز فى شرعة الوفا ... مقاطعة الإخوان أو صح فى السمع
وهيهات يفتى بالجواز وإنما ... أريد بذا إلزامه حجة القطع
وماذا الذى أنساه ذكر أخوتى ... وهلا رفا خرق التهاجر بالرقع
فإنهمُ سموا الرسالة رفعة ... لترقع قلباً هده الهجر بالصدع
أَزَهَّدَهُ فىَّ الخمول وإنه ... سما جُلُّ أترابى إلى الجاه والوسع
وحصل مملوكا وداراً وبغلة ... وأسرج مركوباً وسرج بالشمع
وإنى على ما كان يعهد خامل ... ولم أتحول عن طريقى وعن وضعى
فما أنا إلا السيف كان قرابه ... خمولاً فَهُزَّ السيف تسمع بالوقع
وإنى فى روض العلوم مخيم ... مقيم على حصد الفوائد ولزرع
ودونك ذهنى فهو يثمر دائماً ... فوائد تجنى فى الدفاتر للنفع
ونقطف من روض العلوم معارفاً ... وفى طبق التعبير تبرز للدفع
ويطعمها أذهان قوم تسابقوا ... إلى طلب العليا يهشون بالطبع
وتاقت إلى أوطان مكة همتى ... لحملها ماليس يحمله وسعى
وقلت عسى ألقى خليلا مهذباً ... يساعد بالإنصاف فى الأصل والفرع
فلم ألق إلا جاهلا متصوفا ... يرى أن أهل الأرض من خدم الشِّسع
يخطف للقلب الضعيف بِدُفِّه ... وبالرقص والثوب المرقع والقبع
وإلا فتى قد نال حظاً من العلى ... ولكن يرى التقليد من موجب الشرع
ويحسب دعوى الاجتهاد محالة ... ولا فرق فى الظَّنِّى لديه ولا القطعى
كأن كتاب الله والسنة التى ... أمرنا بها قد أُلِحدَا باطن السبع

فقلت لنفسى إن فى العود راحة ... وبعد اختيار الناس قد طاب لى ربعى
ولى جلساء لا يمـــل حديثهم ... يناجون طرفى بالأحاديث لا سمعى
سأجعلهم ما عشت أهلى وجيرتى ... وأسلو بهم عن مفرد الناس والجمع

* * *

قافية الفـاء

وله رضى الله عنه إلى عالم بغداد الشيخ العلامة صبغة الله أفندى أرسلها إليه بيد تلميذه السيد منصور الواصل إلى صنعا فى سنة ١١٨٠ هـ.

حتام أنت على الغرام معنفى ... ثقل بلومك كيف شئت وخفِّف
إن الملامة كالمـــدامة فاسقنى ... كأس الملام فلست بالمستنكف
شوك الملامة منه أقطف ذكرهم ... كالورد فاصنع ما تريد وعنف
ما أنت بالنافى بلومك حبهم ... عنى ولا أنا عنهم بالمنتفى
لا تحسبنْ حبى لهم عرضاً أتى ... (كلفى بهم طبعاً بغير تكلف)
هم عدتى هم عُمْدَتى هم سلْوتِى ... وهم الأُساةُ لـكل صبٍّ مدنَفِ
قد بعت روحى منهُم فى حبهم ... وعفوت عن ثمن به مستخلف
فقبولهم روحى هو الثمن الذى ... لا أبتغى فيه نقادة صيرفِى
قف بالديار ترى جمال جلالهم ... متأملا فيما تراه وفى وفى
هذى منازل من أحب فقف بها ... إن كنت تسعدنى بغير توقف
واطْوِ المَهامِه فى ملاقاة المهـــا ... إن كنت تزعم أنك الخل الوفى
من يطو منشور الفضا فى وصْلِهم ... نال الذى يهواه غير معنف
هل تُسعِف الأيام يوماً باللقا ... ياخيبة المسعى إذا لم تسعف
إن فات طرفى الاكتحال بنورهم ... فحديثهم فى السمع مثل القرقف
دارت على سمعى كؤوس حديثهم ... فرشفتُ بالآذان ما لم يرشف

منصور منصور أدار كؤوسه　　مملوءة بسلافة السر الخفى
بصفات شيخ شيوخ بغداد الذى　　أوصافه كالراح المستوصف
العالم ابن العالم البحر الذى　　كل امرئ من بحره مستغرف
أنشدته لما أطال صفاتكم　　وأتى بكل معرب ومعرف
ياأخت سعد من حبيب جَسَّنى　　برسالة أهديتها بتلطف
فنظرت مالم تنظرى وسمعت ما　　لم تسمعى وعرفت مالم تعرفى
حدث ولا حرج عن البحر الذى　　يروى ظماك غرفت أم لم تغرف
قف فى بحار علومه تجد الذى　　يحويه كل مصنف ومؤلف
بحر العوارف والمعارف فاغترف　　من أى بحريه تنل ماتكتفى
ياصبغة الله الذى أوصافه　　صبغت فؤادى صبغة الخِلِّ الوفى
صدرتْ إليكم عن وداد صادق　　والأذن تعشق بالسماع وتشتفى
من سفح صنعا جادها سبلُ الحيا　　حتى تظل تريقها كالرفرف
قصدتك تقصد دعوة فى خلوة　　أو فى اجتماع وانفراد أو وفى
دعوة أخ لأخ بظهر الغيب دع　　وة صادق لمحبه بِرٍّ وَفِى
فارفع بها كفيك فى الأسحار أو　　عقب الصلاةوعند نشر المصحف
قل رب نج محمداً بمحمد　　وذويه من أهوال يوم الموقف
صلى عليه الله ثم عليهمُ　　أزكى الصلاة مع السلام الأعرف

✲ ✲ ✲

وله رضى الله عنه إلى المولى العلامة محمد بن إسحاق رحمه الله من شهارة يناصحه العلها فى سنة ، بعد أن استقر بحضرة الإمام المنصور بالله رحمه الله بعد أن استقرت الأحوال بينهما ، وبلغ مولانا البدر أن رعاياه فى البلاد التى إليه من وصاب وحيس وعافش ، يسلك عماله فيها مسالك أهل الجور ، فناصحه فى قالب المسئلة بقوله :

الحمد لله الذى لايفى   بحمده كل شكور وفى
ثم صلاة الله تترى على الـ   ـمختار والآل ومن يقتفى
طريقهم كالبدر بدر الهدى   من لاسواه اليوم من منصف
ودعوة أسأل من فضله   أنجو بها من شدة الموقف
من بعد إهداء سلامى إلى   مقامه الكعبة المعتفى
فهاهنا مسئلة أوردت   من صاحب برٍّ حَفِىٍّ وفى
دافعته فى كلما قاله   وهو بما أبديه لايشتفى
مع أننى أعطيت عند المِرَا   بادرة تهزأ بالمرهف
قال أليس الظلم فى شرعنا   محرم قلت له بل وفى
قال وما يأتيه عمالنا   تنكره أولست بالمنصف
قلت ولا ينكره جاهل   فلا تسمتى خلق الأغلف
قال فهذا عز أهل الهدى   لكل مايأتونه مقتفى
وقد دعا الناس إلى ضدها   بمقول العسال والمشرفى
وكم رسالات له حبرت   ترشف بالأسماع كالقرقف
وكان ما كان وخاب الرجا   والأمر لله به نكتفى
ونال منها بعض مارامه   فى قبض مايصرف فى المصرف
والأمر والنهى له فى الذى   إليه من مقو ومستضعف
وما نراه فاعلا فيهما[1]   ماقاله وهو الصدوق الوفى

---

(١) أى الأمر والنهى .

بلاده مثل سواها وسل ... إن كنت للمحسوس لم تعرف
وكل مايقبض من مالها ... يصرفه فى نفسه كالصفى
لافرق فى التحقيق ماينهم ... وكل من يفرق لم ينصف
فعند ذا ألحمنى قوله ... وكنت قدماً ألجم الفلسفى
فقلت هبه مثلما قلته ... مالك والتفتيش للمختفى
هل حاسد أنت لما ناله ... أم طامع فيما لديه وفى
فقال بل حبًّا وخوفا على ... شيبته من وقفة الموقف
قلت أراه عالماً إن يرد ... مقامه مافلته يشتفى
فقال هذا مقصدى لاسوى ... فارْوِ كلامى غير مستنكف
وما أتى فيه فعندى لكم ... عهد به دهرى لم أخلف
برئت من دينى إذا جاءنى ... بالحق فى ذا ثم له أنصف
فلم أجد بدا سوى رفع ما ... دار إلى العلامة الأعرف
أروى له مادار مسترويا ... منه جواباً موضحا للخفى

* * *

كتب المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحاق رحمه الله إلى مولانا البدر رضى الله عنه كتابا وأبياتا من هجرة شاطب فى شهر جمادى الأولى سنة ١١٣٦ هـ ست وثلاثين ومائة وألف بعد خروج والده ومن معه لمناوأة الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين رحمه الله وادعى والده وتسكنى بالمؤيد فأجاب عليه البدر رحمه الله بقوله :

إن كنت ترضى فى الهوى بتلافى ... فاصنع مرادك آمناً لخلافى
هيهات قد أخذ الغرام بمقودى ... فرضيت بالأخلاف والإسعاف
وأدر على سمعى حديث المنتقى ... قسماً بحقك ما سواه سلافى
وادرك بقية مغرم قد أظهرت ... أجفانه سرّ الغرام الخافى
يا صاحبى بحرمة الودّ الذى ... بينى وبينكم وبالإنصاف
إن جئتما حرم المكارم والعلى ... من بعد طى مَهامه وفيافى
وحللتما فى عصبة علوية ... هم زبدة الكرماء والأشراف

من بعد لثمكما الأكف نيابةً … عنى وإبلاغ السلام الشافى
قولا لمن أهــدى إلىّ نظامه … بشكاية الدهر المقــوم الجافى
لا فض فوك لقد صدقت بذمة … وعلى الخبير سقطت والعراف
أنا قد حلبت الدهر أشطره وقد … جربت خائن أهله والوافى
ونظمت فيه وفى بنيه قصائداً … متغايرات أبحــراً وقوافى
سُحقاً لأبنـــاء الزمان فإنهم … ما فيهمُ صافى الوداد مُصاف
وذكرت من يدعو إلى نهج الهدى … ويريد منه حياة ربع عاف
فهو الجــدير بما يروم وإنه … وأبيك كفؤٌ للمرام وكافى
قد حاز كل فضيلة شرطوا وقد … جمعت لديه محاسن الإنصاف
تالله لم أر مُنْكِراً لكماله … إلا الذى من جملة الأغلاف
لكنه يدعو أناساً همهم … فى خصب عيشهمُ وفى إسراف
صم عن الداعى وإن قالوا له … قولا ففعلهم لذاك منــاف
قوم عن العليا قعود جثم … ليسوا بأهل صفائح وصحاف
لا يغضبون على الشريعة إن غدت … منهدة الأرجاء والأكناف
أعنى بهم من يزعمون بأنهم … رأس الورى والناس كالأخفاف
أو فرقة قد صار بين ظهورهم … من كاذب ومخاتل حلاف
قل لى فأى عصابة يرجى بها … نصر الهدى ونكاية الألفاف
إن كان عندك من يدير عليهم … كأس الردى بالسمر والأسياف
من دون هتك محارمٍ وأرامل … ومدائن ومعاقل وضعــاف
فأدره لا تخشى عليهم رأفتى … مثلى يحن على الجهول الجافى
ما لم فإن الصلح خير إنه … قد سنّه الأسلاف للأخلاف
قد صالح الحسن بْنَ هندٍ وهو فى الا … أبطال من أبناء عبد مناف
وأتى بجيش كالجبال يقودهم … يمشون فى ظل القنا الرعاف

وكذا الحسين السبط قال بكربلا — لأميرها[1] دعنى وخلِّ خلافى
إنى سأرجع طيبة أو أنتحى — ثغراً وإلا فالأمير[2] أوافى
خذ ذا عن النبلاء ودع ما قاله — من لم يُلم برتبة الإنصاف
وذكرت أن الصلح ترضاه إذا — ترك الهوى ذو الجور والإسراف
وأزيل من ظلم الرعايا كلما — هو للشريعة والعقول مناف
وأراك قد رمت المحال ومثل ذا — عن ذهنك الوقاد ليس بخاف
إنى ومن بيت الإمام عصابة — فى العدِّ قد زادوا على الآلاف
مسترزقون من الرعايا ليتهم — قنعوا بأكل فرائض[3] الأصناف
بل يأخذون من الرعايا كلما — يحوونه كرهاً بلا استنكاف
أتظن من منكم يلِى أمر الورى — يلقى قرابته بلا استخفاف
لا بل يقول عطامُ لى لازم — بل ذلك المقصود فى استخلافى
أعطى الصغير مع الكبير معمماً — ذات الخمار وربة الأشناف
وإذا أراد خلاف هذا أشعلوا — فى الأرض نارى فتنةٍ وخلاف
قسماً لقد فسد الزمان وأهله — فالكل عن نصر الهدى متجافى
فالرأىُ للرجل الذى يرجو بأن — يلقى الإله كمثل بشر الحافى[4]
أن يترك الأمر العظيم لأهله — متسربلاً ثوبى هدى وعفاف
متجنباً أبوابهم وفعالهم — متحلياً بمحاسن الأوصاف
وخذ الجواب عن البديع مجرداً — ما فيه من نكت تُعد لطاف
طوَّلته جبراً لضعف نظامه — فاقبله عن درر من الأصداف
وأردت إبلاغ النصيح وبعد ذا — فالحق قول مؤلف الأتحاف[5]

---

(١) عمر بن سعد بن أبى وقاص . (٢) هو يزيد بن معاوية لعنه الله .
(٣) الثمانية المذكورة فى آية مصارف الزكاة .
(٤) رجل من الصالحين مشهور. (٥) القاضى صالح المقبلى .

ثم السلام على رباكم كلما ذكر الأليف معاهد الآلاف

* * *

وكتب الولى العلامة عبد القادر بن أحمد رحمه الله إلى مولانا البدر رضى الله عنه من كوكبان فى شهر صفر سنة ١١٧٣ هـ أبياتاً معاهدة فأجاب عليه :

قد شف جسمى طول ما أتشوف لمشرّف بلقائه أتشرّفُ
مالى ووصف الغانيات وقد مضى زمن الصبا وسلوت عما يوصَفُ
قد كنت بالتشبيب عصر شبيبتى والدهر فيما أرتضى متصرفُ
أدر الرقاع على الأحبة أكْؤُساً برقيق شعر ما سواه القرقفِ
ما دَنُّهُ إلا الرقاع وكَرْمُه فِكْرٌ بغير بنانه لا يقطف
فإذا ترشفَتِ المسامع لفظــه خِلْتَ القلوب من المسامع ترشف
وإذا عطفت على الرياض بوصفها خِلْتَ الغصون لِرِقِّه تتعطف
إذ كان لى إخوان لطف كلهم بالطبع لا بتكلف يتلطفــوا
لا يعرفون سوى الوفاء من خلة إن الجفـــاء منكر لا يعرف
إن قلت شعراً أنشــدوه تباهياً كل إلى ما قلته متشوف
هذا يبالغ فى تحفظه وذا بيراعه لخليــله يستوقف
وإذا أديرت للعلوم مسائل وغدت سيوف البحث منها ترهف
شاهدت فرسـان الذكاء كأنهم فى حلبة كل مجلّ منصف
ورأيت أقلام الفوائد قد غدت كمناقر للطـير كلٌّ يخطف
لهفى على قوم سقــاهم حينهم كأساً لها كل البرايا ترشف
والآن صرنا فى زمان كلّهُ ذنب فعنه وعن بنيــه أصدف
فبمدحنا ما قد مضى من دهرنا سقياً له عن ذم هذا نصرف
وأقول حياه وحيـا أهله حذراً وخوفاً من زمان يخلف

فاعطف عنان يراع نظمك واصفاً ... من جاء منه عقد در يرصف
عقد من الياقوت قد قلدته ... جيد اليراع ورصفته الأحرف
ففضضته فأفاض بحر مدامعى ... وذكرت مالم أنس مما أعرف
من طيب أيام تقضت ليتها ... دامت ونفديها بما يستطرف
كانت مواقفنا بكل خريدة ... من كل فائدة تروق المنصف
أتراه غاظ الدهر طَيِّبَ وصلنا ... فسعى إلى تفريقنا يتعجرف
أم عين حاسدنا أصيبت بالعمى ... نظرت فصارت حسرة تتلهف
وعسى وعَلَّ وبعد هذا غيره ... فَرَجًا اللقا من خيرما يستشرف
وإليكها قد ألبست من لطفها ... برد بمدحك والثناء مفوف
صدرت ولى أكم لجد لى بالدعا ... فمساه بعد دعاك لا يتوقف

* * *

ووصل من المولى العلامة عبد القادر بن أحمد رضى الله عنه أبيات فى شهر المحرم سنة ١١٧٦ﻫ ست وسبعين ومائة وألف أرسلها من كوكبان فأجاب عليه مولانا البدر بقوله وأصحبها سؤالا :

أهذا الذى فى كأس نظمك قرقفُ ... أبنْ لى أم السحر الحلال المزخرَفُ
تحير فكرى فى حقيقته فما ... أظنك إلا فى النجوم تَصرَّفُ
نظمت الدرارى عقد نظم وجئتنا ... بمعجزة عن مثلها لست أصدفُ
تحدَّ بها أهل البلاغة وادَّعِى النـ ... ـبوة فيها يتبعوك ويعرفوا
فإنى قد آمنت أنك شاعر ... فلا تتحدانى ولا نتعرفُ
تبارك من أعطاك بحر بلاغة ... فكل بليغ من معانيك يغرف
فلو كنت فى الدهر القديم لما غدا ... حبيب[1] حبيباً بالبلاغة يوصف
ولا أحمد فيها[2] حميد نظامه ... ولا لابن برد[3] منه برد مُفوَّف
ولا ابن سليمان[4] بمعجز أحمد ... وذكر حبيب فى القلوب يؤلف

---

(١) ابن أوس (٢) المتنبى (٣) بشار بن برد (٤) أبو العلا

سقى الله دهراً ضم شملى بشملكم ... على خفض عيش مثله لا يكيف
وكنا كندمانَىْ جذيمة برهة ... من الدهر حتى ساء منه التصرف
تعرَّف جمعاً كان فى الحسن مفرداً ... وشتت شملاً كان فى الوصف يوسف
على رغمه الأوراق تجمع بيننا ... بنظمكمُ وصل لشملى يؤلف
أنى وهو فى شرخ الشباب كأنما ... على خده ورد الشبيبة يقطف
فلاقاه شعرى وهو شيخ على العصا ... معانيه إن حققتها فهى تخرف
حكى كل نظمٍ حال من هو ناظم ... ولا عجبٌ فالفرع بالأصل يعرف
ومن خرف قد خاض فى غير بحركم ... خشى غرقا إن خاضه وهو مدنف
فأسبل عليه حلة العذر ساتراً ... عيوب معانيه فلا تتكشف

* * *

وله رضى الله عنه :

فكرت من أهوى لمن لامنى ... فقال صِفه علَّنى أعرف
قلت سبانى حبه جملة ... فقال زدنى أيها الواصف
قلت الذى نكرت بإذا النهى ... بما عدا الجملة لا يوصف(١)

* * *

وله رضى الله عنه مجيباً على بعض إخوانه العاتبين فى ترك المعاهدة أيام الفتنة ولعله المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله .

أما الوداد فوُدِّى أنت عارفه ... والله ما نكرت منه معارفه
يأبى فؤادىَ أن ينسى الحبيب كما ... تأبى المودة أن تنسى عوارفه
ولا امتناع عهادى عنك عن ملل ... وإنما منعت عنه صوارفه

---

(١) إشارة إلى قولهم وتوصف النكرة بالجملة الخبرية .

تمضى الليالى وأفكارى مشتتة ... مما أشاهده مما أنت عارفه

فالدين ليس له راع ولست ترى ... من الخلائق إلا من يخالفه

كم من أمور عن التعبير تعجزنى ... وبحر نظمى يبدى العجز غارفه

لكنه ليس فى الدنيا أخو ثقة ... أملى له ما يراعى النوم عارفه

ما فى البرية إنسان أطارحه ... شكوى الزمان ولا خلّ أتاحفه

تحت الثرى صار إخوان الصفا فسقى ... أيامهم من سحاب الدمع واكِفُه

سوى الضيا من غدا منه الوقا خُلُقاً ... فليس فى الخلق إنسان يضايفه

فتىً تردّى رداء المجد أجمعه ... ورد منه على العليا صوانفه

صفاته تعجز الأقلام إن رُقِمَتْ ... فليس يبلغ فيه الوصف واصفه

وافى إلينا نظام منه تحسبه ... دُرًّا على الجيد قد ألقاه راصفه

حوى بإيجازه الإعجاز يا عجباً ... منى أجبت ونظمى لا يناصفه

* * *

وله رضى الله عنه فى إنكار الألقاب المبتدعة .

تسمى بنور الدين وهو ظلامة ... وهذا بشمس الدين وهو له خسف

وذا شرف الإسلام يدعوه قومه ... وقد نالهم من جوره كلهم عسف

رويدك يامسكين سوف ترى غداً ... إذا نصب الميزان وانتشر الصحف

بماذا تسمى هل سعيد وحبذا ... أو اسم شقىّ بئس ذا ذلك الوصف

* * *

قافية القاف

وله رضى الله عنه إلى الشيخ العلامة محمد بن سالم وصال الأحسائى بعد كتب وصلت منه من مكة بعد قضائه الحج فى سنة ١١٢٨ ﻫ ثمان وعشرين ومائة وألف .

فؤادى إلى لقياكم الدهر مشتاق وقلب وإن جد النوى لك خفاق
وعين جرت منها عيونٌ لبعدكم وللدمع فى خد المحبين إهراق
وما مهجة الولهان إلا أسيرة وقيد الهوى لا يرتجى عنه إطلاق
كفى للمُعنَّى بالغرام وشجوه فيا عجباً ما للعواذل إشفاق
فيا عاذلى كن عاذرى إن مهجتى تقسمها بين ووجد وأشواق
لقد فتكت أيدى النوى بمتيم فمنهن إرعاد عليه وإبراق
يعز على قلبى فراق محمد وأن يتناءى منه خلق وأخلاق
فتى هو للأرواح رَوْحٌ وراحة فَمَنْ بعد المروح هم وإطراق
أيا ابن وصال أين وصلك إننى أرى الإسم ما لمعناه مصداق
إذا زرت أرضاً كنت إنسان عينها كأنك نور والمواطن أحداق
لجيد أزال بعد بعدك عاطل وكان عليه من معاليك أطواق
أقمت بها تجنى العلوم بمنحل الـ ـيراع وأوراق الفوائد أطباق
وفارقتنى حتى خيالك لم يزر وهل هدأت لى بعد بُعدِك آماق
لئن فرقتْ بينى وبينك غربة فقد جمعتنا بعد ذلك أوراق
إذا اعتل قلب الصب بالبعد والنَّوَى فإن وريقاتِ الأحبة دِرْياق
ووافى كتاب منك أسكن رَوْعتِى وبرد قلباً فيه للبيْنِ إحراق
كلام هو السحر الحلال وإننى لفى سكرة منه ومالىَ إفراق
وأودعته نظماً بديعاً كأنه هو الدر عِقْدًا والقراطيس أعناق
فلو قلدته بنت تسعين حجة لأضحى عليها للملاحة وإشراق

فضضت له ختماً ففاضت مدامعى ... سروراً ففى خَدَّىَّ للدمع أسواق
وسرحت طرفى فى رياض سطوره ... فما هو إلا البحر بالدر دَفَّاق
وصفت به البيت العتيق وطيبة ... سقاهن من صوب السحائب غيداق
منازل فيها للعبادات رونق ... وفيها لِرِقٍّ الذنب مَنٌّ وإعتاق
منازل فيها بحر عفو ورحمة ... فللذنب محو فى ذراها وإغراق
تشق إليها العيس كل تنوفة ... وللعيس فى قطع المهامه إعناق
سلام على تلك المعاهد من فتى ... له نحوها وجد وجِدٌّ وأشواق
ولا برحت تهدى إليك تحية ... تطيب بها من جَوِّ أرضك آفاق
وصلٍّ على المختار والآل كلما ... سرتْ بين إخوان المحبة أوراق

* * *

وله رضى الله عنه جواباً على المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله :

ما آن للعاذل أن يغلقا ... باب عتاب ويرى مشفقا
ما لى على بابك من طاقة ... ولا لمـا تمليه من ملتقى
ضيعت هذا النصح عندى كما ... ضيعت قلبى عند غصن النقا
تركته رهنا لديه فقد ... كاد وحق البين أن يغلقا
ما القلب إلا طائر فى الهوى ... لذاك قد صيد بسهم المقا(١)
يا عجباً يرقَى على قده ... ودمع عينى أبداً مارقَ
بل لا عجيب فغصون النقا ... صارت لأطيار الحمى مرتَقَى
والقلب ظرف مستقر له ... فلا عجيب إن به عُلِّقا
ياساحر الأجفان صل ساهراً ... من سحر عينيك عديم الرُّقَى
حيران لا يعرف مما به ... شاماً ولا غرباً ولا مشرقا

---

(١) من الترخيم للضرورة والمراد « المقل » والألف للاطلاق .

لا يهتدى وجهاً لمقصوده حتى يرى وجهاً له مشرقاً
سكران من خمر الهوى لا يرى منذ احتسا خمرته مفرقا
إلا بأن ننظر أجفانه من حبه وجهاً ولو مفرقاً
قال لى الناصح فى حبه تروم يا مسكين منه اللقا
هيهات لا تدرك مارمته حتى تُرَى فى حبه كالُّلقَا
لا تنفع الحيلة فى بابه لا القاصعا فيه ولا النافقا
لا ينفع الدمع ولو أنه كان دماً من جفنه مطبقا
ولا ر قبر النار نار الجوى ولو غدا منها الفتى محرقاً
ما غير تمزيقك ثوب النوى وهتك ماييكم لفقا
حتى يرى سُوحَ ضيا العلى والجد فيه حاملا صبحقا
فتى حوى كل كمال ومَنْ ينكر هـذا عده أحمقا
وقل له يسمع نظما له ينظر روضاً مثمراً مُورِقا
واحضر إذا ما شئت تدريسه ترى له يخضع من حققـا
وليحترس من نار ذهن له فإنـنى أخشى بأن يحرقا
وليغترف من بحر إحسانه فالـكل منه قد سقى واستقى
وإن تسل من بعدُ عن خلقه فعندى التحقيق فى ذا المقا
لست أرى بأهل لأن يقال كالروض ولن أصدقا
ما هـو إلا خلق لطفه من كل لطف قد غدا أرشقا
يسترق الألباب حتى لقد كنت أرى مثلى لن يسرقا
فاسترقت أخلاقه جملتى وكنت من قبلُ فتًى مطلقا
ولم يزل يبعث لى نظمه أن غبت عنه لأرى موثقا
وقد أتانى منه نظم فهل يحسب مثلى شاعراً مُفلِقا

وقد كان لى بحر نظام وقد غاض فمنه الآن لا يستقى

وقد ذوى روض المعالى وهل للروض إن لم تسقه مرتقى

وكيف لا والجهل أضحى يُرَى غير لواه اليوم لن يخفقا

وكلما قلنا عسى أقلعت سحابه أرعد إذ أبرقا

والعلم قد نكس أعلامه منكسراً من شوم ماقد لقا

والجهل ينمو كل حين فلا يأتى إلا فيلقاً فيلقا

وكم وكم أسرد من ذا الذى ليس له من سامع ملتقى

فاعطف عنان القول من بعد ذا

مهنئاً بالعيد خِدْنَ التُّقَى

هنيئتى بالعيد يا من أرى تهنئة العيد به أليقا

فأنت فى جيد العلى والدُّنا طوق به هذا وذا طوقا

* * *

وقال رضى الله عنه لما استأذننى سيدى العلامة ضياء الدين إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله في شرح منظومتى للكافل المسماة «بغية الأمل» وأذنت له وأخذ فى ذلك كتب إلينا عمه السيد العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله يذكر أنه ماتم شرح المنظومة بل صار مشغولا بالحمام وكانا جميعاً فى السجن فى قصر صنعا فكتبت إلى الضيا رحمه الله مداعباً وذاكراً له أنه وشى به عمه رحمهما الله تعالى .

أشغلت بالورقا عن الأوراق ياراقياً فى المجد خير مراق

فرغت سمعك لاستماع مطوَّقٍ يشدو فيبعث لاعِجَ الأشواق

طوراً يغنى للخَلِيِّ وتارة يبكى الشَّجِىَّ بدمعه المهراق

وإذا تأملت الحمام وجدته يُبكى كما أبكى فراق رفاق

إذ فارقت إلفاً وروضاً يانعاً ونأت عن الأغصان والأوراق

وغدت بسجن ضيِّق فكأنها قد نازعت ملكا بطول شقاق
عادت لها الأغصان أقفاصاً كما عاد الحسام مطوَّقا للساق
فغدت مطوَّقة وأنت مطوق فى الساق أنت وتلك فى الأعناق
لا تشغل الفكر الشريف بشجوها واشرح هواك لأعشق العشاق
لمتيم مازال يفرى قلبه بقنا القدود وصارم الأحداق
حتى غدا نفلا لكل خريدة تبتاعه الألحاظ فى الأسواق
دع شرح بغيته وطارحَ نظمه يا منيتى ببدائع ورقاق
وإلى متى شغل الفؤاد بفكره فى قول كل محقق سبَّاق
قد مات سعد الدين والعضد الذى كانت يداه يداً على الحذاق
ودع العضول مع النظام وهات لى نظما كنظم مصارِعِ العشاق
وصف الخدود مع القدود وخلنا من مبحث التقييد والإطلاق
ولقد وشى بك من وشى متحرشاً متطلبا للعتب والإقلاق
لله ما أحلى طريقته التى ما زال يسلكها بحسن سياق
طوراً كما رق النسيم وتارة يحكى لنا الأطواق فى الأعناق
لا غرو فهو البحر كل غريبة منه بمن المانح الخلاق
خُلُق الملوك ولطف إخوان الصفا ورقائق الصابى أبى إسحاق
ومواهب عمت عموم الغيث بل سارت مَسِيرَ الشمس فى الآفاق
ومعارف وعوارف ولطائف للطالبين سوالف وبواق
للناس خلف فى سيادة غيره وعلى سيادته أذعنوا بوفاق
لا زال سحب نواله وكماله يغشى البلاد بوابل غيداق

* * *

وله رحمه الله إلى السيد العلامة القاسم بن أحمد العيانى رحمه الله كتبها إليه من شهارة وأرسلها إليه إلى الروضة .

يا نسيما أذكى لهيب اشتياقى زُرْ أحِبَّاى واصفاً أشواقى
قل لهم إن سكنتم فى جِنَانٍ فهو فى النار فى عذاب الفراق
لا يذوق المنام طَرْفِى المعنى وصبوحى من أدمعى واغتباقى
ما سميرى إلا تذكر أيا م تقضت والعيش حلو المذاق
هل عساها تعود يوما من الدهـ ر وتفدى من عمرنا بالبواقى
فى رياض غنت على دَوْحِها الور قُ ومالت أغصانها للعِنَاق
وعيون الزهور من أثر الطـ لِّ كصبٍّ أبكاه بعد التلاقى
وإذا ما النسيم هبَّ أفاضتْ لؤلؤ الطَّلِّ راحة الأوراق
ولدينا من الرياض رياض نجتنيها من طيِّب الأخلاق
علم الدين مَنْ إليه المعالى مسنداتٌ بالبتِّ وَالاتِّفاق
فاق أبناء عصره فلهـذا طار عنه الثناء فى الآفاق
قد تولى فصل القضا فى شباب ثم فاق الشيوخ عند السباق
كم قضايا ما افتضها فكر قاض حلها ذهنه كحَلِّ الوثاق
بحر علم وبحر جود فَرِدْ ما شئت تظفر يداك بالأرزاق
يا خليلى بل سيدى ونصيرى وشريكى فى طيب الأعراق
لست أشكو إليك غير فراق طال بينى وبينـكم يارفاقى
قد تقضَّى حولٌ وحولٌ تَدَانَى والنوى ثوبه جديد الرواق
كلما قلت قد تناها تبـدى مثل ليل الصدود للعشاق
ليس أُنْسِى غير الرجا لتقضيـه وما جاءنى من الأوراق
فهى كالوصل واللقا لفؤادى وهى أحلى من السكرى للأماقى
فَصِلُونا بها ولا تقطعونا فهى كحل يهدى إلى الاحداق

وَأَمِدُّوا بدعوة تذهب الْبَيْـــنَ سريعاً وتأتنا بالتلاق
وعليكم تحية لا تقضى مثل حُبِّي لكم وطول اشتياق

* * *

وله رضى الله عنه .

قال لى اللائم لما رأى تعلق القلب بغصن النقا
اقطع علاقات الهوى تسترح فقلت أو تسمع منى المقا ل
قلبى ظرف مستقر له فلا تلمنى إن به علقا

* * *

وله رحمه الله مما قال فى السجن :

أراد منامى أن يواصل مقلتى وما عاقه عن وصلها قبلُ عائق
فما راعه إلا المطارق حوله ففرَّ ونادَى أن هذى صواعق

* * *

وله رضى الله عنه عند الوقوف على حديث البطاقة المشهورة :

مهما تفـكرت فى ذنوبى خفت على قلبى احتراقه
لـكنـــه ينطفى لهيبى بذكر ما جاء فى البطاقه

* * *

ولمـا بلغ رحمه الله سنة ١١٨٠ هـ وكانت موفية لثمانين سنة من عمره قال تحدثاً بنعمة الله عليه وأورد قبلها أحاديث من بلغ هذا وتحدث بنعمة الله عليه ، وسماها « القول المتين ، فى بشرى من بلغ سن الثمانين » .

الحمد كل الحمد للخلاق رب العباد قاسم الأرزاق
ولك المحامد كلها من كلنا حمداً يعم الحمد باستغراق
ألبستنى حُلَلَ الثنـــاء تفضلا ونشرتها فضلا على الآفاق
حتى أتتنى بالثناء رقاع مَنْ أدرى ولا أدرى بلا استحقاق

ودعوا لنا فأجب دعاهم واجزهم خيراً ولاطف صحبتى ورفاقى
وأنا الذى ألبست نفسى حلة منسوجة بقبائح الأخلاق
فسترتها فضلا وأظهرت الذى ألبستنى فلك الثناء الباقى(١)
ألهمتنى كسب العلوم مسخراً لى كل شيخ عالم سباق
فى كل فن قد أخذنا عنهم فى الليل أحياناً وفى الإشراق
بذلوا نفوسهُم وكتبهُم لنا فكأنها كتبى بغير فراق
فجزاهم الرحمن خير جزائه أما جزاى لهم فغير مطاق
حتى إذا أدركت منهم بغيتى درّست أعياناً من الحذاق
ما زلت أغذوهمُ بما علمتنى حتى سموا ورقوا أجلّ مراق
ما منهم إلا إمام فاضل ظهرت فضائله على الأوراق
ما بين تأليف ونظم فائق ينسيك بالصابى أبى إسحق
حتى إذا شب المشيب بعارضى ومضى الشباب وكان خير رواق
ألهمتنى نشر الحديث وسنة المـ ختار حتى أشرقت آفاق
طلعت بها شمس الحديث فأقشعت ظلم ابتداع مالها من راق
فهدى الإله إلى الحديث جماعة فازوا به إذ وفقوا لوفاق
ثبتوا على قدم الهدى وجماعة قاموا على ساق لحرب رفاق
وتشددوا تهددوا لكنها عادت نكايتهم إلى الإخفاق
رد الإله مكايداً منهم وما راموه للأرواح من إزهاق
وصدعت بالتفسير للقرآن فى أمم هم الأعيان فى الأحداق
لقد استفادوا منه كل إفادة ما لم يروه قبل فى الأوراق
فتحٌ من الله الكريم ومنة مدد أتى من قاسم الأرزاق

---

(١) دعاؤه من قوله صلى الله عليه وآله وسلم « يا من أظهر الجميل وستر القبيح » رضى الله عنه .

لا مانع لعطائه أيضاً ولا مُعْطٍ لمنع الواحد الرزاق
أرجو بهذا كله عفو الذى عمّ الوجود بجوده الدفّاق
وكذا بإصلاحى ثلاث طوائف قد أشعلوا فى الأرض نار شقاق
ما بين قاسم الإمام وفتية من آله وهُمُ بنو إسحق
فِتَنٌ بها نَهِبَتْ هناك طوائف وطوائف فروا من الإشفاق
وكذا الحسين وأصله العَلَمُ الذى ضربتْ له العليا أجلَّ رواق
وكذا الحسين وصنوه فتنوا الملا وتقطعت طرق عن الطراق
تسع من السنوات كان بقاءها فتضيق عن تفصيلها أوراقى
آمنت بإصلاحى لتلك معاشر وبه الدما حقنت عن الأهراق
والرابع الإصلاح بين إمامنا وأخى أبيه طيب الأعراق
جعل الإله صلاحهم لسعايتى مابينهم بالصدق والأصداق
وعففت عن أموالهم لاقطعة أقطعت أو مكس من الأسواق
أو كيلة من أىِّ مخزان فلا أشكو من الخزان والسواق
عرضوا علىَّ وزارة وولاية فوقانى الرحمن أفضل واق
جعل الوزارة والولاية لذتى فى العلم ربى صادق الميثـــاق
وأتى برزق واسـع يربو على ما فيه حاجة ملبسى ومذاقى
أرجو الجزا من خالق السبع العلا فى يوم فقر الخلق والإمــلاق
يوم يشيب الطفلُ من أهواله والناس سكرى لا بكأس دهاق
هــذا كما أمر الإله تحــدثٌ بالفضل والإنعـام والإنفـاق
أنفقت عمرى فى رضاه بفضله وعساه كالماضى يكون الباقى
والآن سِنِّى فى الثمانين التى بلغتها فضلا من الخــلاق
متعت فيها بالحواس وبالذى أهواه من ولد ومن أرزاق
وأقول فى هذا النظام مخاطباً نفسى التى هى أنفس الأعلاق

يا ابن الضيا خالفت والدك الضيا ... فغدوت للدنيـا من العشـاق

يا ابن الضيا أين الزهادة والتقى ... وهما صفات أبيك باستحقاق

ياابن الضيا قرب الرحيل ولا أرى ... زادا لديك يعد للإنفـاق

ياابن الضيا قف سائلا متضرعاً ... بالباب واطرقه مع الطُّرَّاقِ

ياابن الضيا قل شاب عبدك آبقاً ... فعسى عساه يمن بالإعتـاق

ياابن الضيا ماذا تقول لسائل ... فى اللحـد إن وافاك بالمطراق

ياابن الضياء ماخفت يوم الحشر وال ... ميزان عند تطاير الأوراق

فأجبتها يانفس قد طولتِ فى التهـ ... ويل والإزعاج والإقـلاق

أنا فى غد ضيف الكريم وضيفه ... لا يحملنَّ الخبز فى الأطبـاق

هذا هو الضيف اللئيم لأنه ... وصف الكريم بأقبح الأخلاق

وهو الذى عم الأنام بفضله ... إحسـانه الأطواق فى الأعناق

والزاد كل الزاد فى التوحيد والـ ... إيمان بالراقى لسبع طباق

وأنا بحمد الله ربى مؤمن ... ما شِيبَ إيمانى بشوب نفـاق

وبذا أجيب مسائلى فى حفرتى ... وبه ختام القـول عند سيـاقى

هذا بفضل الله ربى وحده ... والفضل عند الموت منه باقى

بل فضله بعد الممات مضاعف ... أتت النصوص به على الإطلاق

سل سورة الأنعام والأعراف تَلْـ ... قَ نصوصها فى هذه بوفاق

وكذاك « غافر » والتى من قبلها ... بهما صفات العفو للخلاق

أو ما علمت بأن رحمته التى ... عمَّتْ جميع الخلق فى الآفاق

من مؤمن أو كافر ومنافق ... أو فاسق من أعظم الفساق

بل كل ما فى الكون من أفضاله ... حتى الغراب وربة الأطواق

بل والجمادات التى من فى أرضه ... فى فضل موجدها بلا استحقاق

أوَ مَا الدينار وهو حجارة ... كل الأنام له من العشاق

والؤلؤ المعروف أضحى زينة ... للغانيات يُرَى على الأعناق
والفضل هذا كله من رحمة ... لا غير من بها الإله الباقى
ولديه مدخر لنا من فضله ... تسعون مع تسع[1] ليوم مساق[2]
سيضم هذا ربنا من فوقها ... فتكون عشر الألف للإنفاق
ويُفِيضُها يوم الحساب على الخلا ... ئق منّةً فى يوم كشف الساق
جاءت بما قلت النصوص صحيحة ... من حافظ عن حافظ سباق
ثبتت عن المختار أحمد من رقى ... ظهر البراق وحبذا من راقى
صلى عليه الله خير صلاته ... والآل أرباب التقى السُّبّاق

* * *

وله رضى الله عنه فى ثقيل .

وثقيلٍ كلفتُ نفسى لقيا ... ه وهذا تكليف مالا يطاق
أنقذونى منه ولو بمماتى ... رُبَّ موت يلذ منه المذاق

* * *

ولما اطلع رحمه الله على قول ابن الراوندى .

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه ... وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الأوهام حائرة ... وصيّر العالم النحرير زنديقا

* * *

قال رحمه الله بعد البيت الأول :

هذا الذى زاد أهل العلم معرفة ... وزادهم بالإله الحق تصديقا
فليس بالجهل صار الرزق مغتبطاً ... وليس بالعقل صار الرزق ممحوقا

---

(١) إشارة إلى حديث معناه « إن الله مائة رحمة الخ أدخر منها لعبادى يوم القيامة تسعة وتسعين رحمة »

(٢) اقتباس من قوله تعالى « إلى ربك يومئذ المساق » والمساق مصدر ميمى بمعنى السوق وهو على حد قوله تعالى « وإلى المصير » والمراد بيوم المساق : يوم القيامة .

وإنما هي أزراق مقـــــدرة بحكمة الله فاسئل منه توفيقـا

* * *

وله رضى الله عنه فى صدر أبيات إلى المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحاق رحمه الله .

أيهـا العاتب رفقاً ليس ما تعتب حقا

إن عتبي لك أولى غير أن العفو أبقى

أنت أهملت كتابى وهو قد وافاك رقا

* * *

وله رضوان الله عليه إلى السيد العلامة قاسم الرموذى رحمه الله بعد اطلاعه على مؤلفه المسمى « صفوة العاصر فى آداب المعاصر » .

فـكتب إليه مقرضا له[1] ...

مولاى السيد العلامة ، السالك مسالك الجلال والاستقامة ، علم الإسلام ، وواسطة عقد هذا النظام ، المحب وقف على هذا التأليف وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه ، والتأمت عليه شغاف قلبه كما التأمت على الزهر كمائمه ، وقلت عند ماقرأت سطراً منها ، وقد ثملت من خمرها ، وارتشفت رياها :

يالله من مؤلف هو ينسى بالأغانى وروضة المشتاق

قلت لما ثملت منه أهـذى خمرة أم به غنى إسحق

أمهو السحر لا وأستغفر اللـ ـه فهذا السحر كالدرياق

جنة أينعت وروض أريض فاقتطفها بالذهن والأحداق

وتنسّم منه روائح لطف واتخذه عقداً على الأعناق

---

(١) التقريض والتقريظ بمعنى واحد وهو المدح إلا أن التقريظ خاص بالمدح والتقريض من الأضداد يستعمل للمدح والذم جاء فى القاموس المحيط ، التقريض : المدح والذم ضد » والتقريظ : مدح الإنسان وهو حى بحق أو باطل وهما يتقارظان المدح ، يمدح كل صاحبه وأهل اليمن ونجد والعراق يبدلون الظاد ، ضاداً ، يقولون فى مستهل كتبهم أو خاتمتها تقاريض الـكتاب ، ودرج الشاميون ، والمصريون ، والهنود ، والأتراك على التعبير بالظاء ، فيقولون « التقاريظ » ولـكل من الفريقين شاهد فى اللغة كما نقله صاحب القاموس وغيره .

أَدْنَتْ نحوك الكواكب حتى — رصفتها يداك فى الأوراق

وكلام تنشيه أنت فلا غَرْ — إذا فاق أهل السباق

إن نطقتم فالنثر من فيك دُرٌّ — أو نظمتم فجوهر فى نطاق

قد بلغتم من البلاغة شأواً — أعجز اللاحقين فى الآفاق

أنت إنسان كل عين كمال — وجمال له على الإطلاق

فابق كالبدر فى عُلوٍّ ونور — وكشمس النهار فى الإشراق

وسلام عليك من رق وُدٍّ — عن هوا كم حاشاه من إفراق

* * *

وله رضى الله عنه جوابا على الفقيه العلامة أحمد بن يحي الشامى رحمه الله بمحروس شهارة :

وافى نظامك أيها الفذ الذى — حاز الكمال وجاز خير طرائقه

نظم أرق من النسيم لطافة — وألذ من لهو الفتى بمعانقه

تشكو الزمان وكم شكاه أخو الفتى — لما رماه تعمداً ببوائقه

وهضمت رتبتك التى حليتها — فى العلم إذا أدركته بحقائقه

والله لست بدونهم فى رتبة — ولقد أخذت كأخذهم بسوابقه

ولبست فى كل العلوم مطارفا — وعدوت فيها من أجل بطارقه

ولقد عجبت لما ذكرت وهكذا — حال الزمان وأهله وخلائقه

* * *

قافية الكاف

وله تغمده الله برحمته راثيا للمولى العلامة شرف الآل الزاهد الورع الحسن بن القاسم بن المؤيد رحمه الله تعالى :

ثوى جبل العلم الذى طال واندَكّا — وأصبح عقد الجود والعلم منفكا

هو الخطب قد أصلى الحشا لهب الأسى — فكم مهجةٍ أنكى وكم مقلةٍ أبكى

فقل للعفاة السائلين توقفوا — ولا تطلقوا سفن المطالب والفلكا

فقد غاض بحر الجود بعد اضطرابه بأمواج بذل لا تحاى ولن تحكى
فتى همة إيثار من كان مُعدَماً فلم يدخر مما يخوله سلكا
أبا كان للأيتام بعد أبيهمُ فلم تعرف الأيتام ماالعيشه الضنكا
حليم إذا الجانى أتاه كأنه أتاه بأمر يوجب البر والضحكا
ويُلبِسُ من وافاه فى برد روعة من الأمن بردا لا يخاف له هتكا
يرى زهرة الدنيا هباء زهادة وينظر ما يأتيه من صدقها إفكا
على مثله تُذرِى العيون دموعَها كعقد من المرجان قد قطع السلكا
ولا ألتقى قلنا نصك تأسياً خدوداً مصونات على فقده صكا
سأبكيه لا كالخود يقصر حقها ولكن بدرس الذكر فى الليلة الحالكا
سلام على تلك الشمائل إنها إلى الله فيما ناب من فقدها يشكى
سلام على تلك الشمائل إنها شمائل أبرار على مثلها يبكى
سقى جدَثاً قد ضمه غيث رحمة وأفرشه من طيب رضوانه مِسْكا

* * *

وله قدس الله روحه فى عليين :

حسبك الله لِمْ أطلت جفاكا لمحب معذَّبٍ بهواكا
يا رشيق القوام رقَّ لقلب خافق لا يريد غير لِقَاكَا
إن فى القلب من جفاك لهيباً فترفق لا يحترق مأواكا
أقسمتْ مقلتى مذ غبت عنها أن تَشُنَّ الدموع حتى تراكا
فتعطف ورقَّ وَارْثَ لحالى وتفضل بِرَدِّ روح فداكا
ليت شعرى علامَ طولتَ هجرى وإلى كم أذوق مُرَّ جفاكا
يا سقى الله عصر وصْلٍ تقضَّى وعسى أن ترده لى عساكا
أنا والله لا أحول عن العهـ ـد ولا أرتضى بِخِلٍّ سواكا

* * *

وله رحمه الله فى الهزل الذى يراد به الجد :

يقول من فى علمه يدعى ... بأنه قد فاق أهل الذكا
قد دق عن فكرى ما دققوا ... فقلت دع مادق عن فكركا

* * *

قافية اللام

وقال رضى الله عنه نفثة مسطور ، وكلمة جاشت بها الصدور ، عند تغير الأمور :

هل فى الرفاق متيم مثـــلى ... أملى عليه ومنـــه أستملى
طـوراً أسلِّيـــه وآونة ... لجليسه بحديثــه يسلى
وأبث ماعندى وآمن مِنْ ... تسـديده لقوارع العـــذل
ويقول قد لاقيتُ قبلك من ... ليلى كما لاقيت من جمل
برح الخفـــا ماللغرام ولى ... حاشـــا يلم بمثـله مثلى
ياسعد فى دهرى وفتنتـــه ... شغل لقلبى أَيّما شغـل
إن الزمان وقيت فتنتـــه ... أضحى بلا أُبٍّ ولا عقل
قد صار فى حال منكـرة ... لا يعرف التمييز فى فعـــل
كنـا نؤمل أن يميز فى الـ ... أحكام بين الرأس والرجل
وإذا قد التبسا عليـه وقد ... عكس القضية عكسها الـكلى
قبحاً لوجهك يازمان لقـد ... أدنيت شأو المجد والفضل
وهدمت عمـداً كل قاعدة ... عمرت لأهل العقـل والنقل
صار المقـــدم تالياً وأتت ... هذى النتائج لا على شكل
وخفضت مرفوعـاً بلا سبب ... أكذا يجازى كل ذى نبل
وفصلتنى عن جملتى غلطـاً ... أجهلت باب الفصل والوصل
حتَّامَ ترمى كلَّ ذى شرف ... وتصيب أهل النُّبْلِ بالنَّبْلِ

صبراً عساه يجي معتـذراً ويطهر الأوسـاخ بالغسل
ويعض من ندم أنامــله ودموعه فى الخـد كالوبل
ونظل فى ظل الأمان وقـد نشر الزمان مطارف العدل
وسحائب الإقبال قد سكبت وبلَ الهنا لإزالة المحـل
فهناك أكسو الدهر من كَلِمِى حُلَلاً حلت كرقائق الحلى
ثق بالذى تهـواه يا أملى سترى قريباً صدق ما أُمْلِى

* * *

أنشد الثعالبى رحمه الله فى يتيمة الدهر لأبى سعيد الرستمى محمد بن محمد عرف جده برستم فى مدح الصاحب ابن عباد قال الثعالبى إنه جمع محاسنه ولطائفه فيها وهى :

سلام على رمل الحمى عدد الرمل وحق لها التسليم من عاشق مثلى
وقفت وقوفَ الغيث بين طلوله بمنسكب سح ومنسجم وبل
ومادمت حتى رامنى الرِّئْم رمة وأذرف آماق الحمى الدمع من أجلى
خليليَّ قـد عذبتمانى ملامة كأن لم يقف فى دمنة أحدٌ قبلى
ومما شجـانى والعواذل وقف ولى أذن صمت هناك عن العذل
ظباء سرتْ بالأبطحين عواطلا وكنت أراها فى الرعاث وفى الحجل
تبدلن أسماء سوى ما عرفتهـا لهن فلا تدعى بسعدى ولا جمل
تشابهن إحداقاً وطول سوالف وخص الغوانى بالملاحة والدل
ومكحولة الأجفان مخضوبة الشوا ولم ندر مالون الخضاب من الكحل
ذكرت بها من لست أنسى دنوها وإن بعدت والشىء يذكر بالمثل
سقى الدمع مغنى الوابلية بالحمى سواجم تغنى جانبيه عن الوبل
ولا برحت عينى تنوب عن الحيا بدمع على تلك المناهل منهل
مغانى الغوانى والشبيبة والصبا ومأوى الموالى والعشيرة والأهل

وما كان يخلو بارق الجو من هوًى ولـكننى أُمسى بغير الهوى شغلى
فراح بنابى ذكرهن وهاجنى كما هاج ليث الغاب وغوغة الشبل
وكم قد رحلت العيش فى طلب العلى فلما بكت سعدى حططت بها رحلى
نزلت على الأيام ضيفاً فلم أجد قِرًى عندها غير النزول بلا نزل
وقد سامنى أهلى المقام بذلة ولست بأهل للذى سامنى أهلى
سبيل الغنى رَحْبٌ على كل سالك فما لِىَ أمشى فيه فى مدرج النمل

* * *

وعارضها مولانا البدر رضى الله عنه فقال:

سلام على الدار التى جمعت شملى وشمل الذى أهواه فى زمن الوصل
بها نلت ما تهوى النفوس وترتضى فأمْلِ إذا وافقت سمعاً لمستمل
حللت بها عنى عقود تمائمى وحليت جيدى بالفضائل والفضل
قطعت بها عصر الصِّبَا بين حيرة لإحسانهم عاد الأجانب هم أهلى
فلم أر إلا باسماً عنـد خدمتى فمن واضع رحلى ومن حامل نعلى
أُحَـكَّمُ فى أموالهم فتصرفى تصرفهم فيها وفعلهُمُ فعلى
وأقسم لولا حرمة الشرع بيننا لقالوا تحكم فى البنين وفى الأهل
وكم روضةٍ قد أنزلونا كأنهـا رياض جنان الخلد شكلا على شكل
يبلبل فيهـا النهر حتى كأنه يترجم أصوات البلابل إذ تملى
فأطيارها غنَّتْ وصفق نهرها وأعجبها رقص الغصون بلا رجل
وقد طرزت أرض الرياض يَدُ الحيا وجاد عليها السحب بالوبل والطل
وقد فرشتها عبقرىٌّ زهورها فخلنا العيون البابليات فى الرمل
وكانت سليمى ياسقى الله عهدها تراسل سراً بالرسائل والرسل

تسائل حينا كيف أصبحتَ بعدنا
فقلت لرجْوَى الوصل أصبحت فى فضل

فقالت وكم ترجو الوصال وإنما قصارى وصال أن تعود إلى فصل
أمالك فى مَرِّ الجديدين عبرة بلى إن فى مر الجديدين مايبلى
يُغيِّر كل الكائنات مرورها ويلحق فيها الطفلُ بالشيخ والكهل
فسرح طرف الفكر فى الأرض هل ترى
سوى ذى عَنَاء من أذاها وذى شغل

تذكر فكم فارقت من كل ماجد ومن عالم بحر وغَمْرٍ أخى جهل
دع الناس واذكر مافقدت من القُوَى فذالك عندى عبرة لذوى العقل
رياض شباب كنت أحسب أنها تدوم كأنى مارأيت فَتًى قبلى
وصبح شبابى مثل لمعة بارق كأن سواد الشعر نوع من الظل
غزاه بياض الشيب من كل جانب كمنتصر للخد فى لونه الأصلى
ولم يدر أنى لا أريد انتصاره إلى الله من نصر يعود إلى قَتْلِي
فما الشيب إلا من جيوش منيتى يقيم قليلا ثم يرحل بى كلى
فما باله إن كان ينصر لونه ويزعم أن الغزو قد كان من أجلى
أضر بأسنانى وكانت كلؤلؤ يضم لثاتى سمطها غير منحل
فصيرها سلكا وعاد كلؤلؤ يثور على رغمى من العقد منسل
وقد عاد رمح القد قوساً كأنه يحاول رمياً المنيـة بالنَّبل
وهيهات لا تغنى القسِيُّ عن الردى ولا الأسل الخطىِّ عن دفعها يسلى
وكادت خطاى أحسن الله سعيها يروم بمشاها مساجلة النمل
فما هذه الدنيا بدار إقامة فما بالنا كل تراه بلا عقل
أما لو عقلنا ما غفلنا عن الذى يراد بنا فالحكم لله ذى الفضل

* * *

وله رحمه الله :

عبد أساء ثم أتى قارعاً باب كريم لا يرد السؤال
آتاني المطلوب من فضله وزادني من فضله ما أنال
يلطف بي في كل حال أتى فالحمد لله على كل حال

* * *

ووصل إليه رحمه الله هذا السؤال من الشيخ العلامة عبد الله بن محي الدين العراسى رحمه الله :

يا أيها البدر المنير والذى بشمس علمه الظلام ينجلى
كيف اقتصاص الله للجما من الـ ـقرنا وكل منهما لم يعقل
وإنما العقاب فرع العقل فالـ ـمروى فى ذلك أى مشكل
فطالما أملت أن أرى له حلا ومنك أرتجى مؤملى

* * *

فأجاب رضى الله عنه :

أهلا بنظم كالرحيق السلسل وافى سؤال من ذكى مقول
كيف اقتصاص الرب للجمَّا من الـ ـقرنى وكل منهما لم يعقـــل
والعقل فى التـكليف أمر لازم فاكشف لنا عن صبح ليلٍ أليَلِ
فاعلم هـــديت للرشاد إنه قد صح ذا عن النبى المرسل
وإنه حتم به إيمـــاننا من غير تأويل ولا تستشكل
ويجوز أن لها بتلك مداركاً خلقت لها حقاً من الرب العلى
أوَ ليس تعرف ضرها من نفعها فانظر إلى أحوالها بتــأمُّلِ
لا مانع عن قصدها فى نطحها بقرونهــا أضرارها بالأعزل
وتذودها عن قوتهــا ووردها يوماً إذا وردا ميــاه المنهل

بل قال قوم إنها قد كلفت ... ولكم بها من حبها من مرسل[1]

وعليه فى الأنعام[2] جاءت آية ... دلت لما قالوه بالنص الجلى

وكذاك فى الإسراء قال إلهنا ... كل يسبحه بغير تأول

دفع التأول قوله مستدركا ... لا تفقهون فخله فى معزل

وكذا أتى فى الحج كلٌّ ساجد ... فاتلُ الكتاب تلاوةً بترتل

وانظر خطاب النمل هل ترمثله ... إلا لذى اب ذكى أكمل

هذا هو التحقيق لا ما قاله الـ ... كشاف فى تأويله للمنزل

وكذا الحديث أتت بذاك أدلة ... مابين متصل هناك ومرسل

فَلِقُدْرَةِ الرحمن جل جلاله ... سِرٌّ وإن كنا له لم نعقل

فاذعن لما قد جاء غير مؤوَّل ... واسلك على نهج الطراز الأول

صَحْبِ الرسول فإنهم قد أذعنوا ... ورأوه حقاً ليس بالمستشكل

أغناهمُ إيمانهم ويقينهم ... عن درسهم لمطول أو أطول

وأقول فى دفع السؤال لمن أبى ... هذى الطريقة فى زوال المشكل

تأويل هذا الاقتصاص بأنه ... مثل وليس يراد غير الأمثل

أعنى المكلَّفَ فالحديث عبارة ... عن ظالم فى حكمه لم يعدل

وأرادِ بالقرناء كل مسلط ... وأراد بالجماء كل مُكبَّل

من باب قسم الاستعارة وهى من ... قسم الصريح سألت أم لم تسأل

ولها القرينة علمنا فى شرعنا ... عدل الإله يعذر من لم يعقل

نخذ الجواب كما تراه منقحاً ... والحق عندى فى الجواب الأول

* * *

(١) أى : نبى مرسل .

(٢) « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم » .

وقد بسط رحمه الله الكلام على هذه المسئلة فى رسالة مستقلة :

سؤال نسبه فى معاهد التنصيص إلى المعرى :

قلتم لنا صانع قديم ... قلنا نعم هكذا نقول
ثم زعمتم بلا زمان ... ولا مكان ألا تقولوا
هذا كلام له خفاء ... معناه ليست لنا عقول

* * *

فأجاب عليه مولانا البدر رضى الله عنه :

ناقضت ماقلت ياجهول ... ماهكذا تفعل الفحول
أقررت فى أنه قديم ... قلت نعم هكذا نقول
ثم أَقِسْتَ الإله جهلا ... بحادث حاله يحول
له زمان مع مكان ... بذا وهذا له حصول
وليس مثل الإله شىء ... فلا مثال ولا مَثِيلُ
إن كنت صدقت ما أتانا ... عنه تعالى به الرسول
فلا تقس واقتبس علوماً ... جاء بها الروح جبرئيل
والله ما الحق فى سواها ... فهى إلى الجنة السبيل
وإن تكن مُسْلِماً فسلِّم ... فقد مَلاَ رأسك الفضول

* * *

وله رضى الله عنه عند نزول الثلج فى ليلة الثلاثاء تاسع عشر شهر شعبان سنة ١١٨٠ هـ

ألبس الله تعالى أرضنا ... حلة بيضاء من خير الحلل
فكأن الجدب قد مات وذا ... كفن للجدب إذ لاقى الأجل

* * *

وله رحمه الله كتبها إلى والده رضى الله عنه من الطائف وذلك فى شهر المحرم سنة ١١٣٩هـ تسع وثلاثين ومائة وألف بعد عوده من مكة المشرفة وإقامته بالطائف هو والشيخ العلامة زين العابدين بن سعيد المتوفى رحمه الله :

أحبتنا إن تفضلوا بسؤال ... عن الحال فاستفتوا فصيح مقالى

فراقكم ما كان مِنِّىَ عن رضاً ... لذلك أشجانى وبلبل بالى

وأطلق دمعى بعد تقييده الكرى ... فما ذاق طرفى الغمضَ منذ ليالى

خلا إننى إذ كنت للبيت قاصداً ... وشوقى إليه دائمـاً مُتَوالِى

يخفف مابى من غرام ولَوْعةٍ ... وكنت لما ألقاه غير مُبَالِ

فما زلت أطوى كل قفر وعامر ... وسهلٍ ووعْرٍ نحوه ورمال

إلى أن نزلنا سوحه فى سلامة ... فألقيت فيه عند ذاك رحالى

لحفت بنا النعماء من كل جانب ... وما أنا فيما قلته بمُغَالِى

وطاب لنا فيها المقام وكلما ... نرجيه فى حال لنا ومآلى

ولكنه من شدة الحر لم يكن ... تطاوعنى فيما أروم نعالى

ففارقته كرهاً وقلبىَ خافق ... ودمعى على خدى عقود لآلى

إلى بلدة بل روضة جادها الحيا ... بها العذب من ماء وبَرْدِ ظلال

وكل الذى تهوى النفوسُ فوصْفُها ... تباعد عن لفظى وضربِ مثالى

فقرَّتْ بها عينى ونلتُ بها المنى ... وما خطرتْ فيها الهمومُ ببالى

وساعدنى دهرى وكان معانداً ... يطاول فيما أبتغيه مطالى

صفا لِى العيش وهو مكدر ... فيا حبذا ما لذ لى وصفا لى

كأن سرور القلب كان بى مغرماً ... يبالغ فى قربى وطول وِصالى

سلوت بها أهلى وصحبى وجيرتى ... وما كنت عنهم قبل ذاك بسالى

فلولا ضياء الدين ما كنت ذاكراً ... مدى الدهر أو طانى بسفح أزال

إمام الهدى والعلم والزهد والتقى ... وأفضل سجّادٍ وأشرف تال

له من صفات المجد ما لا أُعُـــدُّه   فقل جملة قد حاز كل كمال

جفت مقلتى طيب الـكرى لفراقه   فلم أنتفع منه بِطَيْف خيال

ومهما سَرى البرق اليمانى شاقنى   وناديته يابرق قف لسؤالى

عسى خبراً تمليه لى عن أحبتى   فأصغى له سمعى بغير ملال

وهل لك فى أكناف صنعاء وقفة   فصف لهم بالله طيبة حالى

وأرجو قريباً يبدل البين باللقا   وقبح النوى عنهم بحسن وصال

* * *

ومن هنا ذيل للشيخ زين العابدين رحمه الله :

يسر بما يهوى المحب ويهلك الـ   ـحسود ويبكى للمساءة قالى

وإن كان فى أكناف مكة جمعنا   وفى طيبة الفيحاء خير مثال

فيا حبذا لو يسمح الدهر باللقا   بأحبابنا اللائى بسفح أزال

فقد طاب لى عيش وقرت نواظرى   بنجل الضيا بل بدر كل كمال

* * *

، قال رضى الله عنه اتفق للفقير إلى الله محمد بن إسماعيل الأمير فى سفرنا إلى بيت الله الحرام سنة ١١٣٣ هـ ثلاث وثلاثين ومائة وألف عند الرجوع من المدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام إنا ركبنا البحر من بندر جدة متوجهين إلى اليمن فى بعض السفائن :

فمشينا يوماً من جدة وانخرقت السفينة وغلب عليها الماء الداخل منها وخشينا ، وأرادوا يرسون ، فإذا هى فى محل عميق لايمكن الإرساء فيه .

ثم ساق الله أسباب السلامة بعد الإياس منها والبقاء فى البحر ليلة على حالة مقلقة وأرسلنا لسنابيق من جدة ، ورجعنا إليها .

فقلت فى جدة واصفاً لتلك الحال وأرسلتها إلى سيدى والدى العلامة إسماعيل ابن صلاح إلى صنعا من اللحية :

نعمة إن ذكرتها وجب الشكـ ... ر ولله الشكر فى كل حاله
مذ ركبنا على السفينة فى البحـ ... ر أرتنا أحواله أهــواله
وأقاموا الشراع يستجلبو الريـ ... ح وأبدى كل هناك احتياله
فأتتهم ريح تسوق السواعى[1] ... مثلما ساق جامل أجماله
ففرحنا بها وملنــــا كأنا ... فى رياض غصونها مياله
ثم سارت بأعين الله تجرى ... وترينا من كل بر رماله
ثم ماراعنا سوى قول شخص ... لخليل له يسر المقـــاله
قد طغى المـاء من الهراب وأخشى ... بعد هذا ألا يطيق احتماله
فأتوا بالدِّلاَ لـكى يغرفوه ... وهو يزداد كثرة وإســاله
فنظرنا فيها وقلنا جميعاً ... إن هذا خرق بها لا محاله
وفرقنا وصار كل فريق ... نادباً نفسه هنــاك وماله
ثم صاروا مابين داع إلى اللّـ ... ـه وداع أشياخه ورجاله
وفتى مبلس وآخر باكٍ ... يحسب اليتم قاصداً أطفاله
واستفاقوا يدبرون خلاصاً ... من هلاك قد ضمهم فى الحباله
وأرادوا يرسونها فإذا البحـ ... ـر عميق حبالهم لن تناله
فأيسنا وقال كل لــكل ... اتركونا يقضى القضا ما بداله
وَصِلُوا إن قطعتم بهــلاك ... لفظ حرف الندا بلفظ الجلاله
فأُغِثْنَا بالقرب من ساحل البحــر لحط الرجا هناك رحاله
ثم بتنا فى ليلة ننظر الفكـ ... ر بأجفان همـــة أمّاله
تارة ننظر الخـلاص وأخرى ... ننظر الليل ملقياً أذياله
فنعود الرجا قنوطاً وللخو ... ف جنود على الرجا صوّاله

---

(١) اسم لبعض ألواح السفينة .

فهما فى الجلاد إذ برز الفجـ ـر مزيلا على الدجا سرباله
ورأينا زوارق الأمن قدوا فت كخيل فى مشيها مختاله
أنقذتنا من كل هول وكرب بعد أن طنب الهلاك حباله
وغدا الأمن يصفع الخوف إذ ذا ك ويدمى بالنعل منه قذاله
ومشينا فى البر فى حر شمس والظما مرشق إلينا نباله
وأتانا المركوب والما وفك الله عن كل مقفل أقفـــاله
وإلى جدة رجعنا وفيها قد رسمنا حروف هذى المقاله
وإليـــكم ياجـــيرة فى أزال قد وصفنا ما كان فى ذا العجاله
لتزيل الأشجان عن كل خِلّ صار يخفى عنا لفقد سواله
فله الحمد كم قال وكم عا فا وكم فك عن أسير عقاله

* * *

كان مولانا البدر رضى الله عنه يذاكر بهذا السؤال وهو عن المذهب وعن تعيين من هو مذهبه جماعة من العلماء العاملين ، مثل والده ، والسيد العلامة الزاهد ، على ابن يحي لقمان رحمهما الله ، وجماعة من تلاميذه :

منهم المولى العلامة الذكى البليغ ، إسحق بن يوسف ابن المتوكل رحمه الله ، والسيد العلامة الورع يحي بن محمد الحوثى رحمه الله :

فنظم المولى إسحق السؤال .

وأجاب عنه جماعة، منهم العلامة الحسن بن إسحق ، وشيخ مولانا البدر السيد العلامة صلاح بن الحسين الأخفش ، والسيد العلامة عبد الله بن على الوزير رحمهم الله.

وأجاب عليهم مولانا البدر بأنها لم تحل الإشكال ، ولا دفعت الاختلال :

وكثرت الجوابات عن السؤال ، وبعضها ممن لم يفهم السؤال وطارت كل مطار ، وملأت الأقطار .

وقرئت فى حضرة الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين رحمه الله ، وكثرت

الأذية لمولانا البدر رضى الله عنه من الجهال حتى وصل إليه شيخه السيد صلاح بن الحسين الأخفش رحمه الله يعاتبه على إلقاء السؤال إلى التلاميذ .

فأجاب عليه أن هذا مشكل على فتفضل أفدنى ، فإنه يقول المهدى رحمه الله فى المقدمة ، وإنما يقلد مجتهد عدل الخ .

فلم يزد على السكوت . ونظم جواباً على السؤال ، وكل ذلك فى سنة ١١٣٤هـ أربع وثلاثين ومائة وألف . والسؤال هو :

أيها الأعلام من ساداتنا ومصابيح دياجى المشكل
أخبرونا ما الذى تدعونه مذهباً فى القول أو فى العمل
من هو المتبوع سموه لنا عَلَّنَا نقفوه نهج السبل
فإذا قلنا ليحيى قيل لا ها هنا الحق لزيد بن على
وإذا قلنا لزيد قلتم بل عن الهادى هنا لم نعدل
وإذا قلنا لهذا ولذا فهما خير جميع الملل
وسواهم من بنى فاطمة أمناء الوَحْيِ بعد الرسل
قرروا المذهب قولا خارجا عن نصوص الآل وابحث وسَلِ
إن يكن قرره مجتهد كان تقليداً له كالأول
أو يكن قرره مَنْ دونه فقد انسدت طريق الجدل
ثم من ناظر أو جادل أو رام كشفاً للذى لم ينْجَلِ
قدحوا فى دينه واتخذوا عرضه مرمى سهام الموصل

* * *

وأجاب الوالد البدر بعد اطلاعه على الجوابات :

قد أتيتم بسؤال مشكل لا أرى إشكاله بالمنجلى
كم سألنا عنه قوماً غيركم من أولى العلم وأهل الجدل

وأجابوا بجوابات لهـــم ... كلها فى حَلِّه غير جـــلى
ويقـولون هم زيدية ... وهُمُ عن نهجـــه فى معزل
هـــــذه كتبهم ناطقة ... بالخلافات لزيد بن على
إن تبعت النص فى مسألة ... قيل هـذا شافعى حنبلى
وإذا قلت حديث المصطفى ... قلتم المذهب أهدى السبل
قصروا الحق على مذهبهم ... ثم ذا المذهب لم يظهر لى
ومع تصويبهم كُلاً بلا ... مرية فالقصر عين المشكل
فاجعلوا الـكل فيه سواء أو ... فامنعوا تقليد غير الأفضل
وعلى نظم وقفنا رائق ... فى جواب لذكى[1] مقول
قـد أزال الهـم عنا لفظه ... ما خلا إشكالنا لم يَزُلِ
قال قَلِّد كل آل المصطفى ... تَنْجُ قطعاً عن مهاوى الزلل
قلت هـــذا يغيتى لـكنه ... لم يقل ذا أحد يا أملى
أترانى لو رفعت الـكف فى ... حال تـكبير وذا رَأْيُ الوَلِي
هل ترى أشياخكم تتركنى ... أم يقولون أتى بالمعضل
خالف المذهب بالبدعـــة فى ... رفعـه الـكفين فَلْيُمْتَزَلِ
وأنا آمل منـكم رشـداً ... فبحق الله أوفوا أملى
وجـــــواب آخر طالعته ... صرت من رقته كالثَّمِـل
قـد حـلى لى لفظه لـكنه ... لا أراه حل عقد المشكل
وأتى فيه بتحقيق لما ... فى أصول الدين والأمر جلى
إذ هم قـد حرموا تقليدنا ... فى الأصولين فعنه انعزل

---

(١) المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله .

إنما السائل فيما قاله — عن سواء تقليده لم يسل
قال ماالمذهب فى قولكمُ — عن عرى المذهب لاينفصل
وإلى أى فتًى نسبتـــه — من بنى الزهراء أبناء عَلِي
ثم قلتم إن يحيى قوله — قول زيد بن الولى ابن الولى
وأرى هـذا عجيباً عَـلَّه — قاله ناظمه مع شغـــل
فاتحـاد القـول مابينهما — مثل ما قـد قلته لم يقبل
والخلافات لنا شاهـدة — كم رواها عنهُم من رجل
وإذا قلتم كفى فى المدَّعى — اتفاق منهـُم فى الجمل
قلت هذا حاصل فى كل مَنْ — خالف الآل ففتش وسل
فاجعلوا الأقوال قولا واحدا — لاتقولوا حنفىٌّ حنبـلى
ثم هـذا مقتضى قولكم — فى جواب راق مثل السلسل
إن يكن فى عمل فالكل فى — دفع ما استشكل مثل الأول
فأعيدوا نظراً ثم ارشدوا — ذلك السائل أهدى السبل

* * *

لما وصل الوالد البدر رحمه الله إلى المدينة المنورة لزيارة سيد المرسلين عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام فى شهر محرم سنة ١١٣٣هـ اجتمع هناك بالشيخ الإمام العلامة الزاهد المحقق أبى الحسن بن عبد الهادى السندى رحمه الله .

وكان عالماً عاملا محققاً له عدة مؤلفات ، منها حواشى على الأمهات الست .

فدارت بينه ، وبين البدر رضى الله عنه ، أبحاث نفيسة فى حكم أطفال المشركين .

ولما اطلع البدر على حاشية الشيخ ، على سنن أبى داود المسماة « فتح الودود » وفى غير ذلك من المسائل فى التفسير وغيره ، وجمع البدر رحمه الله تلك الفوائد .

فلما وصل إلى صنعا استدعاها منه المولى العلامة محمد بن إسحق بن المهدى رحمه الله وكتب بعد الوقوف عليها مالفظه :

وصل جواب سيدى وصنوى الذى فاضت بحار علمه وكرمه ، وطوقت الأعناق جواهر هداياه وكلمه ، ذو التحقيقات الأنيقة ، والاستنباطات الرشيقة ، والإفادات

التى هى بالتنافس فيها خليقة . عز الإسلام الذى تتبادر صفات الكمال عليه تبادر الحقيقة ، زين الله بوجوده الدنيا والدين ونور بعلومه النافعة قلوب المجتهدين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فى كل حين ؛ متضمنا الشرح بعض أحواله التى تنشرح لها صدور المؤمنين وتلاحظها أبصار المستبصرين ، ومامنحه الله فى سفره المبارك ذهاباوإيابا ، ولذكر ماخصنى به من الدعاء فى المواطن المقدسة ، والمقامات التى هى على خير مؤسسة ، وإبلاغه ماقد ظهر من آثاره .. وللتصدير بالهدية النفيسة المتنوعة التى من أسناها وأعلاها ، اطلاعى على تلك المذاكرة وما تعلق بها ، واتصل بها مما يتنافس فى تحصيله المتنافسون ، ويرغب فى ادخاره المحصلون .

فوقفت على ما يستغرق الأفكار بملحه وروائعه ، وتهتز الأعطاف بلطائفه وبدائعه، وظفرت ببغية النفس ، ومنية القلب ، وتوجه بعد ذلك القيام بواجب الحمد .

فقلت ماذكر اقتضى ذكره مطابقة الغرض ، وإشارة الإشارة معترفا بالقصور متلمسا للمسامحة :

لله درك ياابن إسماعيلا ... لم تتركنّ فتًى سواك نبيلا

حُزْتَ الفخار قليله وكثيره ... هلا تركت من الفخار قليلا

وسلكت نهج الحق وحدك جاعلا ... نور البصيرة لاسواه دليلا

وصرفت عمرك فى العبادة والإفا ... دة والإجادة بكرة وأصيلا

كم مشكلٍ أوضحتَه كم غامض ... لولاكَ لم يجدوا إليه سبيلا

كم طالب أعطيته مطلوبه ... وكفيته فى غيرك التأميلا

كم سائل منك استفاد فعاد من ... بعد السؤال وذلّه مسئولا

ولقد وقفت على الذى حررته ... فى طيبة طابت وطاب مقيلا

ودخلت جنته التى قد ذُلِّلتْ ... للعارفين قطوفُها تذليلا

فوجدت فيه الحق أبلج واضحاً ... للمهتدى ورأيت أقوم قيلا

ورأيت إيضاحاً لغامض مشكل ... قد رد طرف الناظرين كليلا

وحصلت منه على لطائف لم يزل ... فيما علمت بها سواك بخيلا

ورأيت ما استنبطته وجعلته ... غُرَرًا لما سطرته وحجولا

لـكن تسطير التوقف لم يكن لقصور فهمى واضحاً مقبولا

* * *

وكتب مالفظه .

لأن تعيين من هو من أطفال المشركين من أهل الجنة ، ومن هو منهم من أهل النار مما لا يمكن أن يذهب إليه ذاهب ، فينبغى التوقف .

اللهم إلا أن يكون نبيئا يوحى إليه بذلك . انتهى .

وكذاك توجيه الضمير فإنه للعـــالمين أظنه مدخولا
إذ لم يكن موسى مريداً عندما قتل الغلام العـالم التبديلا
وكذاك لم يخف الذى قد خافه خضر فأنـكر إذ رأى التنـكيلا
والبعد فى جعل الضمير لربنا لم لايزول بمـا يرى مقتولا

* * *

وكتب مالفظه :

ظهر لى أنـكم استبعدتم جعل الضمير لله سبحانه ، إما مطلقا أو مع المشاركة ، بل ربما يظهر من الـكلام عدم صحته . وإن كان جعل الضمير للخضر فى غاية الظهور ، فجعله لله تعالى يشاركه فى مطلقه .

وتلك الوجوه التى كانت مستند الاستبعاد والامتناع لايخفى عليـكم اندفاعها انتهى.

والفاء لم تك فى الجواب وإنه عارٍ عن الفا واقرأ التنزيلا

* * *

قال البدر رضى الله عنه كان فى الأصل أن الفاء فى « فقتله » داخلة فى جواب « إذا لقيا غلاما » وذكرنا هناك نـكته ، وقد حولناه بعد هذا التنبيه .

هـذا وقتل النفس ذاك وغيره لم يندفع عندى به ماقيلا
فالخمر مسكرها مزيل للحجى من غير نفع يقتضى التحليلا

بخلاف ما فعل النبي فإنه ... أبدى له وجهاً تراه جميلا
والذبح للأنعام نفع فيه مع ... عوض لها بالخير قام كفيلا
فانظر إلى هذا المقال وذاما ... تلقاه فيه بالذهول عليلا
أعطيت عمراً أيها البحر الذى ... أجرى ينابيع العلوم طويلا

* * *

وأجاب عليه مولانا البدر رحمه الله نثراً ونظما مستفهما عما استشكل من الأبحاث فقال :

المولى الذى هو حجة لكل كمال ، وطوق لجيد الفضل والأفضال ، نورعين الذكا والتحقيق وروح جسم الإفادة والتدقيق ، من لم تزل فوائده كحلا لجفون الأوراق، وأياديه أطواقا يتجمل بها من الرجال الأعناق .

وأسأل الله الكريم أن يصون ذاته الشريفة ويحميها ، وأن يحفظها من كل مكروه يؤذيها ، وأن يخص حضرته الشريفة بسلام لائق بفضله ، وإنعام قائم بحق مجده ونبله .

وبعد ، فإنه شرفنى وصول مكتوبكم الكريم ، وروض أدبكم من المنثور والمنظوم ، الذى هو عقد نظيم ، فأحيا فؤاداً كانت قد أنحلته يد الأسفار ، وأذهلته عما حوته رياض الأسفار ، مشتملا على ذلك التقريض الذى لا أعد نفسى من مستحقيه، ولا أرانى أهلا ؛ لأن يقال ذلك فيه ، لكن أبى أفضالك إلا أن يرانى لذلك أهلا ، ويلبسنى به مجداً ونبلا :

فشكراً لأياديك وما أهدت ، وحمدا لمعاليك وما أسدت :

وذكر سيدى حماه الله ، ما انتقده الذهن الشريف . من تلك الكلمات التى شرفت بإطلاعكم عليها ، ونالت أقصى حظها بكتبكم لها ونظركم إليها .

وتلك الانتقادات تأملتها ، وهى كما ذكرتم فى بادى النظر ، لكنها مندفعة فيما أحسب لمن تأمل وافتكر .

وقد خطر فى البال توجيهها بما ترونه مزبورا ، وعسى يلقى من ذهنكم الوقاد قبولا ، ويكتسى منه نورا :

ولو لم يكن فى زبر تلك الكلمات المستخرجة فى الرحيل ، والمستمدة من الذهن الذى هو بالغربة كليل ، إلا استفادة هذه المذاكرة ، واستخراج ذلك الدر من بحور علومكم الزاخرة ، لكفى بها فخرا ، وخلد لها ذكرا .

وقد قلت هذا المرقوم . الذى أطلب له من مكارمكم سترا ، فى مقابلة كلماتكم التى هى الدر نظما ونثرا .

قسماً لقد أثقلتنى تبجيلا ... وكسوتنى ثوب الثناء طويلا
قلدتنى من در نظمك أنجماً ... تهوى السماء لأجلهن نزولا
وتود لو كانت مكان نجومها ... إذ لاتخاف على النظام أفولا
لله درك من نجيب لم يزل ... طَرْفُ الكمال بفضله مكحولا
طوقت أعناق الرجال أياديا ... فغدوا حماماً والثناء هديلا
وعرفت للفضلاء قدراً لم يزل ... بين الأنام منكراً مجهولا
عكسوا أساليب المعارف كلها ... وجنوا فصار الفاضل المفضولا
لاينصفون مهذباً فى قوله ... لوكان يأتى بالشموس دليلا
و يرون أن الفضل كان لمن مضى ... وكلام من قدمات أقوم قيلا
والفحل عندهم النجيب هو الذى ... أضحى بأقوال الرفاة قؤولا
لايسألن عن الدليل ولا يرى ... فى الناس أهلا أن يرى مسؤولا
و إذا أردت نقاشه فى مذهب ... قد صار فيه مدندناً مشغولا
يَزْوَرُّ عمارمته ويصيح فى ... أضرابه هذا غداً مخبولا
ولكم أبثك أيها البدر الذى ... مازال فى أفق الكمال مقيلا
وذكرت فى النظم لذى أهديته ... وأعده الذهن الشريف عليلا
منه التوقف فى الأحاديث التى ... صدمت بظاهر لفظها التنزيلا
فلذاك قول لم أكن أختاره ... حتى يعد لديكم مقبولا
هو قطب تلك الاعتراضات التى ... كانت على السندى أثقل قيلا

وكذا ضمير إرادة فى أنه ... للعالمين ظننتـــه مدخولا
وسردت تعليلا لما ظننته ... ما أحسن الإيراد والتعليـلا
لو كنت قلت بأنه لهما وما ... فى الذهن أنِّى قلت ذاك القيلا
ما قلت إلا أنه بضميره ... يهدى الكليم إلى الصواب سبيلا
أو ليس فى التوجيه لفظة ينبغى ... وكفى بتلك على المراد كفيلا
القول فى منع الضمير لربنا ... لِمَ لايزول بما يرى مقبولا
يأباه ما قلناه فى مكتوبنا ... وكفى بذاك مرجحاً مقبولا
واختر لقول الله جل جلاله ... خير النكات وأحسن التأويلا
واجعل سمين القول تفسيراً له ... ودع الضعيف الزائف المهزولا
فمن المهمات التى قد عدها ... من كان(١) صارم ذهنه مسلولا
هذا الذى قلناه فانظر فى بدا ... ئعه تجـده مقرراً معقولا
والفاء لم تك فى الجواب صدقتم ... والمرء يكسبه الرحيل ذهولا
لـكن بحمد الله نكتتها التى ... ذكرت تزيد تمكناً وحلولا
وبقى لنا بحث لطيف مودع ... فرقاً يهش له الذكى قبولا
والخمر قلتم ليس فى تحليلها ... نفع فراجع عند ذا التنزيلا
فيها منافع قاله سبحانه ... وكفى بما قال الإله دليـــلا
وذكرت للأنعام أعواضاً بها ... أضحى لنا حكم النهى محلولا
فنعم إذا الحيوان يؤلم ذبحه ... فله به عوض يكون جليلا
أما ارتشاف الخمر فى جاماتها ... فمتى يكون مؤلماً معقولا
حتى يقال متى يحل ومالها ... عوض يكون به الجزاء كفيلا
وانظر إلى الـكذب القبيح فإنه ... للنفع أضحى جائزاً مفعولا
والقصد تطبيق القواعد كلها ... ليوافق المعقول ذا المنقولا

(١) يعنى ابن القيم الجوزية رحمه الله فى بدائع الفوائد .

فالقلب لا يسطيع رد رواية جاءت بها الأخبار جيلا جيلا
وإليك ياعز الكمال وبدره صدرت عسى تلقى لديك قبولا
تهوى لتقبيل الأكف وتبتغى ستراً وقد بلغت بك المأمولا
لازلت غيثاً للعلوم فَرَوْضُهاَ مازال مخضراً بكم مطلولا

* * *

هذا وقد تهجم المملوك عفا الله عنه ــ على مولاه فى الإسهاب ، وذلك لما رأيته من هممتكم العلية فى العلوم ، فأفضلوا بالنظر فى هذا الرقوم :

وكنت سأترك الجواب على مولاى حتى أراجع تلك الكراسة . فإن ما عندى غيرها ، لكنه تدافع الجواب فى ساعة من نهار ، فرأيت البحث به ، وأمعنوا النظر فى مسئلة الخمر ، وأقيسوها(١) على مسألة الكذب .

وأنا ــ فى تلك الكلمات ــ ما كنت جزمت بذلك ، ولكن هذه المذاكرة أكدت صحة ماقلناه . فإن تم بحمد الله وإلا فإن رد تلك الأحاديث التى ملأت كتب السنن والسير ، عملا بتلك القاعدة ، لا أدين الله به ، بل ماصح عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فهو مقدم على كل قاعدة والسلام .

ولما وقف على هذه الأبحاث وعلى قصيدة سيدى المولى محمد بن إسحق وجوابها ، سيدى المولى العلامة النقاد ، ذو الذهن الوقاد ، الحسن بن إسحق رحمه الله ، كتب أبياتا ذاكراً فيها أبيات أخيه ، وجواب مولانا البدر رضى الله عنه ومستشكلا لأشياء من تلك الأبحاث فقال :

لله درك فارس العلما كم أجريت للذهن الشريف خيولا
فسبقت كل مبرز فى فنه وركبت صعب المشكلات ذلولا
وكشفت بالتحقيق وجه غموضها وغدوت فرداً ماسواك نبيلا
ولقد وقفت على عقود نظمت لكم كستنى حيرة وذهولا
ورأيت نظماً معجزاً أنواره منها استعار النيران قليلا
راجعتم المولى الذى بوجوده منا استحق زماننا التبجيلا
حاوي الفضائل والفواضل كلها أغنى به صنوى أبا إسماعيلا

---

(١) قوله « وأقيسوها » الصواب : « وقيسوها » .

فأردت أن أجرى جوادى بعدكم ... فى نظم شىء يشبه التذييلا
فتعثرت أفراس فكرى عندما ... كلفتها مالا يطاق فضولا
أنا باقل فى الفهم عندكما وما ... مثلى يجارى فى العلوم فحولا
تشبيه حق لم أرد هضماً وإن ... تخبره تقل ما أصدق التمثيلا
لكن أردت تشرفاً وتبركاً ... بكما إذا صادفت منك قبولا
طالعت ما حررتموه بطيبة ... فرأيت قولاً طيباً مقبولا
وأفدتنا فيه فوائد جمة ... أضحت إلى نيل الرشاد سبيلا
أظهرتم نكت اختلاف ضمائر ... خفيت على من فسر التنزيلا
فى قصة الخضر الكريم ومن أتى ... من عند رب العالمين رسولا
فعلمت أنك راسخ فى العلم ليـ ... س سواك حبرا يعلم التأويلا
والبحث فى أطفال أهل الشرك قد ... طالعته فرأيت أقوم قيلا
ورأيت نقل كلام شارح مسلم ... مع ماتعقبتم به المنقولا
لكن قولكم التوقف فى التـ ... عيين قول عل فيه ذهولا
وبجزمه عللتموه وليس فى الـ ... منقول جزم يقتضى التعليلا
وبقوله وهم من الآباء على الـ ... أحكام فى الدنيا غدا محمولا
قلتم فيلزم قوله بعذابهم ... قسماً لقد حملتموه ثقيلا
وأظنه فيما يلوح لمن غدا ... بالسجن صارم ذهنه مفلولا
متوقفاً فى القول بالتعذيب أو ... بالترك ليس له سواه مقولا
وكذاك قد سطرت قولا قاله الـ ... سندي ثم ظننته مدخولا
فى وجه إفراد الضمير وإننى ... لأراه وجهاً واضحاً مقبولا
من غير تقدير اشتراك فى البنا ... لم لا يكون الوجه ذاك جميلا
بل أَوْجَهُ الوجهين فهماً لاح لى ... إذ ليس يخدش فيه ماقد قيلا
من ظن موسى فى الذي بالعلم فضـ ... له عليه إلهه تفضيلا

تركاً لهدى الأنبياء وإنه   بعمارة الدنيا غدا مشغولا

أيظن بالخضر الكليم الميل للد   نيا ويحسب مايراه فضولا

مع أن ظاهر فعله حسن ولي   س كما مضى قد خالف المعقولا

ومنعتم كون الضمير لربنا   وأقمتم للمنع عنه دليلا

لله ماأقوى الذى قلتم فإن   له لدى الفطن الذكى قبولا

لكن قراءة خاف ربك ربما   كادت تصحح ماتراه عليلا

والسكر قلتم صح فيه أنه   قد كان شرعاً حكمه التحليلا

ورددتم قول المؤيد لم يحل   لسلبه ديناً لهم وعقولا

من دون نفع ظاهر فيما يرى   قلتم وهذا القول أضعف قيلا

فالشرع خصص حكم عقل مثلما   فى الذبح خصص حكمه قبحه المعقولا

والنفع فيه حاصل بالنص فى الـ   قرآن واقرأ عند ذا التنزيلا

فيها منافع قاله سبحانه   وكفى بما قال الإله دليلا

لاشك فيما قاله لكنه   فى الخمر لافى السكر دمت نبيلا

ولعله قد فر من بعض الذى   قد قرروا فيما دعوه أصولا

من أن رفع الحكم لامن علة   خلف فراجع سيدى ماقيلا

ثم الترادف قلتم فى قرية   ومدينة بلغتم المأمولا

وفهمت من أثناء ماحررتم   مالا يساعد ذلك التمثيلا

وكذا أبِنْ لى وجه قولك سيدى   فى البحث دمت مبيناً مسؤولا

موسى أحق بطاعة الرحمن إذ   صار الضمير لربه مجهولا

هذا وإنى سائل مسترشد   فأجب وبرد بالجواب غليلا

لازلت يابدر المعارف مرشداً   مارددت وُرْقُ الغصون هديلا

* * *

فأجاب عليه البدر رضى الله عنه .

زارت فكان لها الفؤاد مقيلا ... ودنت ففرش خده تبجيلا
والذهن قام معظما لقدومها ... وتعانقا فَأَمَّلها تقبيــلا
والعين نادت أسكنوها أسودى ... فعسى تكون لحبر تلك خليلا
ثم اجتلاها الفكر وهو من الحيا ... فى خجلة قد أورثته نحولا
فغدا يقول وقد تأمل رقمها ... ورآه قد أهدى له المأمولا
حمداً لمن جمع القلوب ولم يكن ... نور التعارف للشخوص دليلا
لكن أنوار المعارف والذكا ... أهدى إلى جمع القلوب سبيلا
كم غائب فى القلب أضحى حاضراً ... يغدو ويمسى فى الفؤاد نزيلا
ولَكَمْ ذِكىٍّ مات قبل وجودنا ... وبحبه قلبى غدا مشغولا
ولَكَمْ أناسٍ قربهم كبعادهم ... لا بل بعادهم أخف قليلا
وتظنهم بشراً فإن فتشتهم ... أيقنت أن من الرجال طبولا
أستغفر الله العظيم فإننى ... لذنوب دهرى قد غدوت مقيلا[1]
إذ جاءنى مكتوب من بصفاته ... قد كان حبل مودتى موصولا
قد كان يبلغنى كريم صفاته ... فأظن إيغالا بما قد قيلا
حتى أدار علىَّ كأس بلاغة ... وسقى المسامع باليراع شمولا
فعلمت صدق محدثى فى وصفه ... بل لمته إذ قصر المنقولا
تالله لم أسمع بمثلك ماجداً ... جاد الزمان به وكان بخيلا
وكذاك لم تر مقلتى فيما رأت ... كالبدر حبراً فى العلوم نبيلا
أخوان كل قد تضلع فى العلى ... وغدا على هام السماك مقيلا

---

(١) من الإقالة وهو الفسخ والمراد : أطلب من الله المغفرة .

جبلان ينتقدان قولا قاله ... ذهن غدا برحيله مغلولا
أخذ اليراع ومالديه مؤلف ... فيقرب التأليف والتحصيلا
تالله ما عندى سوى فكر غدا ... من دون أهوال الرحيل ضئيلا
فتمصص الذهن الكليل قواعدا ... ما كنت أحسبها تبل غليلا
وظننت ما حررت يخفى رقه ... ولذاك أحقر أن يعد مقولا
فسما إلى بدر المعارف والندى ... فنضا عليه ذهنه المسلولا
متأملا لدقيقه وجليله ... ثم ارتضاه وزاده تبجيلا
وإلىّ أهدى من جواهر لفظه ... عقداً تنظم فى الطروس فصولا
وأدار من كأس النقادة ما يرى ... عند المسامع سكراً محلولا
فرشفته بمسامعى وأجبته ... بقياس فهمى لم أقل قد قيلا
هذا ووافانى نظامك بعده ... فيه انتقاد لا يعد قليلا
أما الذى قد مر فيه جوابنا ... فكفى به فى دفع تلك كفيلا
وهب التوقف قد حيى بمقالكم ... فبسهم إيرادى يعود قتيلا
إذ فيه تجويز العذاب بعلمه ... أيوافق التجويز ذا المعقولا
حاشاه من تجويز ظلم عباده ... أو ما كفى لا يظلمون فتيلا
أيصح تجويز القبيح لمسلم ... إنى أرى تنزيهه مدخولا
تجويزه هذا يدل بأنه ... فى عدل من أهدى لنا التنزيلا
متردد وكفى بذلك قادح ... فتأملوا بُلِّغْتُم المأمولا
هذا فساد كلام شارح مسلم ... وله فساد خلقه مقبولا
فى حمله لحديث من آبائهم ... فى حكم دنياهم أراه عليلا
ما كان سائله[1] لذلك طالباً ... وكفى السياق على المراد دليلا
أما أبو الحسن[2] الذى راجعته ... فأراه قرر ذلك التأويلا
وذكرت وجهاً قال ذاك موجهاً ... لأراد ربك فانظرن قايلا

(١) أى النبى .
(٢) أى السندى .

فلقد وهمتم فيه إذ قلتم لإفـ ـــراد الضمير فراجع المنقولا
وتأملوا فيما ذكرت منكتاً تـكرار لفظ الرب والتعليلا
إذ لوجنحنا نحوما قد قاله لرأيت كلا منهما[١] مغسولا
وفهمت منه عندما خاطبته أن الكليم مطالب تعجيلا
ومشارك فى رفعه لجدارهم وكذاك[٢] عاد كلامه محلولا
وأردت تأييد الضعيف بمثله فى الضعف يامولاى عشت نبيلا
بقراءة[٣] لم ندر كيف طريقها ما كل مايروى يرى مقبولا
لو كان يقرؤها المصلى عندكم عنفتموه بالفساد طويلا
ولقد ذكرنا فى الجواب[٤] نفائساً وفوائداً فى حلك التنزيلا
لو أنصف الذهن الشريف لعدها نوراً به يتتبع التأويلا
ويرد كل رواية ودراية جاءت ومعناها يرى مرذولا
وأطلتم فى الحر فى أبحاثكم ياما أميلح ذلك التطويلا
ولقد أطلنا قبل ذاك جوابها فتأملوه يفدكم المأمولا
ولعلنى أعطيه بسط عبارة حتى أوضح ذلك المسئولا
هذا ولفظا قرية ومدينة مترادفان تصادقاً ونزولا
وتغاير المفهوم أبرز نكتة التـ ـــعبير إذا أضحى عليك[٥] دليلا

---

(١) أى كلا من تكرار لفظ الرب ومن التعليل مغسولا عن النكتة التى ذكرنا ـ منه .

(٢) يعنى قرأه خاف ربك فى أكثر التفاسير منسوبة لأبى بن كعب ـ منه .

(٣) يعنى فى جواب الابيات الأولى وهى قولنا واختر لقول الله الخ واجعل سمين القول الخ فم ما ذكرنا فى ضمير أردنا من الوجه الراجح لاينبغى أن يعدل عنه إلى المرجوح ـ منه .

(٤) إذ القراءة بالشاذة تفسد الصلاة عند أهل المذهب منه .

(٥) قال البدر رضى الله عنه أعنى أن الترادف فيهما باعتبارات صدق على ذات واحدة والنزول عليهما وإن اختلفا مفهوما والترادف المشهور الذى فى مثل ليث وأسد هو لاتحادهما مفهوما وما صدقاً وكنت أجبت بهذا ، ثم وقفت على كلام لبعض المحققين فى أسماء الله وأسماء النبى صلى الله عليه وسلم وصفاته وأسماء القرآن .

ثم قال ما لفظه : واختلف الناس هل يسمى هذا النوع ترادفاً بالنظر إلى دلالته على المعانى والصفات المتغايرة وهذا ليس بنزاع فى الحقيقة ، بل هو ترادف بالنسبة إلى الذات متباين بالنسبة إلى الصفات انتهى كلامه وهو عين ما أشرنا إليه ، والحمد لله وهذه فائدة شريفة .

والأجدرية للـكليم لأنه　　خايله قد أكثر التثقيلا
فأراد إيقاظاً له عن زجره　　والذوق يدرك ذا كم المعقولا
ولعل مولانا الضياء مذاكر　　فيها فيشفى ما تراه عليلا
ولقد أفدتم فى الذى حررتم　　فجزيتم عنى الثناء جميلا
أيقظتم ذهنى بذكر فوائد　　أضحى بها طرف الذكا مكحولا
والله يجمعنا بكم فى نعمة　　ويعجلن بخلاصكم تعجيلا

* * *

وقال رحمه الله لما اطلع فى صفر سنة ١١٤٢ هـ سيدى العلامة الضيا إسماعيل بن محمد ابن إسحق رحمه الله على الرسالة التى ألفناها فى الأوقات ، ووسمناها بـ « اليواقيت » استشكل ذهنه أبحاثاً فيها ، فأجبنا عليها وكان فى ألفاظ بعض حدة ، كما هو شأن كثير من الناظرين ، فتجرم إلينا من ذلك ، وذكر أنه ما أراد إلا الاستفهام عما لم يظهر له ، فكتبنا إليه :

عذراً على ما جرى منى من الزلل　　إن كان يقبل عذر العبد فى الخلل
وتوبة من صميم القلب خالصة　　على كلام جرى كالنار مشتعل
جرى على حدة منى على عجل　　وهكذا خلق الإنسان من عجل
واثكلتاه لأقلامى وما رقمت　　كأنها من رماح الدهر تشرع لى
فما جنيت على غيرى بما رقمت　　أناملى وبمـا أمليت يا أملى
لولا انقطاع كتابى عن مقامكم　　لقلت عمداً رماك الله بالشلل
وقلت لا حملت من بعدها قلماً　　كفى ولا حركت يوماً إلى عمل
ومات من عطش ذاك اليراع وما　　سقى هناك بعل الحبر والنهل
وقطعت بسكاكين الدواة يدى　　ولطخت بمدادى بعـده حللى
وحرمة الود بل والاتحاد وما　　أدلى به من وداد كان فى الأزل

لمـا تعارفت الأرواح فيه كما ... جاءت[1] أحاديثه عن خاتم الرسل

ما كان قصدى سوى إيقاظ ذهنكم ... إذ نام عن واضح ما فيه من خلل

بلى بلى كلما قلتم أصدقه ... وكل بحث رقيق فهو من قبلى

فرد ما شئت من قولى ممزقه ... كما تريد على التفصيل والجمل

أيهدم الودَّ ألفـاظ مزخرفة ... هى الزجاج وذاك الود من جبل

والله إنك بحر لا أساجله ... وهل يساجل غب البحر بالوشل

أنا الجهول فما لى واللوم وذا ... وصفى بنص[2] حوى القرآن فيه جلى

والله ما أنا فى ورد ولا صدر ... منها ولا ناقتى فيها ولا جملى

بلى عرفت شعاعاً لا يضىء ولا ... يهدى ويردى إن لم أنج بالعمل

طاشت لجهـلى أقلامى ببارقة ... جنت علىَّ فآه ليت لم أقل

وقطرة من معين البحث صافية ... جاءت بسيل طغى فى السهل والجبل

وبحر عتب لأمواج التجرم فى ... تيـاره وثبات الفارس البطل

وددت أنى أمىٌّ فكم جلبت ... أقلام خلى من خبط ومن خطل

فاعذر فدتك نفوس العالمين وما ... تحوى الأقاليم من خيل ومن خول

* * *

وكتب المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحاق رحمه الله إلى الوالد البدر رضى الله عنه أبياتاً من ذو حسين من برط بعد خروجه من هجرة شاطب فأجاب مولانا البدر رحمه الله بقوله :

سيان من يعذر أو يعذل ... عندى ومن جار ومن يعدل

قد ملك الحب فؤادى فما ... أسمع ما قيل ولا أعقل

---

(١) إشارة إلى الأحاديث الواردة فى خلق الأرواح قبل الأجساد، وأن ماتعارف منها فى ذلك العالم ائتلف وما تناكر منها هناك ، اختلف هنا ، وهو مشهور ـ منه .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى « إنه كان ظلوماً جهولا » ـ منه .

مثلى وقد ملكتهم مهجتى ... يسمع للعاذل ما ينقل

على سوى برق الحمى إن شرا ... من أفقه قلبى لا يقبل

كم فى وميض البرق من نكتة ... يعقل عنها الصب ما يعقل

يا جيرة حلُّوا بوادى النقا ... كم من حديث عنكم يوصل

يسنده البارق فى ومضه ... ونسمة الروض له ترسل

وكلما فى السكون قد خلته ... محدثاً عنكم بما يقبل

لكن لاأهوى سوى قربكم ... ولا سوى لقياكم أسأل

يا ليت شعرى والمنى ضَلّةٌ ... هل موقف منكم لنا يحصل

نشكو أفعال البين فينا ومن ... يفعل فينا مثل ما يفعل

يحرق أحشائى بنار الهوى ... وأدمعى من مقلتى تسبل

ويخطف النوم فلا مقلة ... بنومها من بعدها تكحل

ويلبس الجسم ثياب الضنا ... ويسلب اللب بما يذهل

وكلما يحلو بطيب اللقا ... بعد اللقا صار هو الحنظل

يا هل تراهم ذكروا صحبتى ... بعد النوى أم هم لها أغفلوا

وهل رعوا حرمة ما بيننا ... كما رعينا العهد أم أهملوا

هم هم فليصنعوا ما رأوا ... بغيرهم ما أنا مستبدل

قد ملكونى ففداءاً لهم ... روحى من الأسواء أن يقبلوا

مالى وللدهر ويا ليته ... يوماً إلى ما أنظمه يعقل

أملى عليه منه ما أشتكى ... من جوره فينا عسى أن يعدل

ما باله يكرم قوماً هم ... هم حمير القوم أم بل أجهل

كم يعطى الجاهل ما يشتهى ... ويمنع العالم ما يسأل

أكرم للجهال من حاتم ... وللعلى من مادر أبخل

قد كرَّه العلم إلى أهله ... وحبب الجهل لمن يجهل

ما لأديب عنده حرمة ولا له فى مطلب يقبل
والجاهل القدم له عنده مرتبة من فوق ما يأمل
قد حبب الموت إلى فاضل بوجهه الرحمة تستنزل
وكره الدنيا إلى كامل لـكل ما أهلته يـكمل
من منصفى منه سوى ماجد فى كل مجد باعه الأطول
بحر الندى السامى إلى رتبة من دونها الرامح والأعزل
السابق السباق نحو العلى هل من فتى فيها له يفضل
إن رمت تفصيلا لأوصافه رمت محالا فلذا أجمل
من رام حصراً لنجوم السما قيل له قف أيها المقول
وإنه وافى النظام الذى يخرس لو يسمعه دعبل
شرفتنى بالمدح يا مفضلا وهكذا فليصنع المفضل
وكنت أولى منك أن أبتدى لولا أمور ذكرها يشغل
تحسبنى أنساك أو أننى بغيركم من بعدكم أشغل
وحرمة الود التى بيننا ما عشت عن ودك لا أغفل
مثلى هل ينساك يا من له فى قلبى المسكن والمنزل
بالله هل يذكركم ليلة بتنا بهـا فى نعمة نرفل
نفتض أبكار المعانى من التـ حقيق أو نجلوا الذى يشكل
كم فى المعانى من بيان لنا أهمله المفتاح والأطول
وفى الأصولين ويا حبذا ما ألف القوم وما أصلوا
كم مشكل عنه أزلنا الخفا منه ذووا التحقيق قد أعولوا
وشبهة كم حولها من فتى حام ولم يدر بمـا يقبل
سللت من ذهنى لها صارماً ولم يفت صارمى المقتل
وكم رياض قد نزلنـا بها ساجلنا فى دوحها البلابل

ندير فيها كأس آدابنا   فالروض من آدابنا يخجل
ورب أبيات بها شيدت   يخطل لو يسمعها الأخطل
وكم مزجنا عند طيب اللقا   جد الأحاديث بها يهزل
وكم لنا من موقف بعد ذا   نحن ومولانا الفتى الأفضل
أكمل من يمشى على ظهرها   وخير من عنه العلى ينقل
من غاب شخصه عنا لا سوى   وهو عن المهجة لا يغفل
بحر الندى والعلم خدن العلى   أناله الرحمن ما يأمل
نافسنا الدهر على جمعنا   وهو حسود قُلَّبٌ حُوَّلُ
ما زال مشغوفاً بتفريقنا   يبذل فيه كلما يبذل
كم سره إذ قيل قد شتتوا   ودمعهم بعد النوى يهمل
صفق مسروراً بما نالنا   وقال هذا كلما آمل
لكن له عطف على من جفى   فهو لمن يجفوه لا يهمل
لعله يعطف بعد الجفا   ويبدل الصد بما يبدل
فثق بهذا إن حسن الرجا   أروَح للقلب الذى يعقل
ودم قرير العين فى نعمة   ما زال فى ظهر الفلا يذبل

* * *

وله رحمه الله ولعله وجهها إلى المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله :

بث سر الهوى عليه النحول   واصفرار ودهشة وذهول
وجفون مسهدات من الوجـ   ـد ودمع على الخدود يسيل
كيف يخفى من بعد هذا هواه   وعليه من كل عضو دليل
يا حلولا بالسفح من شعب نجد   عقد صبرى من بعد كم محلول
أنتم بغيتى وأهل ودادى   قصروا من جفاكم أو أطيلوا

يا بروحى عيشاً مضى فى رباكم　　كل ساعاته لديكم أصيل
حين جادت بوصلها ربة الخا　　ل وحادت عما يقول العذول
فى رياض كسى الربيع رباها　　فلأغصانهن ظل ظليل
ولأطيارهن من لحن إسحا　　ق معان منها الصخور تميل
ولأنهارها انسياب الأفاعى　　وهى فى اللون صارم مسلول
ولأغصانها إذا هبت الريـ　　ح اعتناق الأحباب والتقبيل
وعيون الزهور من أثر الطل　　كطرف بدمعه مكحول
ولسكانها ارتياح ورَوْحٌ　　وسرور بها وشرح يطول
فإذا الهم هَمَّ أن يطرق القلـ　　ب فجيش الأفراح عنه يحول
ليت شعرى أعائد ذلك العصـ　　ـر ودهرى من ذنبه مستقيل
إن يخيبنى فقد أُعِضتُ بِخِلٍّ　　ما له فى بنى الزمان عديل
هو غيث للسائلين مغيث　　وعلى المارقين ليث يصول
مغرم بالعلى إذا ما سواه　　بالغوانى فؤاده مشغول
باسم للوفود طَلْقُ المحيا　　وعطاه لمن أتى مبـذول
ثابت القلب لا يدانيه رعب　　إن دنا حادث وهول يهول
فرع قوم سادوا وشادوا علاهم　　فله فى الكمال أصل أصيل
هل ترانى يوما أُلِمُّ بمغنا　　ه وفى سوحه الرحيب أقيل
فاشتياقى إليه جل عن الوصـ　　ـف فلم أدر فيه ماذا أقول
غير أن الإجمال يكفى إذا ما　　أعجز الشرح عنه والتفصيل
ولعلى أمليه يوما شفـاها　　إن بوصل جاد الزمان البخيل
وأقيل الزمان عند لقـاه　　من ذنوب النوى ومثلى يقيل
وتهَنَّى بعود عيد حميد　　أنت فيه الوشاح والإكليل
وارداً بالسرور فى كل حول　　فى نعيم عن ربعكم لا يحول

دمت فى موكب السعادة والجد إماماً بالمكرمات كفيل
وسلام عليك أذكى من المسك مقيم بربعكم لا يزول

* * *

وله رضى الله عنه جواباً . لقصيدة وصلت إليه من المولى العلامة إسماعيل بن محمد ابن إسحق رحمه الله فى شهر جمادى الأولى سنة ١١٤٣هـ ثلاث وأربعين ومائة وألف.

لست أدرى ما الذى يا أملى قدر الرحمن فى هذه الأمالى
رقمتها قلم الأقدار فى كاغد الأيام من حبر الليالى
فلسان الدهر يمليها على كل من يسمع من غير ملال
جل هذا الأمر حتى ما أرى أبد الرائى منه من محال
سلم الأمر وقف منتظراً فله سبحانه التدبير لا لى

* * *

وله رضى الله عنه جواباً على السيد العلامة النبيه أحمد بن الحسن بن إسحق رحمهم الله .

أما آن للقلب أن يعقلا يرى غيره للهوى معقلا
كأن هوى الغيد قصر عليه فليس سواه له منزلا
سلا كل قلب فنون الهوى وقلبى لفن الهوى ماسلا
يعد الغرام وفقد المنام ولوم الأنام به أجملا
فدمع يفيض وواش يغيض وكل الأنام ترى عُذّلا
إلى كم يصيح بقلبى النصيح بقول صحيح فلن يقبلا
أمجنون ليلى به نازل ترى لا سواه له مدخلا
وأهل الغرام بنو عذرة يعدونه للهوى موئلا

فياربع ليلى سقتك الدمو ع إذا الغيث عن ربعها أمحلا
فقد كنت مأوى الغوانى التى شموس الجمال بها تجتلى
ملاعب أنس لتلك الظبا فسقيا ورعيا لتلك الملاعب
وقد كان لى منهم ملعب ولى وله بوصال الملاح
فمذ لاح شيبى على عارضى سلوت الحبيب وعنى سلا
سلوت الحبيب وخوف الرقيب وقول العذول إلى كم إلى
فما أحسن الشيب من زائر ومن زاجر عن فنون الخلاعة
ولله أيامـه إنهـا زمان التقى وجمال العلا
هو العمر لا غير عند الذى يفكر فى كل ما قد خلا
يزهد فى كل شىء سوى فنون العلوم ونظم القلائد
كنظم صفى الهدى من غدا هو السحر لـكنه لى حلال
كريم السجايا بهذا الزما ن سجاياه أضحت عقود الحلى
ذكى يـكاد بنـور الذكا يجيبك من قبل أن تسألا
كريم عطاياه مبذولة يسر إذا سائل أقبلا
بخيل بمـاء وجوه العفـا ة فيعطيهم قبل أن يبذلا
فيا بخل من كان لى صاحباً صديقاً حبيباً بعلم الملا
سقى الله مثواه رضوانه ولا زال هَطّالُه مرسَلا
على العلم أقبل ودع غيره على العلم عَرِّج وكن مقبلا
فـلا تقبلن على غـيره وللنصح كن منى مقبلا

* * *

وله رحمه الله إلى السيد العلامة القاسم بن أحمد العياني رحمه الله حال عزمه من عنده من المواهب بعد أن أقام لديه مدة .

مولاى ياعلم المعالى كتبت ونحن على ارتحال
من بعد طيب إقامة وألذ حال واتصال
وتنفس فى روض أنـ ـس جل عن ضرب المثال
والله يخلفنـا بأنعا م تزيد بكل حال
ويزيدكم من فضله نعما تدوم بلا انفصال
ويديم عليـك التى شرفت على كل المعال
قسما بودك وهو ود قد رسا قِدْماً ببالى
إنى أعـدك عُـدَّةً وأراك فخراً للرجال
وأرى الإقامة فى ذرا ك ألذ من شرب الزلال
وأعد قربك بغيتى وأعد وصلك رأس مالى
فقت الرجال مع الفتو ة فى المروءة والكمال
لا زلت ركناً للمكا رم والمحامد فى الفعال
وعليك ألف تحيـة تغشى ذراك مدى الليالى

* * *

وله رضوان الله عليه جواباً على المولى الكريم الماجد جمال الدين على بن الحسين ابن على بن المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم رحمهم الله .

كم أقاسى فى الهوى من شغل هى فى القلب كنار الشعل
عبرة تجرى وسهـد دائم وفؤاد خافق كالوجـل
ورقيب فيه حارت فكرتى وعذول قلبه كالجبـل
كلما حاولت أن يعذرنى إذ رمانى بسهام العُـذّل
يحسب الصاحى مثل الثمل ويرى أن الشجى مثل الخلى
قال لما أن رأى فاتننى أقبلت فى حليها والحلل

بقوام فيـــه قامت فتنتى ورمتنى بسهام المُقَلِ
أنت تهوى هذه قلت نعم فدع التعنيف ثم انتقل
سامعًا مستملياً أوصاف من هو بالتبجيـل والوصف ملى
قال من قلت له شمس الضحى وعلى بن الحسين بن على
نسب كالشمس فى إشراقه من وصى وإمام وولى
كرم كالبحـر إلا أنه فى مذاق الفم مثل العسل
ونسيم الروض يحكى خلقه ولقد أخطأت فاستغفر لى
ما له حـلو لسان مثله أو له أنوار وجه مقبل
مقبـل بالبشر إن واجهته باذل ما غيره لم يبذل
أسد مبتسم عند اللقـا إن رأى تعبيس وجه البطل
شهد السيف له حال الوغى وروى عنه لسان الأسل
وإذا شاهدته فى موكب راكباً فى خيله والخول
وإليه كل شخص شاخص قلت هذا قبلة المقل
وإذا ما كان فى منزله فهو من أولاده فى جحفل
طاب آباء وأبناء فيا حبذا فرع الطراز الأول
إن يكن نص العلى فى غيره خافياً فهو جلى فى على
قد أتانى منه نظم كله رائق فى مدحه والغزل
إنما يعرف ذا الفضل هم أهله فى علمه والعمل
فلقد طوقتنى طوق الثنا كاسياً لى من رفيع الحلل
حلل تبقى على طول المدى ما عليها تختشى من خلل
خذ جواب النظم واسترعيبه إذ أتى من عجل فى خجل
وصلاة الله تغشى المصطفى وكذا الآل هداة السُّبُلِ

* * *

وله رحمه الله تعريف دعوة إلى المولى العلامة عبد الله بن أحمد بن إسحق ابن إبراهيم رحمه الله :

الاجتماع غنيمة إن حارب الدهر الرجالا
وأتى بجيش شواغل هزم التواصل والوصالا
وشعاره فى جيشه أن اللقاء غدا محالا
فاجمع جنوداً للقا وأذقه باللقيا نكالا
ضُمّ الصديق إلى الصديـ ق وخل أقواماً ثقالا
إن الثقيل هو الذى يدعونه داء عضالا
إنى نحرت شواغلى وجلودها جعلت نعالا
ودعوت وصلا للصفى فأجاب إسعاداً وقالا
أهلا وسهلا باللقا ء فزاده ربى كمالا
فامنن بوصلك طالعاً شمساً علينا لا هلالا
تشرق بنورك أرضنا وتزيد خضرتنا جمالا
صبح الثلاثا فَأْتِنا لا عذر فاحذر أن يقالا
دامت عليك تحيتى وحماك خالقنا تعالى

• • •

لما أخذ على مولانا البدر رحمه الله المنصور بالله الحسين بن القاسم رحمه الله تولى الخطابة فى جامع صنعا فى شهر ذو القعدة سنة ١١٥١هـ كتب إليه السيد الأديب إبراهيم ابن محمد الشرفى رحمه الله أبياتاً فى أول خطبة خطبها مولانا البدر رضى الله عنه فأجاب عليه بقوله :

نظم أرق من الرحيق السلسل وألذّ من وصل الرماح العيطل

وأرق للعينين من تهويمها — وأجل من نظم البديع وجرول
ياصارم الدين الذى كلماته — نزلت بقلب أخيه أشرف منزل
أنت الأخير زمانه ونظامه — أربى على أهل الطراز الأول
شرفتنى ومدحت خطبتى التى — أرجو النجاة بها لدى الرب العلى
ما كنت أرقى منبراً فيما مضى — قد كنت عن هذا الظهور بمعزل
ما مذهبى إلا الخمول كوالدى — حياه وسمى الكرامة والولى
ولقد مضى زمن الشباب ولم يكن — إلا بزاوية الخمول تَسَرْبُلِى
والآن قد حل المشيب بعارضى — ودنا إلى دار القرار ترحُّلى
فأمرت أن أرقى المنابر خاطباً — وأقول فى وعظى بما لم أفعل
خطب ألمّ إذا خطبت ولم يكن — فعلى يوافق ما أقول بمقولى
والله أسأله الرضا بمحمد — ووصيه والسيدين توسُّلى
صلى الإله عليهمُ وعلى التى — هى بضعة المختار بالنص الجلى

* * *

وله رحمه الله إجازة للفقيه العارف سعيد بن حسن العنسى رحمه الله وهو من مدينة ذمار .

الحمد لله على كل حال — مقدماً قبل جواب السؤال
ثم صلاة الله تترى على — خير الورى والآل أهل الكمال
وبعد هذا يا سعيد فقد — أطلت فى المطلوب منى المقال
إجازة تطلب ممن غدا — مشتغلا ما بين قيل وقال
حيناً بتأليف وحيناً غدا — يدرس الأعيان من فى أزال
وتارة تأتى السؤالات من — تهامة أو من رؤوس الجبال
فاعذر إذا أبطا جوابى فما — عن كسل أبطا ولا عن ملال
والآن قد شاء إلهى بأن — أجيب عن أطراف ذاك السوال

الطرف الأول تبغى به ... إجازة منى لما قد يقال
من يروى العلم وما عنده ... إجازة ما جار هذا بحال
إذ الروايات طريق أتى ... تفصيلها عند فحول الرجال
قد حصرت فى أربع بينت ... فى قصب السكر حلو المقال
جعلتها فيها مع غيرها ... من اصطلاحات لأهل الكمال
فقد أجزناك كما تبتغى ... فارْوِ علوم الآل هم خير آل
وارْوِ علوم المصطفى أحمد ... من حاز فى الناس شريف الخلال
الأمهات الست يا حبذا ... ما قد حوت من نافع فى المقال
أئمـــــــة قد ألفوها لقد ... فازوا بما حازوا على كل حال
أئمـة فى العلم تقواهم ... كالشمس لا مثل بزوغ الهلال
قد حفظوا للخلق علم الهدى ... جازاهم الله جزيل النوال
فاحرص على العلم تفز فى غد ... بالعمل الصالح فوق الرجال
والعلم مقصود به غيره ... العمل النافع فى الارتحال
إلى لقاء الله سبحانه ... عند فراق العبد دار الزوال
والطرف الثانى وعظى لـكم ... ومن أنا قل لى بهذا السؤال
الحسن البصرى وأمثاله ... أو كَعَلِىٍّ ماله من مثال
أعنى أبا السبطين ياحبذا ... مواعظاً تهتز منها الجبال
ضمنها النهج سقى قبره ... سحائبُ الرضوان من ذى الجلال
كفى كفى القرآن لى واعظاً ... قصار آيات به والطوال
فكل قسيس ترى دمعه ... يفيض إذ يسمع صوتاً لتال
فاتلُ كتاب الله مستيقظاً ... فوعظه يهدم شُمّ الجبال
زَهّدَ فى الدنيا وآفاتها ... من كل جاه قد حوته ومال
ما هى إلا لعب كلها ... وكلها لَهْوٌ لأهل الضلال

غايتها الموت وكل الذي ... تراه فيها مِثْلُ فَيْءِ الزوال
أين ملوكٌ قد عرفناهمُ ... سادوا وشادوا غُرَفًا لا تنال
وفارقوا ذاك إلى حُفْرَةٍ ... خُطَّتْ لهم بين تراب الرمال
بها لقوا كل الذي قدموا ... من حسن أومن قبيح الفعال
وغودروا فيها فرادي وقد ... نسيهم أهلهم والعيال
وجاءه رسل إله السما ... ليعرفوا إيمانه بالسؤال
فإن تثبت بالجواب الذي ... عن ربه عزَّ وما قال
في أحمد سيد كل الورى ... بقوله قال صحيح المقال
الله ربى ثم لى أحمد ... نبي صدق لا أقول المحال
فبعد ذا ينظر في قبره ... في جنة قد دام فيها الظلال
منزله يا حبذا منزل ... فيه الذي يهواه مما ينال
ما لا تراه العين أو تسمع ال ... أذنان أو يخطر منه ببال
أو لم يُذَبَّتْ نال في قبره ... ما تكره النفس بسوء السؤال
فنسأل الله لنا رحمة ... تغسل أدران قبيح الفعال
وبعد ذا صَلِّ على أحمد ... والآل ماهبت صبا أو شمال
ويا سعد جازني بالدعا ... واسأل لي الغفران من ذى الجلال

* * *

قال السيد العلامة محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله في العواصم .

تنكب عن مهاوى الجبر واحذر ... غوائل مبدعات الاعتزال
وسر وسطا طريقا مستقيما ... كما سار الإمام أبو المعالى (١)

* * *

(١) الجوينى رحمه الله .

فقال مولانا البدر جواباً عنه وأودعه الأنفاس اليمنية فى الرد على « الإفاضة المدنية » .

لقد سار الإمام أبو المعالى — طريقاً سارها ذوو الاعتزال

ووافقهم بلا قصد وطالع — حوافل كتبهم بالاحتفال

ووافقه على ما قال قوم — جهابذة من الأمم الخوالى

أبو العباس[1] أوحدهم ذكاء — وتابعهم أولو الهمم العوالى

كإبراهيم[2] تلميذ القشاشى — كذلك شيخه بحر اللآلى

وتابعهم أبو الحسن[3] الذى قد — أطاب بما أطال من المقال

ولكن آل بحثهم جميعاً — إلى ما قاله ذوو الاعتزال

فراجع نص كُتْبِهِمُ تجده — بلا شك مقال أبى المعالى

ومن يجعل له الإنصاف عيناً — رأى التحقيق من قيل وقال

ويجعل كل ذى علم أخاه — حبيباً لا يراه بعين قال

ويرفض من تعصب فى مقال — ليسلم وصمة الداء العضال

تعصبه لأقوام أطالوا — مقالا فى الخصام وفى الجدال

وأحسن منه رفضك كل قول — أتى بالابتداع من المقال

وخوض الناس فى الأفعال شىء — تنزه عنه أرباب الحجال

من الأسلاف أعنى خير قَرْنٍ — صحابة أحمد خير الرجال

فما سألوا عن الأفعال لكن — أتوا فى هديهم خير الفعال

وهمهم الجهاد لكل قَدْمٍ — جهول بالصوارم والعوالى

---

(١) شيخ الإسلام أحمد بن تيمية .

(٢) الشيخ إبراهيم الكردى الكورانى .

(٣) هو مؤلف « الإفاضة المدنية » الشيخ أبو الحسن بن محمد السندى وهو تلميذ الشيخ أبو الحسن السندى رحمه الله الذى لقيه مولانا البدر رحمه الله فى المدينة وجرت بينهما أبحاث قد تقدم ذكرها منه .

فجانب من يخالف ما أتوه | وإن كان الإمام أبا المعالى
فلو عاش الموفق خلف عام | ولم يعرف مقالا فى الفعال
وقام بواجبات الشرع حقا | لفاز غداً بإحسان المـــآل
إذا نزل الثرى وحواه لحـد | وجاءته المـلائك للسؤال
فـما عن كسبه أو خلق فعل | يساءل عنه فى بطن الرمال
ولاهل كان فيهم أشعرى | ولا هل كان من ذى الاعتزال

* * *

وله رضى الله عنه فى الحث على هدى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأودعها آخر رسالة مناسك الحج النبوى .

هـذى مناسك أحمد وصفاته | فى حجـه ورجوعه ورحيله
فإذا أردت سلامـة وسعادة | وتَقِيلَ فى الجنات نحو مَقِيله
فالزم طريقته وكن متمسكا | بفعاله وبهـــديه وبقيله[1]
إن النجاة من المهالك كلهـــا | لم تأت إلا فى سلوك سبيـــله
ليس الهدى فى غير هدى محمد | هادى الأنام إلى الهدى ودليله
وحذار ثم حذار من قول امرئ | يأتى بضد النص أو تأويله[2]
لا تَتْبَعَنْ ســـــوى النبى محمد | فبـذا أتاك الله فى تنزيله
ماأرسل الرحمن غـــير محمد | فينا فيرضيه اتباع رســـوله
لا يسأل الملكان مَنْ حَلَّ الثرى | إلا عن المختار بعـد حلوله
لا عن مقال سواه من كل الورى | وعند[3] اجتهاد المرء فى تحصيله
لاحاصل الرازى هناك محصل | حقا ولا التحصيل من محصوله
فلقد تلاشى بحث كل محقق | تَعَبُ الذكى يَضيعُ فى تحليله

---

(١) وبقوله.   (٢) وما آتاكم الرسول فخذوه . . . الآية .
(٣) هكذا فى الأصل وهو كما ترى مخل بالوزن والمعنى . والصواب أن «وعن اجتهاد الخ»

ينجو هنالك كل ذى بله أتى[١] بالخمسة الأركان فى تعقيله
فاشدد يديك على طريقة أحمد ليس النجاة غــداً لغير قبيله
واحرص على علــم الحديث فإنه علـم عن المختـار عن جـبريله
يامن جميع الرسل تحت لوائه[٢] فى الحشر مثل كليمه وخليله
ياخاتم الرسل الـكرام إغاثة[٣] تُطفِى من القلب التهاب غليله
وشفاعــة فى يوم يبدو كل ما كسب الفتى بدقيقه وجليله
يوم يَشِيبُ الطفلُ من أهواله ويصير مثل شيوخه وكهوله
دامت عليك من الإله تحيــة والآل من يَقْفُون نهج سبيله

* * *

وقال رحمه الله لما وقفت على ضريح السيد العلامة إمام العقل والنقل وشامة خد المجد والفضل شرف الآل الحسن بن أحمد الجلال رحمه الله تذكرت محاسنه ق لاتبلى . وفوزه فى العلوم بالقدح المعلى وامتلأت العيون بالعبرات ، سمحت القريحة بهذه الأبيات ، وقبره بأعلى محل الجراف ، قريب من الروضة . ولعل ذلك سنة ١١٣٣ هـ ثلاث وثلاثين ومائة بعد الألف .

جادت على قبر الجلال عينى بدمع ذى انهمال

---

(١) أخرج البزار من حديث أنس مرفوعا « أكثر أهل الجنة البله » .

(٢) أخرج أحمد والترمذى وابن ماجه مرفوعا من حديث أبى سعيد أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى آدم فمن سواه إلاتحت لوائى الحديث منه

(٣) لايجوز طلب الإغاثة والشفاعة من المخلوقين . والصواب الذى لايجوز العدول عنه أن يطلب الداعى الشفاعة من الله بأن يقول : اللهم شفع فى نبيك أو فلان الصالح ولا يلتفت إلى التأويلات الباردة التى فتحت أبواب الشرك على الناس ولايملك أحد من الخلق أن يشفع لأحد، والشفاعة إنما تـكون يوم القيامة بإذن من الله تعالى كما قال عز وجل « ولايشفعون إلا لمن ارتضى » وقال « من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه » وبين سبحانه أن ليس لأحد من المخلوقين من الشفاعة شىء ، بل اختصها لنفسه فقال « قل لله الشفاعة جميعاً » فتبين مما ذكرناه عدم جواز طلب الشفاعة من المخلوقين فى الدنيا ولـكن الشعراء فى كل واد يهيمون .

ووقفت فيه مدلهاً أبكى على فقد المعالى
جبل من التحقيق غيَّـــبه الفنا تحت الرمال
بحر إذا أخذ اليرا ع تدفقت منه اللآلى
فتاح أقفـــال الدقا ئق ما ابن سينا والخيالى
أزرى بسعد الدين فى تحقيقه وأبى المعالى
فرد يَعِزُّ له النظيـــر فلا يعرف بالمثال
لم يأت فى مستقبل وكذاك فى ماض وحال
أبقى من التدقيق ما بهر الفحول من الرجال
متضلع فى كل فـــنٍّ لا يجارى فى مجال
أبدى لنا ضوء النها ر فأشرقت منه الليالى
جمع الأدلة فيه جمـــع الدر فى جيد الغزال
بعبـــارة رقت ورا قت فهى كالسحر الحلال
وتصرف بالاجتهـــا د فلا يهاب ولا يبالى
تأليفــــه فى كل فـــنٍّ جاء فى حلل الكمال
هذى المفاخر لا التفا خر بالخيول و بالعوالى
أبقت له حسن الثنا ء وفاز بالرتب العوالى
وجفاه قوم ما دروا كيف السمين من الهزال
وكذاك فاضل كل عصـــر عرضة لذوى الضلال
من صار فرداً فى الكما ل رموه بالداء العضال
من ذا تراه سالماً فى الناس من قيل وقال
وشهوده فى كتبه إن كنت تنصف فى المقال
فاطعم ثمـار علومه واشرب من العذب الزلال
وعلى ضريح قد حوا ه تحية من ذى الجلال

أنشد الخطيب الرازى وذكرها له ابن خلكان فى ترجمته له :

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا فى وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة تفانوا قريباً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علتْ شُرفَاتِهَا رجال فبادوا والجبال جبال

* * *

فقال مولانا البدر رضى الله عنه مذيلا لها :

ولا جبل يبقى وإن طال مكثه وكل له بعد الوجود زوال
ستنسف نسفاً بعد طول قرارها تعود الجبال الشم وهى رمال
ولا النيرات الزُّهُر تبقى ولا السما ولا فلك عنه الفناء يحال
ستفنى جميع الكائنات بأسرها مواعيد حق مالهن مطال
تفرد ربى بالبقاء فكل ما سواه بقاه باطل ومحال
وبعد الفنا بعث وحشر وموقف تكون نجاة عنده ونكال
وداران دار للنعيم مؤبد ودار عذاب ليس عنه زوال
فيارب بالمختار من آل هاشم أقل عثرات لاتكاد تقال[1]
فبين الرجا والخوف فى القلب فتنة وحرب على مر الزمان سجال
فللخوف جند من ذنوب تعاظمت عراض بها صحف المسىء طوال
وجند الرجا عفو ولطف ورحمة بها حسناتى فى المعاد ثقال
لقد فاز عبد نال خاتمة الرضا وطاب نوال بعدها ومآل

* * *

(١) لا يجوز سؤال الله بالمخلوق مهما عظم شأنه لأن الله تعالى أجل وأعظم من أن يتأثر بالإقسام عليه بمخلوق مهما بلغ من الفضل ما بلغ. فليحذر كل من يحرص على سلامة إيمانه كل الحذر من الإقدام على هذه التوسلات الباطلة المصادمة للكتاب والسنة .

السيد علي بن عمر القناوي المصري من الصالحين اللازمين لذكر الله تعالى وصل إلى صنعا مرتين الآخرة في شهر ذي القعدة سنة ١١٧٣ هـ كتب إلى مولانا البدر يخبره بوصوله ، وهو في الروضة . فأجاب عليه . . .

أهلا بكم صحبتكم كل غادية — من السحائب تروى السهل والجبلا

وصلتم فوصلتم كل ذي مِقَةٍ — يسائل الركب عنكم كلما وصلا

يكاد يجعل نار الشوق مركبه — إلى قناة ويطوى نحوه السبلا

فجاءه غيث وصل بعد جدب نوى — إذ كان مستسقياً للوصل مبتهلا

فالحمد لله معطى العبد بغيته — لازال إفضاله بالوصل متصلا

وسوف أفرد يوماً للقاء لكم — يكون للدهر في طيب اللقا مثلا

* * *

ووصل أيضاً من السيد المذكور مرة ثالثة في شهر رمضان سنة ١١٨٠هـ وعزم في آخره .

ووصل أيضاً مرة رابعة في شهر رجب سنة ١١٨٩هـ ووصل أيضاً مرة خامسة .

قال مولانا البدر رضى الله عنه من حوادث سنة ١١٧٢هـ اثنتين وسبعين ومائة وألف إنها خرجت طائفة كبيرة من جبل برط من ذو محمد وذو حسين ، قاصدين نهب الرعايا على عادتهم كل عام ، فإنهم يخرجون مرة أو مرتين من سنة ١١١٣هـ ولم تبق جهة من الجهات اليمنية والتهامية ، إلا هتكوها ونهبوها ، وقتلوا من قاومهم إلى شهر ذي الحجة من السنة المذكورة وخرجوا على عادتهم من طرق خولان .

فاهتم الإمام المهدى العباس بن المنصور بالله أدام الله همته على أعداء الدين والبغاة المفسدين .

فجهز النقيب الماس ، في جيش كثيف ، من خيل وغيرها .

فخرج بعد الظهر ، يوم الثلاثاء سادس وعشرين ذي الحجة ، وغزا المفسدين ، فأوقع بهم في قاع جهران ، وكانوا في قرية يقال لها الخربة ، بعد العصر من يوم الأربعاء، آخر أربعاء من السنة ، فقتل منهم قتلا ذريعاً قيل بلغ قريب المائتين وأسر طائفة من كبارهم ، وأرسل إلى صنعا إلى حضرة الإمام ستين رأسا من رءوس قتلاهم أو زيادة على الستين ، وصلوا بهم عند خروج الإمام من صلاة الجمعة ، وقد رفعت على الرماح .

وكان يوما مشهوداً اجتمعت الأمة للنظر إلى تلك الرؤوس المعلقة على الرماح ثم علقت على أبواب صنعا أياما ثم دفنت .

وكان عود النقيب الماس يوم الأحد ، رابع محرم سنة ١١٧٣ هـ ودخل صنعا دخولا حسنا في أجناد منصورة والأسرى بين يديه ، والناس قد خرج كبيرهم والصغير ، عظيمهم والحقير . حتى غلقت الأسواق والحمامات والسماسر ، ولم يبق أحد إلا خرج للنظر إلى دخوله ، وأمنت الرعايا بعد المخافة ، وكل ذلك من فضل الله تعالى ، وحسن نية النقيب الماس ، وخروجه بنية صالحة للدفاع عن العباد ، ونكاية أهل الفساد ، فالحمد لله رب العالمين حمداً ليس له إحصاء ، ولا نفاد .

وكان ذلك نصراً ، لم يتفق مثله في سالف الأعصار ، على هذه القبيلة .

فكتبت تهنئة للإمام العلي أن هذا جهاد في سبيل الله ، باتفاق الأنام .

هل أهنيك أم أهنّي المعالى ... أم أهنّي أيامنا والليالى
أم أهنى الأكوان فهى جميعاً ... فى سرور ولذة واختيال
شمس نصر قد أطلع الله فى أفـ ... ـق المعالى فنورها مُتلألي
للإمام العظيم ذي الأمر والنهـ ... ـى قرين الإسعاد والإقبال
مَنْ بَنَى حصن مجده بسيوف ... وخيول بالرماح العوالى
وتسامى لنيل ما لم ينله ... غيره قط فى القرون الخوالى
برط ما أتي بها من قتيل ... أو أسير فى عمرنا المتوالى
حسبوا أن مجدهم سور يأجو ... ج ومأجوج ما له من زوال
فأتاه الإمام بالماس حتى ... خرق السور فهو مثل الرمال
إنما الماس خاتم فى يد المـ ... ـلك وسيف عند التحام القتال
سخر الله للإمام أناساً ... يصدمون الأبطال بالأبطال
وإذا سخر الإله أناساً ... لسعيد ينال أعلى منال
هكذا هكذا السعادة تأتى ... بالذى لا يمر يوماً ببال

من يظن الأسود من برط يأ　　تون أسرى يمشون فى الأغلال
ورؤوس الرؤوس بطن شبيك　　حملوها على ظهور الجمال
رفعوها وذلك الرفع خفض　　حين عادت أبدانهن العوالى
كم أباحوا من كل ما حرم الله　　وكم أيتموا من الأطفال
كم وكم من محارم هتكوها　　واستباحوا النفوس بالأموال
ولكم يعبثون بالناس دهراً　　بقبيح الأفعال والأقوال
هى عندى ستون عاماً تِباَعاً　　ولهم جنة من الإمهال
هتك الله بعد ذاجنة الإمـ　　ـهال عنهم لما طغوا فى الفعال
هكذا عادة الإله على الخلـ　　ـق بطول الإمهال لا الإهمال
فإذا لم يكن رجوع إليه　　بخضوع وذلة وابتهال
جرعتهم يد المقادير كأساً　　من عذاب وذلة ووبال
فأرى الذل قد تولى عليهم[1]　　من إلهى ذى العزة المتعال
ولك النصر قد توالى من اللّـه تعالى فاشكره فى كل حال
فأذقهم كأس المنون وزدهم　　ذلة بعد هذه فى نكال
وعلى المصطفى تدوم صلاة　　وسلام وآله خير آل

* * *

كتب المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله إلى مولانا البدر رضى الله عنه سؤالا وهو :

يا أيها البدر الذى بعلومه　　للناس يفتح كل باب مقفل
وإليه يرجع كُلُّ حَبْرٍ عالم　　منهم ويرجوه لحل المشكل

---

(١) فى هامش الأصل : قد تدلى إليهم .

إنى دعوتك سائلاً مسترشداً … فأصِخْ لما أملى عليك وأقبل

عن قول ربى كل شىء هالك … إلا الذى استثناه خالقنا العلى

هل فى العموم كلام ربى داخل … أم فيه قول إلهنا لم يدخل

يا حسرتا يا حسرتا إن فاتنا الـ … قرآن فى دار النعيم الأكمل

فلكمْ لنا من لذة فى درسه … يحلو بذوق القارىء المتأمل

إن قلت ليس بداخل قلنا هلـ … ـم مخصصاً وأَبِنْ دليلك وانقل

أو قلت يدخل قلت يقدح فيهما … تروى الثقاة عن النبى المرسل

فى أن سكان الجنان جميعهم … يتلونه بترنُّمٍ وترتُّل

إن قلت ذاك هو المخصص قلت لا … قرآن وهو لغيره لم يشمل

بقى الكلام عليك فى تصحيحه … وعلَىَّ نقل سؤالى المستشكل

منه إلى التوراة والإنجيل مع … صحف الخليل وكل ذكر أول

لجميع تلك كلامه سبحانه … والحكم فيها واحد فتأمل

وسل الأولى قالوا بخلق كلامه … لا من سواهم فهو عنه بمعزل

واعذر وأصلح ما تراه فاسداً … فيما كتبت إليك واستر وا قبل

* * *

فأجاب مولانا البدر رضى الله عنه :

أهلا براح فى الطروس أدرت لى … صهباء تهزأ بالرحيق السلسل

صهباء تستلب العقول فلا تلم[1] … فَهِماً لقيد خطابها لم يعقل

هب أن آخر ما فهمت مراده … نخذ الذى فى ذا السؤال يلوح لى

هو أن لفظ الشىء صار مخصصاً … بالجسم عندى بالدليل الأكمل

---

(١) بعد هذا البيت أبيات لم أجدها منه .

إذ كان باللغة التى يحظى بها ورد الـكتاب من العَلِيِّ المنزل
لفظ الهلاك يخص بالأحسام لا يدنو إلى عرض بها متنقل
هل جاء فيها ذا كلام هالك فسل الصحاح وسل كتاب المجمل
فأذن غدا شىء يراد به هنا جسم وذلك ليس بالمستشكل
إن قلت سلمنا فأين محله بعد الفنا فاسمع سماع متعقل
قد قال ربى الله جل جلاله وإليه يصعد كل قول أفضل
وكلامه أولى الـكلام بطيب وأحق قول بالصعود إلى العلى
وأتت أحاديث عن المختار فى ما قلت بين مصحح ومعلل
من رفعه عن خلقه لـكلامه فى آخر الزمن الخؤون الأرذل
وبسورة الأعراف قد قسم الذى فى الـكون فاقرأ ما بها بتأمل
فى الخلق ثم الأمر ثم إليه فى هود مرد الأمر أى ذا المنزل(١)
فلعالم الأمر المعظم شأنه حكم تلوح لناظر متأمل
إن قلت هل هو نازل من بعد ذا يتلوه فى الجنات كل مرتل
فأقول يلهمهم إلهك مثلما قد جاء فى التسبيح فابحث واسأل
وإلى هنا تم الجواب وبعده فاسمع جواباً جاء يرفل فى الحلى
هو أن حُفَّاظَ الـكتاب إذا هُمُ قاموا إلى حشر وأرفع منزل
يحيون والقرآن محفوظ لهم كم من دليل فى الذى قلنا تُلِى
منه تَذَكُّرُهم أحاديث الدُّنَا كم من آية فى ذا على المزمل
فى الطور والصافات فانظر فيهما وانظر أحاديث النبى المرسل
من قول ربى للذى لـكلامه قد كان يقرؤها أَتْلُ ورتل
وإذا هم حفظوا أحاديث الدنا فالذكر أولى أن يكون به مَلِى

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : « ألا له الخلق والأمر » ـ « إليه يرجع الأمر كله » .

أترى الرسول يقوم ليس بحافظ   للذكر هذا لا يقول به ولى
سيعيد ربك كل إنسان على   مامات من علم وجهل أجهل
وكذلك التوراة والإنجيل فى   ماقلت يدخل بالدخول الأولى
هذا الذى قامت عليه أدلة   بوضوحها حلت عقود المشكل

* * *

ووصل من المولى العلامة عبد الرحمن بن على بن إسحق رحمه الله هذا السؤال :

سؤال نحن فى حيرة من ليل ظلمته   ولا يجليه إلا البدر بنور فطنته
أيا أيها البدر المرجى لحل ما   له حارت الإفكار فى كل مشكل
فمن ذا سواك اليوم نرجوه فى الورى   يجلى صدى الإشكال عنا فينجلى
بنور ذكاء بل وفطنته التى   بها خصه الرحمن فى دفع معضل
إليك سؤال عن حديث رواته   رجال ثقات ليس ذاك بمرسل
بتعيين أيام لصـــوم نبيئنا   لها كل شهر فى حديث مسلسل
رواه أبو داود عنـه معنعناً   حديث صحيح ليس ذاك بمعضل
لعائشة قالت مسائلة لها   أكان ثلاثا صام من أية سل
فقالت نعم فى كل شهر يصومها   نبى الهدى المختار خير مفضل
فقالت لها من فى أية كان صومه   من الشهر يروى عنه فى كل محفل
فقالت لها فى أية صام لم يكن   يبال وعنه صح ذلك فافعل
يعارض هذا ماروى عنه مسنداً   عن الحبر عبد الله عن خير مرسل
روى صومه فى كل شهر لغرة   ثلاثة أيام روى عنه فاعقل
فـكيف يكون الجمع بينهما نجد   بجمع يرى الإشكال عنه بمعزل

* * *

فأجاب مولانا البدر رحمه الله .

سؤالكم واف لتحقيق مشكل ... أتى عن صحابيين عن خير مرسل
قد اتفقا فى صومه لثلاثة ... من الشهر لكن جاء غير مفصل
رواية أم المؤمنين وقد روى ... لنا الحبر تعيين الثلاثة فاعقل
بغرته من كل شهر يعارض الـ ... ـذى أتى مجملا لما أتى غير مجمل
ويظهر لى أن لاتعارض فيهما ... فكل روى ماعلمه فيه غير منجلى
فعائشة تروى الذى علمت وما ... رواه ابن عباس فليس بمشكل
روى مارأى والشهر ليس بواحد ... فكل صدوق فى الحديث المسلسل
وليس زمان الصوم شهراً معينا ... فيشكل مايروى به فتأمل
فقد شرطوا عند التناقض وحدة الـ ... ـزمان فما استشكلته غير مشكل
فحقق ماحققته لك واثقاً ... به لترى الإشكال عنك بمعزل
بقيت لنا تهدى لنا كل طيب ... وتفتح بالتساؤل عن كل مقفل

* * *

وله رحمه الله :

أى ظرف نصفه مظروفه ... فهو مظروف له فى كل حال
إن حذفت الربع من أحرفه ... وأردت النطق منه قلت مال

* * *

وله رضى الله عنه :

ما بال أعمالك لا تقبل ... وما لميزانك لا يثقل
أفق أفق قبل حلول الثرى ... غفلت عمن عنك لا يغفل
أخلص له النية فى كل ما ... تقول أو تترك أو تفعل
وجانب الدنيا ولذاتها ... فإنها السم الذى يقتل
كم هالك فى حبها تالف ... يمشى عليها وهو لا يعقل

جاوزتها خمسين عاماً فما ترجوه فى العمر الذى يقبل
إن كان أعمالك فيما مضى فى كفة الميزان لا يثقل
فما الذى ترجوه من بعد ذا ليس سوى من ستره مسبل
رب البرايا من غدا فضله عن كل من أوجده يفضل
يارب فى دار الفنا رحمة فهى لمن فيها غدت تشمل

* *

وله رضوان الله عليه فى واقعة :

صبراً على واعف عن قوم دهوك بمعضله
لا خير فيهم إنهم جحدوا حديث المنزله
لولا اجتهاد محمد ما نلت هذى المنزله

* * *

ولما اطلع رحمه الله على كتاب(١) يسمى «الإنسان الكامل للجيلى» كتب عليه :

هذا كتاب كله جهل وخلاف ما جاءت به الرسل
هذا كتاب كل داهية فيه فلا عقل ولا نقل
قد ضل أقوام برؤيته فغدوا وليس لدينهم ظل
هذا هو الإنسان ألفه من لا يدانى جهله البغل
مضمونه أن العباد هم ذات الإله وهكذا الجهل
فالرب ذات العبد عندهم فهو الوجود الدق والجل
قد قال سبحانى أوائلهم وأنا الإله وكم وكم ضلوا

---

(١) وهذا الكتاب هو الذى أحرقه مولانا البدر رحمه الله ، وصنع له طعاماً على ناره وكان فيه الشفا لباطنه من الإسهال ، وسيأتى ذكر ذلك فى حرف الميم إن شاء الله .

قالوا ومن عبد الحجارة قد أضحى بما يأتى له الفضل
وعبادة الأوثان مكرمة فيها يطيب القول والفعل
والسامرى أصاب عندهم إذ قال إن إلهه العجل
قالوا ومن شرب الخمور ومن يأتى الذكور ففعله حل
قد حرفوا الذكر الحكيم وما يتضمن الفرقان والنحل
قالوا العذاب عذوبة وكذا نار الجحيم لهيبها ظل
قد خالفوا دين الإله فما فيه لهم وبل ولا طل
وخلاصة التحقيق أنهم قوم زنادقة فلا أغلوا
قادوا إلى الإسلام فاقرة وعليه سيف ضلالهم سلّوا
وأتوا بداهية يشيب لها من شوم مافاهوا به الطفل
وعلى الذى قد أسسوه بنا قوم عليهم خندق الجهل
كم من غبى جاهل خدعت ألفاظهم إذ عنده تحلو
لم يدر جهلاً أن باطنها أن الشريعة ما لها أصل
ياللرجال أتجهلون هدى وافى به القرآن والرسل
ودلائلا قامت لدينكم نادى بهن العقل والنقل

* * *

وله رضى الله عنه :

أتزعم حب أقوام وتنسى مذاهبهم وتجهل ما تقول
وترمى مَنْ سواك بكل داء وأنت بما تفوه به جهول

* * *

وله رحمه الله فى الاستدراك :

قال لى خِلِّى لما زارنى ما ترى بالله فى هذى المقل
قلت كالنرجس يا مَنْ حبه أتلف المملوك لكن ما قتل
أنت غصن مائل فى لينه قال لكن ليس للغصن كفل

* * *

وله رضى الله عنه فى إرسال المثل :

خليلى هل من موقف فيه أشتكى هواك فقد أفنيت فكرى آمالا
وهل أنت فيما أبتغيه مراسلى فكم فى الهوى قد أرسلونى أمثالا

* * *

وله رحمه الله فى القول بالموجب :

وشادن قدلامُ من فيـــــــه له التغزل
فقلت دعه إنه يقول مالا يفعل

* * *

وله رضى الله عنه مقتبساً وفيه تسمية النوع :

لما نأوا عن مقلتى ببدرهم وارتحلوا
قلت انظرونا نقتبس من نوركم ثم ارحلوا

* * *

وله قدس الله سره فى القول بالموجب مع المراجعة البعيدة :

أحبتى حين مالوا عن مواصلتى تحيلوا يدعون الذنب من قِبَلِى
قالوا تناسيت قلت الروح بعدكم قالوا جفوت فقلت النوم عن مُقَلِي

وله رحمه الله فى المراجعة :

قلت المحبوب نومى ليس يدنى لى خيالك
قال لم قلت لفقدى قال من قلت وصالك

* * *

وله رضى الله عنه فى الموازنة :

قال حبيبى لِمْ أطلت الجفا إنك عندى لمحب ملول
فقلت رفقاً إنه لم يزل لى نحوكم فى كل حين وصول
وعاذلى فى كل ذا شاهد فقال لا شاهد إلا العذول

* * *

كتب المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله من السجن إلى مولانا البدر رضى الله عنه ملغزاً مالفظه :

مولاى يا من فاق كل عالم بعلمه وفهمـــه وفضله
ما اسم رباعى مسماه غدا لم تر عين ناظر كمثله
وليس بالداخل فى العالم والا عالم ليس خارجاً عن شكله
وقد جرى الخلاف فى تحليله وإن تقل ياطالباً لحله
لم نطق الذى لنا ألغزته فذا الكلام قد أتى بكله

* * *

فأجاب البدر رحمه الله جالياً للغزه وملغزاً :

يا ماجداً ما زال يهدى نظمه نفائساً ليس ترى لمثله
وقد أتانا ملغزاً فى منطق بمنطق يلهى الفتى عن شغله
وخذ جزاء اللغز لغزاً ثانياً إن جزاء الشىء مثل أصله

ما اسم ثلاثى تساوى فيه من   يحوى الثرى من عُلْوِه أو سُفْلِهِ
وكل شىء منه فيه حصة   حتى السماء ووبله وطله
وإن جعلت صدره مؤخراً   أصبح كل الناس تحت ظله
وإن قلبت لفظه غدا الفتى   من حيرة لا يهتدى لفعله
وإن قطعت رأسه فإنه   سقى الورى طرا كؤوس قتله
وما عليه قود هذا ولا   ذنب ينوء فى غد بحمله
بَيِّنْهُ لى يا من غدا كل فتى   يقصر عن إدراك نيل فضله

* * *

فأجاب رحمه الله وكان فى السجن :

يا بدر دين الله أفديك لقد   حملتنى مالم أطق لحمله
وهل يحل اللغز موثق غداً   يقصد كل أحد لحله
لو كان يدرى ذاك حل نفسه   عن قيد دهر بان سوء فعله
وكلما رجوت منه عدله   أهدى إلىّ راشقات نبله
واللغز إن يصدق حدسى فهو فى   اسم فهل ماقلت فى محله

* * *

وله رضى الله عنه فى إيهام التأكيد :

عجباً بكرت تلوم فتى   أضناه الحب وأذهله
وتقول عسى يسلو رشاء   وله شوق وله وله

* * *

وله رحمه الله :

أتى أن خير الرسل ليس لذاته   ظلال فقل إن صح فيا أتى النقل
هو النور للأكوان من غير مرية   فلا عجب أن لا يكون له ظل

وله رضى الله عنه إلى المولى العلامة محمد بن إسحق رحمه الله .

جرى هذا الزمان على ضلاله ... ووافى بالقبائح من فعاله
وأرصد لى الرقيب على طريقى ... كأنى جئت مستلباً لماله
وأمكننى بمطلوبى احتيالا ... ليخدعنى ويظفر باحتياله
فلما أن دنوت إلى مرادى ... رمى سهم التفرق من نباله
فنفرنى وروع أهل ودى ... ورادف من يروع من رجاله
فصرت كطائر وافى فروع ... فروع قبل رشف من زلاله
رمى الله المفرق بالبلايا ... وألبس جسمه ثوب اعتلاله
ولما أن حُرِمْتُ مراد نفسى ... بأمر لست أقوى لاحتماله
خرجت حليف أفكار وكرب ... ودمع كالغمائم فى انهماله
ولولا أننى خادعت قلبى ... لذاب من التلهف واشتعاله
فيا بدر العلى صبراً جميلا ... فإن الصبر يحمد فى مآله
وإن الأمر مهما زاد عسراً ... فإن اليسر يأتى فى خلاله
سيعلم من إلى ظلم البرايا ... يسارع فى المشيب وفى اكتهاله
عواقب ظلمه ويعض كفاً ... وما تجدى الندامة من ضلاله
عليك من التحية منتهاها ... تدوم دوام مجدك فى كماله

* * *

قافية الميم

وله رضى الله عنه فى الحث على التوبة (١) وفيها تضمين من قصيدة لأبى الطيب المتنبى قالها فى أول شهر ربيع الأول سنة ١١٧٣ هـ ثلاثة وسبعين ومائة ألف .

على توبة بالله هل أنت عازم ... فكل الذى أسلفت عندى جرائم

---

(١) وفيها تقسيم العباد فى المعاد وحقيقة التقوى — منه .

فشمر بعزم المتاب فإنما ... على قدر أهل العزم تأتى العزائم
وإن عظمت منك الجنايات إنها ... ستصغر فى عين العظيم العظائم
سيأتيك من مولاك ما هو أهله ... وتأتى على قدر الكرام المكارم
ويلقاك بالبشرى وتلقاه بعدها ... ووجهك وضاح وثغرك باسم
ونفسك صنها قبل إلقائها الردى ... فموج الخطايا حولها متلاطم
أتعرض عنها غير محتفل بها ... كأنك فى جفن الردى وهو نائم
على أنه مستيقظ لك فانتبه ... وفى يده للقطع قطعاً صوارم
فلو كان هذا الموت فعلا مضارعاً ... مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم
لكنهـا الآجال لا متأخر ... عليها إذا جاءت ولا أنت قادم
ولا بد منها فاستعد لجيشها ... بجيش التقى فهو المعين المقاوم
وإن التقى قسمان فعل أوامر ... وترك المناهى إن له أنت راسم
هى الحسنات المشرقات وكاتب الـ ... يمين لها فى صحف فعلك راقم
أو السيئات السود يكتبها الذى ... بيسراك فانظر ما به أنت سالم
غداً ووجوه الخلق قسمان أبيض ... وآخر مثل الليل أسود قاتم
كذا صحف الأعمال قسمان آخذ ... بيمناه طوبى إذ أتته المغانم
وآخر يعطى بالشمال كتابه ... فيدعو ثبوراً ويله وهو نادم
كذا كم الميزان قسمان كفة ... تخف بما فيها وفيها المآثم
ومن ثقلت منه الموازين حسبه ... ويا حبذا من سالم وهو غانم
وقسمان أهل الحشر ذلك ظالم ... وآخر مظلوم لذاك ملازم
يطالبـه فيما لديه وربه ... بما قد جناه عالم وهو حاكم
فيأخذ للمظلوم من حسنات من ... غدا ظالماً ياويح من هو ظالم
فإن لم تكن ألقى عليه ذنوبه ... وألقاه فى نار الجزا وهو راغم

وأن دواوين الذنوب ثلاثة ترى واحداً منها تحتها المكارم
واثنان ماللعفو فيهن مدخل ولا حام منه حول ذلك حائم
وذلك ديوان المظالم إنه قصاص فتستوفى هناك المظالم
وديوان أهل الشرك فى النار أهله وليس لهم إلا الخلود يلازم
فيا راحماً للمذنبين سواهم أقِلْ عثرة من عاثر وهو نادم
جنى ما جنى من كل ذنب ولم يزل ببحر الخطايا والمآثم عائم
وما هو من بعد الإساءة مقبل فهل قابل لى غافر لى راحم
فهذا مقام المستجير أنخ به مطايا الخطايا تمح عنك المآثم
وصل على المختار والآل بعده فإن بها حقاً تنال المغانم

* * *

وقال رضى الله عنه لما تطاول معى عارض الإسهال زيادة على سنة ونصف، ولم ينفع فيه دواء وأعيا الأطباء.

جاءنى بعض فقهاء صنعا بكتاب اسمه «الإنسان الكامل» تأليف الجيلى ومعه «المضنون به على غير أهله» منسوب إلى تآليف الغزالى ولا أظنه من مؤلفاته وإنما هو مكذوب عليه إن شاء الله.

فطالعت الكتابين، وكنت أعرف الأول منهما من أيام ثم رأيت فيهما ما هو والله كفر لا يتردد فيه ذو إيمان.

فحرقتهما ثم جعلت أوراقهما فى التنور وخبز لى على نارها خبز؛ نضيج، وأكلته بنية الشفاء من ذلك الداء، فذهب ـ بحمد الله ـ ذلك الألم وتمت الليل أو أكثره، وحمدت الله تعالى على نصرة دينه، وعلى العافية، وقلت أبياتاً وهى:

ألم بجسمى عارض طال مكثه وأعيا الأطبا منه طول سقامى
وأشفق أولادى وأهلى وجيرتى وظن حميمى أن فيه حمامى
وما زلت أدعو الله فى كل ساعة وهل غيره يرجى لكل مرام

فساق إلىَّ الله يوماً تفضلا كتاباً حوى مالم يصفه نظامى
حوى كل كفر ثم حرق كلما أتى فى كلام الله خير كلام
وأبطل مافيه وصير نوره ضلالا وجهلا بحر كل ظلام
وصوب آراء اليهود وكفرهم وقال النصارى فى أجل مقام
وقال عذاب النار عذب لأهله فما سقر إلا كدار سلام
وعُبّادُ عجل السامرى على هدى وهارون أخطى إذ أتى بملام
وذا قاله الجيلى بتأليفه الذى يقول له إبليس أنت إمامى
يقول ظللنا من قديم ولم أكن لأعرف ذا فى يقظتى ومنامى
ولا كنت أدرى أن فى الكفر مثل ذا وحاشا لمثلى أن يكون مرامى
يفديه إبليس اللعين بنفسه وأولاده من حادث وحمام
يقول لقد أقررت عينى وزدتنى سروراً وقد أسكرتنى بمدام
وصيرتنى بعد الإله لحبذا مقام به قد قمت خير مقام
فلما تحققت الذى فيه قلت ذا دواء سقامى بغيتى ومرامى
فمزقته من بعد تحقيق ما حوى وأوقدته ناراً لطبخ طعامى
فيا حبذا قرص هنىء أكلته لذيذاً ولم يمزج بحسن أدام
قصدت به نصر الإله فجاءنى بإذهاب داء مسنى وسقام
له الحمد قبل الحمد والحمد بعده أقيد كلا منهما بدوام
وصل على طه الأمين وآله صلاة ترى مقرونة بسلام

* * *

وقال رحمه الله فى مدح سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم قالها فى رجب سنة ١١٧٤ هـ أربع وسبعين ومائة ألف .

تبين ثغر الفجر لما تبسما فسبحان من فى الذكر بالفجر أقسما

وأطلعه فى الشرق كالسيف مصلتا … به انهزم الليل الذى كار

وهب على الروض النسيم فأيقظ الـ … غصون وكانت أعين الزهر

وقام خطيب الورق فى الروض خاطباً … بذلك أدى الشكر لما ترنـ

ووافى إليه الطل فى الليل زائراً … فقبل أقدام الغصون ملما

فصل على المبعوث للخلق رحمة … عسى شملتنا أو لعل ولا

كما شملت آل الرسول وصحبه … فأكرم بهم آلا وصحباً وأعظم

أتى بالهدى نوراً إلينا ونعمة … وقد كان وجه الكون بالشرك مظلما

فجلى بأنوار الهدى كل ظلمة … وأطلع فى الآفاق للدين أنجما

أتى بكتاب أعجز الخلق لفظه … فكل بليغ عذره صار أبكما

تحدى به أهل البلاغة كلهم … فلم يفتحوا فيما يعارضه فما

حوى كل برهان على كل مطلب … ويعرف هذا كل من كان أفهما

وأخبر فيه عن عواقب من عصى … بأن له بعد الممات جهنما

وعمن أطاع الله أن له غداً … نعيما به من مشتهى النفس كلما

محمد المبعوث للخلق رحمة … فصل عليه ما حييت مسلما

وأسرى به نحو السموات ربه … وأركبه ظهر البراق وأكرما

وقد فتحت أبوابها لصعوده … فما زال يرقى من سماء إلى سما

ولاقى بها قوماً من الرسل كلهم … يقول له يا مرحباً حين سلما

إلى أن ترقى موضعاً عز وضعه … وما أحد يستطيع أن يتكلما

وكان فرض الصلاة وحبذا … ترده بين الكليم مكلما

وصيرها من بعد خمسين خمسة … فروضاً وأمر الله قد كان مبرما

وشاهد ملكوت السماء عجائباً … فم النظم عنها قاصر أن يترجما

وقد قصرت عنه العبارات إنما … يقال كهذا أو كذا أو لعلما

وعاد إلى بيت أم هانىء مخبراً … لها بالذى قد كان منه ومعلما

فخافت عليه أن يكذبه الملا ويزداد من فى قلبه مرض عما
فجاء إلى البيت العتيق فأخبر الـ ـعباد فمنهم من بتكذيبه رمى
وكان به الصديق خير مصدق فصدق خير الرسل فى خبر السما
محمد المبعوث للخلق رحمـة فصل عليه ما حييت مسلما
وقم حامداً لله فى كل حالة تجد حمده فى يوم حشرك مغنما
وصل على المبعوث للخلق رحمة محمـد المختار والآل كلما
سرى البرق من أرجاء مكة أوسرى نسيم على زهر الربى متبسما
ورضٍّ على الأصحاب أصحاب أحمد وكن لهم فى كل حين معظما

* * *

وقال رضى الله عنه من الحوادث فى سنة ١١٦٦هـ إنه اتفق أن أول جمعة من جمادى الأولى سنة ١١٦٦هـ خطبنا على القاعدة فى جامع صنعا .

ولنا قاعدة أنه إذا اتفق تطويل فى الخطبة الأولى الوعظية أنا نختصر الخطبة الثانية ، وندعو للخمسة أهل الكسا تفصيلا ، ثم ندعوا للآل جملة ومرت لنا أعوام على هذا الأسلوب ومنها تلك الجمعة .

فألقى الشيطان فى قلوب جماعة من الرغاع وجهال بيت الإمام القاسم أن الخطيب ترك ذكر جدكم الإمام القاسم والدعاء له .

فاجتمعوا وقصدوا جماعة من أعيان بيت الإمام وكبرائهم مثل المولى العلامة محمد ابن إسحق رحمـه الله ، ودخلوا عليه وهم جماعة كثيرة وعرفوه بهذا الواقع من الخطيب .

فأجاب عليهم بجواب العلماء وأن هذا الذى تركه ليس بواجب ، ولا يخل بخطبة ولا صلاة ، وهجن عليه ما اجتمعوا له ، ووبخهم .

ومازالوا يمرون على الأعيان حتى انتهوا إلى محمد بن على بن حسين بن المهدى وهو من كبار بيت الإمام سنا ، إلا أنه عار عن حلل العلم والتقوى .

فوافق فى نفسه على خليفة العصر هوى ، فقام بهذا الأمر وتولى كبره ، ودخل على الخليفة .

فعرفه الخليفة أن الأمر سهل ، وأنه يعرف الخطيب أن لا يعود إلى ذلك .

فما أقنعه جواب الخليفة ، ولا أرضاه ، وأصر على اتباع هواه وأنه إذا لم يحبس الخطيب فإنه سيقتله . وهاجت العامة ، وكثر الهدار .

فألهم الله تعالى الخليفة أن طلب محمد بن على والجماعة الذين من رعاع بيت الإمام إلى القصر فاجتمع الخطيب ، ومحمد بن على فى موقف الخليفة ، وذكر الخليفة للخطيب ما أنكره العامة .

فأجاب بأن هذه قاعدة له عند إطالة الخطبة الأولى ، ولا يخل ذلك بخطبة ولا صلاة ، وبمثله أجيب على محمد بن على .

ثم ذكر الخليفة حديث الجمع بين الصلاتين وأنه قال العلماء إنه ضعيف وأنه ذكره الخطيب وأراد به حديث « من جمع بين الصلاتين لغير عذر فقد أتى باباً من أبواب الكبائر »

فأجاب الخطيب بأنه كما قال العلماء حديث ضعيف ، من رواية حنش الصنعانى ، ولكنه رواه الترمذى ، وذكر تضعيفه ، ثم قال « والعمل عليه عند أهل العلم ، وعليه كان عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه بقى ثلاثاً وعشرين سنة لا يصلى الصلوات إلا توقيتاً ثم هو دليل أهل المذهب القائلين بجواز الجمع لعذر .

ثم إن الخطبة إنما شرعت لحث الناس على أفضل الأعمال .

فقال الخليفة للخطيب : قد رأيت أن تبقى فى دار الأدب فقام الخطيب إلى بيت بعض أمراء الخليفة .

ثم نهض الخليفة من مقامه وأمر بحبس محمد بن على وقبض خيله أربعة عشر عناناً ، وقبض البلاد التى كانت إقطاعاً له . وهى ضوران ، وحبيش وبقى فى السجن من تأريخه إلى وفاته فى يوم عرفة يوم الخميس سنة ١١٧٠هـ سبعين ومائة وألف نسأل الله رضاه ، وحسن الخاتمة .

وأمر بحبس بقية الجماعة الرعاع من آل الإمام ، وهم نحو ثلاثين نفساً .

ثم أمر بتفسير العجمى المتسمى بالسيد يوسف وكان رافضى المذهب متظهراً بذلك .

ثم بقى الخطيب شهرين فى قصر صنعا مسجوناً فى حال حسن ومنزل مناسب ، ودخول من يحب دخوله إليه .

وكان السبب الحقيقى للجماعة الذين تجمعوا وتحزبوا ، اشتغال الخطيب بعلم السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتدريس فيها ، والتأليف والدعاء إليها ، ونشرها فوق المنابر وميل أكثر الناس إليها .

حتى اتهموا الخليفة المهدى رحمه الله بأنه من أهل السنة وأنه يميل إلى أهلها والتابعين لها وأكثروا فى هذا الشأن الأشعار والهذيان .

وفى أيام البقاء فى السجن كتب الله أن النقيب الماس ، وجماعة ممن اتصل بنا ، مالوا إلى تعلم السنة ، واشتغلوا بعد ذلك بها ولما خرجنا وصلوا وقرأوا علينا مؤلفنا « سبل السلام » وصلحوا صلاحاً حسناً وحافظوا على الجماعات فى أوقاتها، وانتشرت السنة انتشاراً حسناً بحمد الله سبحانه .

وكنت قلت أبياتاً إلى إخواننا من أهل مكة المشرفة، أصف لهم الواقع ،وأستمد دعاءهم وأذكر لهم مانقم منا أهل جهتنا وهودعواهم أنا خالفنا أهل البيت فى مذهبهم ولهم يرموننا بمخالفتهم منذ أربعين سنة بسبب اشتغالنا بنشر السنة وإعلائها فأوضحت فى الأبيات أن مذهبهم هو الذى اتبعناه ، وأرسلناها بعد أن من الله ــ وله الحمد ــ بالخروج من القصر ولنا فى نشر السنة النبوية من سنة اثنين وثلاثين ومائة وألف ولله الحمد ، وقد نشرها تلاميذنا فى الجهات والحمد لله كثيراً بكرة وأصيلا والأبيات هى :

لقد صدرت إلى أعلى مقام ... لأعلام لأعلام كرام
تجوز مَهامِها وتمر بيداً ... وتياراً إلى البلد الحرام
وتهدى من أزال من أسير ... لودكم السلام من السلام
سلاماً كالنسيم يهب وهنا ... ومثل الروض بُوكِرَ بالغمام
وتلتمس الدعا من كل بر ... وبحر زاخر يشفى أوامى
وكل أخ له فى الفضل سهم ... يعين أخا بإرسال السهام
فيرسل من رواشقه نبالا ... من الدعوات تأتى بالمرام
وتخبر كل سام فى ذراها ... بأنا قد نزلنا قصر سام
به حليت إذ حليت جيدا ... لسنة أحمد بدر التمام

بفتى يحرس البلغا ونظم ... ألذّ لدى النديم من المدام
وما آليت جهداً فى بلاغ ... وتنبيه لأنباء الأنام
وإرشاد لنقاد كرام ... وإيصال إلى سبل السلام
وتطهير اعتقاد عن شريك ... بسهم صائب عرض اللئام
وسيف باتر هام الأعادى ... وتوضيح الحلال من الحرام
وعُدّتيَ الدراية منه فضلا ... ومنحته لتنوير الظلام

* * *

تضمنت هذه الأبيات التورية بمؤلفات البدر رضى الله عنه ، وهى « تنبيه الأنباء بعدم شرطية عدالة الإمام فى الصلاة » ؛ و « إرشاد النقلة إلى تيسير الاجتهاد » و «سبل السلام شرح بلوغ المرام » و « تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد » و « السهم الصائب فى نحر القول الكاذب » و « السيف الباتر فى يمين الصابر والشاكر » و « توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار » و « العدة شرح العمدة » و « الدراية حاشية شرح الغاية » و « منحة الغفار حاشية ضوء النهار » و « التنوير شرح الجامع الصغير » نفع الله بعلومه آمين .

وإنى بالقضا راض وإنى ... أعد الحبس فى المنن الجسام
حبيت به لحِبّى خير حِبٍّ ... حبيب الله والهادى التهامى
شفيع الخلق[1] أولاهم وجوداً ... ختامهم فبورك من ختام
ألامُ على محبته وهدى بى ... بسنته وأن بها غرامى
وقد عجنت محبته بلحمى ... وقد خلطت بسنته عظامى
فلست بتارك أبداً حماه ... ولو أنى لقيت به حمامى
وأنكر منهجى قوم حيارى ... رمونى بالسهام من الملام

---

(١) حقا هو صلى الله عليه وسلم شفيع الخلق كما فى حديث الشفاعة أما قوله : « وأولهم وجودا » فلا دليل عليه .

أحاط بهم سرادق كل جهل … فما يمشون إلا فى التعامى
ومن لبس الجهالة وارتداها … رأى منها المناسم كالسنام
يقول الجاهلون هجرت علماً … لأعلام من الآل الفخام
أما علم الجهول الفدم أنى … من الآل الجحاجحة الكرام
ضخمت أصالة وسقيت فرعاً … وحزت علوم آباء ضخام
فناظرنى لتنظر قدر علمى … ولا تخل التبجح من مرامى
فإنى بالذى قالوه أدرى … وأدرء نحر جهلك بالحسام
فقد منع الألى تقليد مثلى … وعدوا ذاك من قسم الحرام
فراجع أول الأزهار لكن … أرى الأزهار فى بطن الكمام
يعز عليكم أن تفهموه … ونشر الزهر يطوى بالزكام
فقلد يا جهول ولا تلمنى … ولا تَخَلِ الشوامخ كالأكام
فأما من حباه باجتهاد … إله العرش ذو المنن العظام
وأعطى فطنة وذكاً وحفظاً … وتمييز الصحاح من السقام
علوم الاجتهاد بفضل ربى … لَدَىَّ غدت على طرف الثمام
فهذا عند أهل البيت طراً … بنى الزهرا إمام عن إمام
حرام أن تقلدهم وتضحى … مقوداً كالبهيمة بالزمام
وقد نلنا بحمد الله علماً … سوانا ما حواه على التمام
فكم ضربت لنا فيه خيام … خيام هدى سقاها من خيام
فكم فى النحو قد أوضحت بحثاً … تنحى عنه أذكى من عصام
وفى علم المعانى كم حللنا … عن الأبكار معقود اللثام
وفى علم الأصول سبحت بحراً … وجاوزت الفصول إلى النظام
وحزت المنتهى درساً وبحثاً … وغايته وغايات الكلام

وسايرنا مع ابن أبى شريف   مسايرة الذكى ابن الهمام
وفى شرح المواقف كم وقفنا   عليه وقوف صب مستهام
وإن كان الـكلام به كلام   يؤول إلى التجادل والخصام
وعنه الشافعى نهى وأفتى   بتعزير به كلم الـكلام
وفى جمع الجوامع نقل قول   بأن البحث فيه من الحرام
وفى علم الرواية كم وردنا   بحارا ماؤها يروى الظوامى
كفلت الأمهات فأرضعتنى   ولـكن لا سبيل إلى الفطام
وما فن حوى القرطاس إلا   وقرطس فى مراميه سهامى
فإن هاب الجهول جدال مثلى   وولى كالجموح بلا لجام
فيسأل عن مشايخنا يجدهم   جبالا شامخات فى الموامى
بصنعا ثم بالحرمين قوم   بحور هدى تروى كل طام
ويسأل عن تلاميذى يجدهم   بدوراً فى سماء فى تمـام
كأحسن نجل إسحق ومن ذا   يساوى أحسنا فى قطر سام
وإسمعيل فارس كل فن   فواصله التى شرحت نظامى
وكم من عالم بحر إمام   تتلمذ لى فمجلسه أمامى
وقد أمليت ما أمليت قصداً   لإيقاظ الجهول من المنام
وتحديثاً بما ربى حبانى   به فله الثناء على الدوام
سألقى فى غد خـير البرايا   فأشـكو ما لقيت من الأنام
فإنى فى هواه لقيت منهم   أموراً سوف تبرز فى الخصام
وخصمهم الرسول ففيه أوذى   محمـد ابنه فى كل عام
أروم حياة سنته بجهدى   فراموا أن يُلَقُّونِي حمامى
وقد عوديت فيه فما أبالى   بما لاقيت من كرب عظام

لأنى فى حمى خير البرايا ... وخير مدافـــع عنى وحام
سأهتف فى القيامة عند ربى ... وعند الحوض فى حال الزحام
بأحمد من دعوت إلى هداه ... فلا يخلو مقالى عن مقام
نشرت على المنابر ماطووه ... بلا خوف هناك ولا احتشام
أخاف سوى الإله من البرايا ... إذا ألصقت أذنى بالرغام
وفى التدريس أدعو كل يوم ... إلى هَدْيِ الرسول أبى إمامى
وكم لاقيت فيه من هجاء ... وكم لاقيته من كل رام
وكل سوف يلقى ما جناه ... إذا ما صار فى بطن الرجام
ترفق ياجهول بأكل لحمى ... فما أوباه فى يوم القيام
وإنى ناصح لك فاتبعنى ... فما أنا من شرابك والطعام
سيعطينى غـــدا ما قد حواه ... كتابك من صلاتك والصيام
فإن فنيت حملت هناك ذنبى ... وسقت إلى الجحيم مع الطغام
وأسأله الصلاح لـكل فرد ... حوته الأرض من يمن وشام
فإصلاح البرايا كل قصدى ... وعن إفسادهم أبدا أحامى
كقصد الرسول فى أمم تقضّتْ ... وحسبى أحمد مسك الختام
عليه وآله والصحب أزكى ... صلاة لا تزول مع السلام

* * *

وقال رضى الله عنه وأرضاه .

بدأ الدين غريباً مثلما ... قاله خير الأنام الـكرما
ولقد عاد كما قال لنــا ... وهو الصادق حقاً كَلِماً
قد رأينــا كلما فاه به ... أنه أصدق شيء كَلِما

فاغتربنا بين إخوان لنا | وقرابات وقوم عظما
فارحم اللهم ما نحن به | إذ غدونا مثل من فى فيه ما
غربة عمت وجاءت بِدَعٌ | عمت الكون وزادته عمى
ليت شعرى الأمانى ضلة | تنشر السنة يوماً علما
ويكون النصر فيه للهدى | ويولى غيره منهزما
ونطوف البيت سبعاً لا نرى | بدعة فيه ونأتى زمزما
ونصلى فيه خمساً جمعاً | واحد ما فيه تفريق لما
قد نهى الله تعالى عنه فى | سورة الشورى فأين العلما
ما لكم مزقتم الدين أما | قد نهيتم عنه نهياً محكما
وكذا فى كل أرض بِدَعٌ | لا أخص اليوم هذا الحرما
إنما هذا مثال فاعتبر | وعليه قس تجدها ظلما
ظلمته قد عمت الأفق فلا | تنظر الأنوار إلا احلما

* * *

وقال رحمه الله .

غريب بين أوطانى وأهلى | وفى وطنى وعند أبى وأمى
دعوت إلى طريقة خير هاد | فهل ناديت فى آذان صم
فأوتروا القسى بألسنتهم | وكان سهامها شتمى وذمى
لبست من التصبر خير درع | ولقيت السهام مِجَنَّ حلمى

* * *

وقال رضى الله عنه فى مناصحة الجليس :

لا توردن على سمعى من الكَلِمِ ... عند الملاقاة إلا طيِّبَ الحِكَمِ
أما سؤال لقصد الرشد حرره ... ذو فطنة آخذ للعلم عن عَلَمِ
ليس المراء ورد الحق مذهبه ... وإنما هو بالتحصيل ذو نَهَمِ
أو زبدة من فنون العلم خالصة ... عن التشكك والتخليط والوهم
أو نكتة لذوى الآداب مطربة ... يهتز منها فؤاد الحاذق الفهم
أو سيرة لأناس أصبحوا رمماً ... تحت التراب وكانوا ذوى همم
أو خير قول عن الأحباب تنقله ... ليس اغتياباً ولا هتكا لمنكتم
إياك إياك أعراض الرجال وإن ... راقت بفيك فإن السم فى الدسم
لا تتخمن من لحوم الناس تأكلها ... فرب مخمصة خير من التخم
واعط الرجال من التوقير حقهم ... ولا تعاد امرءاً منهم على التهم
وإن أخذت عن الأحبار علمهم ... فجازهم بجميل الذكر فى الأمم
فللشيوخ حقوق إذ بعلمهم ... خرجت من موحش التغفيل والظلم
وإن رأيت جميلا فافشه كرما ... وإن رأيت قبيحاً كن كذى صمم
هذى النصيحة منى للجليس لما ... فى حق صحبته عندى من الذمم

* * *

وقال قدس الله روحه وأودعها الأنفاس الروحانية اليمنية :

فقد غش فى الأديان من كان عالما ... وصوب من أخطى السلام وسلما
وقد أخذ الرحمن جل جلاله ... على من حوى علم الرسول وعلما
بنصح جميع الخلق فيما ينوبهم ... ولا سيما فيما أحل وحرما
ولا سيما علم العقيدة أنها الأ ... ساس عليه ينبنى العبد كلما

فصحح أساساً للبناء فكم ترى ... على جرف هار بناءاً تهدما
وناصح بنى الدنيا بترك ابتداعهم ... فقد صيروا نور الشريعة مظلما
وقد فتحوا باب العداوات بينهم ... على بدع كل بها قد تحكما
فجانب مهاوى الابتداع متابعاً ... لما سنه المختار فينا مسلماً
فما الحق إلا ما أتى عن محمد ... فصلى عليه الله عز وسلما
وصل على الآل الكرام فإنه ... بهم قد أتانا فى الصلاة معلما
كما قد روى الشيخان ذاك وصححا ... فتابع فى هذى البخارى ومسلما
وقد حذفوا فى اللفظ والخط آله ... فهل نسخوا ما فى الصحيحين محكما

* * *

وأرسل إليه الشيخ محمد بن محمد الزبير رحمه الله من بندر المخا بقصيدة للسيد زين بن على المؤيدى رحمه الله فى تفضيل العنب على التمر وعارضه جماعة من أهل تهامة فى تفضيل التمر وطلب من البدر الحكم بينهم فقال :

نظم هو الدر إلا أنه كلم ... أو أنه النور تخفى عنده الظلم
أو كان فى بابل فابتز صاحبها ... هاروت سحراً به قد كان يبتسم
نظم به فضل الكرم اللذيذ على ... طلع النخيل فكاد النخل ينقصم
والباسقات لما طلع نضيد غدت ... غيظا بأغصانها فى الجو تلتطم

* * *

جدال النخل عن نفسه وذكره لمحاسنه .

وقال واعجباً ما كنت أحسبه ... يقال ذا وبه يوما يفوه فم
أبو الرباح[1] على مثلى يفضله ... ذو فطنة إن قدرى صار يهتضم
فى النحل قَدَّمَنِي ربى وأخرنى ... فى الرعد قصد الترقى آه لو علموا

---

(١) كنية العنب .

قبلى وبعدى أتى فى الذكر فى عبس   وهكذا عادة الأتباع والخدم
وقد حففت به فى الكهف أستره   كيلا يراه أخوجوع فينهدم
أنا الذى أشبع الجوعان من سغب   أنا الذى عجوتى يشفى بها الألم
قد طبت فى طيبة للمصطفى وأنا   له الطعام إذا ما مطعم عدموا
تقول عائشة سقياً لمضجعها   وجادها وابل الرضوان والديم
مرت لنا أشهر والأسودان لنا   قوت وليس سواه مطعم لهم
ومن تصبح سبعاً عجوة فبها   من كل داء من الأدواء يعتصم
نسيت بيضى والجادى ولذته   مع القلائد فى الأعناق ينتظم
وهل تقلد يوما بالزبيب فتى   وأى عنق به العنقود منتظم
وسل عن الشلبى إن كنت تجهله   فهو الهدايا لأهل الروم يغتنم
هل قال ربى هزى الكول من عنب   أم قال هزى بجذع النخل لو فهموا
وقد علوت على الأشجار لا أحد   ينالنى منه بالأيدى ويستلم
وأنت تحتاج للاعواد من حطب   ترقى بها حيث لا ساق ولاقدم
يا كرم يا كرم لا تنزل بساحتنا   نحن الملوك وأنتم عندنا الخدم

☆ ☆ ☆

جدال العنب عن نفسه :

فأغضب الكرم إذ بالفخر قد هدرت   شقاشق النخل حتى قام ينتقم
لنفسه قائلا والقلب ملتهب   واحر قلباه ممن قلبه شبم
وقال هل منصف فى الناس أقصده   للحكم ما بيننا فالشرع مهتضم
فقلت هل تجد الإنصاف متبعاً   فقال والقلب بالنيران يضطرم
أبا النوى طال منك الفخر لا عجب   إن الطويل بضعف العقل متهم
أن النوى يا أباه شر مدخر   وأنت صيرته فى البطن ينكتم

إن النوى وغراب البين فى قرن فشوم هذا وهذا فيهما شيم
و الله فى سورة الأنعام أسكننى الـ جنـات فاسمع من الأنعام يانعم

جدال النخل

فقال اسمع أنا فيها المقدم فى الـ أولى فليت لك القرآن يفتهم
أما النوى فهو اسم والتطير فى شرع الرسول له التحريم ملتزم

* * *

الحكم بين الفريقين وقطع الشجار بين الشجرتين :

فقلت حسبكما لله دُرُّ كُمَا كل أتى بكلام كله حكم
قد كرر الله فى القرآن ذكركما فالفضل بينكما فى الذكر منقسم
وفى الأحاديث ذكر التمر أكثر من ذكر الزبيب لقرب التمر عندهم
وعندى الحكم فى التفضيل بينكما بما يفصله ما حرر القلم
أما الجبال فما بالكرم من عوض فيها وليس لها فى نخلهم قسم
أما الرياض وأيام البياض بها فكل أرض سوى روضاتها عدم
ما شعب بوان والمعمور من حلب وغوطة بدمشق الشام أو إرم
تشابه الروضة الغناء فى صفة دامت على روضها الأنواء تسجم
إن قهقه الرعد أبلى السحب فاسكبت
فالسحب منسجم والروض مبتسم
وقد تراقصت الأغصان إن عبر بها النسيم التى تشتاقها النسم
وإن تغنت بها الأطيار قلت غدا إسحق فى الدوح والألحان والنغم
فإن أراد الضيا هذا فقد نطقت بالحق أبياته لامسه السقم
أما التهايم والإحسا وطيبة لا زالت على سوحها الوفاد تزدحم

والبصرة البصرة المعمور ساحتها ... بالمد والجزر يأتيها وينهزم
فالنخل أفضل من كرم بساحتها ... بلا نزاع فهذا الحكم منبرم
والنخل والكرم قالا قد حكمت بما ... تراه حقاً وصار الكل يبتسم
فأصبحا وهما روحان فى جسد ... وتاب كل وباب التوبة الندم
والله قسم فى الأقطار نعمته ... فكل قطر به من فضله قسم
موزعاً فى جميع الأرض نعمته ... بحكمة عجزت عن وصفها الكلم
أقواتها قدرت فيها على قدر ... وفق الطباع على ما حرر القلم
من قبل إيجاد أهل الأرض قاطبة ... سبحانه وتعالى شأنه الكرم
فاشكر أياديه تزدد به نعماً ... فشكره لمزيد الفضل يغتنم
ثم الصلاة على المختار من مضر ... والآل والصحب خير الخلق كلهم

* * *

قال يزيد بن معاوية لعنهما الله أبياته المعروفة :

أقول لركب ضمت الكأس شملهم ... وداعى صبابات الهوى يترنم
خذوا بنصيب من نعيم ولذة ... فكل وإن طال المدى يتصرم
ولا تتركوا يوم السرور إلى غد ... فرب غد يأتى بما لست تعلم
ألا أن أهنى العيش ما سمحت به ... صروف الليالى والحوادث نوم

* * *

فقال مولانا البدر رضى الله عنه :

أقول لركب سائرين إلى البلى ... وداعى المنايا بينهم يترنم
خذوا الزاد إذ فيه النجاة وسارعوا ... فكل و إن طال المدى يتصرم

وإياكم التسويف فيه إلى غد فرب غد يأتى بما لست تعلم
ألا أن أهنى العيش كسبك للتقى فبادر وعجل والحوادث نوم

* * *

وقال رضوان الله عليه :

لا عذر للزيدى فى تركه للرفع والضم وإحرامه
مكبراً قبل الدعا إنه مذهب زيد عند أعلامه
وقول آمين له مذهب قال بذا عارف أحكامه
فاعمل بذا إن كنت من حزبه واطَّرِحِ اللوم لِلُوّامِهِ

* * *

أنشد الشهرستانى فى كتابه « نهاية الإقدام » ونسبه ابن خلكان إلى ابن سينا فى ترجمته .

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها وسرحت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعا سن نادم

* * *

فقال مولانا البدر رحمه الله مجيباً عليه :

لعلك أهملت الطواف بمعهد الر سول ومن والاه من كل عالم
فما حار من يهدى بهدى محمد ولست تراه قارعاً سن نادم

* * *

وقال رحمه الله : أنشدنى والدى رضى الله عنه لنفسه أبياتاً فى سنة ١١٣٠ هـ ثلاثين ومائة وألف :

إنى أرى العمر قد تقضى وقد مضت مدة الإقامه

ما أقرب الموت بعد هذا وأقرب الحشر والقيامه
يا نفس هلا انتبهتِ يوماً من نومة تورث الندامه
وأنت فى فسحة فتوبى واستفرغى الوسع فى السلامه
فليس بعد الممات إلا الـ جحيم دارا والمقامه

* * *

فقلت مجيزاً لها :

أبشر فإن الإله بر أعد للوافد الكرامه
سوف ترى عفوه وتلقى جوداً به تنتفى الندامه
فنـــاده تلقه مجيبـاً قل عبدكم أحسنوا ختـامه
إن تعتقونى فليس عتقى ينقص من ملكـكم قلامه
قد شاب فى رقـكم فجودوا لا تطعموا ناركم عظامه

* * *

وزاد عليها المولى الوالد العلامة إسماعيل بن صلاح الأمير رحمه الله .

يا سيد الرسل لى عليكم رحامة بلوا(١) الرحامــة

* * *

قال الوالد البدر رضى الله عنه لما تم لى أنا ووالدى العلامة التقى ضياء الدين إسماعيل بن صلاح الأمير رحمه الله مطالعة كثير من مؤلفات السيد العلامة شرف الآل ، الحسن بن أحمد الجلال رضى الله عنه ، عجبناً من ذهنه الوقاد ، وتنبهه لقواعد الاجتهاد .

فقال والدى رحمه الله لعله سنة ١١٣٢ هـ اثنتين وثلاثين ومائة وألف .

---

(١) إشارة إلى الحديث «بلوا أرحامكم» لـكن لا يجوز دعاء غير الله تعالى لا سيا من انقطع عملهم بالموت .

لله در الجلال من علم يجرى صواب العلوم عن قلمه
كأنـــه فى جميعهـــا ملك ممكن والفنون من خدمه
كأنمـــا مهدوا قواعدها له فأضحت فى فهمه وفمه
تدرع العلم فهو مشتمل عليه من قرنه إلى قدمه
قد حل فى حل كل مشكلة محل شمس الوجود من ظلمه
إن كنت مسترشداً تريد هدى نخذ بنور الدليل من كلمه
وانظر بضوء النهار منتقداً تعرف صحيح الكلام من سقمه
قد غربل العلم فانتقاه فما لصاحب المنتقى سوى قدمه
وخاض فى البحر لا يهاب له موجاً ولم يبتئس للمتطمه
فرد ما كان مالحاً وأتى بالعذب فى حله وفى حرمه
يا كعبة للعلوم يقصدهـــا من كان فى حله وفى حرمه
وكم وكم قلد القلائد من أنظاره والغريب من حكمه
وكم له من مؤلف حسن يدل من علمه على عظمه
فى النحو والفقه والأصول وفى الـ منطق يشفى العليل من سقمه
إن ينكروا فضله فلا عجب أن ينكروا حاتماً مع كرمه
أينكروا علمه وقد شهدت آثاره بالرسوخ من قدمـــه
أسكنـــه الله دار رحمتـــه وخصـــه بالنعيم من نعمـــه

* * *

فقلت مجيزاً لها لما طلب منى ذلك :

صدقت فيما نظمت من كلم ما الدر عندى يعد من قيمه
أنصفت والعالم اللبيب يرى إنصاف أهل الكمال من شيمه
وصفت من فى العلوم قد رشحت أقلامه بالبديع من حكمه

طوداً غدا كل طود معرفة عند ذوى الانتقاد من أكمه
بيت من العلم كم أطوف به وطالما بِيتُ عند ملتزمه
فلم أجد فى فنائه أحدا والدر ملقى به لمغتنمه
كم لى أنادى الفحول إن ذويت أذهانكم فافزعوا إلى ديمه
تروى وتروى العجيب بل وترى رافلة فى الحلى من كلمه
إن جهل القاصرون رتبته فذاك مما يزيد فى عظمه
يا نادر الذهن دع معاتبة وداو قلبا نشا على ألمه
أودعه إن كنت لاتريد شفا فى زمرة الراتعات من غنمه
لاشك فى العلم أنه قسم وللجلال الأجل من قسمه
ينقد قول الرجال عن نظر تراه مستخرجاً لمنكتمه
يقظان إن جال فى مقاولة أعاد بحث اللبيب من حلمه
يجس جسم الكلام منتقداً يعرف منه السمين من ورمه
فكل فن به له كلم يرقص ذهن الذكى من نغمه
فهو إمام العلوم أجمعها لذاك صار الأمين من خدمه
لازلت تجنى لنا فوائده ودمت فى السابغات من نعمه

* * *

وكتب أعلى الله مقامه إلى أخيه الزاهد التقى أحمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله من شهارة فى شهر المحرم سنة ١١٤١هـ يعاتبه على تخلفه عن الوصول إليه إلى شهارة بعد وعده بذلك :

إليكم ياصفى الدين منى سلام لايفارقه الدوام
ومن بعد الدعا بكل خير لكم يامن بقلبى قد أقاموا
فإنى عاتب عتبا لطيفاً وحاشا أن يلم به الملام

وعــدتم بالوصول إلى ربانا إذا ما العيــد كان له تمام
فما زلنــا نعـــد العيد حتى تقضى والغــدير له ختــام
وطال لطول شوقى ياشقيقى إليك فــكل يوم منــه عام
فلو مشت الديار لشوق صبٍّ لوافتــكم شهارة أو شبام
وما زلنا نسائل كل ركب إذا ما جاء عما اختط سـام
وتسأل عنــكم نسمات صنعا عسى خبر طوى فيها الــكرام
ونسأل عنــكم البرق اليمانى إذا ما كان للــبرق ابتـام
وما عند النسيم له جواب ولا عند البروق لنــا كلام
ولــكن هــكذا طبــع المعنى يشجيه إذا ناح الحمــام
فأعظم مالقيت من الليالى وكل مصائب الدنيا عظام
صدودك بعــد وعدك بالتلاقى وعذرك عن وصولك يا همام
وعذرك ألف مقبول وعندى بأنك فى اعتــذارك لاتلام
تحــاذر للوشاة مقال سوء وللرقبـــاء عين لا تنــام
وإنى أرتجى وصلا سريعاً يطيب به زمانى والمقــام
بــكم وبوالدى نور المعــالى ومن فى كل مكرمة إمام
فلازم بره فى كل أمر بما يهوى وحق لك التزام
ولا تترك طلاب العلم واعلم بأن العلم مجـــد لا يرام
وخذ عنه العلوم فقد حواها وزينها بزهـــــــد لا يرام
تساوى عنده زهداً وحباً لمولاه الجــواهر والرغام
سقى زمنا قطعنــاه اجتماعاً بكم وبه وحيــاه الغمام
ورد لنــا الإله زمان أنس يطيب به من العمر الختام
ودوموا واسلموا فى خفض عيش يوافيــكم مع الريح الســلام

* * *

وزار مولانا البدر ووالده رحمهما الله المولى العلامة الزاهد صلاح بن حسين الأخفش رحمه الله فلم يجداه فى بيته فكتب إليه الوالد البدر رحمه الله :

ولما ظمئنا من حرارة فقدكم ... وقربكم يطفى لهيب أوامى
وصلنا إليكم للزيارة واللقا ... وتقبيل أعتاب وبذل سلام
وللشوق فى الأحشاء مالا يفى به ... يراعى إذا حبرته ونظامى
وقفت بباب الدار وقفة سائل ... وأرجعت منهوراً بغير مرامى
وأعظم مايلقى الفتى من زمانه ... فوات كرام عند فرط غرام
على أنكم سكان قلبى وإنه ... يخالط لحمى حبكم وعظامى
سواء علينا زرتم أو هجرتم ... فإن لكم فى القلب خير مقام
ولكن حظ العين رؤية من هوت ... وإن منعت جارت بمنع منام
ولكنه حظى يفوتنى المنى ... فلو رمت ليلا ماأتى بظلام
ودهر مشوم لاتعد ذنوبه ... وهيهات أن أحصى الحصى بكلامى
ووالدى البر التقى الذى غدا ... كأيوب فى صبر وطول سقام
مشى نحوكم مشى المشوق إلى اللقا ... وعاد ونار الشوق ذات ضرام
ومن زائريك الشيقين كليهما ... على ربعك السامى أتم سلام

* * *

وكتب رضى الله عنه إلى المولى العلامة محمد بن إسحق بن المهدى رحمهم الله من منتزه الروضة يصف له طيبه أبياتاً لم أجد منها غير مارقم .

صدرت لإهداء السلام ... ولخدمة المولى الهمام
غوث الورى غيث الندى ... محيى الشريعة للأنام
من روضة ضربت لنا ... من دوحها خضر الخيام
ونسيمها أهدى لنا ... فى طيه نشر الخزام

ويزين فيها ذكركم ياعين أعيان الأنام
ياليت أنك مشرق بدراً تصدر فى المقام
ومشنف للسامعين لكم بأقراط الكلام

* * *

وكتب رحمه الله أبياتاً إلى المولى العلامة الحسن بن إسحق جواب تعريف فتراخي عن الجواب عنها فكتب إليه :

يامليا من النظام لماذا ماأتانا عن نظمنا منك نظم
أمطلتم وأنتم فى غناء إن مطل الغنى فى الشرع ظلم

* * *

وقال رضى الله عنه لما خرج المولى العلامة محمد بن إسحق رحمه الله فى سنة ١١٣٠ ثلاثين ومائة وألف فاراً من صنعا إلى شاطب فى أيام ابن عمه المتوكل قاسم بن حسين رحمه الله ، ودعى هنالك وتكنى بالمؤيد بالله .

وخرج معه ولده العلامة إسماعيل بن محمد رحمه الله وتجهز فى طائفة من حاشد وبكيل ونهبوا الصلبة وكان إسماعيل قد لازم القراءة على نحو سبع سنين فى فنون عديدة وأدرك تلك الفنون ، كتبت إليه أناصحه وأذكر له قبيح ما أتاه .

أمثلك يرضى بارتكاب العظائم ونهب الرعايا وانتهاك المحارم
كأنك لا تخشى ملامة لائم ولا فى الردى الجارى عليهم بآثم
أيقسم أموال الرعايا تجارياً وأنت بمرأى كل طاغ وظالم
تداولها أيدى الطغاة كأنها ترات أبيهم أحضرت للتقاسم
أبن لى أبن لى أى ذنب لمسلم مصل لرب العالمين وصائم
غدا ماله نهباً وأضحى مروعا وأصبح يذرى دمعه كالغمائم
ترى ماله فى كل كف مفرقاً يباع بأدنى سومة لمساوم

وأمواله كانت عليه عزيزة معظمة مذخورة للعظائم
وكان غنياً آمناً متنعما فأضحى فقيراً خائفاً غير طاعم
تضيق عليه أرضه وسماؤه كأن بلاد الله حلقة خاتم
أنهب الرعايا دأب من ينصر الهدى وترويعهم شأن الهداة الفواطم
وإخراجهم من أرضهم وديارهم فعال ذوى التقوى وأهل المكارم
ثكلت الهدى إن كان ذا فعل أهله وذقت الردى إن كان ذا فعل حازم
ضياء الهدى لهفى على دينك الذى سمحت به جوداً ولا جود حاتم
أتنفق ريعان الشبيبة والصبا على طلب التحقيق من كل عالم
وأحرزت منها ما تريد ونلته وصرت فريداً فى العلى لم تزاحم
ومن بعد ذا أصبحت رأس عصابة أباليس أضحى همهم فى المظالم
يرون انتهاب العالمين غنيمة وأطيب مغنوم لأخبث غانم
بهذا أردتم نصر شرعة أحمد وإنقاذ أهل الأرض من كل ظالم
فصرتم عليهم نقمة عرفتهم بأن ولاة الجور رحمة راحم
وحببتم أفعال من كان جائرا لقد صار مشغوفا به كل غارم
أتهجر قول الله فيما أتيته وتؤثر قول الشاعر المتقادم
ومن عرف الأيام معرفتى بها وبالناس روى رمحه غير راحم
ويا طالما شافهتكم بنصيحتى وبحث بما تلقونه غير كاتم
وتابعت نصحى بعد أن شطت النوى بنثر ونظم معجز كل ناظم
وما مقصدى إلا سلامة دينكم وحفظاً له من موبقات الجرائم
ولو كنت أدرى أن فى مثل فعلكم زوالا لمن فى الأرض أظلم حاكم
لكنت وحق الله أول ناصر وكنت لربع الجور أول هادم
ولكن خبرنا الناس من قبل خبركم فما همهم إلا اتباع الدراهم

فلو يعبد الدينار صلوا لأجله ... وصاموا وقالوا أنت رب العوالم
أما آن بعد الذى قد رأيتم ... لكم أن تعودوا عنه عود مسالم
وأن تتركوا ماقد جنيتم وتقبلوا ... على توبة تمحوا عظيم الجرائم
إذا اعتل دين المرء داوته توبة ... فما غيرها للدين أشفى المراهم
ودونكها منى نصيحة مشفق ... حريص عليكم إنه غير آثم
يحب لكم أن تبلغوا كل رتبة ... وأن ترتقوا فوق السها والنعائم
وأن تملكوا الدنيا وتضحوا أئمة ... ترون اتباع الحق ضربة لازم
فقابل نصحى بالقبول فإنه ... سيهديك نهجاً لست فيه بنادم
هدانا إليه خير من وطىء الحصا ... وأفضل هاد للأنام وقائم
فصل عليه ماحييت مسلماً ... كذا آله سادات أبناء هاشم

* * *

وقال رفعه الله فى جواره مجيباً على المولى العلامة محمد بن زيد بن المتوكل رحمهم الله سبحانه وتعالى :

ياسعد خذ[1] بأبى وأمى ... ذات اليمين بسفح سلم
قف بالمنازل سائلا ... عن أهلهن سؤال حلم
وابحث بلطف عبارة ... عنهم فهم قصدى وأمى
سل عن سعاد فعندها ... ياسعد إنصافى وظلمى
فى هجرها ووصالها ... حربى بلا شك وسلمى
جرت بعامل قدها ... قلبى فهل أحظى بضم
وهو الأسير لثغرها ... من غير ظلم بل بظلم
وسكرت منه ولم أذقه ... بغير تخييلى ووهمى

---

(١) فى هامش الأصل « جز » وهو الصواب .

فأنا صريع رضابهــــا من غـير عصيان وإثم
فسقى ليـــالى الرقمتيـ ن ولى أجفانى ووسمى
أيام ملك شبيبتى يدع الغوانى تحت حكمى
لاأختشى عنـد الشمو س الزاهرات أفول نجم
وإذا عذان أجبن لا مذال هو بأبى وأمى
فمضى الشباب كأنمـــا أيامـه أضغاث حـلم
وثبت سنـــــوه كأنها وثب الجبـا عقيب هزم
ماكنت أقدر قدره قبل الفراق لسوء فهمى
وإذا الشباب هـو الحيا ة وبعـــده أخلاط غم
وأتى المشيب وإنه خصم وألد وأى خصم
طلعت طليعــته التى قد آذنت بجيوش هم
وسرى إلى ضعف القوى فـكأنه عنوان سقم
وثنى الغوانى عن ثنا ى مبدلا مدحى بذمى
فشنن غارات التجـ رم والملام بغير جرم
ودعوننى بعـد الحبيـ ب بلفظ ياأبتى وعمى
لكن عاد لىَ الشبـــا ب ولى بذا برهان لمى
بقـــدوم رق راق لى وغدوت منه رق قم
ففضضتــه فإذا به بحران من نثر ونظم
لمـــا أتانى مازجت ألفاظـه لحمى وعظمى
ويكاد أن يحيي العظا م من الرميم بكل جسم
حسـد السميع للفظـه من كان ذا سمع أصم
نظم لبحر معارف وعوارف وهدى وعلم
بحر يصدقه الورى إن قال كل الفضل قسمى

نجل الأئمة من بنى أ ... مختار ذى الطود الأشم
ملك لذاك قريضه ... ملك القريض بكل حكم
مولاى عذراً إن جنيـ ... ـت بما أتيت لسوء فهمى
قابلت دُرَّكَ بالحصى ... عذراً فنثرك فوق نظمى
ثم الصلاة على الشفيـ ... ـع نبينا البدر الأتم
والآل أرباب التقى ... والجود والفضل الأعم

* * *

وكتب رضى الله عنه إلى السيد الأديب الحسن بن عبد الله الكبسى رحمه الله عند خروجه من مكة المشرفة إلى اللحية وكان السيد الحسن هناك متعلقاً بعمل للدولة فبالغ فى إكرامه .

يا ماجداً لو قيل إن الوفا ... جسم لكنت الروح من جسمه
أو قيل إن النظم عقد لما ... كان سواك السمط من نظمه
أومثل اللطف لعين لما ... مثل إلا بك فى رسمه
يفهم ما فى النفس من قبل أن ... يبدوا فيا لله من فهمه
أصاب قوس الحدس فيما رمى ... بذهنه الصائب فى سهمه
ألست فى الغربة مستوحشاً ... جار علىَّ الدهر فى حكمه
فصرت جاراً لى من جوره ... تذيب ما ألقاه من همه
ما أنت إلا كنسيم الصبا ... فى لطفه حاشاك من سقمه
جليت فى مضمار أهل الوفا ... لما جليت القلب من غمه
ثم سلام نشره طيب ... وافى به نظمى فى ختمه

* * *

وقال رحمه الله مجيباً على ولده إبراهيم بن محمد الأمير رحمه الله :

وافى نظامك وهو خير نظام ... أأدرته أم دار كأس مدام
سيان نظمك والمدامة إنها ... لعبت بذى الأفهام والأحلام
حاشا نظامك أن يقاس بخمرة ... أترى الحلال مشابهاً لحرام
ياقرة العين الذى من فقده ... هجر المنام نواظرى ومقامى
أأروم طيفاً منك يطرق مقلتى ... أيكون لليقظان طيف منام
هذا المحال كمثل صبرى عندكم ... إن الجميع كطفرة النظام
أترى الفراق بعيد نومى إذ نأى ... ويصير الأعراض كالأجسام(١)
لا حبذا يوم الفراق فإنه ... عندى على التحقيق يوم حمامى
لولا رسائلك التى فعلت بنا ... فعل المدام ولم تكن بمدام
فسطورها شرحت صدور مسرتى ... كالنور يذهب وحشة الإظلام
كالروض باكره الحيا فتفتحت ... أزهاره عن باطن الأكمام
وكأنما القرطاس خد خريدة ... بخضابه فتنت ذوى الأحلام
أو خد ظبى قد بدا فى خده ... لام العذار مؤكداً لغرام
فتشتُ عن ألفاظه فوجدته ... دُرًّا أتى فى قعر بحرٍ طام
أخبارها يشتاقها أحبارنا ... إذ خبرت عن كل حبر سامى
وصفت لنا أعيان أهل تهامة ... من عالم ومحقق نظام
ولقيت من أهل الديانة والتقى ... قوما هم الأعلام فى الأعلام
مثل ابن أدهم والفضيل ونجله ... وأبى يزيد ذلك البسطامى
فكأنما رد الإله زمانهم ... فرأيتهم بالعين لا بلسامى(٢)
فاستجلب الدعوات منهم جاعلا ... لأبيك منها الشطر فى الاسهام

(١) الدمع جسم ، والنوم ، عرض .
(٢) هذا وقوله الأسامى من النقل وهو لغة معروفة وعايه قول أبى الطيب « نحن قوم ملجن» أى من الجن .

وابذل لهم نصحاً حبوتك أصله | يا فرع أحمد يابن خير إمام
يابن الوصي وابن فاطمـة التي | هي بضعة المختار خير الأنام
صـلى عليه الله ثم عليهما | والآل والأصحاب والأعلام

* * *

وقال رفع الله مقامه مكاتباً للمولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله يحثه على التشمير في طلب العلم لما رأى من جودة فهمه وكان أخذ عنه في شرح تلخيص الصغير سنة ١١٢٣ هـ .

ترفق بالمُعَنَّى يا غرام | ودعني من وصالك ياسقام
ويا دمعي أرح عيني قليلا | يواصلها إذا شاء المنام
أقمت على الخدود فمن رآني | يسائلني أدمع أم غمام
ويا طيف الأحبة لا عتاب | عليك إذا جفوت ولا ملام
فإن النوم وهو نزيل جفني | جفاني فهو بعدهم حرام
ويا بدراً منازله قلوب | لها من خوف جفوته ضرام
خطرت فمن رآك يقول غصن | يحركه نسيم أم قوام
ولحظك في القلوب له نفوذ | ولا ندري ألحظ أم سهام
ملكت الحسن فاعدل في فؤادي | إذا ما شئت يتبعك الأنام
فإن الحسن والإحسان جند | يقود إلى الهوى من لا يرام
ولا تظـلم قلوباً خافقات | هي الرايات يحملها الغرام
وما أنهاك إشفاقاً لنفسي | ولو ذابت من الهجر العظام
ولكن كم رأينا من ظلوم | تجاذبه الرزايا والحمام
لئن أبقيتني في ليل هجر | تقشع بالضيا ذاك الظلام
ذكي ألمعـي أريحيٌّ | كريم فاضـل علم همام
يقود بذهنه شمس المعاني | كأن الذهن للمعنى زمام

رآه بالمعـــــانى ذا غرام فناصحــه يراعى والنظـام
وقالا كن بكسب المعالى صباً فإن العلم للعليا سنام
وما العليا سوى تحقيق بحث لأذهان الفحول به ازدحام
وجمع للفوائد والتمـاس لشـاردة بذهن لا ينـام
وإن العلم أنفس كل شيء ولـكن قوضت عنه الخيام
مغانى العلم دائرة وهـذى مغانى اللهو يعمرها اللئام
وقد كنا نرجى فى أناس فَمَيَّلَهُمْ عن العلم الحـطام
وقد أضحوا ذئاباً فى ثياب فرائسهم إذا وثبوا الحرام
نصحتك ياضياء أكيد نصحى لأن النصح يقبله الـكرام
وما نصحى بمبذول لـكل فـكل أخ له عندى مقام
وأبلغ سيدى بدر المعالى سلاماً لا يفارقه الدوام

* * *

وله رحمه الله مجيبـا على المولى الـكريم على بن الحسين بن على بن المتوكل رحمه الله .

ما المنحنى قصده ورامه ولا أراد الحمى ورامه
وإن شرى البرق من زرود ما باعه فى الهوى منامه
سلا عن الغانيـات قلب إن السلو فى الهوى سلامه
إن شئتما تسألان قلـبى ما باله والسلو سلامـه
يخبركما أنه سبـــــاه من هو فى رتبة الإمامه
من حاز كل الـكمال حقاً فهو لوجه الزمان شامه
أعم من فى الوجود جوداً على الندى ماله ندامه
صبيح وجه فصيح لفظ تملأ أنواره مقامـه

إن كان فى موقف فكل ... مستمع منهم كلامه

أو كان فى موكب فكل ... ينظره فى الورى علامه

يُقرِى ويَقْرِى بكل معنى ... رد بحر علم مع الكرامه

وافى إلى مسمعى نظام ... حسبت ألفاظه مدامه

يشكو اشتياقا ولى فؤاد ... بعدك عنه غدا حمامه

فأنت رَوْحٌ له وراح ... فلا سُلوٌّ ولا سلامه

إلا بلقياك فهو سؤلى ... ينال قلبى به مرامة

وإنما دهرنا تعدى ... وسَلّ من بغيه حسامه

أوتر قوس النوى وألقى ... من شغل بيننا سهامه

ونرتجى من بعد ذا اجتماعاً ... متصلا كله سلامه

يارب واغفر لنا جميعاً ... وأحسن من عمرنا ختامه

* * *

وقال رضى الله عنه مجيباً على المولى العلامة يحي بن الحسن بن إسحق رحمهم الله فى شهر جمادى الآخرة سنة ١١٧٨ ثمان وسبعين ومائة وألف :

حمام بأغصان الرياض ترنما ... وعبر عما فى فؤادى وترجما

عجبت له من أين يعرف ما الذى ... بقلبى من فقد الحبيب وما وما

وكيف درى أن المدامع عن دم ... وظن سواه أن دمعى عندما

يذكرنى عهد التصابى والصبا ... ودهراً مضى ما كان إلا توهما

يطاردنى يوم جديد وليلة ... يمران مر البرق فى كبد السما

هما سرقا الأعمار منا لأجل ذا ... يفران كالسراق فى كل مرتمى

كأنهما شخص ثقيل إذا أتى ... وفارق بالتوديع عاد مسلما

فلا تحسبن البيض والسمر غيرها ... هما البيض والسمر التى تسفك الدما

فدعنى من التشبيب فى وصف غادة ... بهجرانها والتيه تسقيك علقما
وصف لى زمانا مرّ لى فى عصابة ... ملائكة كانوا وفى الأصل أنجما
بحور علوم فى الفنون كأنما ... بهم عاد فينا كل حبر تقدما
فإن تلقهم لاقيت كل محقق ... وخضت بهم بحراً من الدر مفعما
بلطف طباع يعجز الوصف عنهم ... ومن لطفهم هذا النسيم تعلما
تتلمذ أعواماً لهم متردداً ... إلى لطفهم حتى غدا متعلما
ترى الشعر والآداب أدنى صفاتهم ... فدع وصفهم بالنثر والنظم منهما
فقدْ تُهُمُ فقْدَ الرياض نسيمها ... وصرت غريباً للقضاء مسلما
وليس غريب الدار من صار منجداً ... ولا من تراه فى التهائم مُتْهِماً
ولكن غريب الدار من غاب شكله ... وخلفه من بعده وتقدما
سقى الله مثواهم سحائب رحمة ... ووابل رضوان عليهم مخيما
ولكنهم والحمد لله خلفوا ... لنا منهم نجلا كريماً مكرما
به نتسلى عنهم بعد فقدهم ... وما مات من أبقى إماماً معظما
عماد الهدى بحر المعارف والندى ... همام على هام السماكين خيما
تسامى إلى نيل المعالى فنالها ... فما رتبة إلا عليها تسنما
ذكى إذا ما خاض فى بحر مبحث ... أتاك بدر من معانيه نظما
ووافى نظام يشهد الذوق أنه ... هو الراح إلا أنه لن يحرما
معانيه خمر والحروف كؤوسه ... وترشفه الأسماع إذ أعجز الفما
إذا رمت تشبيهاً له فعبارتى ... تذوب حياء أن تقول كأنما
أبِنْ لى أدُرٌّ البحر نظما جعلته ... بلى إنما تلك الدرارى من السما
فقفوت بها من كان للنظم مالكا[1] ... أباك وقد وافيت فينا متمما

---

(١) لا يخفى لطف قوله مالكا و متمما .

أردت بها عجزى وتعجيز فكرتى ... فها أنا للعجزين صرت مسلما
وكيف يقول الشعر شيخ وكلما ... بنت فكرتى بيت القريض تهدما
وما الشعر إلا كالغوانى يقوده الشبـاب وإن لاح المشيب تخرما
وكان وقد كان الشبيبة حلتى ... يرى طاعتى فرضاً وقربى مغنما
ويجمع لى جيش المعانى فأصطفى ... بذهنى منها ما أشاء متغنما
ومن شاب منه الفود شاب فؤاده ... وكل فما بى شباب قد عاد أبكما
فخذ هذه الحصبا عن الدر واغتفر ... ومن ذا يكافى بالحجارة أنجما
بقيت بقاء الدهر يا فخر أهله ... ودمت عظيما فى الأنام معظما [1]
وصل على المختار والآل كلما ... حمام بأغصان الرياض ترنمـا

* * *

وقال رحمه الله ممن هداه الله تعالى إلى السنة بعد مجانبته لها وتقبيحه لطريقتها مولاى محسن بن الحسن بن القاسم بن أحمد بن أمير المؤمنين القاسم بن محمد رحمهم الله، وهو شاعر بليغ ، مؤرخ حافظ، اتصل بنا من رمضان سنة ١١٦٨ هـ ثمان وستين ومائة وألف وحضر دروسنا ، ونسخ شرحنا « سبل السلام على بلوغ المرام » بخطه ، وقرضه بأبيات ، وأرسلها إلينا فأجبنا عليه :

أدرت كؤوس نظم أم مدام ... أم السحر الحلال من الـكلام
أم الدر النفيس أم الدرارى ... أم الشمس المنيرة فى الظلام
مدحت به طريقة خير هاد ... أتى يدعو إلى دار السلام
محمد الرسول أجل داع ... ختام المرسلين إلى الأنام
وسنته هى النور الذى لا ... سواه به النجاة من الظلام
ظلام الابتداع فكم به من ... قتيل صار فى بطن الرغام

---

(١) فى هامش الأصل : منعما .

فسبحان الذى أعطاك نورا علوت به على البدر التمام
وساق إليك ألطافاً وهذا أراه يكون من حسن الختام
ونظمك قاطع عنق الأعادى ولا عجب لقطع من حسام
حسام الدين دمت قرير عين وعيناً لا يساميه مسامى
عليك تحية من بعد طه وبعد الآل أعيان الأنام

* * *

وكتب المذكور رحمه الله فى سنة ١١٦٩ هـ إلى والدنا البدر رضى الله عنه أبياتا وضمنها قول أبى نواس :

ولقد تهزت مع الغواة بدلوهم وأسمت طرف اللهو حيث أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه وإذا عصارة كل ذاك حرام

* * *

فأجاب عليه مولانا البدر رضى الله عنه :

نظم يجل بأن يقال مدام فهو الحلال لنا وتلك حرام
بل أن يقال السحر فهو حقيقة لأدلة شهدت بها الأعلام
من قلبه الأعيان فهو خلاصة الأسحار ليس سواه منه يرام
جاءت لنا الأوراق منه بروضة غنت على أفنانهن حمام
ما كنت قبل اليوم أحسب روضة فى رقعة تأتى بها الأقلام
هذا هو السحر الذى من بابل جاءت به الأوراق والأرقام
لله درك من حسام صادق ما كل سيف فى السيوف حسام
قَطّعْتَ أعناق العِدَى بقصائد هى فى قلوب الحاسدين سهام

شعري تراه علقما بفم العدى ... لكنه بفم المحب مدام
أيقنت أنك محسن وموفق ... وكذاك للإنصاف أنت إمام
ولئن نهزت بعد الغواة فبعده اســ ... ـتيقظت للحق المبين وناموا
ولبست من حلل الهداية حلة ... حلت وتلك على الغواة حرام
وسلكت في سبل الهداية مسلكا ... وسواك في سبل الظلام قيام
فهم الحيارى في طرائق شكهم ... وقفوا فلا خَلْفٌ ولا قدام
ولئن رأيت زعازعاً وبوارقاً ... فسحاب أفقهم هناك جهام
ولكمْ أفاق من الغواية نائم ... غرته قبل لقائى الأحلام
لما أتانا شاهد الحق الذى ... ما غيره للمتقين مرام
ما عندنا نَصْبٌ ولا رَفْضٌ ولا ... جبر ولا لى بالهوى إلمام
عندى كتاب الله أشرف منزل ... والمصطفى حسبى بذين إمام
ولكمْ نشرت على المنابر منهما ... وعلى الكراسى ما طوى الأعلام
أبرزت منه على الأنام نفائساً ... فكأنها للعالمين زمام
قادت إلى نهج الهداية أمة ... فقوى بما أبرزته الإسلام
وأتى إلى الكرسى كل موفق ... فهم قعود حوله وقيام
فالحمد للرحمن ليس لغيره ... فهو الذى من عنده الإنعام
ثم الصلاة على الرسول وآله ... وعليك منى ما حييت سلام

☆ ☆ ☆

ولما قتل غيلة السيد العلامة الزاهد الورع النخامة على بن الحسن بن إسماعيل بن سليمان ابن عامر بن عبد الله بن عامر رحمه الله ، فى مدينة زبيد ، حاكماً بها ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، لايخاف فى الله لومة لائم ، وكان قتله وقت الزوال ، قبيل صلاة الجمعة فى سابع وعشرين شهر رجب سنة ١١٨٠هـ ثمانين ومائة وألف فى بيته ، شهيداً ؛ فرثاه الفقيه العلامة عبدالله بن عمر خليل رحمه الله بأبيات بديعة ، وامتدح

الوالد البدر فى آخرها ، والسيد المذكور كان من تلاميذ البدر رضى الله عنه .

فأجاب مولانا البدر رحمه الله بقوله :

ما ضاع ما ضاع ما أهداه لومه ... ولا تجاهل وجه الحق معلمه
فبالعتاب وفرط اللوم غاص فتى ... بحراً وجاء بِدُرٍّ منه ينظمه
أو قد رقى الجو فاصطاد النجوم به ... فأشرقت فى وجوه الطرس أنجمه
فأفحمت كلمات كل ذى كلم ... أضحى بهن كليم القلب مفحمه
إن الخليل كليم والكلام له ... رق وفى الرق أعلاه ينظمه
كأنما النظم يسعى تحت طاعته ... طوعاً فما شاء منه فهو يخدمه
وقد أتانا نظام فائق حسن ... يرثى به عالماً كنا نعلمه
جمال هذا الورى بالحق قد نطقت ... صفاته لم يكن للحق يكتمه
ولا يحابى عظيماً أو يساعده ... ولا يخاف ضعيف منه يظلمه
شُلَّتْ يدا رجل سل السلاح إلى ... كلم امرء كان للبارى تكلمه
فقدس الله ذاتاً منه طاهرة ... قد صار تحت الثرى فى الترب أعظمه
جزيت خيراً على مرثاته فلقد ... أحسنت والله بعد الموت يرحمه
ثم انتقلت إلى مدح الإمام ومن ... بكل مدح ترى الأقلام تخدمه
فمدحه شرف للنظم ليس له ... فقدره جل عن نظم يعظمه
هو العظيم بلا ريب ألست ترى ... كلا يقبل كفيه ويلثمه
وبعد هذا مدحت الفحل (١) فاطننا ... من يفهم القول منا قبل نفهمه
أخا الذكا وأبا المعروف ليس فتى ... يلقاه إلا تراه وهو يكرمه
ما فى نظامك عيب غير مدحك لى ... ومن أنا لنظام فىَّ تنظمه
أنا القليل الكثير الذنب مرتجياً ... عفواً عسى ربه الرحمن يرحمه
فبالدعا فأمدونا يكون به ... حسن الختام لهذا العمر يختمه

---

(١) هو القاضى أحمد بن محمد فاطن رحمه الله .

وقال رضى الله عنه مجيباً عن الفقيه العلامة أحمد بن حسن بركات رحمه الله .

صفى الدين قد وافى النظام فلا أدرى أشعر أم مدام
دخلت إلى منازل كل بيت فكل فى معانيه إمام
إذا ما كان للأشعار بيت يحج فشعرك البيت الحرام
يحج المستطيع من القوافى إليه فللنظام به ازدحام
تطوف به القوافى محرمات لها بالركن مسح واستلام
وفيها العاكفات من القوافى وفيه من جواهن المقام
تحد بما أردت فلا عجيب إذا عن أحمد عجز الأنام
حويت لطافة وذكا وعلماً وملكا فى البلاغة لا يرام
وقد ألبستنى حللا تناهت فيالله ما نسج الكلام
قصائد قد رواها كل راو بها غنت على الدوح الحمام
مسير الشمس سارت فى النواحى فما عنها خلا يوماً مقام
وقد وثبت إلى الشم الرواسى فترويها الرواسى والأكام
ويرويها شيوخ العلم فخراً ويستروى عن الشيخ الغلام
هديت لنور خير الرسل طراً وغيرك قد تغشاه الظلام
ظلام الابتداع وكل جهل فلا يدرى أخلف أم أمام
وكم غمر يريد علا سواها وهل يعلو على الشمس الرغام
فناصح بالقصائد كل قوم مفتحة عيونهم نيام
جفوا سنن الرسول ومن حواها فكم مكر له قعدوا وقاموا
فناصح من أردت من البرايا تؤيدك الملائكة الكرام
وجاهد بالنظام جزيت خيرا بجيش النظم تنهزم الطغام
لنصرت بنظمك السنن اللواتى بنور شموسها هُدَىَ الأنام
جزيت عن الرسول وعن بنيه مقاماً لا يساويه مقام

ودمت قرير عين فى البرايا تباكرك التحية والسلام

* * *

وله رحمه الله من أبيات وعظية لم أجد منها إلا مارقم هنا :

برح الخفا ما الدار دار مقام فإلى متى تغتر بالأوهام
أزف الرحيل وأنت عنه غافل وتلاحق الأقوام بالأقوام
ضربوا بمدرجة الفناء قبابهم من غير إقدام ولا إحجام
حل القضاء بهم فحلوا فى الفضا من بعد طول الحل والإبرام
تركوا القصور الشامخات منازلا للبوم أو لفواخ وحمام
نبذوا فرادى بالعراء تراهم واستبدلوا عنها بطون رغام
هم فى انتظارك واقفون ونحوهم تسعى سريعاً لاعلى الأقدام
يا غافلا عما يراد به أفق ماذا ترجيه من الأيام
وطويت عاماً بعد عام ما الذى ترجوه بعد الطى للأعوام
هل خلدت أبواك أم هل خلدت ذا عزة من سوقة وإمام

* * *

ونظم رضى الله عنه سؤالا وأرسله بيد تلميذه الفقيه يحيي الزبيدى رحمه الله إلى تلميذه العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمهم الله إلى السجن كاتماً أنه لشيخه ولفظه :

أفتنا ما تقول إن قال زيد يا إماماً يسمو على كل سام
كذب ما أقول اليوم هذا ثم ما قال غير هذا الكلام
خبر والإخبار يستلزم الصد دق أو الكذب عند جل الأنام
أتراه صدقاً أبن لى أم الكذ ب يراه الفحول ذوو الأفهام
لا يصحان إن تأملت فيه لفوات الشروط والأحكام

وهو لا بد أن يكون لشيء　　منهما عند جلة الأعلام
فتأمل ولا تملّ ولا تُهْـ　　ـلِ سوى كأس فطنة لامدام

* * *

فأجاب المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله :

جاء يهدى نحوى بديع النظام　　فشكرنا بدائع النظام
وإنى سائلا بسيال ذهن　　لذكاه فى العلم أى اضطرام
وتخطى والشيخ بين يديه　　نحو تلميذه بذهن عصام
بحر علم ما زال يرتاد فى البحـ　　ـث لفكرى مزالق الأفهام
قائلا : ماتقول إن قال زيد　　يا إماماً يسمو على كل سام
كل قول أقواله اليوم هذا　　فهو كذب والعذر شأن الكرام
ثم ما قال غير هذا فهل عنـ　　ـدك رأى يجلو دجى الإظلام
أتراه بالصدق يوصف أم بالـ　　ـكذب المستحق ذم الأنام
فأقول الإشكال يجرى على ما　　صح قولا لأكثر الأعلام
لم يكن وارداً على مذهب الجا　　حظ محضاً ومذهب النظام
وهو عند الجمهور من غير شك　　كذب موجب لسوط الملام
حيث قال مافيه شيئاً وقد جاء　　بما يقتضى وقوع الكلام
وانتفاء الأعم فهو مفيد　　لانتفاء الأخص بالالتزام
أتراه لو قال زيد سآتيـ　　ـك غداً راكباً أمام الإمام
ثم لم يأت فى غد كان هذا　　كذب عندهم بلا استفهام
فتأمل ما قلته فهو وجه　　مشرق كافـل بنيل المرام
ليس فيه نقض وقد لاح منه　　لمريد الإنصاف وجه التمام
والنبيل اللبيب يكفيه أدنى　　لمحة فى التعريف بالإلمـام

إن تحقيق الحق يحتاج فيه بعض بسط الكلام للأفهام
وبيان التعريف بين قضايا الشـــرط للاختلاف فى الأحكام
ليس هذا الذى به وقع الإشـ كال مثل التعليق بالإكرام
وانما أن نقول ذلك إنشـاء ولـكن فى صورة الأعلام
وأراه لا يرتضى إن تأملـ ت ولا يقتضيه حال المقام
غير أن الإشكال يقوى إذ أو رد للنقض محكم الإبرام
حيث زيد يقول فى ذلك اليو م أتى خالد وفر غـلامى
وهو لم يأته يقينا ولا فـ رّ عليه الغلام يابن الهمام
أتراه صدقا فقد طابق الإخـ بار ما قاله لدى الأعلام
أم تراه مَيْنا فقد خالف الوا قع قطعاً فى رأى كل إمام
واجتماع الضدين فيه محال فتخلص من ورطة الإلزام
وأرى الإشكال فى كلمة التوحـــيد يجرى فارفع نقاب الظلام
حيث يأتى بها على جهة الإخـ بار غيظاً لعابدى الأصنام
وهو صعب الورود عنها فهل عنـ دك حل لعقدة الإبهام
أىُّ مُفْتٍ يقول بوصف بالميـ ن ويرضى بوصمة الإسلام
هاك منى الجواب وقد ضمـ ن ماضاق عنه وسع الكلام
فتأمل أطرافه وتفضل بجواب يشفى ويروى أوامى
دافعاً للإشكال يرفع للذهـ ن إذ أضل راية الاعتصام
مهدياً لى مادار فى مجلس الدر س على شيخنا رفيع المقام
ناشرا من هداه راية علم حولها للأعلام أى ازدحام
مستحثا حسب اقتراحى وقد طا ب مقام اللقا كؤوس النظام
حسب مثلى منك التلاقى بوصل وحديث بألسن الأقلام
فأدر لى سلسال نظمك واجعل فيه ذكر البشير مسك الختام

فعليه أزكى الصلاة من الله تعالى مقرونة بسلام
وعلى آله أولى العلم والفضل وأصحابه هداة الأنام

* * *

ولما اطلع البدر على هذا الجواب أجاب بقوله :

الجواب المفيد إن أنت أصغيت إليه لتظفر بالمرام
إن هذا الكلام قول مفيد خبر ظاهر لكل الأنام
ذو احتمال والكذب للصدق بحال كما قاله فحول الكلام
عد إنصافه بذا أو بهـذا فرع ما بعده لدى الأعلام
وتفاصيله وتحاقيق معناه سيأتى فى النثر لا فى النظام
فهو أجلى وبالإفادة أولى عند أهل الأفهام فى الأفهام
خذه عنى وبعد سائل بما شئت فمندى دواء كلم الكلام

* * *

وقال رضى الله عنه مكتفياً ومورياً ومضمنا عند حصول مطر شديد ورياح عاصفة شمالا فى البحر والسفن :

وصاحب مذ ركبنا البحر قلت له والريح تجرى بما لا تشتهيه شمال
واستنزلت مطراً من كل معصرة لا تعجبن فقد تجرى الرياح بما

* * *

وقال رفع الله مقامه فى عليين مجيباً على القاضى العلامة يحيى بن صالح السحولى سنة ١١٨٢ هـ رحمه الله عن تهنئة بحدوث ولده الأخ إسماعيل مشتملا على تاريخ الولادة .

حبذا حبذا بديع نظامك فهو راح يدار من أقلامك
سرنى ما به بعثت وقبلت كتاباً من قبل فض ختامك
ثم سرحت الطرف فى روض نظم هو والله آية من كلامك

مثلَ ما أنعم الإله علينا ... بصبى ومنّة من نظامك

داعياً لى مهنئاً بصبى ... إن هذا الدعا من إنعامك

فله الحمد والثناء على ما ... من والمن من بديع نظامك

فجزاك الإله عنى خيراً ... يا عماداً وزاد فى أيامك

ثم بيت التأريخ أصدق فالٍ ... صادق يا عماد من أحكامك

* * *

وقال رضى الله عنه مناصحاً لأشراف مكة المشرفة وأرسلها بيد ولده الأخ العلامة إبراهيم بن محمد الأمير فى جمادى الآخرة سنة ١١٨٢هـ واثنتين وثمانين ومائة وألف.

إلى الأشراف أعيان الأنام ... وأهل البيت والبلد الحرام

بنو حسن وآل أبى نمى ... وأبنا أحمد خير الأنام

سلام لا يزال على رباكم ... منَ الربِّ السلام على الدوام

ولا زلتم حماة البيت ممن ... يحاول فيه أنواع الأثام

أتانا عنكم خبر غريب ... تواتر من يمانى وشامى

بأن عبيدكم أضحوا لصوصاً ... يخيفون الحجيج بكل عام

إذا ظنوا بمال عند شخص ... ببطن الجيب أو تحت الحزام

تواثب الجميع ليأخذوه ... ولو فى الحجر كان أو المقام

ولو بالقتل إن عنهم تأبّى ... بلا خوف هناك ولا احتشام

وحاشا أنكم ترضون هذا ... فما يرضاه ذو الهمم السوامى

وَوُفادُ الحجيج لكم ضيوف ... وأنتم صفوة الآل الكرام

وحق الضيف إكرام وعز ... ولا يلقىَ بهضم واهتضام

كأسلاف لكم كانوا ملوكاً ... لهم مجد يسامى كل سام

إذا ورد الحجيج إلى رباهم ... تلقوهم ببشر وابتسام

فقل لمساعد الملك المفدى … لماذا لا تذب عن الأنام
وأنت عزيز قومك فى أسود … من الأشراف ليس له مسام
أيأمن من يحج بكل فج … ويلقى الخوف فى البلد الحرام
أتوا من كل أرض لم يريدوا … سوى البيت المحرم والمقام
وفارقوا الأحبة فى هواه … وساروا فى المفاوز والأكام
يلاقون الأمان بكل أرض … رفى حرم يلاقون الحرامى[1]
فقل لمساعد المسعود شمر … وذب فأنت مسموع الكلام
فأنت بخير أرض بين قوم … كرام من كرام من كرام
فأمّن من أتاها من حجيج … أمان الوُرْقِ فى الحرم الحرام[2]
وأنت مسود من غير سود … فأنف السود من ذاك المقام
وطهر مكة من كل عبد … قبيح الفعل من أولاد حام
فقد أمر الإله خليله وابنـ … ـه جديك فى الآى العظام
فقال وطهرا بيتى وأنتم … بنوه فطهروه من الملام
فإن الناس قد لاموا سكوتاً … جرى منكم بعام بعد عام
على أشياء تنكرها عقول … لنحرير من العلما وعامى
وأنتم عمدة العظماء طرا … وعين العين فى البيت الحرام
تسنمتم سنام المجد قدماً … فيالله ذلك من سنام
ولكن أفضل التطهير قطعاً … هو التطهير من فعل حرام
ونهى للعصاة عن المعاصى … وحدهم على شرب المدام
ونَفْىٌ للبغاة مع البغايا … وطردهم إلى مصر وشام
فما البلد الأمين محل عاص … وليس بها لعاصٍ من مقام

---

(١) يسمون فى مكة والحجاز السارق: حرامى .

(٢) يقال فى المثل آمن من حمام الحرم

وكيف ومن يرد فيه بظلم يذاق من العذاب على الدوام
ففيها البيت أفضل كل بيت بإجماع وأضياف الأنام
حماه الله من قِيل وقَيل بطير من أبابيل ترامى
ودونكم النصيحة من محب بلطف قد أحاط به نظامى
وأختم بالصلاة وبالسلام على المختار والآل الكرام
محمد الرسول أجل عبد ختام الرسل يا لك من ختام

* * *

وقال رضى الله عنه فى المناقضة .

يا جيرة حلوا بوادى منى من بعدهم سالت دموعى دما
يقول عذالى أتسلوهم ألم تزل فى جهنم مغرما
فقلت أسلوهم إذا جاز أن أنام أو ما لم أكن مسلما

* * *

وقال رحمه الله فى الجناس المركب :

أيا حاسيًا كأس لذاته ولم يدر ما قدر ما قدما
أفق فالحياة كنهر ومن به سابح ولكم قدما

* * *

وقال رضى الله عنه مكتفياً فى البيتين ومقتبسا :

قد قلت إذ قال قومى أنت مخبرنا ماذا لقيت إذا ماذقت كأس حما م
أن يغفر الله لى ذنبى ويكرمنى نا ديت يا ليت قومى يعلمون بما

* * *

وكتب إليه المولى العلامة محمد بن إسحق وأخوه المولى العلامة الحسن بن إسحق وولده العلامة إسماعيل بن محمد رحمهم الله قصائد يهنونه بالعود الحميد من البلد الحرام سنة ١١٣٥هـ فقال رضى الله عنه ولما قلدنى أولئك الأفاضل الأعلام بعقود الجواهر من ذلك النظام قلت متشبهاً بمن طريقته المكافأة لا راقياً إلى رتبة المجاراة مخاطباً لهم زادهم الله كمالا بقولى ارتجالا :

يا جيرة فى القلب مأواهم ... حازوا المعالى فهم ماهم
رحلت بالجثمان عن دارهم ... مصاحباً قلبى لذكراهم
كم جئت من أرض وكم جيرة ... قد خصنى بالقرب أعلاهم
فما ألاقى بعدهم غيرهم ... إلا وقلبى يتمنـــاهم
ما الناس عندى غيرهم فى الورى ... والأرض ليست غيرهم مغناهم
قد أحرزوا كل كمال فما ... يدرك أهل السبق مسعاهم
سل الندى والجد والنظم والنـ ... ـثر يجب كل عرفناهم
والعلم إن تسأله عن أهله ... يجبك لا أعرف إلا هم
أما الوفا فهو لهم خادم ... كأنه بالطبـــع يهواهم
وإن سألت الجود عن داره ... يقول ذا مثواى مثواهم
ثلاثة من تلق منهم تقل ... لاقيت أعلاهم وأسناهم
أقسم بالبيت[1] وأستاره ... ومن إليه كان مسراهم
من أشعث الرأس ومن أغبر ... ما غير بيت الله مغزاهم
ما سال دمعى لسوى فقدهم ... ولا أرى قلبى تسلاهم
هواهم أخرجنى مكرهاً ... من بين إخوان ألفناهم
فى بلدة[2] ثم لسكانها ... العلم والدين ودنيـــاهم
وحقها ما كنت مستوطناً ... ما عشت إلا هى لولاهم

---

(١) الكعبة المشرفة .

(٢) مكة المشرفة ولكن لا يجوز القسم بغير الله تعالى .

سُقْياً لها من بلدة حلها أقصى بنى الفضل وأدناهم

وكلهم قد آنسوا غربتى وأسكنوا ودى سويداهم

كم سألونى ولَكَمْ مرة فى كل فن قد سألناهم

وكم أداروا من كؤوس على سمعى وكم كأسى أرواهم

فارقتهم والدمع يجرى وقد أشجانى البين وأشجاهم

تالله مافارقتهم قاليـاً بل قائلا سقياً لمغناهم

لكن لذكرى من بلقياهم أحيا ويحيينى محياهم

ومن حبونى التهانى بما هنانى الكل وهناهم

من اتصالى بعد طول النوى بهم ومن فوزى بلقياهم

لو أننى انصفت كنت امرءاً مهنئاً نفسى برؤياهم

لكن أبى الفضل وإحسانهم إلا ابتدائى قبل أبداهم

كم من نظام قلدونى به وألبسونى ثوب نعماهم

وكم تحيات لنا أرسلوا حياهم الله وَبَيَّاهُمُ

* * *

وله رضى الله عنه مجيباً على المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله :

ما على الصب فى الصبابة وصمه ياعذولى فهل بعقلك لمـه

قسماً بالبديع من قسمات من محياه والمحاسن قسمة

إن تشم برق ثغره لتهتكـت ولم يبق فيك للدين شمه

ولشابهت فرقة فى أزال تركوا منهج الصلاح ورسمه

شرت الغى بالهداء وباعت نور إيمانها بظلم وظلمه

واستباحت ماحرم الله حتى ما الشيء مما يريدون حرمه
ومطيل فى عتبــه لأناس هم على المسلمين عار ووصمه
هم ومن فى اللحود سيان لـكن ما على ساكنى اللحود مذمه
رام منى ترميم عذر لأحيا ء يعدون فى الحقيقة رمه
أى فضل لذى حياة إذا لم يسع فى دفعه لـكل ملمه
فإذا لم يقم وينقم للدي ن فقم داعياً عليه بنقمه
ماخلا من يقول عذرى أنى لم أجد سامعاً اتنفيذ كلمه
كل من فى الوجود لص وإن جا ء بسجادة إليك وختمه
ويطيل السجود وهو كمون لاصطياد يرجوه من أى ثلمه
نار أطماعــه تلهب فى القلـ ب فيأتى ومنه فى الوجه فحمه
وبقوس الأطماع فى كل حين رامياً أينما توجه سهمه
إن تراهم بيض الثياب فحاذر لاتظنن كل بيضاء شحمه
هات قل لى بهؤلا يرجى ستر عيب فى الدين أو كشف غمه
هم قذاة الأعيان كم أتمنى حين ألقاهم بأنى أكمه
بل عماء فى مقلة الدين يالهـ فى عليه إذ أصبح الدين أعمه
ونعم هاهنا فريق يقولو ن بأنا أنصار كل الأئمه
قد أتوا فى الفعال كل قبيح واستباحوا بجهلهم كل حرمه
حشم المسلمون قد أخذوها وسبوها بلا حياء وحشمه
أو خيالات من بقايا الرعايا حيارى كـل يحصل زعمه
أن يبيت خالياً من الغرم يوماً قال هنا والله أكبر نعمه
ويبيعون العهد بالثمن البخـ س ولا يرقبون إلاً وذمه
فأين لى من ينصر الحق بالله ه أبن لى إن كان يوجد ثمه
كيف لى كيف لى ويا ليت شعرى أى معنى لما يلقب همه

وأراه العنقاء من غير شك فهو اسم لا يعرف الناس جسمه
لاغيور من الأنام يرجى بعد هذا لكشف أى مهمه
ليس إلا الإله يأتى بأنصار كأنصار أحمد خير أمه
باذلين النفيس والنفس للـ ـه مطيعين فى الأوامر حكمه
فترقب هذا قريباً فاللـ ـه تعالى فى ذا وذلك حكمه
وصلاة مشفوعــــة بسلام تتغشى من أرسل الله رحمه
وعلى الآل من بنور هداهم أذهب الله كل ظلم وظلمه

* * *

وقال مشبهاً المصطكى حال طفوه على القهوة مع المغايرة ولطف الإشارة إلى ما تعورف .

أرحنى من كأس بفلس مفجر فما قهوتى عنه تناسب إكرامى
تلون عند الارتشاف كأنه مرقعة الهندى أوحب قشام

* * *

قافية النون

وله رضى الله عنه إلهية وفيها الحث على تدبر كتاب الله :

الواردات علينا كلها منن من ربنا فله الإحسان والحسن
إنا لنا كل شىء من مواهبه مالا تحيط به عين ولا أذن
فشكر بعض أياديه التى شملت عن شكرها يعجز العلامة اللسن
فإن شكرت فشكرى من مواهبه يستوجب الشكر حتى ينفد الزمن
يا عالم الغيب لا يخفاه خافية وعلمه يتساوى السر والعلن

أهل البسيطة طرا تحت قبضته ... وكلهم بالذى يأتيه مرتهن

بحكمة و بعــلم كان مبتدئــاً ... هذا الوجود الذى حارت له الفطن

دحى البسيطة فرشاً للأنام وقد ... علت عليها الجبال الشم والقنن

كيلا تميــد بأهليها وأودعها ... لهم منافع إن ساروا وإن قطنوا

بنى السماء بأيد فوقها وحوت ... عجائبا أعرضوا عنها وما فطنوا

ففى التأمل فى آياتها عبر ... لو كان يطلق عن أفــكارنا الرسن

وقد حكى الله إعراض العباد فهل ... غطى على العين من أفكارنا الوسن

إن التفــكر فى آيات خالقنا ... عبادة الفــكر فيها الخالق قد غبنوا

تزداد بالفــكر إيمانــاً ومعرفة ... فلا يفوتك شىء ماله ثمن

ترى تفــكيرنا فى غير منفعة ... إلا لتحصيل ما تحصيله فتن

فلتصرف الفكر فى الذكر الحكيم تجد ... فيها العلوم التى لم يحوها الفطن

آياته أعجزت كلاً بلاغتها ... وأبلغ الخالق قد أودى به اللــكن

مَنَّ الإله علينا بالــكتاب فقل ... يامِنَّةٍ قصرت من دونها المنن

أدلة وأقاصيص وأمثــــلة ... لفظ بليغ ومعنى فائق حسن

غص بحره تلق فيه الدر مبتذلا ... وفلك فــكرك فى أمواجه السفن

كم حجة قطعت عنق العباد وكم ... من نــكتة هى روح لفظها البدن

وروضة قطفت أثمارها فزكت ... وما ذرى من رباها الغصن والفنن

من قصة وصفت أخبار من درجوا ... من صالح وشقى ربه الوثن

قف بالمثانى ترى آياتها عجباً ... أو بالمئين ففيها كلها المنن

أو بالطوال ففيها العلم أجمعه ... خزائن هى للأحكام تختزن

وفى المفصل آيات مفصلة ... قوارع لقلوب ما بها درن

إن الذنوب لأوساخ القلوب فلا ... يكن فؤادك بيتاً حشوه الدمن

فَدَاوِ قلبك من قبل الممات فما يجدى الدواء بميت بعد مادفنوا
بمرهم التوبة الصدق النصوح فذا هو الدواء لذاك الداء لو فطنوا
ونار ذنبك تطفيها الدموع إذا أثارها الخوف من مولاك والحزن
بادر بهذا الدوا من قبل ميتته فما لسهم القضا من دونه جنن
ورب شخص توفى قلبه وثوى فى صدره فهو قبر والحشا كفن
تراه فى الناس يمشى حاملا جدثا فهل بأعجب من هذا أتى الزمن
فأسأل الله توفيقاً يكون به حسن الختام ففيه الفوز مرتهن
ثم الصلاة على خير الورى وعلى الـ آل الكرام مع التسليم يقترن

* * *

وقال رضى الله عنه فى شهر المحرم سنة ١١٧٣هـ إلاهية وفيها بيان قدرة الله فى خلق الإنسان وبيان إنعامه عليه طفلا ، وشاباً ، وكهلا ، وشيخاً .

قد عجزنا عن شكرنا لامتنانك كيف والشكر صار من إحسانك
يا فؤادى علمت هـذا فأطلق فى مجال الثنا عنان لسانك
وأجر فيه فوارس المدح تحرز قصبات السباق فى ميـدانك
طول المدح كيف شئت وهيهـا ت ينال المشار طول بيانك
ولو أن البحار كانت مداداً بل جميع المياه فى أكوانك
وجميـع الأشجار تُبْرَى أقلا ماً وكل الأنام من أعوانك
يكتبون الثنا وكان مضافاً كل أزمانهم إلى أزمانك
وأطـالوا وطولوا لم يؤدى شكرهم شعرة على أجفانك
أنت تدرى بأن أصلك ماء كان فى الصلب مستقر مكانك
ولك البعض فى الترائب نصاً جاء هذا فى الذكر من قرآنك

ثم ألقى مابين أصليك ودا واجتماعاً به ظهور أوانك
ألقيا نطفة وماء مَهيـنًا فى مكان ما كان فى إمكانك
صار لحماً من بعد هذا وعظماً ليكون الأساس من بنيانك
ثم لما أراد أن ينفخ الرو ح ويقضى بأربع[1] فى شانك
بعث الله عند هذا رسولا فقضى ما أراد من أشحانك[2]
ثم لما خرجت من ظلمات كنت فيها إلى فضاء أوطانك
وسع الله مخرجاً كان قدضا ق قديماً عن مثل قدر بنانك
وَأَدَرَّ الثديين باللبن الحلـ ـو لتمتصه بنفس لسانك
ثم ألقى فى قلب أصليك ودا لك فاسئل عن شانهم ثم شانك
يسهران المنام إن مسك السو ء وإن كان النوم فى أجفانك
وحباك العينين تنظر ماشئـ ـت وفيما تريده ينفعانك
ثم بالسمع قد حباك لتدرى أى صوت يهدى إلى آذانك
وَلَكَمْ فى يديك منه أياد لست تحصى شكراً لِظُفْر بنانك
وتأمل فى كل عضو تجده قائماً بالمراد من أركانك
لم يزل يحسن الصنيع إلى أن صار برد الشباب من قمصانك
فكساك الشباب أفخر ملبو س تراه ستراً على أغصانك
حيث أعضاؤك الغصون وأيا مك عيد يعد فى أحيانك
وكسا القلب حلة حقها الشكـ ـر بسر المقال أو إعلانك
نسجتها أيدى البراهين فى الآ فاق وهى الصحيح من إيمانك
فطرة الله زادها الرسل والكتـ ـب يقيناً فاحرص على إيقانك

---

(١) هى رزقه وأجله، وشقى أو سعيد، كما فى حديث ابن مسعود فى الصحيح
(٢) هى لغة الحاجات .

لا تسلط أيدى المعاصى عليها ... لتمزق ثوب الهدى عن جنانك
ثم أعطاك ماتريد كما شا ... ء فأنت العزيز فى سلطانك
فتسربلت غفلة واختيالا ... واجتماعا للهو فى أخدانك
بائماً للنفيس من أطيب العمـ ... ـر بهذا الخسيس من شيطانك
شارباً كأس غفلة مزجت منـ ... ـك بجهل تدار فى أقرانك
لم تزل تتلف الليالى من عنـ ... ـد فلان إلى لقاء فلانك
غافل أنت عنك حقاً فلم تـدر ... ر يقيناً والله ماقـدْرُ شسأنك
وإذا ماجهلت نفسك قل لى ... أى شىء عرفتـه فى زمانك
والليـالى تُبلِى شـبابك حتى ... صيرته يعـد من خلقـانك
ثم ألبست للـكهولة برداً ... بعد دفن الـكثير من إخوانك
وتمتعت فيه بين سرور ... تارة والـكثير من أحزانك
وجيوش للضعف تغزوك من كل ... مكان للهدم من بنيـانك
ليس عنها بحد سيفك رفع ... واندفاع ولابحـد سنانك
لتمزق برد الـكهولة حتى ... لا تجد منه رقعة فى بنانك
فلشيخوخة تسربلت أسما ... لأضعافاً ما كن من أثمانك
وعلى ضعفها فأنت حريص ... فى بقاها ستراً على جثمانك
عالماً أن بعدها لست تلقى ... غير ثوب يعد فى أكفانك
يا إلهى جاوزت سبعين عاماً ... فتجاوز ونَجِّ من نيرانك
واعف عنا وعافنا وأنلنا ... حللا فى الجنان من رضوانك
فى جوار المختار أفضل من جا ... ء بخير المقال من قرآنك
صلوات الإله تترى عليه ... وعلى آله الهداة لشانك

* * *

قال الله تعالى : (والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) .

فقال مولانا البدر رضى الله عنه :

دعوت إلى دار السلام فلبينا ... وسعياً على العينين إن كان يجدينا

وقلت وتهدى من تشاء فاهدنا ... فإنا بهذا قد دعونا ولبينا

وعلمتنا ندعو بها فى صلاتنا ... إذا ماقرأنا الحمد فيها وصلينا

فندعو بها سبعاً وعشراً يومنا ... وليلتنا فيما فرضت وأدينا

وحاشاك تدعونا وتأمر بالدعا ... وتغلق عنا الباب إذ نحن وافينا

دعاؤك إيانا وتعليمنا الدعا ... دليل على أن الكريم سيعطينا

لك المثل الأعلى فإن بنى الدنا ... إذا مادعوا أعطوا وفضلك كافينا

ولولاك فضلا منك لم نعرف الدعا ... ولا هادياً بالوحى والخير يأتينا

إذا نزل الأبرار جنتك التى ... وعدت تراهم حامدين ومثنينا

على ماهدى لولاه لم ندرما الهدى ... ولا أى دين فى القيامة ينجينا

فلله كل الفضل فى كل حالة ... ومن فضله إجراؤه الحمد فى فينا

وتعليمنا كيفية الحمد والثنا ... وإرساله خير النبيين هادينا

محمد الهادى إلى سنن الهدى ... فصلى عليه الله والآل أهلينا

* * *

وقال رضى الله عنه ـ لما درسنا فى الجامع الكبير فى التفسير على الكرسى تدريساً عاماً ممزوجا بالوعظ والتذكير من سنة ١١٥٤ هـ وانتشر منه خير كثير من تعليم الشرائع وإشاعة السنة النبوية وكان يحضره أمم من الناس لا يحصون ، من كبير وصغير ، وأقبل الناس على الطاعات ، وعمرت بيوت الله بالصلوات فى أوقاتها والجماعات ، أغاظ إبليس ذلك الخير العام ، فألقى فى قلوب جماعة بأن يسعوابنا إلى الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم رحمهما الله .

وقالوا له : إنا نحرض على مخالفة مذهب الآل ، وفعلوا إليه رسائل ، فيها

زور وبهتان وجهل وهذيان ، وكاد أن يميل إلى أقاويلهم ، ووقع بيننا وبينه مناظرة ، فعصمة الله تعالى وظهر له الحق ، كما ظهر لكل أحد ، غير من ملىء قلبه بالغل والحسد . ومزق إحدى الرسائل بيده ، وأمرنى أن أجيب على الأخرى ، فأجبت عليها برسالة سميتها « السهم الصائب فى نحر المقول الكاذب » .

وحين دفع الله شرهم ، قلت هذه الأبيات ، حمداً لله تعالى ، على إنعامه وإفضاله وعلى رده كيد الكائدين ، واستمرار انتفاع العباد وقوة أمر الدين .

لك الحمد حمداً باللغات جميعها ... محامد صدق تعجز الإنس والجنا
لك الحمد حمدا طيب اللفظ والمعنى ... لك الحمد حمداً دائماً أبداً منا
لك الحمد حمداً بالعبارات كلها ... حقائقها ثم المجاز ، وما يكنى
لك الحمد حمداً بالدلالات كلها ... مطابقة والالتزامات والضمنا
لك الحمد حمدا يعجز الخلق عده ... ولن يستطيعوا بعد ذاك له وزنا
لك الحمد حمداً يملأ الأرض والسما ... ومافيهما والبحر والسهل والحزنا
لك الحمد قبل الحمد والحمد بعده ... لك الحمد حمدا لا يزول ولا يفنى
لك الحمد حمداً يشمل الحمد كله ... فيستغرق الأقصى من الحمد والأدنى
لك الحمد حمداً بالقبول مقابل ... يقال لمن أسداه قد فزت بالحسنى
لك الحمد إذ علمتنى الحمد والثنا ... ولولاك لم أعرفه لفظاً ولا معنى
لك الحمد يا كافى الفتى كل مطلب ... وموجده من قبل من نطفة تمنى
لك الحمد ياجزل العطايا لخلقه ... تباركت كم أغنى العباد وكم أقنا
لك الحمد من نسل الرسول جعلتنى ... فصرت له من حيدر وابنه إبنا
لك الحمد كم أمر عظيم دفعته ... وأبدلتنا من بعد خوف به أمنا
لك الحمد للعلم الشريف هديتنى ... ودليتنى من على المقصد الأسنى
هديت إلى بحر من العلم زاخر ... ينابيعه من قاب قوسين أو أدنى
علوم كتاب الله والسنة التى ... حوى كل لفظ منها روضة غنا
اتهد لامنى فى حبها كل جاهل ... وصار منى من كنت أحسبه خدنا

وبالغ فى ضرى ومذ كنت واثقا ... برى مات الباغضون لنا غبنا

ألام على حب الرسول وقوله ... وهيهات لا أصغى إلى لائمى أذنا

ولولا منى فى غيره كنت قابلا ... أساعد فى سعدى إذا لام أو لبنا

سيقرع عذالى على سنن الهدى ... لما قد جنوه من ندامتهم سنا

ولكنه لا ينفع العلم وحده ... وسل سورة الأعراف عن ذلك المعنى

فكن عاملا مهما علمت فإنما ... يرجح فى الأخرى بأعمالك الوزنا

وليس بشىء من علومك راجحا ... وإن كنت قد حققتها الشرح والمتنا

وأسست أقوالا وشدت قواعداً ... إذا لم تكن تقوى الإله لها ركنا

إياس غدا يهوى يقيناً بأنه ... أويس فما أجدى ذكاء ولا أغنى

كذاك ابن سينا قارع سن نادم ... على كل ما أجرى اليراع وما سنا

يرى ما حوى الميزان من كل مبحث ... وبالا عليه لا يقيم له وزنا

وتالى كتاب الله صار مقدما ... وما عرفت تلك العلوم له ذهنا

يقال له اقرأ وارق ما كنت تالياً ... فقد فزت فى العقبى من الأجر بالأسنى

خليلىَّ ولى العمر منا ولم نتب ... وننوى فعال الصالحين ولكنا

عجبت لمن يلهو بما ليس باقياً ... فيهدم ما يبقى ويعمر ما يفنى

فحتى متى نبنى بيوتاً مشيدة ... وأعمارنا منا تهد وما تبنى

إلهى لحقق فيك ظنى وإن أكن ... مسيئاً فقد أحسنت فى جودك الظنا

وأجر علينا اللطف فى كل لحظة ... وزدنا هدى إنا إلى ربنا هدنا

أقلنى أقلنى واغتفر لى ما مضى ... ومُنَّ بما ترضاه منا وآمِنَّا

ولا تخزنى فى موقف الحشر واعطنى ... كتابى فضلا من أياديك باليمنى

قَدِمتُ وما قدَّمتُ زاداً من التقى ... أفوز به لكننا بك آمنا

وبالرسل الكل الكرام متابعاً ... لما فرض المختار فينا وما سنا

فيا سيد الرسل الكرام ومن أتى ... بخير كتاب أعجز الإنس والجنا

وأنداهم كفا إذا حضر العطا   فأعطى وما أكدى ومنّ وما منّا
وأثبتهم جأشاً إذا شهد الوغى   يفوق الحصام من كفه الضرب والطعنا
وأوسعهم جاهاً إذا طلبوا غدا   بأن يشفعوا للخلق فاعتذروا منا
فقام مقاما لم يقمه من الورى   سواه أزال الكرب والهم والحزنا
عملت إساءات فكن لى شافعاً   لعل مسيئاً أن يقابل بالحسنى
إذا فتحوا باب الجنان لوفدكم   وقلت أنا منهم فقل إنه منا
فإنى فى الأنساب منكم لواحد   وقد قال فى القرآن ربى ألحقنا
عسى ولعل الله يلحقنا بهم   إذا الموت من بعد الحياة لنا أفنى
وأسأله بعد الصلاة مسلماً   على أحمد والآل خاتمة حسنى

* * *

وقال رضى الله عنه : خرجت إلى جدة سنة ١١٦٥ هـ فدخلت الدور المتوكلية التى بناها المتوكل على الله القاسم بن الحسين رحمه الله فوجدت الخراب قد استولى على مبانيها ، وأذهب مرور الزمان غوانيها ومغانيها ، وصارت للمعتبرين عبرة ، وكانت للناظرين قرة .

فجاش الخاطر بهذه الأبيات ، لتكون موعظة من العظات ، فقلت :

طال الوقوف على الأطلال والدِّمَنِ   فاستروها خبراً عن ذلك السكن
ونادها عن بنيها والبناة لها   والنازلين بها فى أقرب الزمن
تخبرك ناطقة بالحال صادقة   بكل ما كان من قبح ومن حسن
نعم نعم أخبرتنا وهى صامتة   والصمت أبلغ عند الحاذق الفطن
عمن رأيناهم بالعين عن كثب   لا سعد تتبع أو كسرى وذى يزن
قوم رأيناهم والدهر يخدمهم   قد طار ذكرهم فى الشام واليمن
شادوا قصوراً وسادوا من يعاصرهم   من كل أروع لا يرتاع للفتن

إن المواهب قد شاهدت صاحبها	وكان فى جوده كالعارض الهتن
سفاك كل دم عاداه صاحبه	مفرق منه بين الروح والبدن
هتاك كل حمى إن لم يطاوعه	كم من معاقل أخلاها ومن مدن
وحين أدبرت الأقدار عنه أتت	له المقادير بالآفاق والمحن
ووجهت نحوه الأقدار أسهمها	وما لسهم القضا فى الدفع من جنن
وعاد أعوانه عوناً عليه ولم	ينفعه أهل ولا مال من المنن
وجاءه الضر ممن كان ينفعه	ورب قبح أتى من ظاهر حسن
وضاق عيشاً وقد ضاق الفضاء بما	قد كان يحويه من خيل ومن خدن
وصار فرداً وفى أبنائه عدد	لكنهم وافقوا فى جفوة الزمن
وانضاف كل إلى من صار منتصباً	للأمر مرتفعاً فى أرفع القنن
وانقاد كل أبى تحت طاعته	وكأن ما كان مما قبل لم يكن
وتم للقاسم المسعود ما سمحت	به المقادير من نجد إلى عدن
وشاد فى حدة دوراً مزخرفة	تزد بما شاده الأملاك فى المدن
مرت له سنوات فى تنعمه	كأنها خفقات العين بالوسن
ثم انثنت هذه الدنيا لعادتها	وبادرته بما يخشى من المحن
وكان أعظم خطب قابلته به	إن الحسين ابنه لم يأت بالحسن
قاد الجيوش إلى صنعا وحاربه	فاضطر منه على صلح على دخن
وقد سعيت أنا بالصلح بينهما	أطفأت ناراً لها الإيقاد بالفتن
ولم يعش غير أيام منغصة	لم يخرج الحول إلا وهو بالكفن
وبعده الناصر إن الأمر قد طلبا	محمد وحسين من بنى الحسن
وأشعلا نار حرب بينهم سنة	حتى أضرا بمن قد حل فى اليمن
وبعدها لحسين تم مأربه	ونال كل الذى يهواه فى الزمن
وتم عشرين حولا فى تقلبه	فى الملك حتى أتاه سالب الوسن

وراح نحو البلى فى اللحد مرتهناً ... وأى شخص تراه غير مرتهن
فكن بما شاهدته العين معتبرا ... فالعين أبلغ إسماعاً من الأذن

* * *

وقال رفع الله مقامه فى عليين كتب إلينا الشيخ أبو الحسن السندى رحمه الله من مكة المشرفة فى شهر ربيع الأول سنة ١١٥٨ هـ هذه الأبيات ونسبها لابن القيم وذلك عند أن بلغه أذية من آذانا لأجل نشر السنة النبوية ودعائنا الناس إليها ، والإعلان بذلك ، لا سيما عند الإقراء فى التفسير فى جامع صنعا الكبير خمس سنين .

ياقوم فرض الهجرتين بحاله ... والله لم ينسخ إلى ذا الآن
فالهجرة الأولى إلى الرحمن بالإ ... خلاص فى سر وفى إعلان
حتى يكون القصد وجه الله بالا ... لأقوال والأعمال والشكران
ويكون كل الدين للرحمن ما ... لسواه شىء فيه من إنسان
والله هذا شطر دين الله والتح ... كيم للمختار شطر ثانى
أترون هذى هجرة الأبدان لا ... بل هجرة هى هجرة الإيمان
قطع المسافة بالقلوب إليه فى ... درك الأصول مع الفروع
أبداً إليه حكمها لا غيره ... فالحكم ماحكمت به النصان
ياهجرة طالت مسافتها على ... من خص بالحرمان والخذلان
ياهجرة والعبد فوق فراشه ... سبق السعاة لمنزل الرضوان

* * *

قال البدر : فقلت مذيلا لها وأرسلتها إلى المدينة المنورة :

ولأهل هذى الهجرتين من الأذى ... من كل مبتدع وذى شنأن
قسط كقسط السابقين إلى الهدى ... المظهرين اطاعة الرحمن
أتباع خير الرسل من آذانهم ... أتباع كل مضلل شيطان

من قال إنى تابع لمحمد ومتابع الآثار والقرآن
قالوا أتيت عظيمة فى ديننا وركبت متن الجهل والخذلان
قلد فلاناً فى الديانة واتبع فيما تدين مقـــالة لفلان
قلنا لهم لسنا نعيب على الذى قـد قلد الأموات فى الأديان
لـكن من عرف الأصول وحقق الا آثار والتفســـير للقرآن
وله نقـادة عارف متصرف فى النحو والتصريف والميزان
وإحاطـــة بدقائق ولطائف قد ضمنت وأنى بهـا العلمان
علـم الـكتاب وسنة للمصطفى هو أول وهى المحـل الثانى
أيجوز أن يغدو أسيراً بعدها ويقـــاد بالتقليد كالعميان
ويتابع الآباء فى أديانهــــم هذى مقالة عابدى الأوثان
هــذى عمى بصيرة لا ناظر هــذا انسداد القلب لا الآذان
لا يسأل الملـكان من حل الثرى إلا عن المختار من عدنان
لا عن مذهب أحـــد أو مالك والشـــافعى ومذهب النعمان
كلا ولا زيد ولا عمرو فدع كلا وتابع واضح البرهان
هـذا ووال المسلمين جميعهم وقل الجميـــع لأجله إخوانى
واستغفر الله العظيم لـكلهم فبذا أتاك الأمر فى القرآن
وادلل على سنن الهدى أهل النُّهَى صرح بذا فى السر والإعلان
والزم طريقة أحمد فى هـديه تنجو غداً من لافح النيران

* * *

أنشد الإمام العلامة الكبير ، محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله فى أوائل كتابه « إيثار الحق على الخلق » أبيات ابن أبى الحديد التى يقول فيها :

وأسائل الملل التى اختلفت فى الدين حتى عابدى الوثن

وحسبت أنى بالغ أمـــلى فيما طلبت ومــبرىء شجنى
فإذا الذى استنكرت هو الـ جانى على عظائم المحـن
فظللت فى تيه بلا علم وغرقت فى بحر بلا سفن

* * *

فقال مولانا البدر رضى الله عنه ، وأودعها « حاشية الأنوار على الإيثار » ولم تكمل هذه الحاشية ، سبقه الحمام عن التمام .

قد جاءنا برد اليقين من الـ مختار فى القرآن والسنن
فاقنع به ودع الوقوف على أطلال أهل الشرك والدمن
آى الكتاب كمت دلالتها صحب الرسول وعابدى الوثن
وانقاد كل بالزمام لها أهل الذكا والفهم والفطن
لكن طلبت الحق من طرق معوجة ليست على سنن
قد كان فيها الجبائى سلفاً والأشعرى أيضاً أبو الحسن
والجعد قبلهما وجهم لقد باعا الهدى جهلا بلا ثمن
أفضت إلى تضليل سالكها وإلى التباغض فيه والإحن
فسلكت مسلكهم لحرت كما قد قلته فى شعرك الحسن
فضللت فى تيه بلا علم وغرقت فى بحر بلا سفن

* * *

أنشد ابن خلكان رحمه الله لبعض من ترجم له :

إنى أبثك عن حديـــــــــث والحديث له شجون
غيرت موضع مرقدى ليلا ففارقنى السكون
قل لى فأول ليلة فى القبر كيف تُرى تكون

* * *

فقال مولانا البدر رحمه الله مجيباً عن استفهامه :

ستكون أطيب ليلة وأنا بما قلت الضمين
وتبيت ضيفاً للكريـ ـم وغيث رحمته هتون
ويريك جوداً عنده كل الخطوب به تهون
ثق بالكريم ولا تقل قل لى فكيف ترى تكون

* * *

لما خرج المولى العلامة محمد بن إسحق رحمه الله فاراً من صنعا سنة ١١٣٦هـ ست وثلاثين ومائة وألف . ومن خرج معه من أعيان الإمام خرج مولانا البدر رضى الله عنه إلى كحلان لئلا ينسب إلى موالاتهم لكثرة الاتصال بينهم .

وقد كان البدر رضى الله عنه أرشدهم إلى عدم الخروج ، فأبت الأقدار إلا ما أراده الله .

فكتب البدر من كحلان إلى المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله ، وكان فى السجن بقصر صنعا .

حدث البارق عن صنعا وعن ساكنيها ياسقى صنعا اليمن
وروى عنهم حديثاً مسنداً مثله يروى لأرباب الفطن
ما تلقاه البخارى ولا مسلم عنه ولا أهل السنن
ليس غيرى عارفاً أسراره إن سر البرق للمضنى علن
لا عجيب فمن السكان لا يعرف الأخبار إلا ابن السكن
يا أحبائى لقد أحسنتم إذ طويتم فيه أخبار الوطن
فلقد أنبأنى عنكم بما هز من قلبى أغصان الشجن
ولقد أذكرنى تلك الربى التى نفرنى عنها الزمن
كنت فى روضاتها مرتعيا أى غصن أرتضيه وفنن
لا أظن الدهر لى مستيقظاً نافياً عن طرفه طيب الوسن

ستوفاى من نومه منتبهاً يضع الاسهم فى قوس المجن
ورمانى بسهام فرقت بين من أهوى وبينى بالظعن
لا أرى لى مستقراً بعدها فى قرار الأرض أو أعلى القنن
كل أرض جئتها تلفظنى فكأنى فى فم الدنيا درن
شيمة للدهر لا أنكرها تخدع المغتر فيها بالهدن
ماله سلم وإن سالم فى ظاهر الأمر فللحرب كمن
ولسان الحال منه قائل من نجا من فتنتى قُلْ لِيَ من
ما نجا مِنِّيَ من صاحبنى سل ملوك الشام عنى واليمن
سل بنى مروان عن أملاكهم وبنى العباس واسأل ذى يزن
بل سل الأقطاب مثل المرتضى وبنيه من حسين وحسن
ما نجا العالم والجاهل والمـ لك الفتاك والظبى الأغن
فادَّرِعْ صبرًا السهم البين إن هو وافاك فما يجدى الحزن
وَجُبَ الأقطار وانزل حيث لا تشتهى وأنف عن العين الوسن
والق قومًا أصلهم من آدم سل بما عنهم ولا تسأل بمن
فهم الأحجار إن حادثتهم وهم الأموات إن هزوا لمن
ولصوص فاحترس منهم فهم يلبسون الميت أثواب الكفن
لا أراهم يشبهون الناس فى أى شيء منهم إلا البدن
جيرة قد أنَّ قلبى منهم لا إليهم أبداً والله حنْ
فسقى الله بصنعا جيرة أخذوا قلبِيَ من غير ثمن
رحل الجسم برغمى عنهم وفؤادى عندهم طوعا قطن
ليت شعرى أبطلوا وُدَّ فَتًى قلب الدهر له ظهر المجن
أم تناسوا خلة ماخلتها أبداً تنسى إلى بعد الدفن
أتظنون بأنى بعدكم أطعم النوم إذا ماالليل جن

بعدكم ما راق لى شيء ولا شاهدت عيناى من شيء حسن
إن تغنى بلبل قلت له أيها البلبل قف لا تتغن
فاذكرونا مثل ذكرانا فما عنكم نسهو مدى الدهر ولن
لا تناسوا كم كؤوس شنفت دصرت خمرتها من كل فن
ومذ جناها بنظم رائق قسما بالبيت لو يقرع طن
لا كهذا النظم قد لفقته من هزيل القول ما فيه سمن
فاقبلوه وأقيلوا عثرة منه إن وافى إليكم واستكن

* * *

وله رضى الله عنه مجيباً أيضاً على المولى العلامة الحسن رحمه الله عن أبيات وصلت منه ، من محبسه بقصر صنعا إلى شهارة ، يسأل عن أحوال البدر رحمه الله :

أجاب الدمع من قبل اللسان نظاماً أشرقت منه المعانى
أبن لى هل نظمت الشهب شعرا وهل وافى ذراك الفرقدان
تسائل يا حبيب غريب دار بعيداً عن ربوعك غير دان
فقير من قرى الأجفان مثر من الدمع الغزير لما عنانى
تقلب فى سواد الليل جفناً ولكن فكره بيض الأمانى
تسائله عسى أحييت علماً وهل درَّسْتَ فى علم البيان
أتحسب فى سمرقند مقامى أو أنى قد نزلت بشاهجان
وأنى قد لقيت بها عصاماً وسعد الدين وابن الزملكان
وذاكرت الجوينى والفنارى أصول الفقه ثم الأصفهانى
ودارست ابن ماجه والبخارى حديث المصطفى والعسقلانى
وقد جاريت جار الله فيما أتى من علم تفسير القرآن

ألم تعلم بأنى فى محل   تكاد الطير فيه لا ترانى
سما فالطير تعجز عن ثراه   وتلمس من ثراه الفرقدان
تحوز الريح إن قصدت إليه   قوادمه فليس له مدان
نعم لاقيت إخواناً كراما   قليلا مثلهم فى ذا الزمان
لهم خلق حكت نسمات نجد   وأذهان تسابق للمعانى
هووك وما رأوك لطول وصفى   فقد عانوا لفقدك ما أعانى
إذا وافى كتابك قبلوه   وعجوا بالدعاء لكل عانى
جنت أذهانهم من روض ذهنى   معارف ما جناها قبل جان
ذكرت بهم أزال ونحن فيها   وأنت على المعارف عاكفان
نحقق فى ذراها كل فن   كأن أزال بلدة تفتزان
وذهنك صارم يفرى المعانى   كَفَرْزِيكَ للعدا يوم الطعان
وإنك فى الذكاء فريد عصر   وليس سوى الضيا لك فيه ثانى
جمعتم ما تفرق من كمال   فأنتم فى العلى فرسا رهان
وقد كنا وكنتم فى اجتماع   يغاظ به الأعادى والشوانى
فما أدرى أعين قد رمتنا   ففارقنا المغانى والغوانى
لعل الله يبدى لنا بقرب   وبعد البعد يأذن بالتدانى
فننزل فى منازلنا اللوانى   يخال بأنها غرف الجنان
وظنى أن ذا أمر قريب   على من أنزل السبع المثانى
ترقب صدق قولى فهو حق   ستنظره قريباً بالعيان
وخذ منى سلاماً طاب نشرا   وضمخ منه أرجاء المكان

* * *

وقال بوأه الله الفردوس ورد على سؤال لفظه ! العارف الذى التحف بالمعروف ، وتحلى بالأوصاف السنية فى وجود الموصوف ماذا يقول فيما عناه فى هذين البيتين ، أذلك من مخاطبة العين للعين ، أم الواحد فى حضرة الإثنين وهما :

كُنَّا حروفاً عاليات لم تزل — متعلقات فى ذرى أعلى القلل
أنا أنت فيه ونحن أنت وأنت هو — والكل فى هو هو فسل عمن وصل

* * *

فأجاب بما لفظه :

هذا سؤال أتى من عالم فطن — قد حل منى محل الروح من بدنى
وما الجواب سوى قول الحسين[1] وقد — طارت مقالته فى الشام واليمن
لا كنت إن كنت أدرى كيف كنت ولا — ما كنت إن كنت أدرى كيف لم أكن

* * *

ثم رأيت عدم الاقتصار على هذا المقدار فقلت على طريقة التصريح والإظهار .

إن من أهواه غيرى لا أنا — قال هذا الأذكياء الفطنا[2]

---

(١) يعنى الحسين بن منصور بن الحلاج .

(٢) قال الإمام الشريف السيد أحمد الرفاعى الحسينى فى كتابه (البرهان المؤيد) منكرا على الحلاج وأمثاله :

إياكم والكذب على الله (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) ينقلون عن الحلاج أنه قال : « أنا الحق » أخطأ بوهمه ، لوكان على الحق ، ماقال : أنا الحق ، يذكرون له شعراً يوهم الوحدة ، كل ذلك ومثله باطل ، ماأراه رجلا واصلا أبداً ، ماأراه شرب ، ما أراه حضر ، ما أراه سمع إلا رنة أو طنيناً ، فأخذه الوهم من حال إلى حال ، من ازداد قرباً ولم يزدد خوفاً فهو ممكور ، إياكم والقول بهذه الأقاويل ، إن هى إلا أباطيل ، درج السلف على الحدود بلا تجاوز ، بالله عليكم ، هل يتجاوز الحد إلا الجاهل ، هل يدوس هنوة فى الجب إلا الأعمى .

ما هذا التطاول، وذلك المتطاول ساقط بالجوع ، ساقط بالعطش ، ساقط بالنوم ، ساقط =

واتحاد الذات بالذات غدا منهجاً وعراً ينافى السننا
مال قوم نحوه واتخذوا شطحات مثل سبحانى أنا
ليس فى الجبة إلا الله قف ما بهذا قال خير الأمنا
خاتم الرسل الذى منهجه صار نهجاً مستقيما بيننا
وكذا إخوانه من قبله رسل الله وخير القرنا
دَعَوُا الخلق إلى الرب الذى جل ذاتاً وصفات وثنا
كل من خالفهم فى نهجهم فهو كالعابد يوماً وثنا
إنما الصوفى من أعرض عن طلب الجاه وعن حب الثنا
معرضاً عن زهرة الدنيا وعن كل شىء قد حوته حسنا
قد أماتت نفسه شهوتها حين أحيت فرضها والسننا
فاستمع ما قاله من قبلنا يصف الصوفى وصفاً بينا
إن لله عباداً فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحىٍّ وطنا

= بالوجم ، ساقط بالفاقة ، ساقط بالهرم ، ساقط بالعناء ـ أين هذا التطاول من صدمة صوت (لمن الملك اليوم) .

العبد متى تجاوز حده مع إخوانه ، يعد فى الحضرة ناقصاً ، التجاوز علم نقص ينشر على رأس صاحبه ، يشهد عليه بالدعوى ، يشهد عليه بالغفلة ، يشهد عليه بالزهو ، يشهد عليه بالحجاب .

يتحدث القوم بالنعم ، لكن مع ملاحظة الحدود الشرعية ، الحقوق الإلهية تطلبهم فى كل قول وقيل ، الولاية ليست بفرعونية ، ولا بنمروذية ، قال فرعون (أنا ربكم الأعلى) وقال قائد الأولياء ، وسيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم (لست بملك) نزع ثوب التعالى والإمرة والفوقية ، كيف يتجرأ على ذلك العارفون ، والله يقول (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وصف الافتقار إلى الله وصف المؤمنين ، قال تعالى (ياأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) هذا الذى أقوله علم القوم ، تعلموا هذا العلم ، فإن جذبات الرحمن فى هذا الزمان ، قلت ، اصرفوا الشكوى إلى الله فى كل أمر ، العاقل لا يشكو ، لا إلى ملك ولا إلى سلطان العاقل كل أعماله لله . وقال الرفاعى أيضا فى كتابه (النظام الخاص لأهل الاختصاص) ولا تجمع بين حدوثك وقدم ربك فإنك إن فعلت ذلك انخرطت فى الضالين .

جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا
خذ جواباً من محب صادق طابق السر لديه العلنا

* * *

وقال رحمه الله : قال شيخنا العلامة زيد[١] بن محمد الحوى رحمه الله فى واقعة اتفقت له :

ومثقلٍ يدعو إلى بستانه ويظن جنات النعيم هنالكا
ناقضت دعواه وقلت جهنم هذا وقد أصبحت فيه مالكا

* * *

واتفق لى خلاف هذا وقلت :

وأخف خلق الله روحاً جاءنى وأراد إتيانى إلى بستانه
فدخلته فإذا الجنان بعينها وإذا بمالكه أخو رضوانه

* * *

ولما انتهبت قبائل بكيل بندر اللحية سنة ١١٤٥ هـ وكان زعيم القوم القاضى عبد الرحمن بن محمد العنسى البرطى قال مولانا البدر رضى الله عنه هذه القصيدة وهو فى حصن شهارة مناصحاً ومنكراً وأرسلها إلى مدينة حوث إلى تلميذه السيد العلامة يحي بن محمد الحوثى رحمه الله وأمره أن ينسبها إلى نفسه تخوفاً من البدر على والده من الإمام المنصور حسين إذ كان ساكناً بصنعا ولهذا توجد عند كثير من الناس منسوبة إلى السيد يحي رحمه الله والسبب ما ذكر :

هل فى القلوب بيوم الحشر إذعان وهل بما قاله الرحمن إيمان
وهل علمتم بأن الله سائلكم عما قريب وللأعمال ديان

(١) لعله زين بن محمد بن الحسن بن القاسم فهو شيخ السيد محمد الأمير .

ياساكنى السفح من صنعاء هل سفحت … لكم على ماجرى فى الدنيا أجفان
عن اللحية هل وافاكم خبر … تفيض منه من الأعيان أعيان
تجمعت نحوها من كل طائفة … طوائف حاشد منها وسفيان
وذو حسين وقاضيها وقائدها … درب الصفا وقشنون وجشمان
أسمــاء شر وأفعال مقبحة … طوائف مالهم يمن وإيمان
فما يخافون من يوم المعاد ولا … عليهم لذوى السلطان سلطان
فكم أخافوا وما خافوا وكم نهبوا … وأخربوا فلهم فى الأرض نيران
فى دولة الملك المنصور كم هلكت … بنادر ومخاليف وبلدان
فى الشرق والغرب منها والتهائم بل … والبحر قد خافهم فى البحر حيتان
لا تنس قعطبة إن كنت ذاكرها … فقــد أباح حماها قبل قحطان
كذا المعاقل من دمت ومن جبن … ولحج طاف به للحرب طوفان
والبندر البندر المشهور من عدن … سارت بأخباره فى الأرض ركبان
وهل نسى أحد بيت الفقيه وقد … صكت بأخبار يام فيه آذان
كم من عزيزا أذلوه وكم جحفوا … مالا وكم سلبت خود وظبيان
ودع حفاشا وموراً والضحى ولا … تذكر حبوراً وما لم يحص إنسان
فالنظم يعجز عن حصر لما دخات … من المواطن فى أخبار قد كانوا
فيابنى القاسم المنصور قد سلبت … عليكم الملك أعراب وبدوان
لم يبق من مجدكم إلا القصور لكم … بها جــوار وديباج وعقيان
أو المزامير تتلى كل آوانة … كأنهن وحاشا الذكر قرآن
أو الثياب على الأبدان صار لكم … فى كل حين على الأبدان ألوان
بمال كل ضعيف من رعيتكم … فما يقام له فى العدل ميزان
فلا يخاف العدا شراً لخيلكم … كأنها غنم والقوم رعيان
ولا يخافون إن طالت رما حكم … كأنها بيد الصبيان قصبان

ما يرهب السيف فى بطن القراب ولو جرى على متنه در وعقيان
ما هكذا كان آباءلكم سلفوا شيدت بهم من ربوع الحق أركان
فطالعوا سيرة المنصور جدكم سقى ثراه من الوسمى هتان
ما كان إلا جهاد الترك همته وما له مثلكم خيل وفرسان
ما كان منزله إلا معاركهم وما له غير ظل الرمح ديوان
كانت لسطوته الأتراك فى رهج وخاف من داره خراسان
كان الجهاد ونشر العلم همته حتى دعاه إلى الجنات رضوان
وكل أبنائه كانوا على رشد لهم جهاد ومعروف وعرفان
أجلى المؤيد باقى الترك من يمن لم يبق منهم بها شخص له شان
وكان إخوانه أنصار دولته كأنهم لافتراس القوم عقبان
والآن صرتم عِداً فى ذات بينكم كل يرى أنه للناس عنوان
مزقتم شمل هذا القطر بينكم كل له قطعة قفر وعمران
وكلكم قد رقى فى ظلم قطعته مراقياً مارقاها قبل خوان
فما الإمام ملام فى رعيته بل الجميع سواء فيه أعوان
فقدموا العدل والإنصاف فى أمم قد طال منكم لهم ظلم وعدوان
ثم أصلحوا بعد هذا ذات بينكم واستنصحوا وانصحوا من خين أو خانوا
تضحوا يداً فرعاياكم مفرقة أيدى سبا ما لها فى الأرض أوطان
إذا اجتمعتم على نصر الإمام فما يقوى عليكم من الأحياء إنسان
فناصحوه فإن يسعد فذلكم أولى ففيكم وفى السادات أعيان
قولوا له قم بنا نحو الجهاد فقد هدت من الدين والإسلام أركان
وجردوا البيض من أجفانها ولها يوم اللقا من دماء القوم أجفان
إن الرماح ظماء للدماء فهل يعود يوماً ومنها الرمح ريان
والخيل قد ملأت صنعا صواهلها وملها مربط فيها وميدان

هذى النصيحة منى غيرة لـكم ... ما فى مقالتهـا زور وبهتان
إن تقبلوها نخير سقته لـكم ... وإن أبيتم فحرمان وخـذلان
أرجو بها عند رب العرش مغفرة ... وأن يرجح لى فى الحشر ميزان
وإن سئلت غداً عن قبح فعلـكم ... فإنها لى عند الله برهـان
أقول إنى نصحت لـكم مقدرتى ... نظماً ونثرا فمـا دانوا ولا لانوا
فاغفر لنـا ولهم ما كان من زلل ... فإننا فيك بالإسلام إخوان
وصل رب على المختار من مضر ... والآل ما دار فى الأفلاك كيوان

* * *

وكتب رضى الله عنه إلى المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله يشكو إليه من الحمى من حصن شهارة فى شهر جمادى الأولى سنة ١١٤٧ هـ سبع وأربعين ومائة وألف .

أشكو إليك من الحمى حميت عن الـ ... أسواء ودمت قرير العين جذلانا
وافت إلى الجسم فى استكمال صحته ... تشب فى كل عضو منه نيرانا
حسبت أن عظامى عندها حطب ... واللحم تطبخه للأكل ألوانا
وتأكل اللحم أكلا لست أدركه ... فمـا رأيت فمـاً منها وأسنانا
وإنمـا أرى لحمى لا بقـاء له ... من فوق عظمى كما من قبله كانا
أهلا بها إن أتت للذنب ماحية ... فمن أتته حوى عفواً وغفرانا
وإنها من عذاب النار قال لنا ... خير الورى حظ من قد قال إيمانا
فإن جرى من أديمى بعدها عرق ... فإنها غسلت للذنب أدرانا
لا مثل ما قاله ابن الحسين[1] لقد ... أسا وشبه بالغفران عصيانا

* * *

(١) إشارة إلى قول المتنبى :
« إذا ما فارقتنى غسلتنى ... كأنا عاكفان على حرام »

وقال رضى الله عنه مجيباً على المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحاق رحمهم الله تعالى وأرسلها إليه من حصن شهارة :

تشابه حالنا فى كل فن ... فكل قد جنى مر التجنى
وأنسى ما لقيت وليس ينسى ... لأعظم منه وهو نواك عنى
وما هان البعاد علىَّ يوماً ... وأمرك فى البسيطة فوق ظنى
فكيف وهذه الأيام قادت ... إليك مشوم سجان وسجن
وكنا نشتكى زمناً تقضَّى ... ونسلك فى الشكاية كل فن
وصح بأنه إنسِيُّ دهر ... وهذا فى الدهور يعد جِنِّى
فيادهرى الذى قد غاب عنى ... أقلنى فى الذى قد كان منى
شكوتك والنوى لم أدر ماهو ... ولاعرف البكاء طريق جفنى
ولم يدن الفرقدان إلى اجتماع ... وأنت لما يريد الصب تدنى
إذا ماجئت أشكو من جفاه ... يقابلنى بإحسان وحسن
أرى هذا عقوبة ما تقضَّى ... من التقصير عن شكر لمن
وإنا تائبون إلى الليالى ... فهل تجدى إنابتنا وتغنى
ويعطف لى على المعنى زمانى ... ولا يخفاه ما معناه أعنى
سيكسونا مطارف كل فضل ... ويكسو الحاسدين ثياب غبن
ترقب صدق قولى يا خليلى ... ولا تحسبه من قسم التمنى

* * *

وقال رضى الله عنه مجيباً على المولى العلامة الضيا أيضاً عن أبيات أرسلها إليه من هجرة شاطب بعد تمام الصلح بين والده والمتوكل القاسم بن الحسين رحمهم الله بعد عودة الضيا من جهة حفاش وكان الساعى فى الصلح مولانا البدر رضى الله عنه :

إن الهوى العذرى فنى ... فإذا صبوت فلا تلمنى

أنا فى الهوى فرد فلا تذكر سواى ولا تثنى
قسما بآيات الهــوى لو حـدث المجنون عنى
لصحا ووافى آخـذاً عنى من العلم اللدنى
فأسند أحاديث الغرا م مسلسلا إن شئت عنى
وإذا شربت من الهوى خمراً نخذ من خمردَنِّى
وإذا جهلت طريقـة منه فسلنى وامتحنى
وأظهر غرامك مبرزاً ما فى الضمير المستـكن
صرح بمـا تهوى وبُحْ باسم الحبيب ولا تـكنى
قل بعت روحى فى الهوى فإذا استقلت فلا تُقِلْنى
لا تحسبن بيع الفؤا د بهم يسمى بيع غبن
ما الحب إلا لوعـة وصبابة تفنى وتضنى
سقياً لدهر قد مضى ندماً عليه قرعت سنى
أيام من بمـا أريـ ـد سماحة من غير مَنِّ
وسعى بخدمتى الزما ن ونلت منه فوق ظنى
ما كنت أعرف ما الصدو د ولا جفا الظبى الأغن
قد كنت أسأل ما الصدو د وأى معنى للتجنى
فعلى مَ أيام اللقا قلبت لنا ظهر المجن
وتغـيرت عما عهد ت وأبدلت سهلا بحَزْنِ
يا ليت شعرى والفتى الـ ولهـان يولع بالتمنى
هل عندهم عن لوعتى خبر وهل علموا بأنى
يا سعد حدث مسرعاً عنهم ودع عنك التأنى
لحديثهم من بين أخـ ـبار الورى معشوق أذنى
يا دهرى الجافى علا م أمات ظل الغصن عنى

مياته من بعـــــد ما قـد كنت أدنيه وتدنى
أبدلتنى عن قربه نظماً ونثراً ليس يغنى
أظننتنى أرضى بذا بدلا فذلك سوء ظن
لاكنت من أبناء آ دم إن سمحت بنور جفنى
أعنى الضياء ومن إليـ ـه عنان هذا النظم أثنى
بحر جـــواد فاتك نسخت به أخبار معن(١)
علامة فى النحو قد فاق المبرد وابن جنى
بل لا أخص النحو فهـ ـو محقق فى كل فن
وله من الآداب ما ينسى بأستاذ(٢) ابن جنى
لازال فى الدنيـــا جمـا لاً للعلى فى المجد يبنى
ماطنبت أوتادهـــــا فوق الرياض سحاب مزن

* * *

وكتب رضى الله عنه إلى المولى العلامة محمد بن إسحاق رحمه الله إلى هجرة شاطب فى سلخ شعبان سنة ١١٣٧ هـ بعد تمام الصلح .

هتف القمرى فى الروض وغنى وانثنى يشرح أشواق المعنى
ورقى غصناً وأملى فى الهوى ماشجى قلبى ولم أفهم منه معنى
ذكر الصب بأهل المنحنى فصبا نحـــوهم شوقاً وحنا
لم يكن ذكرى لنسيانهم كيف أنساهم وحاشا وأنى
سكنوا قلبى فلا أنساهم كيف ينسى القلب من فيه استكنا
تضرب الأمثال بى فى حبهم وبمثلى فى هواهم يتغنى

---

(١) هو ابن معن زائدة المشهور .
(٢) هو أبو الطيب المتنبى حيث لازم المتنبى كثيراً وتلق ديوانه ومعانيه منه ثم شرحه ، وقد طبع بالهند .

يانسيم الروض: قف لى ريثما تحمل الأخبار للأحباب عنا
سلهم هل ذكروا عيشا مضى نلت فيـه منهم ما أتمنى
والليـالى همها خدمتنا فإذا قلنـا تأنى تتأنى
خولتنا كل معنى حسن وسقتنا خمرها دنا فَدِنّا
ثم جست طرباً أوتارها وتغنت فى الهوى لحناً فلحنا
وكذا الأقدار تأتى بالذى تطلب الأنفس من ثمة وهنا
لو أنادى الريح لاتفزع من أعين الأزهار فى الأغصان جفنا
مر فى الروض ولم تشعر به وسرى سراً وما أيقظ وسنا
واستفاقت تنفض الطل وقد سألت أين نسيم الروض منا
ماله ماأسقط الطل ولا حرك الأغصان حتى تتثنى
أى أيام لنا قـد سلفت جمعت وصفين إحسانا وحسناً
لم نزل فى عيشة راضية فلماذا الدهر بعد الجـود ضنا
طاوع العاذل فيما رامـه وعلينا قد غدا عيناً وأذنا
ورياح البين فيما عصفت فأطارتنا وقـد كنا وكنا
فرقتنا همـة عاليـة للذى بان وعنه نحن بِنّا
فارق الأوطان والإخوان فى طلب العليا والعيش المهنا
هكذا المجـد لمن يرتاده لاينال المجد شخص يتمنى
ملك يمنن بالمـال فقـد ألف المن ولا يعرف منا
كم أفادت يده من هبـة ولكم من سائل أغنى وأقنى
وحليم لو درى الجانى بمـا يجتنى من حلمه كان تجنى
طاب آباء وأبناء ويا حبذا من طاب آباء وإبنا
وهو فى العلم إمام فاستفد ما تشا من علمه فناً ففنا
ليس يعيى ذهنه بحث وإن كان قد أعيا أولى العلم وأعنى

فهو بحر العـلم والجود فَرِدٌ بحره مغترفاً من أى معنى
وإمام ليس يدنى قــدره إن طلبنا منه أن لا يتـكنى
فالـكنى مبتدعات لم يكن سيدالأشراف فى الإسلام يكنى
إنما إسمك يكفيك الـكنى فهومن كل الـكنى أعلى وأسنى
وإليك النظم وافى قائلا إنهم إن يقرعونى لن أطنا

* * *

وقال رحمه الله مجيبا على المولى العلامة عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم ابن المهدى أحمد بن الحسن رحمهم الله عن أبيات يستدعى فيها « سبل السلام شرح بلوغ المرام » مؤلف والدنا البدر رضى الله عنه :

جئت بالمعجزات من تبيانك تتحدى من ليس من أقرانك
الدرارى قل لى نظمت أم الد رأم عقود النحور من عقيانك
أم أبيحت لك الجنان عياناً فنظمت الزهور فى بستانك
أنت أنت الإمام فى العلم والنظ م ونحن الأجناد فى سلطانك
لا أجاريك إنمـا أتجـارى أيراعى مقاوم لسنانك
أنت فى ثروة من النظم والنثر ونحن الجميع من خزانك
كل معنى نحوم حول تعاطيـ ـه وجدناه فى فصيح لسانك
وطلبتم « سبل السلام » فأهلا ببلوغ المرام من إحسانك
كيف لى كيف لى بنشر علومى وبتقريرها بحسن بيانك
قد بذلنا ماقد رزقنا من العلـ ـم لأهل الذكاء من إخوانك
ورجونا فيه الثواب فَصِلْنَا بدعاء سراً وفى إعلانك

* * *

وكتب رحمه الله إلى المولى عبد الله رحمه الله يعتذر إليه عن الاستمرار فى تدريسه ورفيقه السيد العلامة محسن بن إسماعيل الشامى رحمه الله فى شرح العمدة لابن دقيق العيد لما أكثر التخلف لعله فى سنة ١١٦٧هـ سبع وستين ومائة وألف :

مولاى يافخر العلى والدين وإمام كل محقق وقرين
عذراً لشيخك من نسى ماقد حوى لما ارتدى بملابس السبعين
فغدوت طفلا فى العلوم وقبل ذا ما كنت من أقران سعد الدين
مذصرت شيخاً عدت طفل معارف وغدوت مفتقراً إلى التلقين
شيب الخدود سرى إلى خد الذكا فاجتاح ما فيه من التحسين
والشيب فى الأذهان أعظم موقعاً وأضر فى التدريس والتدوين
إن شاب فود المرء شاب فؤاده وجفته حور معارف كالعين
نفرت عن الأذهان ثم تحجبت ببياض أوراق وسود متون
وأرى المعانى كالغوانى راعها شيبى فَرُحْتُ بصفقة المغبون
ما للشيوخ وللظباء وهل ترى ظبى الفلاة مواصلا للنون
فاعذر فؤادك أولو الذكا و بقيت للتـ ـدريس والتأليف والتبيين
والعذر منك ومن حسام الدين من قد فاق فى التحقيق كل فطين
وبقيت بحر معارف وعوارف يغشاك طلاب الدُّنا والدين

* * *

وكتب رضى الله عنه إلى السيد العلامة القاسم بن أحمد العيانى رحمه الله من صنعا إلى المواهب وقد كان البدر بقى عنده فى المواهب أياماً :

حتى مَ ذا الدهر بالتشتيت يرميتا وكم بكاسات هذا البين يسقينا
ماللفراق ومالى لايفارقنى إن الفراق غريم للمحبينـــا
فارقتكم وفؤادى لايفارقكم فإن رحلت فإنى فى المقيمينا

أستودع الله قلباً فى دياركم ... بحبكم صار مرهونا ومفتونا
ألخمت عن كل شيء غير ذكركم ... ونفر النوم دمع من أماقينا
فما رويت سوى أخبار فضلكم ... ولا تلوت سوى قول ابن زيدونا
إن الزمان الذى قد كان يضحكنا ... أنساً بقربكم قد عاد يبكينا
حالت لبعدكم أيامنا فغدت ... سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
غيض العدا من تساقينا اللقا فدعوا ... بأن نغص فقال الدهر آمينا
عسى عسى أن يقيل الدهر عثرتنا ... فكم أقال فتى قد صار مفتونا
سقى وحيا الحيا أيام قربكم ... فهى الحياة سواها ليس يحيينا
لله ذاتك ما أصفى خلائقها ... كأنها صدف بالدر مشحونا
ماأنت إلا جمال للوجود فلا ... زالت معاليك للعلياء تزيينا
ولا برحت قرير العين فى دعة[1] ... وزادك الله تبجيلا وتمكينا
ما لذَّ لى بعدكم شخص أصادقه ... ففى زوايا خمولى صرت مدفونا
أقمت عندك فى ربع السرور على ... نعماء تنسى بنعما آل حمدونا
عليك منى سلام غير منقطع ... يهدى إلى سوحك الميمون ميمونا

☆ ☆ ☆

وقال رضى الله عنه مجيباً على الفقيه العارف محمد بن إسماعيل العبدى رحمه الله :

بشرى فقد عطف الغانى على العانى ... وكان بالبين قد ألغانى الغانى
فكم جنى بتجنيه الجفا وإلى ... ما كنت أكره قد ألجانى الجانى
يبيت فى نومه الهانى وأمسى فى ... أسر السهاد وقد ألهانى الهانى
ويلاه من خده القانى وفتنته ... ففى تلهبه ألقانى القانى

---

(١) قوله : فى « دعة » وفى نسخة « فى سعة » .

لئن أطال النوى عني وأعرض عن وصلي بلا مرية ألفاني الفاني
يا حبذا ليلة وافى على حذر بغير وعد فحياني فحياني
وجاد لي بمدام من لمـا ومن خمر بخديه أدناني وأدناني
وقال اكتم شاني من مواصلتي عن الرقيب وكل الشأن في الشاني
سقى مغاني الغواني كل آونة إذا جفت سوحها الأعيان أعياني
إن لم تجد مقلتي بعد البعاد فما أشد بخلي بأجفاني وأجفاني
إذا سرى البرق من صنعا بعت كرى عيني وذكر أشجاني أشجاني
في سوحها جيرة جاروا وما عدلوا ولا رعوا عهد أيمـاني وإيمـاني
خانوا وما خنت لا والله عهدهم حاشاي لست لإخواني بخوان
رحلت عنهم وفي قلبي(١) منازلهم فقد غدا كل إنسان بإنسان
واعتضت بالبدر من في القلب منزله فاعجب له إذ غدا القاصي هو الداني
نجل الضيا من علاً قدر السماك علاً وحل في المجد برجاً فوق كيوان
يا بدر نظمك وافاني فأسكرني أظنه خمرة من كرم رحبان(٢)
حاشاه حاشاه عن خمر محرمة هذا حلال بدرٍّ المدح حلاني
وصفت شوقـاً إلى من أنت بغيته صدقت قلبي على ماقلت برهاني
والقلب شاهد عدل قد حكمت به مافيه قدح سوى قدح بهجران
ياعين أهل الذكا بل نور مقلته ويابن مقـلة في خط وتبيان
فتحت للنظم باباً كان منغلقـاً ذكرتنا أدب الفتح بن خاقان
ورمت مني جواباً والفؤاد به جوى لفقدي أوطاري وأوطاني
فخذ جواباً أتى عفواً وجد كرماً عفواً لما فيه من عيب ونقصان
واحرص على العلم لاتملل دراسته إن شئت تصبح فرداً ماله ثاني

---

(١) وفي نسخة « عيني » بدل « قلبي » .
(٢) كرم رحبان هو منتزه مدينة صعدة باليمن.

واتبع أباك وخذ عنه العلوم وقل هـذا أبي هو رَبَّانِي ورُبَّانِي
وأبلغه عنا سلاماً واستمدّ لنا منـه الدعاء بتوفيق وغفران
بقيتما في نعيم لا نفادله ماغنت الوُرْقُ أفنانـاً بأفنان

* * *

وقال رضى الله عنه . الشيخ العلامة ناصر بن الحسين الحبشى رحمه الله :
قرأ علينا فى شهارة سبع سنين فى عدة فنون وأدرك مع تقوى وورع وحسن حال ، ثم دخل صنعا لعله فى رجب سنة ١١٦٩هـ وتولى بها القضاء فـكرهت له ذلك لمـا علمناه من أحوال قضاة عصرنا وكان حاله قبل ذلك، حال المعرضين عن الولايات والاتصال بالملوك فـكتبت إليه وقد بلغ سن الستين .

ذبحت نفسك لـكن لابسِكِّينِ كما رويناه عن طه ويس
ذبحت نفسك والستون قد وردت عليك ماذا ترجى بعد ستين
ذبحت نفسك يالهفى عليك لقد كنا نعدك للتقوى وللدين
أى الثلاثة تغدو فى غداة غد إذ يجمع الله أهل الدين والدون
فواحد فى جنان الخلد مسكنه واثنان فى النار دار الخزى والهون
يأتى القيامة قد غلت يداه فـكن يوم التغابن فيه غير مغبون
وإن يكن عادلا فـكت وإن يكن الا أخرى ففى النار من أقران قارون
فإن تقل أكرهونا كان ذا كذباً فنحن نعرف أحوال السلاطين
وإن تقل حاجة مست فربتما فأين صبرك من حين إلى حين
والله وصى به فى الذكر فى سور كم فى الحواميم منه والطواسين
قد شد خير الورى فى بطنه حجراً ولو أراد أتاه كل مخزون
مامات والله جوعاً عالم أبداً سل التواريخ عنه والدواوين
ليس القضا مكسبا للرزق نعرفه كما عرفناه فى أهل الدكاكين

إلا لمن للرشا كفاه قد بسطت ... بسط اللصوص شبا كاً لاثعابين

سل الهدى والغنى ممن خزائنه ... سبحانه بين حرف الكاف والنون

وحيث قد صرت مذبوحاً فخذ نبذاً ... للنصح مابين تخشين وتليين

إياك إياك كُتّاباً تخالهم ... إنساً وهم مثل إخوان الشياطين

واحذر حجاباً وحُجّاباً مع خدم ... فهمهم أكل أموال المساكين

وجانب الرشوة الملعون قابضها ... نصاً فسحقاً لإخوان الملاعين

وفى الرشا خفيات ويعرفها ... من كان ذاهمة فى الحفظ للدين

واحذر قريناً تقل بئس القرين غدا ... كم حاكم بقرين السوء مقرون

ولا تقل ذا أمين الشرع أرسله ... فكم وجدنا أميناً غير مأمون

ولا تنفذ أحكاماً ومستند ال ... أحكام رجم بتبخيت وتخمين

لاتجعلن بيوت الله محكمة ... ولا تحلق من خلف الأساطين

لتنظرن بين أقوام صراخهم ... صراخ ثكلى ولكن غير محزون

لا يستطيع المصلى من صراخهم ... يأتى بفرض ولا يأتى بمسنون

واحذر وكيلا يريك الحق باطله ... يزفه بين تنميق وتحسين

وثمة أشياء مابينتها لك فى ... نظمى وتعرفها من غير تبيين

إن عشت سوف ترى منها عجائبها ... إن كان قلبك حياً غير مفتون

ومن يمت قلبه لا يهتدى أبداً ... لو جئته بصحيح البراهين

هذى النصائح إن كان القبول لها ... مهراً ظفرت غداً بِالْخُرَّدِ العين

مالم ظفرت أنا بالفوز منفرداً ... بأجر نصحى يقيناً غير مظنون

ثم الصلاة على المختار من مضر ... وآله السادة الغر الميامين

* * *

وقال رضى الله عنه فى تفسير ما أشير إليه من الأحاديث مالفظه

حديث « من جعل قاضياً فقد ذبح نفسه بغير سكين» . أخرجه الخمسة إلاالنسائى من حديث أبى هريرة مرفوعاً .

حديث « القضاه ثلاثة ، اثنان فى النار ، وقاض فى الجنة . رجل علم الحق فقضى به فهو فى الجنة، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار، ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار » . أخرجه أهل السنن الأربع ،والحاكم مرفوعاً من حديث بريدة ، وإليه أشرنا بقولنا « أى الثلاثة تغدو الخ » .

حديث « ما من أمير عشرة إلا جىء به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه حتى يطلقه الحق أو يوبقه » . أخرجه أحمد وغيره .

حديث «مامن حاكم يحكم بين الناس إلا يحشر يوم القيامة ، وملك يأخذ بقفاه حتى يوقفه على جهنم ثم يرفع رأسه إلىالله تعالى، فإن قال الله ألقه ألقاه فى مهوى يهوى أربعين خريفاً » أخرجه أحمد فى مسنده ، والبيهقى من حديث ابن مسعود مرفوعاً .

قولنا « واحذر حجاباً الخ » . أخرجه أحمد والترمذى مرفوعاً من حديث عمرو ابن مرة « مامن إمام أو وال يغلق بابه دون ذوى الحاجة والخلة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته» .

وقولنا « وجانب الرشوة الخ » . أخرجه أبو داود والترمذى عن أبى هريرة مرفوعاً «لعنة الله على الراشى والمرتشى فى الحكم » . وأخرجه أئمة من المحدثين عن جماعة من الصحابة .

قولنا « ولا تقل ذا أمين الشرع الخ» . أخرجه أحمد من حديث أبى هريرة مرفوعاً «ويل للأمناء ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بين السماء والأرض ، ولم يكونوا عملوا على شىء » .

قولنا « واحذر وكيلا الخ » . أخرج أبو داود من حديث عمر رضى الله عنه مرفوعاً « من خاصم فى باطل وهو يعلمه ، لم يزل فى سخط الله حتى ينزع » .

وفى لفظ « من أعان على خصومة بظلم ، فقد باء بغضب الله » انتهى .

* * *

وقال رضى الله عنه : رأيت ليلة خامس وعشرين من شهر ذى الحجة سنة ١١٤٤هـ أربع وأربعين ومائة وألف شيخنا العلامة زيد بن محمد بن الحسن رحمه الله نقرأ عليه فى تفسير أبى السعود وكانت النسخ كأنها غير صحيحة ، فجىء بصندوق فيه نسخة صحيحة فتعسر على الحاضرين فتحه ، فأخذه شيخنا رحمه الله وفتحه .

فقلت مرتجلا فى النام وأصبح البدر حافظاً ذاكراً لها :

كيف لا تفتح صندوقا وقد ... طالما فتحت أبكار المعانى
كل بحث مغلق تفتحه ... بعد ما يعجز عنه الثقلان .

* * *

وقال رضى الله عنه ولا أعلم من وجهت إليه :

أهلا بها فلقد وافت على ظَمَإٍ ... تروى أحاديث من نهوى فترويناً
لقد أعادت لنا عصر الشباب وقد ... شبت لهيب غرام فى نواحينا
وأذكرتنا ولا والله ما نسيت ... قلوبنا طول وصل المحبينا
إذا الشباب شفيع لا يُرَدُّ يُرى ... عند الغوانى له حكما وتمكينا
فوصل من شئت منها غير ممتنع ... ومورد اللهو صاف من تصافينا
مليكة الحسن زارتنى وقد غفلت ... عين الرقيب ونامت عين واشينا
وخالفت عذل عذال وما تبعت ... عند الملامة أقوالا لقالينا
ياليلة الوصل هلا عدت ثانية ... سقى زمانك دمع من أماقينا
فما وفى غير دمعى بعد بُعْدِكُمُ ... ولا شفى غير أمانى تمنينا
بأن عصر التلاقى قددنا ولقد ... نادى ببشرى تلاقينا منادينا
وأنشدتنا لسان البشر قائلة ... أضحى التدانى بديلا من تنائينا
ياحبذا تلكم البشرى فقد عكست ... عند البشارة ما قال ابن زيدونا
لا تنقضوا عهد ود بعد بُعْدِ فتى ... ولا تظنوا بأن البين ينسينا
لم نعتقد بعدكم إلا الوفاء لكم ... رأيا ولم نتقلد غيره دينا
هل تذكرونا مثل ذكرانا لكم فعسى ... الذكرى تقرب دارا للمحبينا

والبين ذا أذهل الألباب دائمه　　فالله بالوصل يشفيكم ويشفينا
والله يقطع عنق البين عن كثب　　بطيب وصل فقل بالله آمينا

* * *

وكتب رحمه الله إلى والده الضيا ، رضى الله عنه من « شهارة » فى شهر ربيع الأول سنة ١١٤٤هـ أربع وأربعين ومائة وألف .

من فلق البحر للكليم ومن　　ألهم نوحاً لصنعة السفن
ونار نمروذ حين أججها　　حتى غدت قنة من القنن
تدرك طير السما فتصرعه　　فهو يراد منة من الدمن
على خليل الإله قد جعلت　　برداً سلاماً بقوله فكن
وضر أيوب إذ دعاه وقد　　أصيب منه بأعظم المحن
أجابه ربه وأبدله　　بأهله مثلهم من السكن
وحبذا حبذا إجابتـــه　　ليونس فهو منة المنن
من ظلمات البحار أخرجه　　من بطن حوت من ظلمة الدجن
ويوسف من تراه كلاه وقد　　ألقى فى الجب عارى البدن
وبيع بيع الرقيق مبتذلا　　شراه قوم بأبخس الثمن
وكيد حتى غدا بسجنهم　　مرتهنا برهة من الزمن
وصار من بعدذا وذا ملكا　　تهدى إليه البرود من عدن
ومن من اليم أخرج الكليم وقد　　ألقى طفلا لم يغذ باللبن
عاد إلى حجر أمه فغدت　　قريرة لا تراع بالحزن
رباه من كان قبل يطلبه　　مبدلا للقبيح بالحسن
وللمسيح اليهود حين غدت　　تشب نار الفساد والإحن
وأجمعوا قتله نخلصه　　إلى السما ذو الجلال والمنن
وخاتم الرسل كم أراد به　　كل النكايات عابدو الوثن

وقاه ما كان من غوائلهم لا بسيوف العباد والختن

برغمهم تم ما أراد به من نشره للفروض والسنن

وفتية الكهف حين ألجأهم إليه خوف الضلال والفتن

كفاهم كيدهم وخلصهم بما حباهم به من الوسن

ياواحداً هذى إغاثته أغث غريب الدار والوطن

ناء عن الأهل والصديق وما يروق من مسكن ومن سكن

فى شاهق قد علا على زحل ينطح أفق السما بالذقن

قد طال فيه الثوى ومل به طول ملاقاة منزلى بدنى

جسمى تراه المقيم فى دعة وفكرتى فى الرحيل والظعن

أهم فيه بكل آونة برحلتى نحو نقطة اليمن

أزَالُ دارى التى نشأت بها مصاحبا كل عالم فطن

حيا الحيا ربعها ولا برحت يزورها كل هاطل هتن

يا جيرة فى أزَالٍ قد نزلوا عنكم سؤالى وفيكم شجنى

مازال حسن الرجا يوعدنى بقربكم والزمان يمطلنى

أقسم لولا حديث كتبكم تلقيه أقلامكم إلى أذنى

ما كان لى بعد بعدكم وطن إلا حلول اللحود والكفن

وحسن ظنى مازال يخبرنى أنى ملاق بعد النوى وطنى

ويصفو العيش بعد كدرته بما جناه البعاد من درن

هذا رجائى إذ أفوز به علمت أن الزمان يسعدنى

وقلت عفوا عما أسأت به حتى علا الشيب إذ علا ذقنى

أستغفر الله والسلام على من فقدهم قد يكاد يفقدنى

مالاح برق الدجا وماصدحت ورقاء فى روضها على فنن

* * *

وقال رضى الله عنه ، لما أراد العزم إلى بيت الله الحرام سنة ١١٣١ هـ فعرضت موانع فلما دنت أيام العيد ، تذكر وفود الحجيج إلى البيت وما ينالونه من التفضلات الرحمانية الواسعة ، فقال :

علام يلام القلب إن ظل حيرانا وفيم يلام الدمع إن سال ألوانا

وقد فارقت عيني فريقاً فراقهم يفرق أفراحاً ويجمع أحزانا

أيا راحلا أفنى فراقك راحتى وألهب ما بين الجوانح نيرانا

ألم تعلموا أن الجفا يورث الضنا وأن الضنا قد يلبس المرء أكفانا

أحباى أما الدمع فهو مواصل وإما مناي منذ غبتم قد بانا

أما ونسيتم قد سرت من دياركم يلم بقلبي فهو يحييه أحيانا

ويلقى إليه أن ربع ودادكم لصبكم شيدتم منه أركانا

وأن له ذكراً لديكم مكرراً وأنكم لم تحدثوا عنه نسيانا

هنيئاً له إن صح ما حدثت به وإلا فقد سر الحديث ولو مانا

لأنتم إلى قلبي ألذ من المنى ومذغبتم ما ذق والله سلوانا

ألم تعلموا أنى علقت بحبكم رضيعاً ومن ثدى الهوى ذقت ألوانا

فقد نبتت فى القلب منكم محبة كما أنبت الغيث الربيعى أغصانا

فاسقوا غصون الحب منكم بزورة فإن انقطاع الغيث يهلك أفنانا

وقد أينعت أثمار حبي وإنها ستحصد من نظمى ثناء وإحسانا

فهل ناظر فى ينعه متدبر ليزداد فى صدق المحبة إيمانا

ولا تحسبوا أكناف نجد وحاجر أثارت بقلب الصب وجداً وأشجانا

ولكنه شوق تعبث بالحشا إلى طيبة طابت مكانا وسكانا

يقود هواها نحوها فلكم سرت إلى ربعها قوم مشاة وركبانا

وكم مترف فى أهله متنعم يفارق غادات وربعاً وإخوانا

وكم من فقير قد تزود شوقه وكابد من حر الهوى فيه نيرانا

وكم من عزيز ذل قبل قدومه إليها فألقى التاج طوعا وإذعانا
وكم من بخيل جاد حباً لقربها فأنفق أموالا وقرب قربانا
وكم من رفيع القدر عفر خده بتربتها يجرى مع العيس أعيانا
وكم من ثغور لثمها غير ممكن تحاول من لثم الجدارات إمكانا
وكم طائف حول الفنا متخشع يقبل أحجاراً ويلمس أركانا
ومن فاته منها الدنو فإنه يولى إليها وجهه حيثما كانا
وكم من فتى أمسى يكابد شوقه إليها ولم يطرق له النوم أجفانا
وكم بت أشكو حر شوق بأضلعى كمن بات يشكو فى المضاجع سهرانا
أواعد نفسى كل عام بقربها وأطمعها فى ذاك سراً وإعلانا
ولكن ذنوبى أحرمتنى ورودها وكنت إلى تلك المواقف ظمآنا
وقلب غدا من جهله وغروره وغفلته من عاجل الأمر ملآنا
عجيب له كيف ادعى الحب كاذباً وأبرز فى ضد الذى قال برهانا
ولو كان فيما يدعيه مبرهنـــا لفارق أحباباً كراماً وأوطانا
هنيئاً لِسَفْرٍ قد أناخوا بسوحهـا أراحوا قلوباً للقاء وأبدانا
ووافوا إليها خالعين ثيــــابهم
لكى يغسلوا من موجب الذنب أدرانا
وقد قاموا شعثاً وغبراً ليكرموا فإن انكسار القلب يعقب سلوانا
وطوبى لهم إذ فى مِنًى أدركوا المنى وفى الخَيْفِ قد نالوا أمانا ورضوانا
وفى عرفات نالوا الشرف الذى به أضحت الدنيا تزاحم كيوانا
يباهى بهم رب السماء جنوده فأعظم به فخراً وأكرم به شانا
ألاهل إلى أكنافها لى عودة ليصحو قلب من معاصيه سكرانا
وتبدل أثواب المعاصى بضدهـا فتخلع أدراناً وتلبس أردانا
وتشرق أنوار الهداية عنده فيمسى مجبوراً هنالك جذلانا

فيارا كباً أنضى إليها ركابه ... وأضنى زفافاً فى سراه وأعوانا
إذا ما حططت الرحل فى عرصاتها ... وأقراك رب البيت عفواً وغفرانا
فعرض بذكرى عند ذاك وقل لهم ... أسير الخطايا أطلقوه وإن خانا
ومنوا عليه بالرضا وتجاوزوا ... وإن ملأ الدنيا ذنوباً وعصيانا
فإحسانكم عم الأنام بأسرهم ... ولولا كم ما كان فى الكون ما كانا
ووصف نداكم يخرس الالسن الذى ... يزاحم فى نظم الدقائق حسانا
ووصفكم قد أدهش اللب شأوه ... ولو كنت فى باب البلاغة سحبانا
لقد آن أن يثنى يراعى عنانه ... قصوراً عن الشأو الرفيع لقد آنا

* * *

وقال رضى الله عنه :

لله لا غير جميع الثنا ... وكل حمد يستطيع اللسان
أبلغنى سن الثمانين من ... عمرى ولم يحوج إلى ترجمان
ولا إلى مبصرة عند أن ... أقرأ دقيق الخط فى أى آن
فى ظلمة الليل وشمس الضحى ... سيان هذا بكل الأوان
أخاف من تقصير شكرى لما ... أولاه فضلاً فالأمان الأمان

* * *

وقال تغمده الله برحمته مقتبسا .

وخليل رأى من الناس جمعا ... لا يزالون فى الهوى خائضينا
قال هلا نبهتهم عن هواهم ... قلت ذرهم فى خوضهم يلعبونا

* * *

وله رضى الله عنه مقتبساً :

أقول لمن طال شكواهم ومن جور عمالهم يصرخونا
دعوا ما أراه ولا تجزعوا فعما قريب ترون اليقينا
فما ظلموكم بمـــا نالـكم ولـكن أنفسهم يظلمونا

* * *

وقال رفع الله مقامه :

إن ناب خطب أوعرا حادث فنم قريراً غير محزون
وناد مولاك الذى أمره يكون بين الـكاف والنون
هل غير رب العرش سبحانه أخرج ذا النون من النون

* * *

وقال بل الله بوابل الرحمة ثراه مكاتباً للمولى العلامة السيد المحقق الفهامة هاشم ابن يحيى الشامى رحمه الله إلى بعض متنزهات صنعا فى أيام الخريف :

غنت الورق فوق غصن البان فأثارت أشجان صب عانى
طوقت جيدها وخضبت الـكـ ف بقلبى ودمع عينى القانى
ونسيم الصبا تلاعب فى الرو ض فعنها تلاعب الأغصان
وترى الزهر ضاحكا ينظر السحـ ب فيبكى عليه بالأمزان
فكأن السحاب تبكى أليفاً قد تناءى وزاد فى الهجران
فهى غضبى على زمان جفاها فلهذا تسل سيفاً يمانى
عجباً للزمان ما زال يسعى بارتكاب الضلال والعدوان
كم سعى بالتفريق بين الأحبا ء وبينى وبين فخر الزمان
هاشم من غدا هو الفرد حقاً فى بنى هاشم فهل من ثانى

يا فريد الأوان قد طال شوقى فاهذا عاينت فيك المعانى
سَكِّنِ القلب فهو مأواك إن كنـ ت تراعى له ذمام المكان
بجواب يطفى الجوى عن جنانى لتنالوا به رفيع الجِنَانِ
لك فضل على الأنام بعلم وذكاء تدعى إياس الزمان
تخرس السعد إن نطقت ولا ينـ طق عن علمك الجرجانى
ونظام به انمحى ذكر أبى الطيـ ب أبى الحسين والأرَّجان
وسلام عليك ما أسقط الريـ ح إذا هبَّ أدمع الأغصان

* * *

وطلب رحمه الله من السيد العلامة الزاهد يوسف بن الحسين بن أحمد زباره رحمه الله عارية سنن أبى دواد فأرسل إليه بالجزء الأول منه وملكه إياه وذكر أنه لم يكن فى ملكه سواه فكتب إليه البدر رضى الله عنه :

أثقلتنى يا ضياء الدين بالمنن وجُدْتَ فى سنن المعروف بالسنن
جاوزت فى الجود حداً لم نجد أحداً قد جاز ما جُزْتَه فى سالف الزمن
طالبت عارية منكم فجدت بها ملكا فمنى ملكت الروح بالبدن
ما هكذا قد عرفنا قبلكم أحداً ممن عرفناهم فى الشام واليمن
والجود فى العبد فضل الله يرزقه من شاءه فله التفضيل بالمنن
دامت عليك تحياتى مكررة تدوم مثل دوام العارض الهتن

* * *

ووقع بين العلامة المولى الحسن بن إسحق والمولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق ووالده وإخوانهم رحمهم الله المراجعة بكؤوس النظام فى المفاضلة بين ريحانات أهديت مطية ممسكة وحكم فى المفاضلة بينها أعلامهم وطال النزاع ورفع ذلك إلى حضرة نور حدقة الوجود مولانا البدر رضى الله عنه وهو فى حصن شهارة فلما وقف على تلك الرياض الزاهرة واستجلى بدور تلك الفاخرة قال :

قد رأينا ما دار فى الريحان   من نظام حكى عقود الجمان
وسمعنا منه المثانى وما مر   ت بسمعى من قبلها والمثانى
واعتصرنا منه الحميا وما خلـ   ـت الحميا قد عتقت من معانى
وأرى حبره أديف بمسك   ويراع التحبير من ريحان
فلقد فاح منه نشر أريج   منه قد ضمخت ربوع المغانى
ضاع إذ ضاع نشره ما عرفنا   لبديع الزمان والأرّجانى
وحمدنا زماننا إذ أرانا   من ذممنا من بعده الحمدانى
وقرأنا السؤال ثم جواباً   وجواباً على الجواب الثانى
كل شخص قد صير الدر شعراً   ما علمنا درا يعود معانى
كان قلب الأعيان معنى محالا   مايرى داخلا إلى الإمكان
أخصصتم بما أرى أم لديكم   جاز قلب الأعيان للأعيان
غير أن الحكام ياثبت الله   قواهم عن سرعة العجلان
فوتوا للأحكام شرطاً وقالوا   صح ذا عندنا بغير توان
ماأراكم عن غائب قد نصبتم   وهو شرط بواضح البرهان
وقبلتم شهادة الغصن والطيـ   ـب وفى الغصن عندنا قادحان
إنه لايزال يرقص فى الرو   ض اشتياقاً إلى خدود الغوانى
وإذا صار للخدود ضجيجاً   مدفاه إلى ثغور الجمان
ولذا فى شهادة الطيب قدح   قد كفينا بالقدح فى الأغصان

وعلى كل حالة فأرى الحكـ م عليـلا مدعثر الأركان
واعتلال الأحكام مافيه عيب فالخطا جائز على الإنسـان
قد حكى الله ماجرى لسليما ن وداوود فى فصيح المثانى
وعن المصطفى عفا الله قدقا ل تعالى فى محكم القرآن
فأصلحوا ذات بينكم ودعونا من خصام كمضرم النيران
أو أعيدوا الشجار ثم أعدوا جيـد الطيب جيد الريحان
وابعثوا نحونا بهذا وبهذا وأمهلونا حيـنا من الأحيان
ربما نجمع المزكين للأغ صان من كل جانب ومكان
ثم يأتى حكم صحيح إليكم قد أقرت لحكمه الثقـلان
وصله قاطع لكل شجار نفذته الحكام فى الديوان
وعليه تجرى خطوط الأساطيـ ن ويزهو بسنية السلطان

✡ ✡ ✡

وكان قد كتب رحمه الله عند وقوفه على نظام أولئك الأعيان فى النزاع فى المفاضلة بين الريحان ما لفظه :

وصلت الورقة الوريقة ومافيها ، فأدارت على كؤوس معانيها، فلم أدرما أقول ، غير أنه كتب قلم الفضول .

وقفت على ريحان القريض ، واستنشقت أريج ما فيه من التفريض، فرأيت على أوراقه ورق المعانى ، وسمعت منها بلابل ألفاظة معربة عن لحن المثالث والمثانى .

فما هو إلا كلام مفرد قد جمع الأساليب ، وقول جزل قد ركب متون الأعاجيب.

قد أقسم الريحان أنه قد فضل بذلك المنظوم ، على المنثور والياسمين ، وأنها ما احمرت خدود الورد إلا حياء من زهور البساتين .

وأنها ما ابيضت أوراق الزنبق إلا طمعاً أن تكون كاغداً لرقم تلك الأشعار ، ولا اسود لون المسك إلا رجاء أن يكون حبراً لما حبرته الأحبار .

ولاشابه ساق النرجس الأقلام ، إلا تعرضا منه أن يكون لرقمه من جملة الأقلام في يد الأعلام .

وأنه لوعرف النعمان عرف تلك الرقائق ، لحمى الريحان عوضاً عن الشقائق .

وأنها ما أطرقت عيون النرجس إلا غيرة من ذلك ، لا لما توهمه القائل:

* * *

خليل ما للنرجس الغض قد أغضا   أأطرق سهواً أم لفرط الحيا غضا

فإنه قد فاته ماذكرناه من الوجه الصبيح ، ولعمر الأزهار ، لقد مررت بالناغية وهى محزونة ، وهى المسماة أم الأفراح ، وقد ابتسمت منها فى الرياض ثغور الأقاح .

ومن هنا علمت أن ما ازرق لون البنفسج إلا غيظا من لبس تلك الأغصان الريحانية ، لتلك الحلل العبقرية ، والبرود الخسروانية .

ولقد رأيت مقل الأزهار بالدموع مبلولة ، ويظن الجاهل أنها من بقية رذاذ الليل مطلولة .

وما تعانقت الأغصان فى البساتين ، بعضها على بعض إلا لما قيل فى الرياحين ، قائلة: لقد بر من قال قسماً بالبيت لو يقرع طن ، وأنه أقسم على يقين ، لاعلى شك، ولا على ظن .

ولقد فهم من هديل الحمام أنها ما غنت إلا بمديح ذلك النظام ، جاعلة للختام فى النشيد ، ما هو للأشعار بيت القصيد :

إن النظام وحسن جودته   لمواهب من مالك الملك

* * *

قافية الهاء

كتب المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمهما الله إلى الوالد البدر رضى الله عنه سائلا بقوله :

لو شاء أبو الحسنين أن لا يقتلوا عثمان ذو النورين ماقتلوه
لكن علىٌّ لم يشأ عدم الذى من غير إذن منه قد فعلوه
إن قلتم هل شـاء قتلهم له أم لا أقل لا علم لى فسلوه
إن قيل قولك أولا لو شاء ما قتلوه مظلوماً ولا هتكوه
أضحت نتيجته لكن شاء ما فعلوا فنالوا منه ماقصدوه
فجوابه هذا مغالطة فما فى مثل ذلك يحسن التمويه
فَلَأَنْتَ مستثن لعين مقدم مستنتج لنقيـض مايتلوه
والخلف فى ذا ظاهر واسأل به علماء ميزان لنا وضعوه
والحق ماأنصفت ما أمليه من تقريرهم فأصخ لمـا نقلوه
مدلول «لو» نفى الثبوت وعكسه لغة وسل عنه الألى حفظوه
والبيت إن أجريته يوماً على قانون منطقهم فلا تعدوه
فارفع تال منه كن مشتثنيا ينتج نقيض مقدم نقلوه
ومثاله لكنهم قتلوه فانـ تفت المشية هكذا ذكروه
من أين دلت « لو » على ماتدعى من أنه قد شاء مافعلوه
إن قلت دلت بالقرائن قلت لا أننى ولكن غير ماطلبوه
ويؤيد القول الذى قلنا به خبر لصنو المصطفى نقلوه
ما إن رضيت ولا كرهت وإنه قطعاً بغير الحق ليس يفوه
إن كنت قدسلمت واستسلمت إذ فذا قام الدليل لك مانرجوه
أو قلت لا فاختر إماماً عالماً أهل العلوم بعصرنا تقفوه
واسأله عما خلته مستشكلا فلعل نور علومه يجلوه

هاك السؤال أمامنا فأحط به علماً وراجع كلما وضعوه
من علم نحو والبيان ومنطق وأصول فقه نلت ماترجوه

* * *

فأجاب الوالد البدر رضى الله عنه :

لافض من رب القوافى فوه وأناله مولاه مايرجوه
فلقد أتانا منه نظم رائق فى قوله لو شاء ماقتلوه
لله درك لم تزل مترقياً فى العلم كل محقق تعلوه
لكن أراك إلى التعصب مائلا إن التعصب فى الهدى مكروه
لاغرو هذا دأب أبناء الورى إن جئتهم بالحق ماقبلوه
عجبت حين فرضت فى عثمان أن لو شاء أبو الحسنين ماقتلوه
إن كان هذا منك شيئاً قلته فالفرض فى الألفاظ قد دفعوه
أو كان هذا عن علىٍّ قلته فَأَيْنَ لنا سند الذى نقلوه
مااللوصى هناك قط مشيئة فى ذا الذى فعلوه أو تركوه
بل شاء أن لايقتلوه لو درى قطعاً بأن سيوفهم تعلوه
هو قاعد فى ينبع متبتل كاف بقول إلهه يتلوه
إن قلت هذا منه خذلان له قلنا الصحابة مثله خذلوه
إن قلت هذا مشكل من مثلهم قلنا لعل مناصراً فقدوه
فالنصر لايأتى بغير مناصر وبغيره فى الشرع قد منعوه
مع أنه قد أرسل الحسن الرضى لدفاعهم فبجهلهم دفعوه
طالع إذا أحببت صدق مقالتى ماقاله الذهبى ومايقفوه
هذا وأما قولكم إن قيل قو لك أولا لوشاء ماقتلوه
وإلى انتهاء مقالة نمقتموه أعنى ولكن غير ماطلبوه
فلقد سكبت على دلو مقالهم وأنا أوهمهم متى عرفوه

أبعثت لى نظماً عمرت بيوته ... وملأتهن بعين ماوهموه
وجعلته حقاً إذ أنا منصف ... وأمرتنى بأصخ لما نقلوه
عجباً لمثلك أن يرد مقالتى ... بمقالهم تبعاً لما خبطـوه
ونقلت للمولى الوصى مقالة ... فى مثلها يتعذر التوجيه
ما إن رضيت ولا كرهت وإنه ... لتناقض أقبلت ما قالوه
والحال أن العقل يكذب قولهم ... حاشا الوصى بمثل ذاك يفوه
أرضيت ينسب للوصى بأنه ... لم يكره الأمر الذى فعلوه
أجهلتم أن الموالاة التى ... وجبت ترد صريح ما قالوه
أم عندكم عثمان أضحى قتله ... شيئاً مباحاً إن ذا تمويه
راجع فدتك النفس ما لفقته ... واحـــذر مجازفة لما يرموه
فالدفو يفتقه اللبيب بسرعة ... ويعود بالخلل الذى رتقوه
وطلبتم منى اختيار محقق ... أهل العلوم بعصرنا تقفوه
من ذا إليه يشار بينه لنا ... هيهات أهل العلم قد دفنوه
ما غـير مولانا الذى بذكائه ... إن حل مظلم مشكل يجلوه
فهو المراد لكل بحث مشكل ... فإذا جهلتم مشـكلاً فسلوه
هو بحر تحقيق فإن أظماكم ... بحث فقوموا نحوه وردوه
لا زلتما بَحْرَىْ نَدًى ومعارف ... منكم ينال المرء ما يرجوه

* * *

وقال رضى الله عنه فى أسرار كلمة التقوى:

العلم فى قول لا إله إلا الله ... فأخلص وقل لا إله إلا الله
تظفر بما شئت إن نطقت بها ... فالخير فى قول لا إله إلا الله
كل من الأنبياء مطلبه ... من قومه لا إله إلا الله
يحقن دم الكافرين قولهم ... إن وفقوا لا إله إلا الله

ويعصم المال والبنين معاً … بقولهم لا إله إلا الله
يفتح باب السماء إذا صعدت … من قائل لا إله إلا الله
تهدم كل الذنوب إن رفعت … لقــائل لا إله إلا الله
يغسل مافى القلوب من درن … بقولنــا لا إله إلا الله
وتطمئن القلوب إن ذُكرت … من قائل لا إله إلا الله
طهره لسانا إذا لغوت بها … بقــولنا لا إله إلا الله
دواء داء الذنوب أجمعها … فى قولنــا لا إله إلا الله
مايجلو الهم والكروب سوى … مقالنــا لا إله إلا الله
حصن الإله المنيع ليس سوى … مقالنــا لا إله إلا الله
طاشت سجلات كل معصية … إن قابلت لا إله إلا الله
يأمن من كل آفة أبداً … من كان فى حصن لا إله إلا الله
بطاقة قد أتت محررة … فى طيهـا لا إله إلا الله
ومن يكن آخر المقال له … فى هذه الدار لا إله إلا الله
يدخل دار السلام يوم غد … بقـوله لا إله إلا الله
ولقنوا من إلى الممات غـدا … مرتحـلاً لا إله إلا الله
بكل هذا أتى الحديث لنا … فى فضل من قال لا إله إلا الله
يا رب واختم لنـا مقالتنا … بقولنـا لا إله إلا الله
واجعل ختام المقال عند ختا … م العمر إخلاص لا إله إلا الله
ثم على من دعى الأنام إلى … مقالهم لا إله إلا الله
أز كى صلاة مع السلام فكن … مصلياً بعد لا إله إلا الله
والآل والصحب مَنْ سيوفُهُمُ … قد أثمرت لا إله إلا الله
لولا سيوف الألى ما سُمِعَتْ … من كافر لا إله إلا الله

✲ ✲

وقال رحمه الله هذه نفثة مصدور ، وكلمة صادرة عن قلب من ضياع الشريعة محرور وفيها تفاؤل بمن يقوم بالدين ، ويحيي شريعة سيد المرسلين ، وفيها إيقاظ للهمم لوكانت نائمة ، ولـكنها ميتة ، لاترجى لها قائمة ، والجهاد باللسان أحد الأقسام ، نسأل الله قبول الأعمال وحسن الختام .

شكت بلسان الحال طول جفاها ... ونادت ولـكن من يجيب نداها
مشردة يلهو بها غير كفوها ... ويمنعها عن أهلها وحماها
وينكحها لا عن وليّ وشاهد ... على أنه كره بغير رضاها
لقد ظلمت إذ صار يلثم ظلمها[1] ... فتى ليس أهلاً أن يريد هواها
وكم من خطير كان أهلاً لوصلها ... وكان جديراً أن يقبل فاها
يُعَدّ لها مذ شب خير صداقها ... ويمنع عينيه لذيذ كراها
فيا غادة قد نالها من يسوؤها ... وطال عليها كربها وعناها
إذا أفلتت من كف مختلس لها ... تلقفها لص يطيل جفاها
سينقذها من بعد ذلك ماجد ... تسامى إلى نيل العلى فسماها
همام سيجلو عارها بحسامه ... ويلبسها من بعد ذاك حلاها
فتى همه التقوى وهمة نفسه ... أناخت على مريخها وسهاها
فتى قد جنى من كل فن ثماره ... وحاز من العليا رفيع ذراها
قريب إلى أهل الشريعة والتقى ... بعيد لمن يهدى بغير هداها
عفيف عن الأموال إلا بحقها ... يرى زهرة الدنيا نظير هباها
يحف به قوم على كل سابح ... تعد المنايا فى الحروب مناها
إذا الأرض من نقع المعارك أظلمت ... تراهم وقد أضحوا نجوم دجاها
ولا جمعوا مالاً ولا كسبوا لهم ... قصوراً ولا باهوا برفع بناها
وما ادخروا إلا حساماً وذابلاً ... ومهراً يبارى الريح عند سراها
وماقصدوامن سفكهم لدم العِدَى ... وتطويقهم بالسيف بيض طلاها

(١) قوله : ظلمها . هكذا فى الأصل ولعل الصواب « خدها » أو « فها » .

سوى أنهم يحيون شرعة أحمد ... ويدفون عنها داءها بدواها
سيغسل عنها السيف أدران بدعة ... فيشرق فى الآفاق نور سناها
وتنفذ فى الطاغى سهام قِسِّيها ... فويل لمن يهدى بغير هداها
فيا من لهم فى الدين أقصر همة ... ثـكلتكم كم بالمنى نتلاها
نرى كل يوم منكرات فظيعة ... فنعرض لا ننهى ولا نتناها
وما المرء إلا من على كل ظالم ... أدار من الحرب الضروس رحاها
وأوردهم حوض المنون بسيفه ... وضيق عنهم أرضها وسماها
تعالوا بنا نحيي رياضاً من العلى ... ذوت إن أحببتم لذيذ جناها
وهبوا فقد طال المنام عن العلى ... وقد سخنت عين تطيل كراها
وفكوا عن الأفكار قياد شغلها ... لتسبح فى عمرانها وخلاها
نرى عبراً فى طي كل دقيقة ... تزهدها عن شغلها بهواها
كفانا بأحوال المواهب عبرة ... ألم نر فيها بؤسها ورخاها
ألم نرها مملوءة بملوكها ... يضيق بهم منها رحيب فضاها
فما هى قفر ما بها غير بومها ... يجاوبها إن صاح صوت صداها
خليلى إن لم تأخذا بروايتى ... فعوجا على أرجائها وسلاها[1]
تخبركما عمن بنى غرفاتها ... وفارقها من بعده وسلاها
وما مات حتى ذاق سوء صنيعه ... وأصلى من نار الحروب لظاها
ووصف الذى قد كان تحصيل حاصل ... فكل رآها جهرة ورواها
سيلحقه من يقتدى بفعاله ... فما قريب فهو من قتلاها
فما الله عما تعملون بغافل ... ولـكن قضى أن الأمور مداها
ففى الذكر أخبار بسوء مآلهم ... وقد ضمنت طس[2] منه وطه[3]

---

(١) من السؤال .
(٢) وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .
(٣) وقد خاب من حمل ظلما .

بعيشكما رُدّا سلامي على امرئٍ ... على شرعة المختار رد رواها

* * *

وكتب رضي الله عنه إلى والده رحمه الله من شهارة سنة ١١٤٣ هـ وأرسلها إلى صنعا.

منعت عن مقلة الصب كراها ... غربة لم ماذا انتهاها
كلما قلنا عساها تنتهي ... قالت الأيام هذا ابتداها
ساعدتني وأجادت مقلتي ... بالبكا دهراً فلم يغن بكاها
ثم أثنى دمعها طول النوى ... وهو بحر زاخر لا يتناها
ياخليلي فهل عندكما ... مقلة تبكي ومن عيني شجاها
أي عين بالبكا تسعدني ... وتواسي أحسن الله جزاها
يارفاقا بـ «أزال» سكنوا ... هل أراكم بعد هذا وأراها
أنا يعقوب وأنتم يوسف ... وهي مصر فمتى تدنو حماها
يالها من بلدة طيبة ... ولكم طاب إلى قلبي هواها
مابتلك الدار قلبي مغرم ... أو بمن حل من القيد رباها
مالنفسي أرب في غيركم ... قربكم طول المدى أقصى مناها
قسما لولا ضياء الدين ما ... خطرت يوماً على قلبي ذراها
فهو روحي عجباً مني وقد ... غبت ماالموجب للنفس بقاها
ليس إلا حسن ظني أنه ... سوف يجلو الوصل من عيني غشاها
وأرى غرته في نعمة ... أملأ الأجفان من نور سناها
أي عين بيننا قد فرقت ... عجل الله تعالى بعماها
ياضياء الدين هل من دعوة ... تكشف الكرب إذا الكرب تناها
كم لكم من دعوة نافعة ... كشفت عن كل نفس ماعراها
ولها تفتح أبواب السما ... ويقول الرب سمعاً لنداها

وأرى جسم الهدى قد حله علة قـــد أعجز الخلق دواها
عمت الأبدان حتى لاأرى أحداً إلا ويشكو من أذاها
آه منها كل شخص قائل آه لو يغنى عن العلة آها
إن تطل لاقدر الله فما بعده إلا توارى فى ثراها
مالها غير طبيب واحد منه لامن غيره كشف بلاها
وبجاه المصطفى من هاشم أعظم العالم عند الله جاها
صلوات الله تغشاه بلا غاية تبلغ مقدار مداها
وعلى الآل مصابيح الهدى آل يس من الخلق وطه

* * *

ولما اطلع عليها القاضى العلامة إسماعيل بن محمد العبدى رحمه الله كتب إلى الوالد البدر أبياتا على وزنها فأجاب البدر رضى الله عنه .

كلمات منكم طيب شذاها عطر عطر من دارى رباها
ليت شعرى أنظام رائق أم مدام كان من رق أتاها
أم هو الزهر أم الزهر أفد أم رياض قد دنا وقت جناها
قسما ياغاية السول بها ما الفصول اللؤلؤيات سواها
قد أجازت بالدرارى كلى فأجادت أحسن الله جزاها
حبذاها كلمات بشرت بلقا أحباب قلبى حبذاها
وأتت صادقة فى فالها باجتماع لايفض الله فاها
كيف لايصدق فال من فتى صار فى أفق العلى بدر سماها
بحر آداب وعلم فلقد حاز من عين المعانى منتهاها
وتقى زين زهداً فى الدنا ووداد كامل فى آل طه

* * *

وكتب رضى الله عنه إلى الشيخ العلامة زين العابدين بن سعيد المنوفى رحمه الله وإلى أعيان من الإخوان فى مكة المشرفة والمدينة المنورة وأرسلها من شهارة فى شهر شوال سنة ١١٤٣ هجرية ثلاث وأربعين ومائة بعد الألف .

مهجة طول التنائى قد براها ترتجى ماتبتغى ممن براها
وتناديه تعالى إنه كرماً قد طالما لبى نداها
كل خير منه لامن غيره فسواه لايرجى لسواها
لست أرجو غيره يبلغنى طيبة الفيحاء إذ طاب فناها
بالرسول المصطفى من هاشم أرفع العالم عند الله جاها
صلوات الله تغشاه بلا غاية تبلغ فيها منتهاها
وعلى الآل مصابيح الدجى وعلى الأصحاب أعلام هداها
وإلى الإخوان من سكانها من أقاموا بين أحد وقباها
من سلامى ما إليهم ينتهى وعليهم دائماً لا يتناهى
من بهم هوج المطايا وحدت وطوت للبيد منشور فضاها
يابروحى تلكم العيس التى كم يدا سدت إلى الركب يداها
لم تزل تطوى الفيافى وإلى عرفات منتهى من قد طواها
حبذاها بقعة طيبة يلتقى الوفاد فيها حبذاها
وهم شعث وغبر وبهم ربنا سبحانه الأملاك باها
وأفاضوا بعد أن قضوا بها واجبات ربنا كان قضاها
وإلى جمع[1] سرى جمعهم وبها جمع الصلاتين عشاها
وعلى المشعر مروا ودعوا وبلبيك وسعديك دعاها
وغدوا بالسفح من شعب منى وبه الأنفس قد نالت مناها
يابروحى ذلك السفح الذى سفحت فيه من البدن دماها
حلقوا ماقصروا فى رميهم جمرات قد أصيبت بحصاها

(١) أى : المزدلفة .

وإلى مكة شدوا رحلهم بلدة لا تختلى منها خلاها
بلد لا يفزع الطير بهـا ويطير القلب شوقاً للقاها
عظم الله تعالى شأنها ودعى الخلق إلى قصد رباها
فهى مغناطيس ألباب الورى جذبت كل فؤاد بهواها
فسعيد من على أحداقه كان ممشاه إلى عالى ذراها
ليت شعرى ماالذى خلفنى عن رفاق نحوها طاب سراها
كتب الله تعالى أجرها ومحا عنها الخطايا بخطاها
ما اكتحلت النوم من بعدهم ليتنى كحلت عينى بثراها
عاقنى ذنب هو الداء وما فى سوى مكة للنفس دواها
فعسى الإخوان من سكانها أن يمدوا بالدعا حول فناها
أى كف بالدعا تسعدنى وتواسى أحسن الله جزاها
فاذكرونا مثل ذكرانا لـكم إن ذكراكم إلى النفس غذاها
وأخص الزين من زان العلى قرة الأجفان بل نور ضياها
فهو مقصود قصيدى وإلى قصده مدت إلى الشام مداها
من له فى مهجتى منزلة غيره ماحام من حول حماها
حاز آدابا وعلمـاً وله خلق ماالروض مازهر رباها
جامع كل صفات للعلى فهو فى جيد العلى عقد حلاها
لم يزل فى كل حين يرتقى رتب المجد فقد نال علاها
وكفـاه أنه فى حرم حله أشرف خلق الله طه
فى جوار القبر والروضة فى مهبط الذكرى وأنوار بهاها
دام فيها رافلا فى نعم ناشراً للخلق أعلام هداها
وإليـكم كلمـاً من فـكرة أضعف البين من النظم قواها
كنت أرجو أن نفسى تستشفى بأحاديث اللقا منك شفاها

وأرى الأقدار لم تسعدنى وعسى تسعدنى بعد عساها
وأجز نظمى بنظم إن فى نظمك العذب لنفسى مشتهاها
وتحيات على سوحكم تعبق الألوان من طيب شذاها

* * *

وكتب رضى الله عنه عند وقوفه على ترجمة وله :

هذى الطريقة ليت شعرى ماهى فلقد أتت بنفائس ودواهى
حيناً بوعظ للقلوب مذكر فيه الدوا لداء قلب ساهى
أتقوه أحياناً بذكر تراجم لجماعة ليسوا من الأنباه
ممن ثوى فى الصالحية أو ثوى فى طيبة ياحبذا هى ما هى
وجماعة حلوا ببلدتنا التى هى مجمع الأضداد والأشباه
وتراثه من كل فن نتفة لاتروى الظمآن والمتناهى
فمن التصوف نتفة مقطوعة ليست تفيـــد فما لها من جاه
وترى من التفسير والتأويل والتشريح ما لايرتضيه الفاهى
وبه مسائل ليس موسمها هنا قد شبهت فى تلك بالتواه
هذى مرقعة علينا رقعت فالآن ألبسها بلا أشباه
إذ وضعها فى الأصل ترجمتى وما ألفت من كتب بفضل إلهى
لـكن تجاوز ما أراد وجاءنا بمباحث يلهو بهن اللاهى
فتضيع ترجمتى وما ألفته كضياع عمري فى ارتكاب مناهى
آه على عمرى الذى ضيعتـــه وأتيت فى أيامه بدواهى
أبُنَىَّ إنى ناصح لـكن لاتـكن كأبيك عن أخراه كالمتلاهى
مالى وللدنيا فإن نعيمها فان وإن زمانها متناهى
يارب عفواً فالذنوب عظيمة والخطب أعظم فى القلوب سواهى
فاغفر ولاطف وارحم العبد الذى مازال يرجو من عظيم الجاه

خير الأنام شفاعة لمحمـــد من لم يكن لهواه يوماً ناهى
ثم الصلاة على الرسول وآله ما دارت الألفاظ فى الأفواه

* * *

وقال رضى الله عنه مجيباً على الوالد العلامة القاسم بن يحيي الأمير رحمه الله فى جمادى الأول سنة ١١٨١ هـ :

أهلا بها بنت فكر طال مسراها إلى الرياض فأحياها محياها
وافت ونار اشتياقى تلهبهـــا إلى لقاها فيابشرى بلقياها
ما كنت أحسب أن الدهر يسعدنى بقربها ويساعدنى بمرآها
ياحبذا روضة غناء من أدب نهر البلاغة أسقاها وأرواها
ولم يزل يتمشى فى حوائطها فلفظها طيب فيـه ومعناها
لقد أغاضت رياض الكرم حين أتت وقد سقتها سماء اللطف أمواها
وإنما الكرم للأشياخ فاكهة وهذه الروح للأرواح أقواها
أدر كؤوس نظام كله نخب كادت تمد له الأرواح أفواها
شنف بها كل سمع ولتكن حذرا من أن تعربد سكراً من حمياها
نجل العماد أتانا منك نظم على علا على ذروة العلياء أعلاها
نظم تجل عن التشبيه رتبته وبكر شعر رأينا منه أشباها
شابهت أسلافك الذين رقوا من الفضائل أعلاها وأسناها
لازلت ياعلم الأعلام قادتهم فى منهج الحق تقفو المصطفى طه
فدع وودع سوى أقوال قدوتنا أعلى العباد لدى خلاقهم جاها
صلى الإله عليه كل آونة والآل أعيان أدناها وأقصاها

* * *

وقال رحمه الله مجيباً على الفقيه الصالح محسن بن نصر الهزمى رحمه الله بعد وصول كتاب منه من مدينة حلب :

سلام على تلك الديار وأهلها ... ديار بعين القلب صرت أراها
لئن بعدت عنا وشط بها النوى ... فما شط عن قلب المحب هواها
فما لذ لى شىء سوى ذكرها ولا ... تملك قلبى المستهام سواها
سقى حلب الشهباء كل سحابة ... تحل على الروض الأريض مياها
سقى ساكنيها من أولى العلم والهدى ... وكل تقى حل فى سوح فناها
سحائب تسليمى وأشفى تحيتى ... إلى سوحهم تنهى ولا تتناها
ففيهم زكى صادق الود والإخا ... إذا نسبوا العليا كان أباها
فيا محسن أحسنت فيما قصدته ... و بلغت منك النفس فوق مناها
عن اليمن الميمون سافرت قاصداً ... لنيل المعالى بعد نلت علاها
ولم ترض مصر للمقام بسوحها ... وعرجت عنها طالباً لسواها
ولا قيت كل العارفين بسفحها ... وكل كريم ساكن برباها
فما الناس إلا أهلها لا سواهم ... وما الأرض إلا أرضهم وهواها
فأبلغهم عنى سلاماً مضاعفاً ... سرى من ربى صنعا بطيب شذاها
تزورهم فى كل يوم وليلة ... وتشرق منها أرضها وسماها
وتزهو بها الشهبا على كل بلدة ... ويظهر منه نورها وسناها

* * *

وقال أنزله الله الفردوس آمين :

قيل إن الذباب لم يقرب المخـ ... ـتار يوماً كلا ولا داناه
وعجيب هذا وذوو الذوق قالوا ... كل حلو فى الكون دون حلاه

* * *

وكتب رضى الله عنه إلى والده العلامة الزاهد إسماعيل بن صلاح الأمير قدس الله روحه من حصن الظفير فى سفره إلى بيت الله الحرام سنـة ١١٣٢ هـ اثنين وثلاثين ومائة وألف :

أبثك أنى ما وجدت مشقـة ولم أرفى الأسفار ما كنت أخشاه
ومن ركب الأشواق لم يَرَ شُقَّةً وإن عطبت فى كـل نجد مطاياه
ومن كان ذكر الله زاد رحيله كفاه عن الزاد المجازى وأغناه
ومن كان بيت الله غاية همه فطوبى له إن نال ما يتمنـاه
فياليت شعرى هل أنادى محرماً بلبيك ربأ ليس يغفر إلا هو
وهل لى إلى البيت العتيق وركنه طواف وتقبيل ومسح محياه
وفى عرفات هل أرانى واقفاً كذى صخرات فاز من كن مأواه
وهل يقبل الرحمن حجى قائلا سمحنا عن العبد المسىء خطاياه
فجودوا علينا بالدعاء تفضلا وقولوا أسير الشوق فى حفظ مولاه

* * *

وقال رضى الله عنه فى ختم إجازة للشيخ العلامة ناصر بن الحسين المحبشى وأخيه العلامة إبراهيم بن الحسين رحمهم الله ثم ختم بها عدة إجازات :

أجزتـكما ياأهل ودى روايتى لمـا أنا من علم الحديث أرويه
على ذلك الشرط الذى بين أهله وفى شرحنا التوضيح تنقيح مافيه
فأسند إلينا بالإجازة راوياً لغير الذى منى سمعت سترويه
وإن تَرْوِ عنى ماسمعت فاروه بـ «حدثنا» الشيخ المشافه من فيه
كذاك أجزنا مالنا من مؤلف إذا كنت تقريه وعنى ترويه
ألا واعلما والعلم أشرف مكسب وقد صرتما شمسين فى أفق أهليه
بأن أساس العلم تصحيح نية وإخلاص ماتخفيه منه وتبديه
وبذلـكما منه لما قد عرفتما وحققتما من لفظه ومعانيه
مع الصبر فى تفهيم من ليس فاهما فـكم طالب عد الجلى كخافيه

وأوصيكما بالصبر والبر والتقى فهذا الذى بين الأنام تواصيه
به أمرتنا سورة العصر فاشكروا لمولا كما ماجا كما من أياديه
وأن تلزما فى الاعتقاد طريقة لأسلافنا من غير جبر وتشبيه
فمضوا عليها بالنواجذ واصبروا فقد فرق الناس الكلام بما فيه
ففيه الدواهى القاتلات لأهلها وكم فيه من داء يعز مداويه
فكم مقصد تحوى المقاصد مظلم وكم موقف تحوى المواقف تخزيه
كذلك الغايات غايات بحثها شكوك بلا شك ومن غير تمويه
فياحبذا القرآن كم من أدلة حواها لتوحيد وعدل وتنزيه
فما كان فى عهد الرسول وصحبه سواه دليلا قاهراً لأعاديه
فلا تأخـــذا إلا مقالته التى تنادى إلى دار النعيم دواعيه
عسانا نلبى من دعانا إلى الهدى ننل غداً من ربنـا ما نرجيـه
وما خلتماه مشـكلا متشابهاً فقولا وكلنـاه إلى علم باريه
وقف عند لفظ الله والراسخون قل هو المبتدا ما بعده خبر فيـه
وعندى فى ذا فوق عشرين حجة ولا يستطيع النظم حصر معانيه
فقد ضل بالتأويل قوم جهالة ويعرف ذا النقاد من غير تنبيه
فعطل أقوام وجسّم فرقة وفاز امرؤ ماحام حول مبانيه
أتى كل ما فيه من الأمر تاركا ومجتنباً إتيـانه لنواهيـه
وقد صير الكشاف جل كلامه مباحث تنفى كل داء وتشفيه
وفيه ويالله درُّ كلامه تعالى مجازاً فاحذر من دواهيه
خذا واتركا منه وكل مؤلف كذلك فيه ما يروج وما فيه
وليس سوى الرحمن يجذب عبده إلى كل ما يرضيه منه ويهديه
أقيما على باب الإله وداوما على قرعه فهو المجيب لداعيه
ودونكما نصحا أتى فى إجازة ودأبى نشر العلم مع نصح أهليه

ولا تنسيانى من دعائكما عسى ... عسى دعوة تشفى الفؤاد وتحييه
وتهدى إلى حسن الختام فإنه ... مُنَائى[1] الذى أدعو به وأرجيه
وأحمد ربى كل حمد مصليا ... على أحمد والآل أقمار ناديه
ورضٍ على أصحاب أحمد متبعا ... لتابعه أهل الحديث وراويه

* * *

قافية الياء

وقال رضى الله عنه مادحا أمير المؤمنين وسيد المتقين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وسماها « التحفة العلوية » وشرحها بشرح نفيس سماه « الروضة الندية »

تحفة تهدى لمن يهوى عليا ... من رقى شأوا من المجد عليا
وتحيي كل حى صادق ... قلبه معزى بمن حل العزيا
وتنادى كل ناد حافل ... بلسان تنشر المسك ذكيا
لمن يكن من مسك دارين وقد ... ملأ الدارين عرفا معنويا
ضمخوا أسماعكم من نشره ... وارشفوا كأسا من النظم رويا
يا إماما سبق الخلق إلى ... طاعة المختار مذ كان صبيا
باذلا للنفس فيما يرتضى ... سيد الرسل صباحا وعشيا
فرقى فى مكة أكتافه ... فغدت أصنامهم منه جثيا
كاد أن يلمس أفلاك السما ... ويلاقى كفه كف الثريا
وفداه ليلة همت به ... فتية تابعت الشيخ الغويا
بات فى مضجعه حين سرى ... يا بروحى ساريا كان سريا
خاب ما راموا وهب المرتضى ... ونجى المختار يطوى البيد طيا
والأمانات إلى أربابها ... عنه أداها ووافاه بريا
كان منهما نافذا حين مضى ... وعلى الأعداء سيفا مشرفيا

---

(١) قوله : منائى كذا فى الأصل وفى نسخة « مرادى »

من بـ « بدر » فلق الهام وقد ... هام فى الشقوة من كان شقيا
وبـ « أحُدٍ » حين شبت نارها ... فتية كانت أولى بها صليا
وابن ودٍّ من ترى قطّره ... وهو ليث كان فى الحرب حريا
وانشر الأخبار عن « خيبر » يا ... حبذا فتح بها كان سنيا(١)
وأبو السبطين يشكو جفنه ... وبريق المصطفى عاد بريا
ثم أعطاه بها رايتــــه ... بعد أن بشر بالفتح عشيا
ذاكرا أوصاف من يحملها ... فتمنى الكل لو كان عليا
قدحى الباب وأردى مُرْحِباً ... بعد أن صارع فيها قَسْوَرِيًّا
ثم كان الفتح والنَّىْءُ بها ... واصطفى المختار من تلك صفيا
و « حنيناً » سل بهـا أبطالها ... كم بها أردى من الكفر كميـا
وسل الناكث والقاسـط والـ ... مارق الأخذ بالأيمان غيـا
وقضـايا فتكه لو رمتهـا ... رمت مايعجزنى لو دمت حيا
وهى فى شهرتها شمس الضحى ... هل ترى يجهل للشمس مُحَيَّا
وكذا ماخصــه الله به ... من خصال حصرها لايتهيا
من سواه كان صِنْوَ المصطفى ... أو سواه بعده كان وصيا
وأخى قال له خــير الورى ... وهو أمر ظاهر ليس خفياً
وكـ « هارون » غـدا فى شأنه ... منه إلا أنه ليس نبيـا
وبـ « عيسى » صح فيـه مَثَلٌ ... فسعيداً عـد منهم وشقيا
وغداة الطـير من شاركه ... فيه إذ جاء له الطير شويا
وعايه الشمس ردت فغـدا ... أفقها من بعد إظلام مضيـا
وبـ « خم » قام فيهم خاطبـاً ... تحت أشجار بها كان تقيـا
قائـلا من كنت مولاه فقـد ... صار مولاه كما كنت عليا

(١) وفى نسخة « بهيا » بدل : سنيا .

والذى زكى بما فى كفه راكعاً أكرم به براً زكيا
ونفاقا بغضه صح كما حبه عنوان من كان تقيا
باب علم المصطفى إن تأته فهنيئاً لك بالعلم مريا
فهو بحر عنه فاضت أبحر فاغترف منه إذا كنت ذكيا
كم قضايا حار صحب المصطفى عندها أبدى لها حكماً جليا
ولكم ظمآن وافى بحره فغدا من بحره العذب رويا
كل علم فإليه مسند سنداً عند ذوى العلم عليا
من سواه وضع النحو وقد راعه لحن بمن قد حاز عيا

* * *

ولما اطلع على هذا المقدار والده المولى العلامة الزاهد إسماعيل بن صلاح الأمير رضى الله عنه . قال مذيلا لها :

ويدور الحق معه حيثما دار فافهمه حديثاً نبويا
وإختصاص الله بالزهرا له لسواه مثله لم يتهيّا
فغدت عترته من أجلها عترة المختار نصاً أحمديا
وغدا السبطان والآل إذا نسبوهم نبويا علويا
وبه باهل طه إذ أتى وفد نجران إذا كنت غبيا
وإذن سماه طه نفسه ياله مجداً به خص سميا

* * *

إلى هنا من الذيل وقال الوالد البدر رضى الله عنه :

معرض عن هذه الدنيا يرى مقبلا إن كان أمراً أخرويا
ما ارتضى الدنيا ولازهرتها وأثاثا حسناً فيه وريا
قائلاً أنت ثلاثا طالق قالياً وشياً عليها وحليا
والبلاغات إليه تنتهى نهجه فيها يرى النهج السويا

إن رقى المنبر يوماً خاطبا   عاد سحبان لديه بَاقِليّا
حِكَمُ اليونان والفرس معاً   ماتدانى منه لفظاً علويا
لازم المحراب والحرب إلى   أن أتى أشقى الورى الأمر الفريا
ومضى نحو جوار المصطفى   حبذا دار وجار قد تهيا
قائلات حورها حين أتى   مرحباً أهلا بذا الروح وحيا
ومضى الأشقى إلى قعر لظى   يتصلاها غدواً وعشيا
عاقر الناقة فيها جاره   ليس جار الأشقيا إلا شقيا

* * *

ثم قال والده الضيا رحمه الله مذيلا :

ثم قل من يسقى الخلق إذا   وردوا فى الحشر ماء كوثريا
ولواء الحمد من يحمله   غيره أكرم به فخراً عليا
قل من المدح بما شئت فلم   تأت فيما قلت شيئاً فريا
كل من رام يدانى شأوه   فى العلى فاعدده روما أشعبيا
كتمت أعداؤه من فضله   ما هو الشمس فما يغنون شيّا
زعموا أن يطفئوا أنواره   وهو نور الله ما انفك مضيا
كلما للصحب من مكرمة   فله السبق تراه الأوليا
جمعت فيه وفيهم فرقت   فلهذا فوقهم صار عليا
نال ما قد نال كل منهم   والذى سابقه عاد بَطِيّا
وكفـــاه كونه للمصطفى   ثانياً فى كل ذكر وصَفِيّا
صلوات الله تترى لهما   وعلى الآل صباحاً وعشيا

* * *

وله رحمه الله تعالى :

قال لى من نال من ذى سطوة　　خطوة زاد بها كبراً وغيا
هو مثل البحر أو ماذا ترى　　قلت لكن لستني أدرك شيًّا

* * *

وقال تغشاه الله برحمته مجيباً على المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله عن أبيات تهنئة بالعود من مكة المشرفة عارض بها تهنئة للبدر من شيخه العلامة الزاهد صلاح بن حسين الأخفش رحمه الله :

أشموس من المعانى مضيه　　أم فصول منظومة لؤلؤيه
أم رياض كسى الربيع رباها　　فتغنت أطيارهـا البلبليه
أم عيون للنرجس الغض تسرى　　بالعيون الـكحيلة البابليه
أم هو السحر سالباً لعقول　　لم تـكن عندها العصى الموسويه
قسما لو رأته يوماً زليخا　　لتناست محاسنا يوسفيه
أو رأته نســاؤه تقطعـ　　ـن أ كفاً من دهشة شعريه
ولقالت حاشا الإله فما هـ　　ـذا نظام بل ذا شموس مضيه
بل مدام من النظام أديرت　　فى كؤوس البلاغة العربيه
أضياء العلى بعثت بنظم　　صغته من كوا كب دريه
فأتانا عقداً تتيه به الدنـ　　ـيا وتغدوا بسمطه محليه
وتسامى السماء بذاك افتخاراً　　وتهنى ديارنا اليمنيـه
إن تقدر أن المعالى جسم　　كنت روحاً لذاتها الجوهريه
فلعمرى ما قد رأيت نجيباً　　من نجيب من عصبته ملـكيه
مثل نجل العزى ننظر إنسا　　نا ولـكن صفاته ملـكيه
حاملا راية الذكاء تراه　　ناشراً للمباحث المطويه

ناطقاً عن فصاحة وبيان … كاشفاً للدقائق الفلسفيه

طاهر الذيل ما تصابى للهو … إنما لهوه العلوم العليه

نال منها مع حداثة سن … رتبة القطب شارح الشمسيه

وسواه قد شيب الفود منه … وهو فى رتبة القصور الدنيه

لك فى مركز المعارف ملك … نِلْتَ فيه المباحث السعدية

وترقيت رتبة لابن سينا … حاز فيها القواعد المنطقيه

ولعلم الخليل صرت خليلا … مرشداً بالفوائد النحويه

ولروض النظام أنت هزار … تترقى تلك الغصون النديه

تجتنى طيب المعانى منها … ثم تسبى بها العقول الزكيه

ولحسن الأخلاق والجود أصبحـ … ـت إماماً مقلداً فى البريه

دمت فى نعمة وأطيب حال … فائزاً بالمباحث العضديه

غائصاً فى البحار تستخرج الد … ر وتأتى بها إلينا هديه

إن أحلى هديتى عند مثلى … نكتة فى العلوم تأتى سريه

وسلام على معاليك منى … ما تغنت فى روضها قُمْرِيّه

* * *

وقال أسكنه الله بحبوحة جنته ولم أعلم إلى من وجهها :

سرى طيفها ليلاً وما كان ساريا … ووافى وقد ألقى الظلام المراسيا

وقد عميت عنه العيون فلم يخف … عذولاً ولم يحذر هنالك واشيا

رثى لى لطول الاغتراب ورق لى … وما كان لى قبل التباعد راثيا

طوى لوصالى كل أرض وبلدة … وسهلاً وحَزْناً بيننا وفيافيا

وبات نديماً لى وبتّ أبثُّهُ … حديث النوى حتى بكى لاغترابيا

فلم أر طيفاً قبله كان باكياً ولم أر مثلى فى المحبين شاكيا
سقى ليلة قد زارنى ليت أنها تدوم وأن الصبح ما كان آتيا
وأن سواد القلب والعين زاد فى سواد الدجى فيها وليل سنائيا
ولكنه داعى الصباح كأنه كتاب لفخر الدين قد جاء شافيا
شفى قلب صب كان من طول هجره عليلاً وقد أعيا الطبيب المداويا
كتاب شفى قلبى وأنس غربتى وجدّد أنسًا كان بالبعد بالياً
يذكرنى أيام وصل تصرمت أفخر الهدى ذكرت من ليس ناسيا
بروحى أفديه زماناً مضى لنا ونحن على حال تغيظ الأعاديا
وهيهات لا أنسى إخاك وخلقك الـــذى تملك منى مهجتى وفؤاديا
وأبلغ أخى عز الكمال ومن له بقلبى محل لا يرى عنه خاليا
سلاماً إلى أن يجمع الله بيننا ويدنى لنا بعد البعاد التلاقيا
وحق إخاه لست أنسى وداده وحاشا لمثلى أن يرى عنه ساليا
بقيتم لنا فى نعمة وسعادة وعز وإقبال يغيظ الأعاديا
ويخدمكم منى السلام مؤبداً يوافى إذا هب النسيم اليمانيا

* * *

وقال رضى الله عنه فى شبيه المصطكى عند طفوه على القهوة :

شبهت ما دارت به من قهوة فى الصينيه
والمصطكى من فوقها مثل السلوس المطليه
سلاسل من ذهب على جبين تركيه

انتهى ما جمع على الحروف و يتلوه منظومات ومنشورات أدبية .

* * *

اتفق تواعدمولانا البدر رضى الله عنه والمولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق وأعمامه رحمهم الله للخروج إلى بئر العزب فى يوم الخميس .

فخرج مولانا البدر إلى مفرج الشيخ سعيد بن محمد المنوفى رحمه الله يوم الأربعاء والخميس وتخلف الجماعة .

فكتب إلى المولى إسماعيل بن محمد رحمه الله :

مولاى قد أحسنتم   فيما له فعلتم
من عدم الخروج   إلى رُبَى المروج
فهل لقول هادى   مسلسل الإسناد
قد كان ترك المولى   يا ليت شعرى أم لا
أما المحب الصادق   والصاحب الموافق
فهو لضعف السند   ما زال فى تردد
فى الأربعاء قدخرج   وفى الخميس قدولج
إلى رياض نضره   تحسبها معطره
من أرج الأزهار   كالغادة المعطار
إن تسألوا يا سيدى   عن وجه ضعف السند
ومن من الرواة   ليس من الثقاة
فاستمعوا من أدبى   نقداً كنقد الذهب
ليس سوى الخميس   خصوه للنفوس
لقصد روح النفس   من طول كد الدرس
فمفرج الكحلانى   من جملة الجنان
إن قسته بالماضى   يحكم فى ذا القاضى
عَلِىٌّ الأديب   وشيخنا الأريب
من فر نحو الخيمه   من كرب تلك الديمه
باب ومنه يخرج   يوصف فيه مفرج

سيده سعيد العالم المفيد
على الطراز المحكى فللجنان يحكى
فليس له نظير قال به الجمهور
لما به نزلنا لكربنا أزلنا
وزهره مُنَوّع والطير فيه تسجع
نهاره أصيل وظله ظليل
وكم أمور عدة تغار منها حدة
والنهر فيه جارى ينساب فى المجارى
ما فاتنا فيها سوى حضور مولانا الضيا
مدير كأس الأدب فهو قصارى أربى
لا يكمل الأنس لنا بغيركم ولا المنى
إن فاتنا لقياكم جالسنا ذكراكم
لذاك قد نظمنا هذا الذى رقمنا
قصداً إلى الإتحاف لسيد الأشراف
وكل هذا ذاهب وهو خيال كاذب
طوبى لمن مرماه فى أمره أخراه
أستغفر الله لما أجريت فيه القلما
من كلم لا ينفع وعمل لا يرفع
وأبلغ السلاما الملك الهماما
والدكم عز الهدى وصنوه سُمُّ العِدا
وسائر الأعمام السادة الكرام
ثم الصلاة ما شرى برق على أم القرى
على النبى المصطفى وآله أهل الصفا

وقال رضى الله عنه أيام خطـابته بجامع صنعا واعظاً لنفسه ، على وزن أبيات للعاملى ذكرها له ابن معصوم فى سلافة العصر :

محمد كم وعظت وما اتعظنـــا   وكم أسمعت لـكن ما سمعنـــا
تقوم على المنابر كل وعـــد   تذكر بالوعيد وكل وعد
وأنت بمعزل عن ذا وهذا   فقل لى ما اتخذت لك الملاذا
وقلبك غافل عما تقــــول   جموح فى وساوسه يجـــول
فكم نبهت طرفاً كان نائم   وكم أيقظت قلباً كان هائم
وطرفك فى مهاوى اللهو راقد   وقلبك فى مقام السهو قاعد
إلى كم ذا التعامى والتغابى   إلى كم ذا التصبّى والتصابى
وقد نادى المشيب على الرؤوس   بجيهل الرحيل إلى الرموس
محمدكم خليـــل قـــد دفنتا   وكم حبر عليم قـــد فقدنا
وتضحك مِلْء فيك بلا احتشام   وهمك فى شراب أو طعـــام
أراك وأنت فى سن الـكهوله   كما قد كنت أيام الطفوله
وودعت الشباب وقـــد تولى   وسلطان المشيب عليك ولى
أَبِنْ لى ما تقول إذا وقفتـــا   وقد أحصى كتابك ما فعلتـــا
أبن لى أين إخوان كـرام   تقضّى بعـــدهم عام فعـــام

انتهى الموجود منها هنا .

* * *

ووصل إليه سؤال من المولى العلامة إسماعيل بن إسحق رحمه الله أرسله إلى شهارة وهو معتقل بقصر صنعا . ولفظه :

وبعد حمد الله الذى له الأسماء الحسنى ، والصلاة والسلام على من ندب إلى محاسن الأخلاق . وله منها المقام الأسنى .

فهذا سؤال يفتح من الأبحاث الأدبية ما هو أرق وأعذب من الماء السلسال ، ويجتنى به من فواكه الآداب مايستجلى ويستملح إذا تأمل المسئول أطراف السؤال ؛ وتلطف فى دفع الأشعار .

=

فنقول : ماذا يقول من جمع محاسن الآداب ، ورقى من المفاخر ما تقصر عنه رتبة الشمس والبدر والشهاب ، فى رجل رماه الدهر بالخطوب فما أخطاه وبالله ما أصاب ، وقابل إحسانه بالإساءة إليه وأين حلاوة الشهد من مرارة الصاب ، وقد تسلى فى بعض أوقاته بنظم رقائق الأشعار ، ويتلاها عند تذكر الأحباب . وأوطانه التى مضى بها شبابه الغض ونقصت فيها الأوطار ، فنظم أبياتاً قد ضربت مع الإبداع بكل سهم ، واشتملت على رقائق المعانى ، فأخذت بمجامع القلوب من أهل الذكاء والفهم ، كقوله فى صفة من يهواه . وهو أعدل شاهد على صدق دعواه .

هيفــاء كل الوصف عنـ ـد جمالها تحصيــل حاصل
كملت محاسنها فمـا وجدت محالات لقائل
لولا أرى الغزل الرقيـ ـق يروق فى الظبى المغازل
ما قلت حرفاً فالجمـا ل بوصفهما كافٍ وكافل

* * *

وكقوله وقد أبدع فيما يسميه أهل البديع بنوع التفريق ، وأنه مما يسلم له وعليه البدر ويستعبد له البديع إذا دخل إلى سوق الرقيق ، عند التغزل بطلعة المحبوب الذى لا ترضى محاسنه أن يقال كأنه البدر ، وفى قده ، الذى لا يليق أن يشبه بالغصن النضير ، فرشاقة ذلك القد ، أرفع من ذلك القدر ، وفى فرعه الذى لا أصل لقياسه بالليل فى سواده ، وأين ما تضرب الأمثال بوحشته من ذلك السواد الذى هو لكل إنسان غاية مراده ، وأنس فؤاده ، وهو :

إن قلت طلعتها كمثـ ـل البدر يبدو وهو كامل
قالت محاسنهـا فأيـ ـن الطرف يروى سحر بابل
أو قلت كالغصن النضـ ـير الرطب أو ظبى الخمائل
قالت لنا منهـا الحلى هل يستوى حال وعاطل
أين القلائد والمنـا طق والملاطف والخلاخل
أو قلت سود فروعها كالليـل لم أظفر بطائل
فالليـل لم ينشر على رمح من البلوْرِ ذابل

وكقوله واصفاً لما يقع عند مفارقة الحبيب مع الوصال من الدل ، ولأنه لا يدل أحلى فى الغوانى من ذلك وأنه على الجمال لأقوى شاهد وأدل .

لا عيب فى مر الدلا ل يكون فى حلو الشمائل
إن الدلال على الجمـا ل أراه من أقوى الدلائل

* * *

ثم إنه بعد أن نظم هذه القصيدة التى شرح بعض أبياتها ، أرسلها إلى بعض الأفاضل ، وأراد أن يعرضها عليه ليزداد شرفها بمقامه الذى هو محط ركاب الفضائل ، فما أقبلت إلا وقابلها بالتمزيق ، ولا وصلت إلا وأصلى وصلها فى النيران ، وحسبك بذلك التجرى فى عذاب الحريق ، ومارعى حق مرسلها وماله من ود صادق ولا ولا . . ولا أشفق عليها من شماتة الحساد ، فنعوذ بالله من شماتة الحساد ، وجهد البلا .

هذا بعض ما شرحه السائل مما اتفق ، وقطعه مما تقطع من أكباد القصائد مع التلهف والفرق .

فأفتونا مأجورين ، ماذا يلزم فى شرعة الآداب عن هذه الجناية ؟

ولله الحمد والشكر والثنا على كل حال ، فى البداية والنهاية ، والصلاة والسلام على محمد المصطفى وآله الأعلام ، أهل المروة والصفا .

فأجاب الوالد البدر رضى الله عنه :

الحمد لله المؤدب بأحسن الآداب ، والصلاة والسلام على من قال: « إنه لا يعذب بالنار إلا رب الأرباب» ، وعلى آله الذين آدابهم ألطف من نسمة السحر فى الروضة الندية ، ومفاكهتهم ألذ من الحدائق الوردية .

وبعد : فإنه ورد إلينا سؤال دامع العين ، لاطماً للخدود ، قائلا إن يتيمة الدهر قد أوردت النار وبئس الورد المورود ، طالبا للجواب فيما يلزم من ارتكب هذه العظيمة ، وما جزاء من عذب بالنار تلك اليتيمة .

فأقول : إن صح ما قاله من تحريق تلك العذراء التى من الحور العين ، ومن إلقائها فى النار كأنها من قرناء الشياطين ، فأقسم بدمية القصر ، مقلدة بقلائد العقيان وسلافة العصر ، يديرها الفتح بن خاقان ، لقد أذوى ريحانة الأدب وروضة المشتاق ،

بما ارتكبه من عظيم التمزيق والتحريق والإحراق ، وأقلعت سحب الغيث الذى انسجم ، وصاح ديوان الأدب : يالله للمسلمين ، أيهان فيما بينكم الأدب ويهتضم .

يا للرجال أما للنظم منتصر يهان عند ذوى الآداب منصبه

وأنها لما سمعت كتب الأدب هذا السؤال ، اقشعرت جلودها ، وعلمت أنها بعد ذلك فى النار يطول خلودها :

إذا كان هذا فى العذارى فعالكم فكيف بمن خط المشيب برأسه

قالت ولو صدر هذا من غير أهل الآداب ، لكان للصبر مجال ، وقلنا لا ننكر تعذيب الأدب من الجهال .

ولما سمع بذلك الإسعاف ، وهو من أولى الحلم والإنصاف ، أكثر التلهف ، وأطال فى عض أناملة التأسف ، وأنشد :

ولو شئت أن أبكى دماً لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

ثم إنه نظر إلى « معاهد التنصيص » وقال له إن وقوع هذا فى هذه الديار من أعظم التنغيص ، فهل عندك من رأى يستمد ، أو نظر عليه يعتمد ؟

فقال : أتسألنى وأنت بطريق نجد أدرى ، ومنك يستمد الكشاف والبيضاوى فأنت أرفع منى قدراً .

فقال : أرى أن نهتف فى الدواوين والمقامات ، ونعلن فيها المقالات ، بأن تجتمع الأسفار ، وتتأهب للأسفار من هذه الديار .

إذا صديق نكرت جانبه لم تعيني فى فراقه الحيل
فى سعة الخافقين مضطرب وفى بلاد عن أختها بدل

ونرحل من اليمن ونارها ، ونبادر قبل أن تحرقنا بشرارها .

فإن جفوتم فأرض الله واسعة لا الناس أنتم ولا الدنيا خراسان

فقال له : أقسم بسقط الزند ، ومعجز أحمد ، لقد جئت بالرأى الأسد ، الذى ليس سواه يحمد .

إنا بعثناك تأتى القول عن كثب   فجئت بالبدر لياحا من الأفق

وما أراه كان الإيمان يمان ، إلا فى زمن سيد ولد عدنان ، ولا قال صلى الله عليه وآله وسلم « إنى لأجد نفس الرحمن من اليمن » إلا فى ذلك الزمن ، ولقد شغفنا بسكناه إذ كان داراً للأدب ، وأما الآن ، فقد عادت جنات أدبه ناراً ذات لهب .

كنت شغوفا بكم إذ كنتم   شجراً لا يبلغ الطير ذراها

فتراخى الأمر حتى أصبحت   هملا يطمع فيها من رآها

لا تظنوا لى إليكم عودة   كشف التجريب عن عين عماها

ثم هيئت السفن لركوب البحار ، وشدت الركائب للأسفار .

ولما رأت ذلك الكتب النحوية ، قالت : ما هذا الاجتماع مع الكتب الأدبية .

فقال بعض كتب الأدب ، منشداً لها . وقد أصابه كرب من اغترب .

غداً يكثر الباكون منا ومنكم   وتزداد دارى عن دياركم بُعْدَا

فهتفت الفوائد الضيائية بلسانها المثنى، مهتدية بالنجم مستنصرة بالمغنى، قائلة للعجب، ولما اجتمعت عليه كتب الأدب : ألستم لنا بشواهد ، وبكم نزف إلى الأذهان خرائد الفوائد ، وعليكم شيدت شامخات القواعد ، فما هذا الرحيل ، والتعطيل لنا عن الدليل والشاهد .

فأجاب ديوان الصبابة ، وقد كان شهيراً بالإصابة : بلى إن لها منها عليها شواهد، فهل منكم لنا من مساعد ؟ فإن كتب الأدب قد أهين فناؤها ، وحرق ــ بعد التمزيق ــ إهابها .

فقالت : نعم ، نحن لكم المقصد فى بلوغ الغاية ، وننيلكم من الانتصاف النهاية ، ونستنصر منكم منثوراً ومنظوما ، ونعمل بالحديث « انصر أخاك ظالماً أو مظلوما » .

فقالت شواهد العينى : يا كتب النحو أى نفع لكم فى هؤلاء الشهود ، وقد فعل بهم ما فعله بالمؤمنين أصحاب الأخدود ، وأى جرح أعظم من إصلائها النار ذات الوقود ؟

فعند ذلك قالت عمدة ابن رشيق ، وكانت جديرة بالتوفيق ، عليكم بالأناة وترك الاستعجال ، والنظر فيما يجاب به السؤال ، فقد قال من قال :

قد يدرك المتأنى بعض حاجته   وقـد يكون مع المستعجل الزلل

* * *

فقد بلغنا أن عند المجيب فى ذلك تفصيلا ، فعساه يشفى به عليلا ، ويروى غليلا .
فقالوا : هات مالديه من تشنيف المسامع ، ولنابذلك بالله من جمع الجوامع .
فقالت : إنه يقول إن كان هذا الممزق المحرق ، والملهب نيران الأوراق بفعله القلق ، ممن شارك السائل فى الإصابة بسهام الأقدار ، وأدار عليه الدهر ما أداره على السائل فى الإيراد والإصدار ، ولزمه من حضور الواقعة ملازمة سورة الحديد ، وقرأ التغابن بعد الحشر ، فلا أقسم أنه ليس عليه لوم ولا تفنيد ، وهل أتى على الإنسان أنه يذكر بالغانيات وهو فى النازعات من شدة التنكيد ؟
فما فعله من التحريق فهو الصواب ، لأنه خاف أن يفتح عليه أسباب الغرام من كل باب .
فما إرسال هذه الأبيات إلا من العاديات عليه ، والموريات قدحاً لزناد غرامه الذى لديه ، وما هو إلا كما فعله ذو النورين ، لما رأى من الاضطراب فى المصاحف ، وأن يتفرق الناس فى كتاب الله بين موافق ومخالف ، ملاحظة للمصلحة ، فلا تثريب عليه ولا لوم ، ولا يرسل بشىء من رقائق الأشعار بعد اليوم .
فقال ــ عند ذلك ــ مصارع العشاق ، إن كان هذا الجواب على قواعد الأدب ، فليس بمقبول بالاتفاق ، فإنه لا يلهيهم عن ذكر الأحباب ، شىء من شدائد العذاب ، بل يجعلون ذكرهم عند شدة الحال ، دليلا على الوفا بحق ذات الدلال ، أما سمعت عنتراً حيث قال ــ والرماح دونه فى نهل وانحلال . .

ولقد ذكرتك والرماح نواهل   منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل الرماح لأنها   لمعت كبارق ثغرك المتبسم

أو ما شنف سامعك قول الطغرائى وهو فى سياق الحمام ، وقد أشرعت إلى نحره ماضيات السهام :

ولقد أقول لمن يسدد سهمه   نحوى وأطراف الأسنة تشرع
بالله فتش عن فؤادى هل تجد   فيه لغير هوى الأحبة موضع

أو لم تنظر ما فى الدواوين ، من شعر بعض الوفاة للمحبوبين .

وحقها إنهـا جفون تسل من لحظها المنون
لا صبر عنها ولا عليها الموت من دونهـا يهون
لأركبن الهـوى إليهـا يكون فى ذاك مايكون

فقال له: دعنا عنك ، فأنت مشهور بالتهتك ، ولذا لقبت بالمصارع ، وأنا لا أنظر فى الفتوى إلى كلام أهل الغرام بل إلى قواعد الشارع .

فقال ديوان بنى عذرة : قد أبديت فى هذا الطرف لمثير هذه الفتنة عذره ، فهات الطرف الثانى من التفصيل ، وأرحنا من طول القال والقيل .

قال نعم ، أما الطرف الأخير ، فأنصت إلى هذا التحرير ، فأقول: إن كان المقابل لتلك الأبيات ، بقبيح تلك الجنايات ، ممن لم يشارك قائلها فى حوادث الزمن ، وكان قرير العين بلذيذ الوسن ، فهاهنا تنسكب عبرات الأدب ، ويطول من الثقلين فى هذه الجناية العجب ، ويقول الـكل : إن هذه الجناية ، تقصر عن جواب السائل عنها علماء الرواية والدراية ، وإنه لجدير بأن تسفك فيها دماء المحابر وتراق ، وأن تقوم الحرب بين ذوى الآداب منها على ساق .

فليفصل السائل المقال ، وليوضح من أى الطرفين وقع السؤال ، بعد أن يصلى ويسلم على محمد وآ له خير آ ل .

وصدرت وقد اجتمع من فنون الأدب كل كتاب ، وصارت أرجل الجميع على الركاب ، إلا أنهـا توقفت لانتظار تفصيل الـكلام ، ولتدل نظر أولى الألباب ، وعنايتهم فيما يكون منه حسن الختام ...

وكتب رضى الله عنه إلى القاضى العلامة أحمد بن محمد قاطن رحمه الله إلى مدينة ثلا واصفاً حادثة العجمى المسمى بالسيد يوسف وشرح حاله وقد ذكر البدر رحمه الله القصة مستوفاة ، فأذكر ما ذكره قبل الـكتاب المذكور فقال :

فاقرة فى الدين ، قاصمة لظهور المتقين ، ومصيبة فى الإسلام لم يطمع فى وقوعها إبليس اللعين ، ومكيدة فى الإسلام ، أسست بآراء جماعة من الأفدام[١]

وهى ظهور الرفض وسب العشرة المشهود لهم بالجنة على لسان الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم وعلى آ له الطاهرين ، حاشا علياً أمير المؤمنين ، فإنه مصان عن ألسن الطاعنين .

---

(١) جمع «فدم» قال فى المصباح؟ فدم ، بين الفدامة والفدومة ، أى بعد الفهم غير فطن .

وسببه أنه وصل رجل من العجم إلى صنعا اليمن ، فارا -على زعمه- من طها سب يتسمى بالسيد يوسف . وفد إلى صنعا فى أوائل سنة ١١٦٠هـ ومائة وألف ستين ، على مضى أربعة أشهر منها ، وله معرفة فى علم الميزان ، على ما خبرناه كمعرفة غيره ممن مارس ذلك الفن من أبناء الزمان ، وادعى أن له فى علم الهيئة معرفة ، وهو علم لا نعرفه فلا نصدقه ولا نكذبه ، وهو من العلم الذى قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم : علم لا ينفع ، وجهل لا يضر . وله فى النحو والبيان ، مثل أى من له فى هذين الفنين معرفة من الأعيان .

فاتفق له قبول عند بعض من يتصل بالخليفة المنصور ، فصور له أن هذا من العلماء فى المعقول والمأثور .

وهذا العجمى لا يدعى لنفسه معرفة سنة ولا كتاب ، بل لا يقيم سورة من القرآن بلسانه .

ولكن هذا الذى صور للخليفة رجل من أهل التقصير ، لا يعرف من العلوم قبيلاً من دبير .

فأمره الخليفة أن يملى نهج البلاغة وشرحه لابن أبى الحديد على الكرسى فى الجامع الكبير ، وأمر له بالشمع تسرج ، وبالشوش من أصحاب الدولة يحضرون بحضوره ، وحضر من غوغاء الناس وجهلتهم أمم كثيرة ، فأملى من ذلك شيئاً يصحف بعض ألفاظه .

وكان همه إلقاء مذهب الرافضة إلى الأذهان ، ودس شيئاً من كفريات الفلاسفة وسرد كذبات على الصحابة من أكاذيب الرافضة فيما جرى على أهل البيت ، على وفاطمة عليهم السلام منهم .

وما زال كل ليلة يسرد من هذا ، حتى ذكر أنه حرف القرآن بعض الصحابة . فسب الصحابة العامة من الناس ، ولعنوا أعيان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، مثل العشرة المشهود لهم بالجنة ، إلا علياً عليه السلام وغيرهم ، وأتى بكل قبيح من قوله إنه غلط جبريل عليه السلام بالرسالة ، وأنها كانت إلى على بن أبى طالب عليه السلام .

وحاصله أنه لم يبق مذهب من مذاهب العجم إلا دسه فى ذلك .

وأنكر العلماء من الزيدية ذلك ، وعرفوا به الخليفة ، وأخبروه بحقائق مذهب

الرافضة ، وأن فيها أنهم يرونه هو وأهل مذهبه كفاراً ، وأنهم ينكرون أن للحسن بن على عليه السلام ذرية.

فقال يقرأ النهج بحضرته ، ويحضر العلماء ، فكان ذلك زيادة فى عظمة ذلك الرافضى عند العامة ، وكان يقرأ النهج بحضرة الخليفة المنصور ويحضر العلماء ، ولكنه استعمل بعض التقية فى ذلك المقام . وإن دس فيه من الطوام . كقوله : إن السموات تسع لا سبع ، وإن آدم عليه السلام ما عصى ربه ، وإن قوله تعالى « فعصى آدم ربه » . معناه : فعصى بنوه . وأشياء يطول تعدادها . والله أعلم مايأتى بعد هذا ، فإن هذا رقم فى رمضان فى اليوم الخامس منه ، وهو مستمر على الإملاء على الكرسى ، وأما قراءة حضرة الخليفة فإنها تركت فى رمضان .

وعند الانتهاء إلى كتب هذا . وصلت ورقة من الولد إبراهيم بن محمد الأمير - أصلحه الله تعالى - أنه رأى فى صبيحة هذا اليوم أن جده أبو أمه السيد العلامة الزاهد التقى هاشم بن يحيى الشامى رحمه الله وصل إلى عنده إلى بيتنا . فقال له الولد إبراهيم: من أين هذه الجيئة؟فقال:من عند سيد ولد آدم صلى الله عليه وآله وسلم ، قال :فقلت له : هل سمعتم هذه المصيبة فى الإسلام ؟ قال : فتنهد وقال : كيف لانسمع ؟ والله إن عندنا من الحزن أكثر منكم .

قال : فقلت له : هل عرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك معكم أم لا ؟ قال : بل والله عرف قلت : فما قال ؟ قال : قال وقلنا معه « إنا لله وإنا إليه راجعون» وقال : « كيفما تكونوا يولى عليكم » .

قال : قلت له : العلماء مسئولون ؟

قال: نعم إلا والدك فبشره أنه لا يحاسب .

قال : قلت له مطلقاً ؟ قال: الله أعلم .قال: قلت لهالسيد أحمد بن عبدالرحمن الشامى قد برأ عذره عند الله ولم يكتب له ثواب على فعله . ثم قال : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم » الآية - إلى قوله « جميعاً » . وقال : اكتم هذا الخبر أصلحك الله . وقال : خاطركم ، فقلت له : « لعمر أبيك إلا الفرقدان » .

اجلسوا عندنا ، فقال: « وكل أخ مفارق أخوه إلخ » انتهت .

وهى رؤيا حق أعرف صدق رائيها . فنقول كما قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

ثم طبقت على هذه الورقة من رمضان عام ستين إلى غرة رجب سنة ١١٦٣ ثلاثة وستين ومائة ألف .

فأذكرنى ما حضرنى مما انتهى إليه حال ذلك المبتدع ، وهو أنها اتفقت أمور قدرية رفعت تلك البدعة بالكلية وهى أن الخليفة المنصور عرضت له أمراض ، منها ضعف البصر ثم ضعف القوى ، ثم الوفاة .

وقام بالأمر بعده ، ولده المهدى أحيا الله به معالم الدين ، وقطع به دابر المعتدين ، فانقطعت تلك البدعة ، ورفع الكرسى ، وبقى ذلك المبتدع يطبب العامة ، ويدرس إلى حين تأريخها والله تعالى يأتى بكل خير .

وكنت كتبت إلى بعض الأعلام ممن كان بسفح صنعا أقام ، ثم رحل عنها وهو من تلاميذنا من الحكام . فأخبرته بلسان اليراع ، ما جرى بعد فراقه لتلك البقاع . من بحور الابتداع .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد إهداء شريف التحيات . واستهداء صالح الدعوات . فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو على جزيل نعماه . وأصلى وأسلم على رسوله سيدنا محمد وآله سفن النجاة . وأنهى إلى المقام الساطعة أنواره . الطالعة شموس سعده وأقماره . أن البلدة التى قوض عنها رحله . ورفع عن سكناها ، وابله وطله . صار لها بعد بعده شأن . وعادت كأنها حافة من حافات أصبهان . أوكورة من كور خراسان . لاتسمع فيها إلا مادحاً عليا . وذاماً صحابياً بدريا . أو ذاكراً أخبار السقيفة أو منشداً :

لهفى لبنت محمد ماتت بغصتها لهيفه

أو متوجعاً من غمط الوصى ، ودق عضد البتول وتمزيق الضحيفة ، أو متعجباً من جمع الحطب حول بيتها لتحريقه ، أو متمثلا بقول القائل : وقد غص بريقه .

وقادوا عليا فى حمائل سيفه وعمار دقوا ضلعه وتهجموا
على بيت بنت المصطفى ووصيه ينادى ألا فى بيتها النار فاضرموا

أوقاصا لمثالب عثمان ، وما حرق من كلام الرحمن فى القرآن . وأن الوحى « إنما أنت منذر وعلى هاد » .

لحرفت الآية فى مصاحف أهل الأغوار والأنجاد ، وأنه حرف خمس عشرة آية نزلت فى مدح الوصى ، وحفظت قبل إحراقه لها وتليت ، أوراوياً أنه لما أسرى بالمصطفى ، وجد عليا قد سبقه إلى سدرة المنتهى ، وأن الرب العلى خاطب محمداً رسوله

بلسان علي ، فقال : أعلي يخاطبني ؟ فقال الرب سبحانه . بل خاطبناك بلسان أحب الخلق إليك .

وكم وكم ـ يا ابن ودي ـ أتلو من هذه الأقاصيص عليك ، هي نوق لاخطام لها ولازمام ، ولو يقال من أخرجها ، أوفاه أحد بذلك رماه بالنصب الأنام ، فإنه اتفق أنه سأله سائل عن حديث قدسي ، رفعه المنصوب على الكرسي . لفظه أنه قال المختار حاكياً عن الرب الواحد القهار : « لو أن أهل الأرض أحبوا عليا كما أحبه أهل السماء ، لما خلقت النار » .

فسأله رجل من أهل المدينة النبوية ، عمن أخرج هذه الرواية القدسية ، فاقشعر جلد ذلك المقام ، ورماه بالنصب بعض الحكام ، وكاد أن يفضي الحال إلى طرده من البلد ، وأن ينهى عن أن يجالسه أحد ، مع أنه سأله في موقف خاص ، ولو كان سؤاله في الموقف العام ، لما كان له عن الحمام خلاص .

ولو سمعت أذناك أحاديث يوم الجمل ، وسرد وقائعه على التفصيل والجمل ، وأخبار أيام صفين ، والرماح تغرز في الكلا ، والسيوف تغمد في الطلا ، لسمعت لعن اللاعنين لأهل الشام ، من كل لسان حاضر ذلك المقام ، حتى يرتج الجامع الكبير ، بلعن كل صغير من أولئك ، وكبير .

دع عنك أهل الشام ، لو طرق سمعك لعن الشيخين ، وسعد بن أبي وقاص ، الذي فداه الرسول بأبويه يوم حنين ، وغيرهم من العشرة ، الذين أودعت مناقبهم الرياض النضرة لقلت :

رأيت الذي لا كله أنت قادر عليـه ولا عن بعضه أنت صابر

خل عنك أقواماً أقسم القلم على نفسه أن لا يجري بذكرها ، واستحيا من الله تعالى أن لاقاه برقم سطرها من أدناها ، ما جرى به وهو يعرق جبينه حياء من الله تعالى جل جلاله ، وهو أنه غلط جبريل عليه السلام بالرسالة وحاصله أنه التعطيل فلا إطالة ، ولعلها قد طارت الأخبار بما يورده في مقام الخلاف ، وقد أدر فيه من ثدى جهالته أحلافه كإيراده على قوله تعالى « الله الذي خلق سبع سموات » بأنها تسع ثامنها الكرسي ، وتاسعها العرش .

وعلى قوله: «فعصى آدم ربه فغوى» بأن آدم لم يعص ، وأنه لابد من تقدير يصح به الكلام وهو « فعصى بنو آدم » .

وبالجملة فكما قال بعض أئمة التحقيق ، إن قوله : العرش والكرسى سماءان نظير من يقرأ ، قوله تعالى : « فخر عليهم السقف من تحتهم » فيقال له : لا عقل ولا قرآن ، وكقوله : إن الآل جميعا معصومون ، فقال له قائل : ومن الآل ؟

قال : من حرمت عليهم الزكاة .

فصار العلوية والعباسية والعقيلية والجعفرية ، معصومين ، إلى يوم الدين .

ولكنه ليس إلى إيراد البحث عليه سبيل ، بل كلما فاه به ، فهو حق لا يتطرق إليه التبديل ، بل كما قيل .

حكوا باطلا وانتضوا صارما   وقالوا صدقنا فقلنا نعم

وبالجملة :

تغيرت الأحوال حتى خِلْتُها   ستطلع هذه الشمس من حيث تغرب

فهذه قطرة مما عندنا . والله أعلم بما وراء ذلك .

وليس يعلم ما يأتى الزمان به   سوى قديم عظيم الشأن مقتدر

وهنيئا لسكان الثرى ، وللحراثين فى البوادى والقرى ، ولا تنسونا من الأدعية فى هذه الخواتم ، فهى للاجابة مواسم ، « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » .

وكتب قدس الله روحه إجازة لبعض الطلبة :

الحمد لله عظيم الشأن   من أرسل المختار من عدنان

يدعو الورى طراً إلى الجنان[1]   بالسنة الغراء والقرآن

صلى عليه الله ماهب الصبا   وآله وصحبه ذوى التقى

وبعد فاعلم أن علم السنة   طريق من يرجو دخول الجنة

وكيف لا وهى مقال أحمد   والفعل والتقرير للمسترشد

وقد أتى تلميذنا حسين   وهو بما ينقله أمين

وقال لى قد طلب الجمالى   على سعد الدين ذى الأفضال

إجازة منى فيما أملى[2]   عن كل حبر متقن ذى فضل

(١) وضعت كلمة «الرحمن» بدل «الجنان» فى هامش الأصل.(٢) فى نسخة : فيما أروى

تبركا منه بما أرويه … عسى بما أجيزه أهديه

إلى طريق سنة المختار … أحمد خير صفوة للبارى

من جاء بالسنة والقرآن … يهدى الورى طراً إلى الرحمن

وكل من تابعه سعيد … ومن هدى بهديه رشيد

وكل من خالفه فهو الشقى … وفى غد نار الجحيم يصطلى

فأولا أوصيك بالتقاء … والذكر فى الصباح والمساء

بما أتى عن الرسول لا سوى … فكل من خالفه فقد غوى

وذلك الحصن الحصين قد أتى … ياحبذاه ماروى وماحوى

واحرص هديت للرشاد ياعلى … على كتاب الله ربك العلى

فكن على الدرس له محافظاً … وكن له غيباً هديت حافظا

فكل خير فى كتاب ربى … حسبى به فى كل أمر حسبى

واعمل بما علمت إن علمنا … يزدك ربى منه ما أملنا

وثانياً فإننى أجزتكا … بما أنا أرويه قد ميزتكا

فَلْتَرْوِ عنى ما أنا أرويه … عن كل حبر فاضل نبيه

فارو البخارى وصحيح مسلم … وغير هذين بهذا فاعلم

من كتب السنة والتفسير … كجامع الأصول والتيسير

والبغوى وجامع البيان … لكن مع التحقيق والإتقان

وارو الذى تراه من تصنيفى … وماتراه صح من تأليفى

نظماً ونثراً وكذا رسائلى … وما أتاك من جوابى سائلى

من غير تحريف ولا تصحيف … وابدأ بعلم النحو والتصريف

فهاهما باب علوم الأثر … ثم أصول الفقه علم نظرى

فمن لما ذكرته قد أتقنا … نال من العليا مقاماً حسنا

وصار عيناً فى بنى الزمان … يهديهم لطاعة الرحمن

فما سـوى طاعته من مطلب فاحرص عليها فهى خير مكسب
والأصل إخـلاص الفتى للنية بقصده لوجـه رب العزة
فـكل من أخلص فى أعمـاله نال الذى يرجـوه فى مآله
ينزل حقاً فى جـوار المصطفى وحسبنا الله بهـذا وكفى
صلى عليه الله كل ساعـة ولا حرمنا الفوز بالشفاعـة
وآله ورض ماعشـت على أصحـابه ذوى التقى والنبـلا
واسأل لنا فى كل حين ياعلى حسن الختـام فهو خير العمل

* * *

وكتب رضى الله عنه عاقداً خطبة كتاب توصل المسجون إلى النبي المأمون شرح بديعة ابن معصوم للمولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله مشتملة على جميع أنواع البديع موريا بها مرتباً لها على ترتيب الأصل :

أحسن مايبدى به الـكلام وما به يفتتح النـظام
و أبرع استهـلال قول القائل عند ابتداء التحبير للرسـائل
حمـد الذى ليس له مجـانس فى مطاق الـكمال أو مقـايس
ولا بايغ مشـبه بفضـله مركباً ومفرداً من قـوله
غايته تلفيق مالا يعاق بذيلها فهو بهـا لايلحق
تفردت بغـاية التمـام ياعجباً من‌ذا لها يسامى
كم من بليغ كامل مفوف عض بنان كفه المطرف
معترفاً بأنه مصحف فى كل ما يقـول محـرف
وقائلا لـكل ما أفاضـا بأنه قد جالس الألفاظا
إنك مغلوب الفؤاد يافتى متى متى تبلغ ذا أنت متى
جناس معناها البديع ما أحد فإنه مستطرد وما قصـد

لو استعار من جميـع البلغا　　واستخدم الصاحب ثم النبغا
وافتن فى خدمة كل فاضل　　ولف ما ينشر فى الرسائل
ما التفت السامع إلا استدركا　　يقول قد أبهم ذا فيما حكى
وانطبقت فى مقته العباره　　ونحوه كل يشن الغاره
يرسل فى الذم له أمثالا　　محبراً فى هجوه المقـالا
منزهاً عن الهجا مقاله　　بفاحش الذم بـكل حاله
يهزل حيناً ويريد الجـدا　　والقول بالموجب حينا يبدا
فلا يرى مقتبساً من خله　　غير لهيب قوله وفعـله
يوارب الواصف بالتفويف　　معـبراً به عن التأفيف
يقول ذاهو الـكلام الجامـع　　لـكل ما تمجه المسامـع
فراجعوا وعارضوا كلامه　　وغايروا وناقضوا إبرامـه
وذيلوا مشتبه الأطراف　　فى الضعف لا فى جودة الأوصاف
ووشحوا ماشئتم من نظم　　ونحوه قودوا جيوش الذم
متممين الذم للمجهـول　　فى معرض المدح بحسن القول
ودفع صدر قوله بالعجز　　عسى يتوب عن عراض المعجز
واحذر من استثنائك الهجاء　　مراعياً نظيره حيـــاء
موجها أنك ابن أنسه　　رفقاً عليه من عتاب نفسه
تالله لا يترك حتى يقسما　　بأنه قد تاب عما أجرما
محسنا تخليصه من ذنبه　　مصليا على النبى وحزبه
من فى ثناه اطّرد المديح　　وانعكس الجهل به الصريح
وآله الدين من تردد　　فى فضلهم فهو الشقى الأنكد
ما حاز إلا النسبة اللفظية　　من اتباع سيد البرية
وصحبه الغر الذين اجتمعوا　　ودفعوا عن دينه ورفعوا

فانسجمت صفاتهم للسامع فهات ضمخ بالثنا مسامعى
كم تابعوا فى دفع كل جاحد وفرقوا جمع امرىء معاند
وصرحوا ولحوا بالزجر لكل من ناوأهم والهجر
وبعد فالتسهيم للمطارف من الكلام عند كل عارف
بوشى ما من البديع ينسج فالبلغا عما عداه عرجوا
لأنه عنوان حسن الشعر كم شرعوا منهجه فى الذكر
كم مذهب من الكلام ذهبوا وكم به ديباج نظم ذهبوا
لا يرجعون عن بنا المعانى فيه إذا توارت المغانى
أو إنه تجاهل العارف به أو باعتراض فى أتى فى دأبه
أو حصرت بلاغة الكلام على أناس سالفى الأعوام
فإنهم عند أهيل الفضل جزئى قوم ألحقوا بالكلى
قد دونوا التهذيب والتأديبا وللأخير تركوا نصيبا
فالاتفاق بعد هذا قد وقع بأنه كم من أخير قد جمع
مغترفا من رائق الآداب فما يلى الأعيان فى الخطاب
موشحا كلامه بالدرر مكملا ما قاله من غرر
بمدح من يلبس برد الدين مشبه شيء منه أو شيئين
وإنه ألف بحر المنظوم عليٌّ الشهير بابن معصوم
قصيدة فى مدح سيد الورى خلف فيها سابقيه للورى
مسميا لها بتقديم على منوها بالاسم قدرها العلى
أورد فيها كل نوع يذكر مع اسمه عند المثال يسطر
طالعت ما فيها من الكنايه وذقت ما فيها من العنايه
والدهر قد أوجب لى ضراه مستلبا منى ما أهواه

فليس لى فى السجن من مشاكل إذ ما إلىّ من صديق داخل

أرجو من الرحمن يستحيل بالانعكاس سجنى الطويل

فكم أقاسى فيه من هموم وكم ألاقى فيه من غموم

تقسم الأفكار والمطامع قلبى ولا تشفينى المدامع

فأوقع الله لى الإشارة أن أقتفى من نظمه آثاره

مرتباً شرحاً لما أملاه مشاركاً فى مقصدى مغزاه

تشبهاً بخادم الرسول وليس لى إغراقه فى القول

سميته توصل المسجون منه إلى نبينا المأمون

من لايزال فى غلو قلبه لفقده لكل من يحبه

وفقده الأشعار والفرائد وجمع مايقيمه شواهد

قد صرعتنى أسهم الفراق وصدعت قلبى بالاشتقاق

وولدت لى فكراً لاترضى وأبدعت فى كل مالا أرضى

وأوغلت فى جمع كل نادره ونازعت فى محنتى مبادره

لذاك ماطرزت شرح الشعر بغير ما طالعته فى قصرى

ولم أكرر فيه ما أمليه ولا بتنكيت أتيت فيه

محسناً للاتباع فيما ألفه أهل الذكا قديما

قوم لهم قد قيدت القوافى طائعة وأظهرت خلافى

حين عصت فمالها انبساط عندى ولا لطيرها انحطاط

لذاك ما أوعبت فيما أنقل ولا توسعت بما يطول

ولم أدبّجْ ذا ولم أسجع ولم أعدد قول كل مبدع

إلا إذا عفو هنالك اتفق لأننى ملاحظ حسن النسق

وجُلُّ قصدى حبى التملل بما إلى خير الأنام يوصل

لعـــله يرحم بالتعطف   عبداً يخاف من حلول التالف
عساه يستتبع هذا الفعلا   يمكنني الخلوص بعد الأملا
من منزل يمدح في الأقوال   في معرض الذم بكل حال
فليت شعري هل لمثلي تنفتح   ألغاز هذا الدهر ثم تتضح
ويذهب التوهيم عن أفكاري   مؤتلفــاً بأهلي الأخيـار
كالوزن والمعنى إذا ما ائتلفا   واللفظ مع لفظ يرى مؤتلفا
فعند هذا أوجز الشكاء   من زمني وأطنب الثنـاء
مسبحاً لفظ الثنا والشكر   ببذله التسهيل بعد اليسر
ومـدمجاً للاحتراس حتماً   مهما جرى مني لشيء ذما
ومحسناً بيـان ما أولاه   وعاقداً نظمي في ثنـاه
مسطراً عند استوا كلامي   براعة المطلب في نظامي
حسن ختامي بعد أن أصلي   على النبي والآل مهما أملي

عدد أبياتها تسعون بيتا .

* * *

وقال تغمده الله برحمته مكاتباً للمولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله ومناصحاً له في الاهتمام بطلب العلم الشريف :

هات اسق الذهن من خمر العلوم   أكـؤس التحقيق
وأدرها عند ذهني كالنجوم   أيهـــا الصـديق
واسقني التحقيق لا نبت الكروم   واترك التلفيـــق
لا أرى الكاسات تبلغ ما أروم   فـامـــلأ الإبريق

ففففففففف

كم يبيت الذهن سهران العيون   كالفتى الولهـــان
كاد يدعى في الملاقيس الفنون   مذ غـــدا حـيران

ولـكَمْ أجرى من العين العيون وجفـــا الســلوان

هات اسق الذهن من خمر العلوم أكـؤس التحقيق

***

وامش فى روض المعانى والبيان واقطـف الأمثـــال

تلق فيها كل مايهوى الجنان ذهـــنك السيـــال

وتراه شاربا تلك الدنان شربـــة الجــــريال

هات اسق الذهن من خمر العلوم أكـؤس التحقيق

***

وإذا زفت من النحو إلى خيمـــة الأفــكار

نكتة حلّت بأذهان الأولى فهى كالدينــــار

فاجتنيها قبل أرباب الذكا إجتــلا الأبــكار

هات اسق الذهن من خمر العلوم أكـؤس التحقيق

***

وإلى علم ابن سيناء فارتحل واركب الأهـــوال

وبطيب النوم احذر تكتحل وانقـــد الأقـــوال

وإذا أحرزته فَلْتَنْتَقِـــلْ هـــاجراً رسطـــال

هات اسق الذهن من خمر العلوم أكـؤس التحقيق

***

واقصد المعمور من ربع الأصول تلـــق ما تهـــوى

فهو بحر غرفت فيه الفحول من ذوى الأهـــوى

لاتقل قال العضد قال الفصول وانظر الأقـــوى

هات اسق الذهن من خمر العلوم	أكؤس	التحقيق

❁❁❁❁❁❁❁❁

أنا لا أرضى بتقايد الرجال	فهـــو	لا ينجى
كم مشى لحل به فى الاعتدال	دونـه	الأيجـى
داؤه عندى هو الداء العضال	ذكره	يشجى
هات اسق الذهن من خمر العلوم	أكؤس	التحقيق

❁❁❁❁❁❁❁❁

ثم حث السير إن رمت المدى	واطرح	الأثقـــال
عند أبواب حديث المصطفى	واكثر	التّسـآل
ناد خلاق السموات العلى	يفتـح	الأقفـال
هات اسق الذهن من خمر العلوم	أكؤس	التحقيق

❁❁❁❁❁❁❁❁

فهو يهدى عبده نهج الصواب	وبه	تنجـــو
وتأمل سر آيات الكتاب	عنـد	ماتتـلو
ولعمرى إنه البحر العباب	فُلْكهُ	العقـل
هات اسق الذهن من خمر العلوم	أكؤس	التحقيق

❁❁❁❁❁❁❁❁

واحسن النية واجهد فى الطلب	أيهـا	الإنسان
واكتب المسموع من أهل الرتب	وذوى	الإتقـان
ليس يخشى المرء فيما قد كتب	آفـة	النسيـان
هات اسق الذهن من خمر العلوم	أكؤس	التحقيق

❁❁❁❁❁❁❁❁

والحميا راق عند الأدبا فــلـه مقـــدار
فلهـذا قـــد نظمنا شهباً دونهـا الأقمـــار
قال ارتشفها يامليك النجبا واحـــذر الإسكار
هات اسق الذهن من خمر العلوم أكؤس التحقيق

✻✻✻

وعلى حضرتكم أسنى السلام أيهـــا الأمجـــاد
بعد طه المصطفى خير الأنام منتهى الإسنـــاد
وعلى الآل الميامين الـكرام ســـادة الزهـــاد
هات اسق الذهن من خمر العلوم أكؤس التحقيق

✻✻✻

كلمـا هب على الروض الصبا يلـــثم الأغصـــان
أو شرا برق على سفح قبا غيثـــه هتّـــان
أو خليل لخليل كتبا كلمـــاً فتّـــان
هات اسق الذهن من خمر العلوم أكؤس التحقيق

✻ ✻ ✻

وقال المولى العلامة محمد بن إسحق رحمه الله :

ياحمامة خففى سجعك قليل طار نومى من عيونى
واسمعى شكواى قدطال الطويل والبـكا جرح جفـونى
قلّ صبرى والهوى حمله ثقيل مالهـــم لايرحمـونى
ماعليهم لو شفوا قلبى العليل باللقـــا أو بشرونى

✻✻✻

يا حمامة ليس مثلى فى الغرام من تأخر أو تقـدم

من يكن مثلى فهم سجع الحمام ثم غرد به مترجـــم
لو خفى عنى سجوعك بالظلام ما مزجت الدمع بالدم
حين قلتِ ليس فى الدنيا مثيل لا ولا فى السجن دونى

❦❦❦❦❦❦❦❦

اصبرى فالصبر مفتاح الفرج إن بعـد العسر يسرين
كم أسير سجون من سجنه خرج بعـد ماقد كان بقيدين
ورقى من بعد ذاك أعلى درج صـدق هـذا القول الأمين
لو بدت لك غاية الصبر الجميل قلت ياناس احبسونى

❦❦❦❦❦❦❦❦

كم لقى قلبى من أحبابى عذاب من جفـاهم والتجنى
لورويت ماليس يحصر فى حساب طـال مايرويه عنى
قدرنى لى من حضر عندى وغاب وسمـع عنى ومنى
آح ماقاسى الذى قاسيت جميل من هـوى من تيمونى

❦❦❦❦❦❦❦❦

شردوا عن ناظرى طيب الهجود آه للنـوم المشرد
عذبوا قلبى المتيم بالصدود ونسوا عهـدى المؤكد
ليتهم لما جفوا صانوا العهود مثل حفظى العهد سرمـد
لم أخن والله على ما أقول وكيل عهـد من قـد ضيعونى

❦❦❦❦❦❦❦❦

يافؤاد اصبر على أحبابك عسى يذكروك بعـد التناسى
ويلينوا بعـد ماطال القسا فـيروا مابين أقاسى
كم فتى أحسن بعد قد كان أسا وذكـر من كان ناسى

كم عدو أمسى فأصبح لك خليل   عكس ماقـــد عذبونى

* * *

وعارضها الوالد البدر رضى الله عنه وأرسلها إلى قائل الأصل :

الحمامة إن أثارت بالهديل   شجو قلبى فهـو دونى
هى على الأغصان فى الظل الظليل   وأنا مالت غصـونى
قد أمالتهم رياح من قال وقيل   لعـــواذل يحسدونى
ليتهم إن لم يرقوا لى قليل   من هـــوام خلصونى

كم أعانى فى هوام من ملام   ما أحـد فى الناس يرحم
بعدهم قد فارقت عينى المنام   وغـــدا نومى محرم
حين خطار بالتيه خطار القوام   وإلى وجهى تبسم
صحت فى سجن الهوى طال المقيل   فاطلقـــونى أطلقـــونى

ماعلى المضنى إذا باح من حرج   وجرى دمعـه من العين
فالفتى الفتان سلاب المهـج   قـد أعاض الوصل بالبين
ليت شعرى هل إلى سمعه ولج   قول عاذل يزرع المين
مابقى فى الناس من يزرع جميل   نحـو بابه يحمـــلونى

فعسى بالقرب يسمع لى خطاب   أو يقـــل أدنوه منى
أو يبلغ لى حتى ولو كتاب   أكتبه من نور عينى
كم تمنينا ولو رد الجواب   والهـــوى كلـه تمنى
إن ذه نفسى على خدى تسيل   بعـــد مانزت جفونى

قد أذابت مهجتى نار الخدود فهى فى الأحشا توقـد
والعذار لمـا بدا زاد الوقود وغرامى فيـه تأكد
لام تأكيد صح لا لام جحود وانظاره مفتوح فى الخـد
شاهجره ياناس فقدطال الطويل وامتدح فى ذا الحمينى

الفتى الماجد سليل أهل الـكسا من لبحر العـلم حاسى
يشترى بالنقد مجده لا النسا ماالذى ينقــد كناسى
قد تسربل بالمحامد واكتسى واحتجب بين الـكراسى
أفردوه حين ماراوا له من مثيل هـل لهـم قال افردونى

* * *

انتهى الديوان الفائق الرائق ، والحمد لله المالك الخالق ، والصلاة والسلام على خير الخلائق ، وعلى آله وصحبه الجامعين الحقائق والرقائق

كان الفراغ من رقم هذا الديوان الحافل بعون الله فى يوم الأربعاء ٤ شعبان سنة١٣٧٣هـ ثلاثة وسبعين ومائة وألف بعناية المولى العلامة المؤرخ الوالد عز الإسلام محمد بن محمد زباره حفظهم الله وكتبه خادم العلم الشريف محمد بن قاسم بن يحي الشامى .

والآن . . . وقد فرغنا من طبع كتاب « ديوان الأمير الصنعانى » الذى بذلنا فيه قصارى الجهد ، حتى يطلع على قارئه وقد استكمل كل مايراد له من روعة الإخراج .

نسأل الله . . . أن يفتح بين أيدينا الطريق ، كى نحقق للقارئ العربى غايات العلم والمعرفة ، وكى نسير به إلى ما يرجوه من ثقافة ووعى . .

ومطبعة المدنى — التى شجعها القارئ العربى ، . تؤكد العهد وتجدده ، أن تظل عند حسن ظنه — عاملة على أن تعطيه أحسن شىء . . وأقرب شىء من منهج رسول الله . . وطريقة السلف الصالح . . .

وفق الله . . . كل العاملين . . من أجل تمكين « الكلمة المسلمة » . . فى أرض الله . . .

مدير المؤسسة

محمد على صبيح المدنى

فهرس

كتاب «ديوان الأمير الصنعاني»